

الأساليب الفنية في التحرير الصحفي

تأليف
د. عبدالعزيز شرف



الأساليب الفنية فى التحرير الصحفى

د. عبد العزيز شرف

الناشر

دار اسهام للعبامة والنشر والتوزيع (القاهرة)

عمده تجريب

الكتاب : الأساليب الفنية في التحرير الصحفي

المؤلف : د. عبد العزيز شريف

رقم الإيداع : ٩٩/١٤٤٠.٨

التقييم الدولي : I. S. B. N.

977-303-207-8

تاريخ النشر : ٢٠٠٠ م

حقوق الطبع والترجمة والاقتباس محفوظة

الناشر: مدار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (عبد غريب)

شركة مساهمة مصرية

الإدارة : ٥٨ ش الحجاز - عمارة برج آمون - الدور الأول - شقة ٦

☎ ٢٤٦٢٥٦٢ - فاكس / ٢٤٧٤٠٣٨

التوزيع : ١٠ شارع كامل صدقي العجالة (القاهرة)

☎ ٥٩١٧٥٣٢ / ☒ : ١٢٢ (العجالة)

المطابع : مدينة العاشر من رمضان ٠ - المنطقة الصناعية (C1)

☎ ٠١٥/٣٦٢٧٢٧

رئيس مجلس الإدارة / أحمد غريب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

محتويات الكتاب

الصفحة

٩ المقدمة
	الفصل الأول
١٧ فن التحرير ووسائل الاتصال الصحفي
	الفصل الثاني
٥٢ الشكل والمضمون
	الفصل الثالث
٧٨ معايير التقويم الصحفي
	الفصل الرابع
١٤١ بناء الرسالة وتحرير الخبر الصحفي
	الفصل الخامس
٢٠٦ فن الحديث الصحفي
	الفصل السادس
٣٠٨ التحقيق الصحفي
	الفصل السابع
٣٢٨ المقال الصحفي

مقدمة

نشر الأهرام - من ١٠٠ سنة - ما يلي :

من ١٠٠ سنة في الأهرام

وسينين مما قيل بكل العرص وخيمة الدخول
ويحل بيع الأوراق ولقد كان يأس الجميع سيديسون
إلى الضريح على الخراع جيل تسمية لخرقيه
أفضل العلاء بن فرحين وشرفين وهله على
الفرجة إلى أوروبا حيث يحرص اختراجه على
رجال الصناعة والعلم

إ. الأهرام في ٥ يناير ١٨٨٣

● اختراع جديد !
خطينا من يوسين بفابله التمه القواجا الهاس
الساعاتي المخراع الثري وهو خادم من بيروت
وتوجه إلى باريس لعرض الثريا التلية التي
أتم اختراعها من عهد قريب، وأتينا بطلا على
أح من اختيارها وقد رأى أن يتفرج على فنونا
والعامة ويحرص اختراجه هذا للمساعدة

وقد تطورت الصياغة الصحفية بعد ذلك تطوراً كبيراً، كما أصبحت الصحافة تخضع لتطلبات كثيرة .

والسؤال الآن هو

- ١ - ما الذي تتطلبه التغطية الصحفية وكذلك الصياغة في الصحف الحديثة؟
- ٢ - إذا كان المقصود مما نشر من ١٠٠ سنة أن يكون نبأً فكيف نعالجه بأسلوب اليوم. مع إعادة صياغته.
- ٣ - وإذا كان المقصود أن يكون تحقيقاً صحفياً فما هو الإجراء الحديث الذي تتبعه الصحف كي تلتقط من الوثائق المذكورة ما يصح أن يكون أساساً لتحقيق صحفي، وكيف نخطط له؟
- ٤ - كيف نكتب مقدمة لهذا التحقيق مع مراعاة أن التحقيق محدود في عمودين من أعمدة الصفحات اليومية.

.. هذه الأسئلة تمثل محور الحديث في قاعة المحاضرات بالجامعة وحولها مئات التساؤلات التي يطرحها طلاب الإعلام في منهج التحرير الصحفي؛ والإجابة عن هذه التساؤلات إنما تمثل محور هذا الكتاب عن الأساليب الفنية في التحرير الصحفي؛ تواصل مع سابقه في السبعينات والثمانينات؛ فن التحرير الإعلامي؛ وفن المقال

أساليب الكتابة في التحرير الصحفي

الصحفي؛ ثم التفسير الإعلامي لأدب المقالة؛ وفنون المقال بين الصحافة والأدب في التسعينات. وإلى هؤلاء الدارسين؛ الزملاء؛ يهنئ المؤلف هذا الكتاب، الذي يقدم المؤلف فيه عرضاً للشكل والمضمون في أساليب التحرير الصحفي؛ في الصحف والمجلات؛ تنسبها على أن هذا الفن إنما يقوم في جوهره على جعل الأحداث والمعلومات والثقافة بل والفلسفة والعلم في متناول جميع القراء، بطريقة واضحة سلسلة درامية.

وكلمة التحرير كما نبين في كتابنا: فن التحرير الإعلامي، تختلف عن المعنى اللغوي الذي يجانس بينها وبين الكتابة، فكناية الخبر هي إقراغه في القلب المكتابي، ونقله من باب الفكرة إلى باب التدوين على الورق وفقاً لأساليب الصياغة الإعلامية. أما تحرير الخبر متلاً، فيحظى مراجعته، مع احتمال إعادة كتابته ووضع العناوين الملائمة له وإعداده للنشر أو الإذاعة في المكان الملائم له من الصحيفة أو نشرة الأخبار.

ومع ذلك، فإن عملية التحرير الإعلامي تشمل الكتابة كعنصر من عناصرها، وتعمل وجزئية من جزئيات الكل التحريري. لإبراز معطيات الشكل والمضمون في الكيان التحريري: كروياً واتصال. وهذه العملية التحريرية يتداخل فيها التفسير والتحليل والتقويم. وهذه العوامل الثلاثة هي السبيل الذي يسلكه المحرر الإعلامي في طريقه إلى الاستكشاف وتكوين الرؤيا، التي تغدو بدورها من أهم أسباب نجاح العملية الاتصالية الأم، والتي يعتبر التحرير جزءاً لا يتجزأ منها. فالتحليل مثلاً يجعل الدارس للتحرير يستكشف موضوعه ليسبر أغوار المضمون الذي يفشد توصيله To communicate وليشيد العناصر التي تحتوي هذا المضمون في نسق اتصالي إعلامي، ثم ينتقل الدارس إلى مرحلة الكتابة لينمزن على صياغة أفكاره، كخطوة أساسية للانتقال إلى مرحلة التحرير الإعلامي.

والعلاقة بين التحرير والكتابة إنما هي علاقة الكل بالجزء كما تقدم، وهي تشبه من قريب، علاقة التفكير بالكلمات، حيث الإعلام لا يتم بدون تحرير الرسالة الإعلامية المقصود نقلها وتلقيها كما أن التفكير لا يتم من غير استخدام للرموز، والتحرير كعملية تشمل التفكير والتعبير، إنما يعني بصياغة الأفكار من خلال الرموز سواء كانت الرسالة الإعلامية مسموعة أو مطبوعة، فإنها تنقل الأفكار والمعلومات والحقائق من خلال الرموز ليقلعها الآخرون بالأذن أو بالعين، أو بهما معاً.

ويمكننا اليوم أن نتحدث عن التحرير الإعلامي في وسائل الاتصال بالجماهير ونرى فيه اصطلاحاً أكثر دقة من اصطلاح التحرير الصحفي التقليدي عندما نشير إلى التحرير في وسائل الإعلام الأخرى غير الصحف والمجلات.

وكل نوع من أنواع التحرير. التعبيري أو الإقناعي أو الإعلامي - يستخدم وسيلة ما، أي أنه يلتزم باستعمال قناة للإرسال. وفي الإعلام - كما يذهب إلى ذلك علماء الاتصال. تصبح المؤسسة بأكملها حاملة للرسالة التي يدور حولها فن التحرير الإعلامي. كالصحيفة، أو المجلة. أو محطة الإذاعة - وهي تستطيع حمل رسائلها إلى الآلاف أو الملايين من الناس في وقت واحد تقريبا. وهي تتعرض أيضا للمشكلات التي تجاوبها بوصفها مؤسسة اجتماعية، كالمراقبة، والقيود الحكومية، والدعم الاقتصادي وغيرها.

ويركز هذا الكتاب على الأساليب الفنية في التحرير الصحفي بمعناه التقليدي؛ فيتناول تحرير الخبر؛ والحديث؛ والتحقيق؛ والمقال. ونذكر في هذا السياق ما يذهب إليه أحد علماء التحرير الصحفي حين يشبه هذا الفن بالكلمات المتقاطعة من حيث إثارته للمعرفة ودلالات الكتابة والصياغة والتقويم والتنقيح والإعداد للطبع، والتجميع والترتيب والتنظيم والملائمة، والإيجاز والتأليف، والتصوير العام، والانتقاء والإعداد للنشر وطواعية القراءة والاستماع.

وعلى الرغم من أن الآلية الذاتية (Automation) توفر للصحف إدارة الأجهزة بالوسائل الميكانيكية والإلكترونية التي تحل محل حواس الملاحظة عند الإنسان وتوفر عليه العناء والجهد، وتيسر إصدار الصحيفة على نحو أفضل من مصانع معدة من قبل، فإن تلك الوسيلة تتطلب انتقاء أفضل، ومحاكمات عقلية وتمييزا قاطعا من القائمين على التحرير فالآلية الذاتية تزودنا فوراً باسترجاع خلفية المادة التي نفسرها. وهي بذلك تكون قد أسهمت أكبر إسهام في تزويد مكاتب التحرير Desks بالمعاني المنشوبة لتحقيب الوضوح والتكامل في التقارير الإعلامية، أي أنها تجعل فن التحرير فنا راسخا متماسكا، مثوق الذهن، سريعا، وتمكن المحرر والمراجع من تحرير النص على شاشة مرئية. ومن هذه العملية يتضح أن العنصر البشري في التحرير جزء لا يتجزأ من العملية التحريرية The Editing Process، بل إنه يشكل صلبها ومنطلقها.

وتفسير ذلك سوبرناتليقياً، أنك عندما تبعث برسالة فأنت الذي ألفتها وحررتها قبل (يداعها الآلة. وأن الحس السليم يعتبر أنك أصل الإعلام، وأن الآلة قناة نقل وقد لا

يجرؤ هذا الحس السليم على أن يضيف، بدون إرباب، إذا ما تركنا له وقتاً كافياً للتفكير بأن "أنا" هي المبدع المطلق للإعلام. فهو يعرض حق المعرفة أن الرسالة ليست إبداعاً صريحاً، حتى ولو لم يستعن المنشئ بـ "دليل" في الإنشاء التجاري ولا بكتاب متبادل من كتب التبصير في السلوك الجيد في الحياة. ولكن الحس السليم يعرف أن موضوعات موجبة قد أسهمت في إنشاء الرسالة وفق طراز خاص. فالـ "أنا" ليست الأصل المطلق، ولكنها في الوقت ذاته ليست مجرد عضو ناقل، ونحن ندرك بجلاء أن أمر إعداد أكثر الرسائل نواضعاً ليس لمجرد إفساح المجال أمام العقل ليعمل، بل إنه إقحام "غذاء" ما في مجال ما، "غذاء" تقدمه للآلة، ولا يمكننا أن نستمد من أي جزء من أجزاء مجال آخر.

وليس هناك من الناحية النظرية، ما يحول دون بلوغ مردود كامل مائة بالمائة، لأن استخدام الإعلام، من جهة أولى، بقراءة الرسالة، لا يشوهها، أو أنه لا يشوهها إلا تشويهاً متناهياً الصغر، ولأن من الممكن من جهة أخرى، أن نقص بما يشبه حركة الخط المقارب، كل ضجيج القاع وكل الطفيليات المشوشة الطارئة على الإعلام أو أن ينزلها جميعاً عندما نتعرض عناصر الرسالة لخطر الانحدار إلى ما دون عتبة أمن معينة. وهذا المردود الجيد، بل هذا المردود الكامل من الناحية النظرية، هو الذي يتيح نشر إعلام معطى إلى ما لا يحده حد، إن في وسعنا أن نضاعف، بصورة غير محدودة تقريباً، نسخ جريدة أو صورة شمسية. وفي وسعنا أيضاً توسيع بنية إعلامية. ولكن عادة نسخ بنية أو ترسيخها لا يعنى زيادة الإعلام ذاته. ولئن خلت آليات الإعلام من الرضوخ لبدأ "كارنو" ولسقف المردود الذي يحدده، فإنها لا تخلص من مبدأ حفظ الإعلام. فليس في قدرتها أن تخلق بالمجان إعلاماً، كما أن الآلات البسيطة، نعجز عن خلق عمل بالمجان.

وعلى ذلك فإن المناهج الجديدة لم تغير في الشكل والمضمون تغييراً جوهرياً، كما يشير إلى ذلك أحد كتاب "النيويورك تايمز" حين يقول: إن هذه المناهج قد تستبدل الحبر الأحمر بحبر أسود على صفحات الجريدة المتوازنة، وهي حين تعاون الناشرين على الاستعمال الأفضل لخصائص "السلعة" ذاتها في المقابل لا يمكن أن تلغي العقول البشرية، أو بتعبير أدق لا يمكن أن تجيب الجهد البشري للمحررين الأكفاء⁽¹⁾.

(1) Nathaniel M. Gerstenzang, "The Newspaper's Biggest Personnel Problem"
"Columbia Journalism Review 4:40 (Winter 1960).

إن القدرات التحريرية لهؤلاء لا يمكن أن تستبدل بالحاسبات الإلكترونية ومن هذه القدرات مثلاً: القدرة على تحرير النص أولاً، ثم القدرة على تأليف العناوين بعد ذلك. ولا تقل الثانية عن الأولى في درجة الأهمية، إن لم نزد عليها، ذلك أن فن التحرير الإعلامي يتطلب بالضرورة الاعتماد على عنصر "التقويم" غير الملموس، وعلى رصيد من الثقافة كبير، واستخدام الذاكرة الإنسانية memory يتميز بالمبادأة وتحويل النص المراد تحريره إلى نص منمّع، يثير الخيال وحب الاستطلاع. وفن التحرير يقنّض من التحريرين القدرة على التصرف والاختيار والنمبيز والتعبير الساخر والنزوع إلى التأكيد من الحقائق، وما يرتبط بهذه القدرات من صفات سُمّيز هذا الفن الإعلامي.

وتأسيساً على هذا الفهم. فإن سكرتير التحرير المركزي بوسائل الإعلام **Daskman** يعتبر رجل الاتصال الأول **Prime Communicator**. ذلك لأنه بنوب عن القارئ مؤقّتاً. وهو من أجل ذلك يلتزم بما يفرضه الضمير، من جهاد ونضال مع المادة التحريرية ليخلق منها قصة واضحة المعالم، ذات مغزى ومعنى، ومبنيّة على أساس منهجي، وفي أسلوب مباشر أمين، واضح، دقيق. فتقويم الأخبار يرمى أساساً إلى تيسير الفهم بالنسبة للقارئ، حتى يدرك مغزاها وآثارها. ثم إن المحرر يحاول جهده ملاحظة الجمهور عن طريق العنوان المنشود. وهنا نجد تقارياً واضحاً بين المحرر **editor** والكاتب الإبداعي **Creative writer** من حيث أن كليهما إنما يريد أن يتحدث إلى الجمهور بصورة صحيحة، ويصايرحه الأفكار والعواطف. في اللغة وإيناس.

وبعد؛ فلا نرغم لأنفسنا أننا قد أحصلنا في هذا الكتاب بماهية التحرير الصحفي؛ أوبأساليبه الفنية؛ بل نأمل أن نكون قد استطعنا تقديم صورة مجملّة عن الأساليب الأساسية في التحرير الصحفي، تواصلنا مع دراسات أساتذتنا وزملائنا في هذا الفن، والذين أفدنا من عملهم؛ ورواهم الكثير؛ على نحو ما يتضح في مراجع هذا الكتاب وهوامشه. ونسال الله تعالى التوفيق؛ فجلّ من لا يخلع نخيراً أو قصوراً في عالم البشر.

المؤلف

عبد العزيز شرف

إفصاح الأبرار

فن التحرير

و

وسائل الاتصال الصحفي

يتضح لنا موقع "التحرير الصحفي" من عملية الاتصال، حين يقول المحرر وضع 'رسالته' في شكل معين؛ أو صيغة محددة من الرموز أو الكلمات؛ لتنتشر في صحيفة أو مجلة.

فالمصحف لكي تنتشر تحريص الحرص كله على تحقيق تواصل فعال مع القارئ، ويتوقف ذلك بطبيعة الحال على مدى التناغم بين المرسل، والمستقبل. فإذا كان المرسل ضعيفا في كتابته أو غير واثق من نفسه، أو ليست لديه معلومات كافية عن موضوعه. فإن ذلك يؤثر على الاتصال. وإذا كانت الرسالة غير محررة بالطريقة الفعالة، فإنها تقف في سبيل نجاح الاتصال^(١)، وعنصر الرسالة في عملية الإعلام هو العنصر المحوري في دراستنا للتحرير الصحفي.

وهو عنصر غير منفصل - كما تبين مما تقدم - عن بقية العناصر الأخرى؛ ولكنه وثيق الصلة بالمرسل والمستقبل، ومعرفة الهدف، وفعالية وسيلة الاتصال الصحفي، وقدرة المستقبل على حل الرموز.

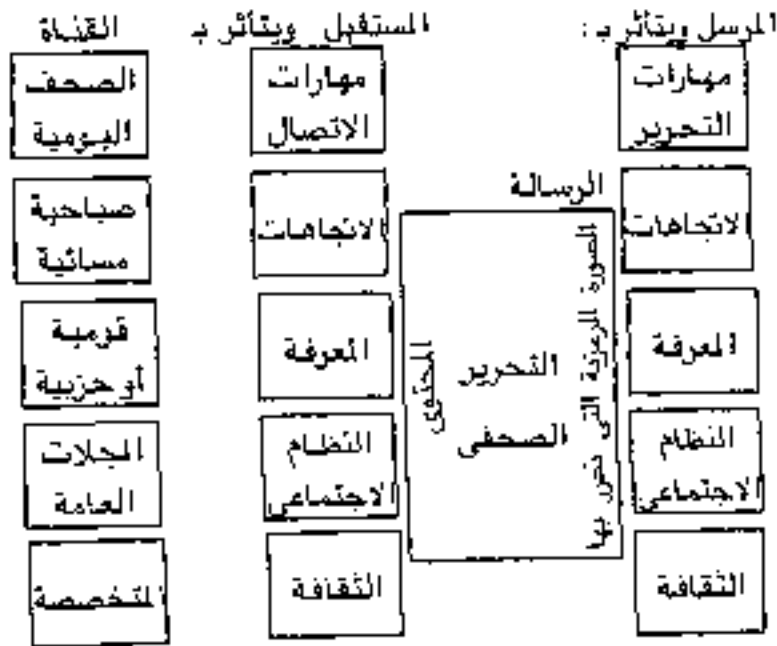
ويمكن تصوير انتقال الرسالة الصحفية من المصدر إلى الجماهير، من طريق المرسل، ووسيلة الاتصال التي يهيمن عليها المسئول كرئيس التحرير مثلا، لكي يتلقاها بعض الجماهير مباشرة، أو يتلقاها بعض القادة وحاملو المعلومات، لنقلها إلى أصدقائهم أو أتباعهم على النحو التالي :



وبدل أسلوب التحرير الصحفي كما يفهم من المصطلح على المعاونة التي يقدمها المحرر لجمهوره مباشرة في القراءة في عملية نقل المعلومات والآراء والحقائق والوقائع.

(١) د. إبراهيم إمام، الإعلام والاتصال بالجماهير ص ١٣٥.

عنى أن اللغة في نظرية التحرير، لا تنفصل عن القناة Channel أو الوسيلة الصحفية التي تنقل الرسالة، وهي عبارة عن وسيط، لابد من اختياره بدقة لنقل الرسالة بنجاح، وأن يقوم هذا الاختيار على أساس من تحقيق الارتباط الوثيق بين التحرير والجمهور، وضرورة التناغم والمشاركة بينهما. وهذا الجمهور هو الذي يستقبل رموز التحرير ويعمل على ترجمتها إلى آراء وأفكار، فعندما يقوم محرر ما في صحيفة من الصحف، بتحرير نص من النصوص؛ ينطلق من تصور الجمهور يقرأ ما يكتبه هذا المحرر، وهذا الشخص الموجود عند الطرف الآخر من العملية التحريرية يمكن أن نستعير له من علم الاتصال، اصطلاح "المستقبل" الذي يمثل بدوره الهدف في عملية التحرير.



وتأسيساً على هذا الفهم، فإن التحرير الصحفي يمثل صلب العملية الإعلامية الاتصالية،... والرسالة الإعلامية هي جوهر التحرير الصحفي الذي يمكن أن نميز فيه بين جانبيين: العناصر التي تتكون منها الرسالة، ثم يأتي بعد ذلك البناء أو التركيب الخاص بوضع هذه العناصر معاً لتنتج لنا رسالة معينة مطلوب توصيلها إلى جمهور القراء.

التحرير من طريق الوسائل :

وإذا كنا قد حاولنا تعريف التحرير الصحفي عن طريق الاتصال بالجمهور، فإن المحاولة الأخرى قد تتم هذه المحاولة. ذلك أن وسائل الاتصال الصحفي مثل الوجه الآخر للاتصال بالجمهور. وعلى ذلك يغدو التحرير الصحفي ذا وجهين، الوجه الأول هو ما فرغنا من محاولة دراسته، والوجه الآخر هو محاولة التعرف على ماهيته عن طريق الأجناس الإعلامية التي طرحناها في كتابينا (المدخل إلى وسائل الإعلام) و(فن التحرير الإعلامي)^(١). إن 'التحرير هو الوسيلة' بحيث لا تغدو 'الرسالة' هي المضمون فحسب، وإنما تغدو 'الرسالة' في التحرير الإعلامي هي 'فن تطبيق الكلام المناسب للموضوع والحالة والجنس الإعلامي على حاجة القارئ أو السامع أو المشاهد'. فالتحرير في كل وسيلة من وسائل الإعلام إنما ينطبع بطابع جنسها الإعلامي، الذي يوجهه إلى اختيار لغته وأسلوبه وبلاغته. فطبيعة الجنس الإعلامي هي التي تحدد طريقة وضع الفكر في رموز تتفق وخصائص هذه الوسيلة الإعلامية أو تلك، والتي ترتبط بدورها بقدرات الخلق وقدرات المصدر في آن واحد. ولذلك فإن التحرير في الجنس *genre* الصحفي يختلف عنه في الجنس الإذاعي المسموع مثلاً. وليس ثمة تعارض بين الأجناس الإعلامية فالجنس الإذاعي المسموع لم يقض على الجنس الصحفي. وقد أثبتت دراسات عديدة أن الاستماع إلى الراديو لا يتنافس بالضرورة مع قراءة المائدة المطبوعة، ولكنه كان يتكامل معها.

فالتحرير عن طريق وسيلة الإعلام، يعني أن نظرية التحرير العامة تتفرع إلى فروع تطبيقية، في كل جنس إعلامي على حدة. وتشير الأبحاث الإعلامية إلى أن القدرة الإقناعية تختلف باختلاف الأجناس الإعلامية، كما تشير إلى أن لكل جنس إمكاناته وخصائصه ومميزاته. فيذكر الباحث الأمريكي 'ستوفر' مثلاً، أن المطبوع يصل إلى جمهور يرتفع مستواه التعليمي عن مستوى جمهور الجنس الإذاعي المسموع 'بشكل عام'. وإن كان الواقع يشير إلى أن الجماهير تقسم الوقت بين الأجناس الإعلامية. للحصول على الإعلام والترفيه والتثقيف والتوجيه وفقاً لإمكانات كل جنس إعلامي ورغبات كل مستقبل. وعلى ذلك تبين أهمية التحرير التمييزي في كل جنس

(١) هيئة الكتاب ١٩٨٠ - ١٩٩٩.

على حدة، فالجنس الإعلامي المرئي في التلفزيون والسينما يتميز عن الجنسين الصحفي أو الإذاعي المسموع، لأن التحرير في الأول يتوسل إلى العين والأذن معاً، الأمر الذي يزيد من قدرته على التعليم والإقناع، أوبعبارة أخرى فإن التحرير في كل جنس إعلامي إنما يتوسل بخصائص الوسيلة ليقدّم رسالة تتميز بالحيوية والواقعية، فالتحرير الصحفي مثلاً، يسمح للقارئ بالسيطرة على ظروف العرض الإعلامي، وقراءة الرسالة أكثر من مرة، فضلاً عن أن لديه فرصة لتطوير الموضوع في مساحة أكبر وثقاً لأهميته. وتشير التجارب إلى أن المواد المعقدة من الأفضل تقديمها مطبوعة عن تقديمها شفوية. ومن الأفضل استخدام التحرير الصحفي في مخاطبة الجماهير المنخفضة والجماهير صغيرة الحجم، لأنه يقنض من القارئ جهداً أكبر من ذلك الذي يقترضه في الأجناس الإعلامية الأخرى.

فالقارئ لا يحس بأنه شخصياً جزء من عملية التحرير الإعلامي، كما يشعر مسموع الراديو أو المشاهد للسينما، لأنه لا يشعر بأن الحديث موجه إليه شخصياً، ولكنه في نفس الوقت جزء من العملية أو مشترك فيها أكثر؛ لأنه مضطرب إلى المساهمة الخلاقة في نوع من أنواع الاتصال غير الشخصي. ويفترض بعض الباحثين أن مثل هذه المساهمة الخلاقة لها مزايا اجتماعية.

وتأسبباً على هذا المفهوم يتسنى لنا أن نقول إن تعريف التحرير الصحفي عن طريق الوسيلة يعني أن التحرير في الأجناس الصحفية لا يستقل عن تكنولوجيا الصحافة ذاتها، ذلك أن الكيفية التي يتم التحرير بها في كل جنس على حدة، تؤثر وتؤثر بمضمون تلك الوسائل، وهذه الوسائل التي هي امتداد لحواسنا. كما يقول "ماكلوهمان" هي في رأينا أجناس إعلامية، لكل جنس منها فئة إعلامي في التحرير، ويقنضنا ذلك أن نعرف طبيعة كل جنس حتى نتمكن من السيطرة عليه واستخدامه الاستخدام الأمثل في تطبيقات البلاغة الجديدة.

وبلاغة الاتصال الصحفي تتوسل بالكلمة المطبوعة كوسيلة فعالة للوصول إلى عقول وقلوب وعواطف الجماهير، وهي بالنال تؤثر في الفكر والفعل والسلوك. للصفحة المطبوعة جانب واحد ضعيف - من حيث أنها صامتة تخلو من الصوت - فإن هذا الضعف يمثل مصدر قوة لها، فهي الوحيدة من بين وسائل الإعلام التي تمكن القارئ من

تحديد سرعة القراءة وإيقاعها، وتتيح لها التمهّل وإعادة القراءة والتوقف ومعاودة القراءة والثدوق. هذا ما تتميز به الصفحة المطبوعة. (وإن كان الفيديو وشريط الكاسيت الآن يتنافسان للحصول على هذه المزايا). وستظل الصفحة المطبوعة ولكثير من الناس (ربما في الألفية الجديدة أيضاً) هي المصدر الرئيسي للمعلومات (إن لم تقض عليها بنوك المعلومات). وهناك ضعف آخر في الصفحة المطبوعة يعتبر مصدر قوة، إذ الكلمة المطبوعة تتطلب من القارئ جهداً أكبر من أي وسيلة إعلامية أخرى^(١).

أما مشكلة: جهد القراءة :

فتحتل في نفس الوقت نقطة قوة يستند إليها في التحرير الصحفي في توجيه الاتصال؛ ذلك أن الكلمة المطبوعة تتطلب من جمهورها أكثر مما تتطلبه أية وسيلة أخرى للاتصال، فهي أولاً، تحتاج إلى جهد للقراءة، قد يراه الكثيرون أمراً عسيراً لأسباب تتعلق بعقبات نفسية أو عدم تدريب، وهي تحتاج من ناحية أخرى إلى خيال مستمر ومتصل، والقراء الذين لا يتمكنون من مواجهة هذه الحاجة نظراً لخيرتهم المحدودة، أو كفاءتهم غير الملائمة فإنهم ينسحبون حتماً من هذا الميدان، وتعتمد قوة الشعر على هذه القدرة الأخيرة، فالشاعر والقارئ يشتركان في مبراز واحدة، تتمثل في رؤية: كيف أن عمق التجربة أو كثافتها، يمكن أن يندثقا عن كلمات قليلة، وكلما أسهم القارئ بنصيب كان ذلك أفضل، ومن أجل هذا يرجح أن تظل الصفحة المطبوعة مصدراً رئيسياً للتغذية العقل المدقق^(٢).

ولقد كانت الصحافة في عهدها الأول تخدم مثل هذا العقل فقط، ولا تفيد غيره، "ولذلك لم تجد مبرراً لجذب انتباه القراء أو لدفعهم للقراءة، ولكنها أصبحت الآن، وبعد أن وصلت إلى جماهير جديدة وعريضة، وسيلة اتصال جماهيرية هائلة. يضاف إلى ذلك أن لكل نوعية من أنواع المعلومات والأخبار التي تشتمل عليها الصحف، وظيفة اجتماعية معينة^(٣)."

(١) د. طه محمود طه : وسائل الاتصال الحديثة؛ في "عالم الفكر" الكويت ص ٨٠.

(2) Erik Barnouw Mass Communication: Television Radio, Film Press Holl Rinehart and Winston, N.Y. 1956 .

(٣) د. سامية محمد جابر المرجع السابق.

ويذهب مؤرخو وسائل الإعلام إلى أن أول اختراع آلي يستطيع به الإنسان أن يشارك أفكاره مع أفكار الآخرين على نطاق واسع، يتمثل في آلة الطابعة التي كان اختراعها سببا في توسيع آفاق العالم بأجمعه مرة واحدة تقريبا، لم يعد على القارئ أن يحل رموز المخطوطات اليدوية الصعبة، وبدلا من ذلك تستطيع عيناه وعقله أن تتسابق عبر الصفحة المطبوعة. ومع الطباعة جاء عصر إحياء العلوم القديمة ونهاية احتكار فئة قليلة من الصفوة للعلم، وتفتين اللغات، وازدهار الأدب الوطني، ومع الطباعة أيضا ولدت الصحافة.

وليس معنى هذا أن الصحافة قد ولدت بانعة بمجرد أن أقام ولهم كاكستون مطبعته في وستمنستر سنة ١٤٦٦، فمع أن الصحيفة كان لها بشائرها في شكل نشرات ورسائل، إلا أنه قد مر نحو قرن ونصف قرن بين الأخبار، وقد كانت هناك أسباب قوية لهذا التأخير، فلم تتمكن وسائل الاتصال التقليدية من جمع الأخبار وتوزيعها، كما أن الأمية كانت قاشية بين الناس، ولم يكن في استطاعة كل شخص أن يشتري صحيفة، كما أن الطابعة نفسها كانت أحيانا مهنة خطيرة تحومها القيود^(١).

فقد عرفت الصحف في أوروبا بعد أن ظهرت الطابعة بفترة طويلة؛ إذ اقتصر فن "جوتنبرج" على طبع أوراق الدفاتر وكراسات الأعمال التجارية وما إلى ذلك من الأشياء التي شت إلى الحياة العملية ولا ترتبط بالصحافة والصحف، غير أنه قد لوحظ في تلك الفترة أن من بين الكراسات التي طبعتها المطبعة في صدر عمرها كراسات تحمل الأنباء للناس، والأنباء كما نعلم أهم عناصر الصحيفة. وقد سبقت إذاعة الأنباء فن الطابعة؛ فكانت تلقى في أول الأمر مشاقفة ثم مضى أصحابها ينسخونها؛ فلما عرفت الطابعة صارت تذاع بعد طبعها في كراسات خاصة^(٢).

وقد شهد القرن السابع عشر في فرنسا وإنجلترا وفي غيرهما من الدول الأوروبية - موكد الدوريات التي تظهر كل ستة أشهر؛ ثم كل شهر؛ ثم كل أسبوع؛ ثم كل يوم. ومضت هذه النهضة قدما وعبرت البحار إلى أمريكا الشمالية؛ بينما مضى الشرق في

(١) ريفرز وملاز: وسائل الإعلام والمجتمع الحديث، ترجمة د. إبراهيم إمام، ص ٢٩.

(٢) د. إبراهيم عبده: تطور الصحافة المصرية ص ١٥.

عزله. فلم يعرف الطباعة إلا بعد أن عرفت أوروبا في الكتب المطبوعة والصحف السيارة في المدن والمقاطعات المختلفة.

يقول د. إبراهيم عبده: 'كان من الأمور الغريبة حقا ألا تشارك مصر دويلات أوروبا في تقدير الطباعة وتكريم الصحافة، ولأمر بها الأدوار الصحفية التي مرت بأوروبا، ذلك لأن مصر أبقت على تراث فكري كاد يندثر بسقوط الدولة العربية وتفترق كلمتها. وقد حملت لواء النهضة، ولم يقف نشاطها في العلوم والفنون بالرغم من عشاق الجاهل التي أعمت بعض حكامها؛ وبالرغم من نوبات الفتن التي مست الحياة الفكرية المصرية آنأ بعد أن منذ عهد الفاطميين إلى أيام المماليك البحرية والتبرجية "الشراكسة". وقد ظهر فيها كثير من العلماء والأدباء والمؤرخين كالقنقشبندي وابن هشام وابن خلكان وابن تغري بردي وغيرهم من إعلام العلم والتاريخ. وقد اتصلت مصر في عصورها الوسطى بممالك البحر المتوسط وجنوب أوروبا وجمهورية الهامة للمتاجرة معها. وكانت مصر واسطة العقد بين الشرق والغرب وكان يرجى لها التوفيق إلى كل جديد تعرفه أوروبا في ذلك الوقت.

وإلى أوروبا يرجع الفضل في صناعة الحروف الشرقية والعربية؛ عنوا في أول الأمر باللغة العبرية وحروفها لأنها لغة الإنجيل والتوراة، وقاموا بنشرهما في إيطاليا؛ ثم مضوا ينشرون كتباً دينية مختلفة؛ ثم اتجهوا إلى العلم فنشروا باللغة العربية بعض الكتب. وفي مستهل القرن السابع عشر احتدمت المنافسة بين روما وباريس ولندن على طبع الكتب العبرية والعربية. وأحسن الشرق هذه المنافسة فجلب إليه الطباعة من الغرب ليقوم هو أو يساهم على الأقل في نشر آثاره وتعاليمه.

وقد أوجت بذلك أيضا الفكرة الدينية؛ لذلك بدأت الطباعة في الشرق أول ما بدأت تنشر كتباً دينية باللغة العبرية؛ ثم كتباً أخرى باللغة العربية؛ وبخلصت أخيراً من هذا الاتجاه، ومضت تذيب المؤلفات والتراجم العلمية والأدبية.

وبحين جاءت الحملة الفرنسية إلى مصر سنة ١٧٩٨م عرضت بين بضاعتها مطالعها العربية واليونانية والفرنسية؛ وقد ناسب نشاط هذه الطباعة قدر الحملة؛ فلم تعمل على نشر الكتب والتعاليم الدينية؛ ولكن خدمت الغرض الدعائي للحملة؛ من

خلال طباعة المذشورات العربية وأوامر القائد العام. ثم أضافت إلى ذلك شيئاً جديداً لم تعرفه مطابع الشرق الأدنى، وانفردت به مصر أول الأمر؛ ذلك هو إخراج الصحف؛ فعن طريق هذه المطابع عرّجت مصر الصحيفة أو الدورية من خلال صحيفتي 'كورييه دوليجيت' "Courrier De L'Egypte" و'لاديكاد إيجيسين' "La Décade Egyptienne" على أنه لا يجوز للمؤرخ. كما يقول د. إبراهيم عبده^(١) - أن يحدد تاريخ الصحافة المصرية بإنشاء هاذين الصحيفتين؛ لأنهما صحيفتان أجنبيتان وإن ظهرتا في مصر.. وحين ولي محمد علي شئون مصر في سنة ١٨٠٥م، وعنى بتنظيم مصر إدارياً ورعاية مصالح الزراعة والصناعة؛ أنشأ لذلك ما يسمى 'بديوان الجورنال' وجعل له مطبعة في القلعة لطبع هذه النشرة. ثم بدأ له ألا يكتفى بطبع نسخ قليلة من هذا الجورنال؛ فطبع منه مائة نسخة يومياً؛ على أن توزع على موظفي الديوان وأمورى الأقاليم. وفضل محمد علي بعد ذلك إلى أن من الحكمة أن يصل الشعب المصري نفسه بهذه الأخبار التي تصف له أعمال الحكومة، فبادر بإنشاء ما سمي (بالوقائع المصرية). وصدر أول عدد منها في ١٥ رجب ١٨٢٢م. ووزعت نسخ هذا العدد على العلماء والملكبين والجهاديين وطلبة المدارس في مصر، والطلبة المصريين في أوروبا، بل وصلت من هذا العدد نسخ أخرى إلى السودان والشام وكريت وبلاد العرب .

هكذا بدأت الصحافة المصرية رسمية أول الأمر وبقيت رسمية على هذا النحو طوّل عهد محمد علي، فعباس، فسعيد، فإسماعيل الذي بلغت الصحافة الرسمية أوجها في حكمه. ولم يكن إلاّ أخيراً، وفي عهد إسماعيل، أن ظهرت الصحافة الشعبية، ونظر التاريخ إلى إسماعيل هذا على أنه المنشئ الثاني لهذه الصحافة في مصر الحديثة.

وقد أعانت الحكومة المصرية على ظهور بعض الصحف الشعبية التي كتبتها أقلام مصرية، قبل أن تظهر في مصر الأقلام السورية، ونبدأ نشاطها في هذا النوع من الصحف.

فقد أوحى إسماعيل . بعد أن أسس شورى النواب سنة ١٨٦٦ . إلى رجل مصري هو عبدالله أفندي أبو السعود ، فأنشأ صحيفة باسم 'وادي النيل' كانت تصدر مرتين في كل أسبوع. وكان الغرض منها الدفاع عن سمعة الخديو. وإلى جانب هذه الصحيفة

(١) د. إبراهيم عبده : المرجع السابق، ص ٣٥.

كانت هناك صحيفة أخرى ليست 'كوادي النيل'، لسان حال الخديو، ولكنها مستقلة. وتعدى بها جريدة 'نزهة الأفكار' لصاحبها إبراهيم المويلحي وعثمان جلال. كانت جريدة سياسية أسبوعية. وهذه الصحف الشعبية المصرية على قننها قد غيرت من القول المشائع بأن الصحف المصرية بدأت في كنف أهل لبنان، ويجهد أبناء الشام. فهاتان الصحيفتان ومحرراهما من علمنا - غيرتا هذا الرأي - وأطلقا هذا الزعم، وأوضحتا أن نشأة الصحافة الشعبية في مصر كانت بأيدي مصرية خالصة^(١).

ومن أهم الصحف وأقدمها 'جريدة الأهرام' لصاحبها سليم تقي، وقد حصل على تصريح بها في عام ١٨٧٥م. وكان لهذه الصحيفة - فوق عنايتها بنشر الترقيات الخارجية - مشاركة في بعض الجهود الأدبية، إذ كانت تنشر بعض مقامات الحريري حيناً، وبعض ما يتصل بالنحو والصرف واللغة حيناً، وبعض ما يتصل بالحكم والنوادر والأشعار والقصص والتاريخ حيناً ثالثاً، ثم بعض ما يتصل بالعلم والرياضيات آخر الأمر.

وبقيت 'الأهرام' تعمل يومئذ إلى جانب الصحف الشعبية المصرية، ومنها جريدة 'وادي النيل' التي صدرت سنة ١٨٦٦، وجريدة 'نزهة الأفكار' الصادرة سنة ١٨٦٩، وجريدة 'روضة الأخبار' الصادرة سنة ١٨٧٥، و'جريدة الوطن' التي صدرت سنة ١٨٧٦. وكانت كل صحيفة من هذه الصحف الشعبية تعنى عنابة خاصة بالأخبار الاجتماعية. وتتفق كلها على نقد السياسة الإنجليزية، وإن كان هذا النقد في ذاته لم يتيسر لها إلا بعد جهد عسير.. وإلى جانب 'الأهرام' كانت هناك جرائد أخرى لا يستهان بها. منها على سبيل المثال: جريدة مصر سنة ١٨٧٦، وجريدة المحروسة سنة ١٨٨١، وجريدة العصر الجديد سنة ١٨٨٠. ومهما يكن من أمر فقد توالى الأحداث المصرية والأحداث العالمية، وأصطلحت كلها على تقوية الصحافة الشعبية. وعادت كلها بالفائدة المحققة على هذه الصحافة.

والكلمة المطبوعة من الأهمية بمكان، حتى أنه ليشك في إمكان قيام الدولة الحديثة التي تحتوي الأمة دون وجود الطباعة. ولقرون عديدة كانت المواد المطبوعة، بوجه عام - هي التي حافظت على المثل العليا والآمال والتقاليد المشتركة، كما حافظت

(١) الدكتور إبراهيم عبده: تطور الصحافة المصرية ص ٦٥.

عنى روابط الولاء السياسى فى مناطق شاسعة، وكانت الوسائل الطباعية وحدها تنهض بالمهام التى يتوقعها المجتمع اليوم من جميع وسائل الإعلام مشتركة. ولقد قامت الوسائل الطباعية بإعلام الجمهور وتذويره، وتفسير الأحداث والقضايا، وتحدى السلطة المنقبة، وإمتاع الشعب، وإقناع الجماهير العديدة، لكن تصل إلى اتفاق فيما بينها، كما أنها قامت إلى حد محدود بتقديم بأتى السلع والخدمات إلى المثثرين.

ثم جاءت ثورة الاتصال فى القرنين التاسع عشر والعشرين لتقدم السينما والراديو والتلفزيون. فانضمت إلى الوسائل المطبوعة لنشر الأخبار والأفكار والإمتاع، وبسبب طبيعتها الإلكترونية، وكذلك بسبب تنوع طرقها فى أداء مهامها، أصبحت كلمة "الصحافة" اصطلاحاً مهجوراً لا يعبر عن كل الوسائل.

يضاف إلى ذلك أن ثورة الاتصالات قد جلبت معها أنواعاً من الاتصال الإقناعى الذى قلما يدخل فى نطاق المعنى التقليدى للصحافة، ولقد أصبح الإعلان عوناً هاماً ملحفاً بجهاز التسويق، ولا تعبر كلمة صحافة بوضوح عن الوظيفة الإقناعية. فقد نشأت العلاقات فى كنف الشركات التجارية التى اعتقدت أن (رضاء الجمهور كفيل بالمحافظة على مركزها الاحتكارى، ونمت من طفل صغير فى نهاية القرن التاسع عشر حتى أصبحت شقيقة للإعلان فى منتصف القرن العشرين، وتقوم العلاقات العامة فى صورتها المستنيرة المثلى بخلق الانسجام بين سياسات المؤسسات ومصحة الجماهير وبعد ذلك تقوم بمدحها، وهى تستخدم فى ذلك وسائل الإعلام، كما تختار خبائها من بين العاملين فى تلك الوسائل. وقد ازدهرت الصحف والمجلات الناطقة باسم الشركات بعد الحرب العالمية الثانية، وإن كان البعض يذهب إلى أن نشرة المؤسسة ليست صحافة بالمعنى الدقيق للكلمة^(١).

ومن أهم خصائص الاتصال الصحفى؛ والإعلامى بوجه عام؛ أنه ذو اتجاه واحد غالباً. وقلما يكون هناك طريق سهل أو سريع للشارى، أو المشاهد، أو المستمع، لكى يرد أو يسأل أسئلة، أو يلقى إيضاحات؛ إذا هو احتاج إليها. وثانية هذه الخصائص أن الإعلام يتضمن قسطاً كبيراً من الاختيار فالوسيلة، مثلاً، تختار الجمهور الذى ترغب فى الوصول إليه. فصحيفة "الأهرام" مثلاً تختار جمهوراً مثقفاً وحضرياً من القراء.

(١) ريفرز وزملاؤه، السابق ص ٣٠.

و"مجلة الشباب" تستهدف الشباب في مصر و أمتها العربية. أما مجلة "الأهرام الاقتصادية" فتتوجه إلى المعنيين بشئون المال والأعمال والاقتصاد. ومن الناحية الأخرى، فإن جماهير المستقلين بخفاريون من بين الوسائل، فهم يقرؤون ما إذا كانوا سوف يشاهدون التلفزيون، أو يقرءون كتابا، أو صحيفة، أو مجلة وهم يختارون ما يشاءون من المضمون المتاح لهم، فقد يشاهدون برنامجا تلفزيونيا إخباريا، أو إنهم قد يحولون مفتاح الجهاز إلى قناة أخرى حيث يعرض برنامج للفقواريين، كما أنهم يختارون الأوقات التي يستخدمون فيها وسائل الإعلام.

وثالثة هذه الخصائص أن الأمر يحتاج فعلا إلى عدد من وسائل الإعلام أقل مما كان مستخدما من قبل؛ وذلك لأن الوسائل تستطيع الوصول إلى جماهير ضخمة ومبشرة انتشارا عريضا، فلكي نبعث برسالة عبر الوطن العربي عن طريق الصوت البشري وحده، يحتاج الأمر إلى أعداد هائلة وهائلة من المتحدثين. ولكن شبكة إذاعة واحدة تستطيع أن تصل إلى الملايين من الناس في نفس الوقت، ولهذا ما يناظره في النظام الاقتصادي والاجتماعي بأكمله، ففي ظل النظام المعاصر للإنتاج الضخم مثلا، يستطيع عدد أقل من المنتجين أن ينتجوا عددا كثيرا من المنتجات الموحدة^(١).

ورابعة هذه الخصائص أن وسائل الإعلام في سعيها لاجتذاب أكبر عدد من الجمهور، تتوجه إلى نقطة متوسطة افتراضية يتجمع حولها أكبر عدد من الناس. ونادرا ما تكون هذه النقطة هي أدنى المستويات، غير أنها ترتفع تماما إلى المستوى المتوسط في كثير من أجهزة الإعلام.

وهذه الخصائص هي التي يركز عليها فن التحرير الصحفي؛ في التوجه إلى نقطة متوسطة افتراضية يتجمع حولها أكبر عدد من القراء وقد درج رؤساء تحرير الأخبار على توجيه المذوبين الناشئين بالكتابة إلى "نلك الشخص الذي يحرك شفقيه عندما يقرأ"؛ وهو الشخص الذي يمثل أدنى مستوى بين قراء الصحف، وإذا كان هذا الشخص يستطيع فهم الأخبار الصحفية، فإن القراء الأكثر تعاليم يستطيعون ذلك أيضا. ووفقا لدراسات القدرة القرائية، يمكن توقع أن ثلاثة أرباع الشعب - ممن نلقوا

(١) ريفر وزملاؤه المرجع السابق ص ٢١.

تعليمًا متوسطًا. يفهمون ما يكتب على مستوى الصحف العادية والمجلات الشعبية. ولما كانت وسائل الإعلام تخاطب قارئًا أو مستمعًا - أو مشاهدًا اقتراضيًا، فإنها تفتقد روح الألفة التي تسود عند الاتصال بشخص واحد من الأشخاص. فالنقير الذي تنشره صحيفة عن حدث ما يفتقد كثيرًا من الألفة التي يتميز بها خطاب يرسله صديق إلى صديقه عن هذا الحدث.

وينبغي ألا نخدعنا الإحصاءات عن عادات الجمهور القرائية؛ ففي مصر وكثير من الدول العربية؛ بلجأ الأميون إلى المتعلمين ليقرأوا لهم الصحف؛ فلا نكون مبالغين إذا قلنا إن أكثر من ٧٠٪ من سكان البلاد العربية يقرأون الصحف ويستمعون إلى تلاوتها إلى جانب الارتباط بزيادة عدد المتعلمين وارتفاع مستوى التعليم؛ إذ وجد مكتب البحوث الاجتماعية التطبيقية أن ٦٥٪ من المتعلمين تعليمًا ابتدائيًا يقرأون الصحف. وترتفع هذه النسبة بين المتعلمين تعليمًا ثانويًا فتبلغ ٧٥٪ وتصل هذه النسبة إلى ٩٥٪ من بين المتعلمين تعليمًا عاليًا.

ويرتكز التحرير الصحفي على دراسات القدرة القرائية؛ والقراءة تتطلب خيالًا مستمرا؛ ومشاركة من القارئ في خلق أجواء النص؛ ذلك أن الاستمتاع بالقراءة على حد تعبير د. طه محمود طه - يتناسب تناسبًا طرديًا مع القدرة على الاشتراك في خلق المعاني عن طريق التخيل. وتجد أن فعالية الشعور وقوته تكمن في هذه اللعبة الطريفة بين الشاعر والقارئ؛ ولهذا تعتبر الصفحة المطبوعة أفضل وسيلة للاتصال بالجمهور المنتبه، فهي لا تحاول أن تشد الانتباه أو تجتذب، فالجمهور هنا هو الذي يبحث عن الكلمة. وربما أطلق عليها أفلاطون "وسيلة الرد الرزين" فهي قلما تلجأ إلى الأسلوب الدرامي. ومنذ عام ١٨٣٠ زحفت فنون أخرى إلى الصفحة المطبوعة. فنون درامية كالحوار والرسم والصور والكاريكاتير والألوان ثم الرسوم الهزلية. وهذه الفنون التصويرية توفر مجالات للتعبير عن العواطف عن طريق التقمص. وأدى استخراج النسخ الفوتوغرافية وتطور الروتوغراف في الصحافة والأخبار المصورة بكل ما فيها من طاقات للعرض الدرامي والأبهة والعظمة، إلى البعد بالصفحة المطبوعة في الدخول في منافسة مع السينما، كما يتضح من أساليب القيم السينمائية كاللقطة القريبة والبعيدة والمزدوجة. ولكن هذه الفنون التصويرية ساعدت الصفحة المطبوعة في الدخول في منافسة مع السينما والتلفزيون.

ففي الفيلم وفي التلفزيون تتحرك الصورة أما في الصورة المطبوعة فيمكن تثبيت الابتسامة الجميلة التي ترسم على وجه طفلة (وإن كانت آلات العرض السينمائي والفيديو هي الأخرى تتميز الآن بوجود مفتاح لتوقيف الصورة أثناء العرض) واللحظة الحاسمة في تسجيل هدف كروي. وهذه الصورة الثابتة يمكن دراستها وقصها والاحتفاظ بها وتعليقها ودراستها والعودة إليها فيما بعد. وعندما ينحرف القارئ والمشاهد من التقيد بزمن محدد للمشاهدة (لاحظ جهاز الفيديو الحديث الذي يمكن توقيته ألياً لتسجيل برامج لعدة أيام) يمكن اتخاذ القرار الذي يناسبه^(١).

تنتشر الكلمة المطبوعة عبر قنوات عديدة لكل منها جمهورها وتخصصاتها، وتحت سيطرتها المطابع والألوان ومساحات الإعلان، وبالإضافة إلى وكالات المطبوعات والنشر يجب أن نضيف إلى المنشورات واللافتات ويطاقات السيارات والمنصقات والروزنامات وعلب الثقاب والسجائر والملابس، فالكلمة المطبوعة لها القدرة على أن تلتصق بأي شيء حتى الهواء. ماثرات الإعلان التي تكتب بحروف من دخان اسم سلعة على ساحل بحر في شهر الصيف مثلاً تسحب إعلاناً يرفرف خلفها.

وإلى جانب النتائج السيكولوجية والاجتماعية فقد كان للطباعة نتيجة أخرى يراها "ماكلوهان" في مد عنايتها الانشغالي والتماثلي إلى مناطق مختلفة ومجانستها تدريجياً، مما يؤدي إلى زيادة قوتها وطاقاتها وعدوانيتها، وهي الصفات الأصلية للقوميات الجديدة الناشئة. ومن الناحية السيكولوجية يمكننا القول إن الامتداد البصري، والتضخيم، اللذين أحدثتهما الطباعة في الإنسان قد أديا إلى نتائج عديدة، وأظهر هذه النتائج ما ذكرها م. فورستر Forster في دراسة عن بعض حروف الطباعة في عصر النهضة. فلقد قال فورستر: 'إن الطباعة التي لم يكن قد مضى على اختراعها قرن من الزمن، كانت تعتبر خطأ آلة قادرة على ضمان الخلود، وقد أقبل الناس عليها فعهدوا لها بماثرهم وأهوائهم لصانع الأجيال القادمة" لقد أخذ الناس يتصرفون كما لو أن المطبوع وتطبيقاته في إمكانه ضمان الخلود بفضل سحر النكران.

ويشترك جانب آخر هام أحدثته طرازية وتكرارية الصفحة المطبوعة، ألا وهو زيادة التأكيد على الهجاء "الصحيح" فلقد أسهمت في فصل الشعر عن الغناء، وفي

(١) د. د. منه محمود طه: المرجع السابق ص ٨١.

فصل الفن عن البلاغة. وفي فصل اللغة العامية عن لغة المتعلمين. ففي مجال الشعر - مثلاً - أصبح بالإمكان قراءة الشعر دون سماعه، والعزف على آلة موسيقية دون أن يصاحب هذا العزف قصيدة شعرية. لقد انفصلت الموسيقى عن الكلمات، ليلتقيا مرة أخرى - مع بارتوك Bartok وشوينبيرج Schoenberg.

وللصحافة أهميتها الإتصالية في التأثير في الجماهير، فالصحافة شأن غيرها من المطبوعات مثل الكتاب، المجلة، واللافتات تتميز بخصائص هامة تجعلها تتفوق في بعض المجالات على غيرها من وسائل الاتصال الأخرى. ومن أهم تلك الخصائص:

- تسمح الوسائل المطبوعة بأن يتحكم القارئ، في وقت قراءتها، وفي فرص هذه القراءة، كما يمكنه من إعادة الاطلاع على مضامينها أو نصوصها وتسمع بالتأني - إلى حد بعيد - في هذا الاطلاع.

- وأنها تنطوي على موضوعات متشابكة تحتاج إلى تحليل علمي.

- وأنها بطبيعتها تعرض للتفاصيل الدقيقة التي تتفق مع الدراسات المسبقة.

- وأن أخبارها الصحفية تتميز بالنتويل والتحليل بعكس الأخبار الإذاعية.

- وأن الصحيفة مصدر للأمان في عالم مزعج (١).

ويظهرنا تاريخ الصحافة في العالم كله؛ على أن تطورها يمثل مرآة انعكس عليها تطوّر أنواع قرائها؛ وحاجاتهم؛ التي تسنى لها أن تلبيها.. وأصدق دليل على ذلك؛ هو التغيير الذي نلاحظه في صحافة اليوم؛ على شكل الصحف ومضمونها.

فالتقدم الإلكتروني؛ أتاح للصحف في مجالات الكتابة؛ والتحرير الصحفي؛ وفنون الطباعة؛ وسائل ثورة تقنية حقيقية؛ يراها الأستاذ "بيار ألبير" أشبه بتلك التي أتت بها، في نهاية القرن التاسع عشر؛ بواسطة التصوير وآلة الطباعة والمينوتيب.

(1) A Source of Security in a disturbing world . See Bertson. B.R. "What Missing and The Newspaper Means" in Schramm, W. (edr.) The process and Effects of Mass Communication, University of Illinois Urbana, 1955

أن تتببع الحاجات الجديدة لمجتمع في طريقه للديموقراطية؛ هذه الوسائل الجديدة، تمكّنها من تخطى أزمة، لم تؤثر، في الواقع، إلا على فئات معينة من الإصدارات"^(١).

أما عن آفاق المستقبل في الصحافة المطبوعة؛ فإنها ترتبط من جانب بإمكاناتها في توظيف استثمارات جديدة؛ وضرورة لتحديثها. ومن جانب آخر؛ بمقدرة الصحفيين أنفسهم على تصور الصحافة الجديدة التي تشبع اهتمامات الجيل الجديد.

الأنواع الصحفية :

سبق أن تحدثنا عن نظرية الأجناس الإعلامية؛ في كتاب 'المدخل إلى وسائل الإعلام'؛ ورأينا أن الفن الصحفي يمثل الفن الإعلامي الأول؛ الذي اشتقت منه سائر فنون الإعلام الأخرى أشكالها وفنونها وأساليبها وطرائقها. ويذهب د. إبراهيم إمام؛ إلى أن الفن الصحفي هو فن "الإعلام الكلاسيكي" الذي تركز على خبرته الطويلة المتنوعة فنون وسائل الإعلام الأخرى. فالنشريات الإخبارية والتعليقات، والندوات، والتحقيقات والصور والإعلانات والجوانب القصصية والدرامية تشترك في الفنون الإعلامية المختلفة، ولكنها تركز أساسا على خبرة الفن الصحفي الطويلة والتنوع. فإذا كان الأمر كذلك بالنسبة للجنس الصحفي، فإن الأجناس الإعلامية الأخرى، ما تلبث أن تنفصل عن "الجنس الكلاسيكي" لتدع له خصائص تميزه من جهة وتؤصل لكل منها خصائص تميزها عن الجنس الكلاسيكي من جهة أخرى، ولتتمايز من بعضها البعض من جهة ثالثة.

فهل يصبح في مقدورنا اليوم أن نذهب إلى أن الفن الصحفي، من حيث النظر إلى وسائله، يتضمن "أنواعا" صحفية؛ لكل منها مقوماته التي تتبع له التميز في إطار مفهوم "الوحدة" في "التنوع"؟ أو "التنوع" في "الوحدة"؟ في المفهوم الصحفي العام؟

يقول الأستاذ بيار البيير:

"في عالم الجرائد والصحف الدورية، يغدو تصنيف المطبوعات في فئات معينة دائما، من الأمور التعسفية، لأن جميع الصحف حسب موضوعاتها يقود إلى عدم الأخذ

(١) بيار البيير: الصحافة ترجمة محمد براجوي، ص ٩.

بعين الاعتبار ما يؤلف حقيقة شخصيتها؛ ملافتها بالنسبة إلى القريبات منها. إن الفرق بين أية صحيفة وبين مزاحماتها هو أكثر ما يميزها؛ وتوزيعها في فئات يؤدي إلى إهمال المهم.

ومظاهر التصنيف هي، بالمبيعة، عديدة جداً. فمظهر الصحف الدورية خشن وقليل التعبير. أما الميزات الأساسية (الحجم، طريقة الطباعة، الورق، السعر، صيغ العرض) فنؤدي إلى تصنيفات قلبية التديان لطبيعة المطبوعات؛ إن التصنيف حسب فئة المضمون أو القراء هو الأكثر استعمالاً ولكنه الأقل تجرداً.

وتأسيساً على هذا الفهم؛ نحاول هنا التعرف على "الأنواع" الصحفية من حيث ارتباطها بفنون التحرير الصحفي.

وتشمل هذه الأنواع: الجرائد أو الصحف اليومية؛ الصباحية والمسائية؛ والدورية؛ والوطنية؛ والإقليمية؛ القومية؛ والحزبية؛ والصحف المتخصصة؛ والمجلات المصورة للأنباء العامة؛ والصحف والمجلات الإخبارية المتخصصة.

الجرائد أو الصحف اليومية :

والصحف اليومية؛ على حد تعبير ألبير؛ هي "الشكل النبيل" للصحافة وهذا التفوق يخطئ التوقعات عن الصحافة، لأنه، غالباً، ما يقود إلى إهمال عالم الصحف الدورية الذي يشكل، مع ذلك في البلدان المتقدمة على الأقل، سوقاً أهم بكثير من سوق الجرائد.

ويظهرنا الواقع، على أن الفرق بين فئتين من الصحف تخضع لصلوات التنافس بينها؛ علينا، بلا ريب أن نجد في هذا التنافس، أكثر مما نجد في منافسة التلفزيون، السبب الرئيسي لأزمة بعض أنواع الصحف اليومية في البلدان الغربية.

ذلك أن الصحف اليومية تختلف كثيراً عن الصحافة الأسبوعية والصحافة النصف شهرية أو الشهرية بتكوينها الاقتصادي والفني، وبطرق تحريرها، كما في نمط قراءتها. ومع ذلك، فإن تحليلاً مفصلاً لوفئات كل من الجريدة والصحيفة الدورية، والتطور الراهن لمضمونها يظهرنا على أنه لم يعد بالإمكان التمييز الدقيق بين منبعتها. إنها تؤدي لقراءتها خدمات متشابهة؛ إن صيغة الجريدة: "قليل من كل شيء في كل

يوم" وصيغة المجلة 'قليل من كل شيء في كل أسبوع' متشابهتان، في الواقع، وليست الصيغة تتمم الأخرى، ولكن الصيغتين تشيران إلى التناغم بينهما.

ويذهب 'بوندي' إلى أن الجريدة تحتل اليوم مكانة متميزة في نشر الكلمة المطبوعة. وتكمن الأهمية الرئيسية للجريدة في وظيفتها الأولى القائمة على تزويد القراء بالأنباء. ولقد أدرك 'توماس جفرسون' منذ سنين بعيدة، أهمية عدم تقبيل الأخبار بالنسبة إلى الديمقراطية، عندما أدلى ببيانه الرائع الذي قال فيه 'لو نرك لى أن أقرر ما إذا كان ينبغي أن توجد لدينا حكومة بدون صحف أو صحف بدون حكومة، لما ترددت في أن أفضل الحالة الثانية على الأولى'. وقد أعاد تأكيد أهمية الصحافة من هذه الناحية في حياة الأمم والشعوب؛ ما يحدث من تطورات على الصعيد الوطني؛ والعالمى. ذلك أن السياق الزمنى والمكانى لصدور الجريدة؛ يتسق مع سياق الوقائع اليومية الصغيرة؛ أو المحلية؛ أو الوطنية والدولية. وهو سياق يقتضى نشر الأنباء يومياً ومتابعة بعضها في الغد وفقاً لمقتضى الحال.

أما الأحداث الكبيرة وطنياً ودولياً؛ فإنها هي الجرائد؛ تمثل الأحداث الرئيسية وما تحتاج إليه من تفسير يتيح للقراء أن يتعرفوا على خلفية الأحداث؛ التى لا تحتاج لهم من خلال الإعلام الإذاعى والتلفزيونى وهو يتفرد بإعلان الحوادث والوقائع العامة. يقول ألبين:

"وبالرغم من الضرورة المتزايدة لهذا الجهد لتفسير العالم ومشاكله، فإن بعض الجرائد تخلت، فى الواقع، عن معالجة هذه الأحداث الراهنة الكبيرة، أو أنها لا تزال تعالجها مشوّهة إياها بإضافاتها على الحوادث طابعاً مأساوياً، وبالبحث عن التفاصيل المثيرة، أو بتجسيد الحوادث أو الأفكار، أو بالتصوير العفائدى ولكننا نشهد، على كل حال، فى كثير من الجرائد، جهداً لتجديد طريق وأساليب عرض المشاكل المهمة؛ هذا النوع الجديد من الصحافة يحول الخير التقليدى إلى "رجل مكتب"، سرد الوقائع بالنسبة له ليس قصاً فقط. كما أن التحقيق هو بالنسبة له حكم أكثر مما هو تحليل، يعطى البنى أهمية أكثر مما يعطى لحوادث المطاردة، فيصبح الريبورتاج بحثاً يتوسل بطرق ونتائج علم الاجتماع والاقتصاد والعلوم السياسية بالمعنى الواسع. وبالنسبة لهذا النوع الحديث من المخبرين، يتقدم جمع الوثائق على البحث الشخصى أو الشهادات أو الوقائع.

بعين الاعتبار ما يؤلف حقيقة شخصيتها: عرافتها بالنسبة إلى القريبات منها. إن الفرق بين أية صحيفة وبين مزاحمتها هو أكثر ما يميزها؛ وتوزيعها في فئات يؤدي إلى إهمال المهم.

ومظاهر التصنيف هي، بالطبيعة، عديدة جداً. فمظهر الصحف الدورية خشن وقليل التحرير. أما الميزات الأساسية (الحجم، طريقة الطباعة، الورق، السعر، صيغ العرض) فتؤدي إلى تصنيفات قليلة التباين لطبيعة المطبوعات؛ إن التصنيف حسب فئة المضمون أو القراء هو الأكثر استعمالاً ولكنه الأقل نجراً.

وتأسبسا على هذا الفهم؛ نحاول هنا التعرف على 'الأنواع' الصحفية من حيث ارتباطها بفنون التحرير الصحفي.

وتشمل هذه الأنواع: الجرائد أو الصحف اليومية؛ الصباحية والمسائية؛ والدورية؛ والوطنية؛ والإقليمية؛ القومية؛ والحزبية؛ والصحف المتخصصة؛ والمجلات المصورة للأنباء العامة؛ والصحف والمجلات الإخبارية المتخصصة.

الجرائد أو الصحف اليومية :

والصحف اليومية؛ على حد تعبير ألبير؛ هي 'الشكل الذليل' للصحافة وهذا التفوق يخطئ التوقعات عن الصحافة. لأنه، عالياً، ما يقود إلى إهمال عالم الصحف الدورية الذي يشكل، مع ذلك في البلدان المتقدمة على الأقل، سوقاً أهم بكثير من سوق الجرائد.

ويظهرنا الواقع، على أن الفروق بين فئتين من الصحف تخضع لصلوات التنافس بينها؛ وعليها، بلا ريب أن نجد في هذا التنافس، أكثر مما نجد في منافسة التلفزيون، السبب الرئيس لأزمة بعض أنواع الصحف اليومية في البلدان الغربية.

ذلك أن الصحف اليومية تختلف كثيراً عن الصحافة الأسبوعية والصحافة النصف شهرية أو الشهرية بتكوينها الاقتصادي والفني، وبطرق تحريرها، كما في نمط قراءتها. ومع ذلك، فإن تحليلاً مفصلاً لوظائف كل من الجريدة والصحيفة الدورية، والتطور الراهن لمضمونها يظهرنا على أنه لم يعد بالإمكان التمييز الدقيق بين طبيعتهما. إنها تؤدي لقراءتها خدمات متشابهة؛ إن صيغة الجريدة: "قليل من كل شيء في كل

يوم" وصيغة المجلة "قليل من كل شيء في كل أسبوع" متشابهتان، في الواقع، وليست الصيغة تتمم الأخرى، ولكن الصيغتين تشيران إلى التنافس بينهما.

ويذهب "بونذ" إلى أن الجريدة تحتل اليوم مكانة متميزة في نشر الكلمة المطبوعة. وتكمن الأهمية الرئيسية للجريدة في وظيفتها الأولى القائمة على تزويد القراء بالأخبار. ولقد أدرك "توماس جفرسون" منذ سنين بعيدة، أهمية عدم تفهيد الأخبار بالنسبة إلى الديمقراطية، عندما أدلى ببيانه الرائع الذي قال فيه "لو ترك لي أن أقرر ما إذا كان ينبغي أن توجد لدينا حكومة بدون صحف أو صحف بدون حكومة، لما ترددت في أن أفضل الحالة الثانية على الأولى". وقد أعاد تأكيد أهمية الصحافة من هذه الناحية في حياة الأمم والشعوب؛ ما يحدث من تطورات على الصعيدين الرضني؛ والعالمي. ذلك أن السياق الزمني والمكاني لصدور الجريدة؛ يتسق مع سياق الوقائع اليومية الصغيرة؛ أو المحلية؛ أو الوطنية والدولية. وهو سياق يقتضى نشر الأخبار يومياً؛ ومتابعة بعضها في الغد وفقاً لمقتضى الحال.

أما الأحداث الكبيرة وطنياً ودولياً؛ فإنها في الجرائد؛ تمثل الأحداث الرئيسية وما تحتاج إليه من تفسير يتيح للقراء أن يتعرفوا على خلفية الأحداث؛ التي لا تفاجهم من خلال الإعلام الإذاعي والتلفزيوني وهو يفرد بإعلان الحوادث والوقائع العامة. يقول ألبير:

"وبالرغم من الضرورة المتزايدة لهذا الجهد لتفسير العالم ومشاكله، فإن بعض الجرائد تخلت، في الواقع، عن معالجة هذه الأحداث الراهنة الكبيرة، أو أنها لا تزال تعالجها مشوهة إياها بإضافتها على الحوادث طابعاً مأساوياً، وبالبحث عن التفاصيل المثيرة، أو بتجسيد الحوادث أو الأفكار، أو بالتصوير العفائي ولكننا نشهد، على كل حال، في كثير من الجرائد، جهوداً لتجديد طرق وأسلوب عرض المشاكل المهمة: هذا النوع الجديد من الصحافة يحول الخبر التقليدي إلى 'رجل مكتب'، سرد الوقائع بالنسبة له ليس قصاً فقط. كما أن التعليق هو بالنسبة له حكم أكثر مما هو تحليل، يعطى البنى أهمية أكثر مما يعطى للحوادث الطارئة، فيصبح الريبورتاج بحثاً يتوسل بطرق ونتائج علم الاجتماع والاقتصاد والعلوم السياسية بالمعنى الواسع، وبالنسبة لهذا النوع الحديث من المختبرين، يتقدم جمع الوثائق على البحث الشخصي أو الشهادات أو الوقائع.

من هذا فإن المقالات اليومية تتفهم، شيئا فشيئا بالنسبة للحدث اليومي، وهي لم تمت بطروف تحريرها ولا بطرق قراءتها إلى الجريدة؛ إنها تنتمي لحقل الصحف الدورية".

وتختلف الصحف في نوعية الأنباء التي تنشرها؛ وطريقة إبرازها؛ ومعالجتها لها. ولكنها تحرص إلى جانب أداء وظيفتي: الإعلام والتفسير؛ على تقديم أنواع تلبى الوظائف الأخرى في الإمتاع والمؤانسة، والتثقيف والتنشئة الاجتماعية؛ والإعلان والتسويق؛ والتوجيه والإرشاد. ولكن نسب الاهتمام بأداء هذه الوظائف هي التي تختلف من صحيفة لأخرى.

والتوازن الوظيفي؛ هو الذي يجعل من الصحف مراجع لها قيمتها في تسجيل الأحداث وتفسيرها، على نحو ما نجد في الصحف اليومية مثل: الأهرام؛ والأخبار والجمهورية؛ وغيرها من الصحف المصرية والعربية والعالمية. كما تحرص هذه الصحف على تقديم صفحات تلبى احتياجات القراء الثقافية؛ والامتاعية والتفسيرية إلى جانب فقرات: الطقس؛ البورصة؛ الإذاعة والتلفزيون، المسرح والسينما؛ وصفحات المرأة وغيرها مما يوجد له شبيهه في المجلات الأسبوعية أيضا.

ولذلك تحرص الجرائد اليومية على تنوع المضمون فيها؛ لتستطيع منافسة المجلات من حيث تميزها بهذا النوع. ذلك أن القارئ حين يجد صحيفته حريصة على التنوع؛ يزداد "وفاؤه" للصحيفة؛ إن جاز التعبير على حد تعبير "البيير" الذي يرى هذا الوفاء "يزداد، ويمتد في المستقبل، بفعل العادة ويفعل المصلحة. ومع ذلك فإنه لا يمكن الاستغناء عن الجريدة على صعيد الأحداث الصغيرة والخدمات اليومية التي تقدمها بتسهيلها الإجراءات العديدة للحياة اليومية. وقد أضراب الطويل لصحف نيويورك في ديسمبر ١٩٦٢ ويناير ١٩٦٣، مدى كون الجريدة آلة ضرورية للحياة الجماعية في تجمع سكني كبير. إلا أن هذه الجاذبية لا تنطلق إلا من الجرائد المحلية وهي التي تفسر في المدن الكبرى، نجاح هذه الجرائد المحلية. أما الجرائد الوطنية، التي ليس لها قواعد إقليمية ومحلية، فإن عليها أن تقوم بمجهود كي تقدم لقارئها أنباء أوفى وصفحات متنوعة أكثر نشويها من صفحات الصحف الدورية.

ومن هنا فإن المنافسة بين هذين النوعين من الصحف تفيد الصحف الجيدة على حساب الصحف الشعبية ذات الإصدار الكبير^(١).

ويختلف جمهور الصحافة اليومية، بجموع السكان الراشدين، ولكل فئة، ولكل نوع، وأيضاً، لكل صحيفة من الصحف الدورية، جمهور محدود بفئة اجتماعية سهلة التحديد، وبينما يكون للجريدة، بطبيعتها، ميل للقضايا العالمية، فإن ميل الصحيفة الدورية منذ أمد بعيد، يتوجّه نحو القضايا الخاصة. ولكن التطوير الحالي يميل نحو تضيق هذا الاختلاف، فمُنذ عشر سنوات لا تبنى الصحف الدورية عن توسيع حقل أنبائها، وهذا الاتجاه يوازن، نوعاً ما، بين الانضواء النسبي للجريدة في الأحداث الصغيرة، وبين تطور طرق المعيشة التي تميل إلى حصر قراءة الصحيفة في أسبوع واحد. وتميل الصحف الدورية، كذلك، بطبيعتها الحال إلى التنوع، أكثر ما يمكن، في صفحاتها لتشمل قراءتها كافة أعضاء الأسرة في البيوت التي تدخلها؛ وهي تقترب بذلك، من صيغة المجلة المصورة للأنباء العامة، وتبدو الصحف الشهرية من الآن فصاعداً، قادرة، بدون مخاطر، على البقاء شديدة التخصص. بيد أن عليها أن تزيد من تخصصها لأنها في الواقع تمثل نوعاً من الصحافة في تطور سريع، على الأقل، ويقدر ما تقوم به التغييرات في مضمون الصحف الدورية، فإن التغييرات هذه تسهل انطباقها على المتطلبات الجديدة لجمهورها. إن التقدم السريع في وسائل الطباعة الحديثة واستخدام الكمبيوتر؛ واستعمال ورق من نوع أجود، وتعميم الألوان، وتصغير الحجم، كل هذا يعطى الصحافة الدورية طابعاً أشد استهواً ويزيد في تمييزها عن الجريدة التي لا يمكنها، في الوضع الراهن للتقدم التكنولوجي ولأسعار كلفة الإصدارات الكبيرة، أن تأمل في تعديل شكلها. وقد لاحظ "ريفرز" بالنسبة للصحف الأمريكية أن خطوات العمل في الصحف المسائية أسرع بعض الشيء، منه في الصحف الصباحية. وليس معنى ذلك أن المحررين في الصحف الصباحية يتكاسلون في أثناء وقت العمل، فالواقع، أن أسرع العاملين الذين شاهدتهم فريق البحث من جامعة ستانفورد، كان محرراً في جريدة صباحية يقوم بإعداد الأخبار العالمية. ولكن، المحررين في الصحف الصباحية يستلمعون عموماً، أن يعملوا بهدوء، وبلا عصبية.

(١) بيار البير: المرجع السابق، ص ٤.

ويمكن إدراك سرعة العمل في صحيفة يومية ذات توزيع أكبر إلى حد ما من توزيع صحيفة إقليمية. فيقوم محرر البرقيات بإعداد أنباء الوكالات، وهو يصل بعد الساعة الثانية والنصف مساءً بقليل، لكي يبدأ عمله بمجموعة الأخبار التي تجمعتها لديه. وتقوم إحدى الصحفيات التي تصل ميكرا بنزع أشربة الأخبار من البرقيات وتوزيعها على مختلف المكاتب (الرياضية، والاجتماع، الخ) ويذهب معظمها إلى محرر البرقيات، الذي يعطى تعليماته للصحيفة عن الطريقة التي يفضلها في ترتيب الأخبار وتنظيمها، ولما كان المحرر منضبطاً ومنظماً، فإن العمل يستغرقه، فيبدو غير متسرع، ولكنه يعمل بطريقة تكاد تكون آلية، وهو يتوقف عن العمل بين الحين والآخر لكي يشرب فنجاناً من القهوة. ويأتي المراجع في الساعة الخامسة مساءً، ولكن محرر البرقيات لا ينيب أحداً في عمله إلا قليلاً نسبياً، فقد طور لنفسه طريقته في العمل، وهو سعيد بها، حتى أنه يستبعد الخبر بعد الآخر بمجرد نظرة. وبعض الأخبار التي يختارها بحري بالقلم ثم يعطيها للفتاة التي تقوم بإرسالها إلى قاعة جمع الحروف عن طريقة أنبوبة الضغط الهوائي. وتحجز بعض الأخبار الأخرى على هيئة مجموعة مرتبة، إما لكي تستبعد فيما بعد، وإما لكي تضاف إلى خبر آخر باستخدام القلم والمقص والصمغ. ولا تستخدم هذه الصحيفة الشريط المنقلب، ولذلك فإن محرر البرقيات له الحرية في تحرير الخبر تحريراً كاملاً، بدلا من مجرد طبع ما تبعث به الوكالات.

وفي الساعة الثانية مساءً، يصل مدير التحرير، وفي الساعة الثالثة مساءً، يصل رئيس تحرير الأخبار ومحرر الإقليم. وتحاول الصحيفة تغطية أخبار منطقة نائية. وفي خلال الساعة التالية يتشاور المحررون الثلاثة بإيجاز مع محرر البرقيات. ثم يذهب كل شخص إلى مكتبه، ويصبح واضحاً أن العمل يتم بأسلوب اللامركزية. وذلك على العكس مما يجري في صحيفة إقليمية صغيرة.

ويشرف مدير التحرير أساساً على المحررين، ويوجههم في المسائل الهامة، ويخصص جانباً كبيراً من وقته للتبريد، والأعمدة التي توزعها الوكالات، والقرارات الإدارية. ومع ذلك، فقد لاحظ فريق البحث أن مدير التحرير قد قام في المساء بمراجعة أكثر من ٦٠٠٠ كلمة من البلاغات الصحفية واللوان التي ترد من الوكالات.

ويبدو أن سرعة العمل لا تختلف كثيرا في المساء، ويعمل الجميع باستمرار حتى حوالي التاسعة مساء، ثم تهدأ السرعة حتى العاشرة، وهو الوقت الذي يجب فيه أن تغلق الصفحة المعدنية وتطبع وتُنقل إلى مسافة حوالي مائة ميل. وفي ذلك الوقت، يستمر محرر الأقاليم ومساعدوه في تلقي الأخبار من المذويين في البلاد البعيدة، وعليهم إعداد صفحات لأربعة أعداد تصدر في الأقاليم، ويبدأ العمل بالنسبة للآخرين فيما بين العاشرة والثانية عشرة ويختتم العمل اليومي بأخبار نتائج "البيسبول" الليلية. ومع ذلك، فإن هذا الهدوء خادع، ففي تلك الصحيفة عدد من المحررين ومساعدتهم أكثر منه في الصحيفة المسائية، فهو في الحقيقة ضعف العدد تقريبا، كما أن واجباتهم موزعة على ساعات أطول.

'كلما كبرت الصحيفة، كثر عدد العاملين فيها'. هذه قاعدة تقريبية، بقنعة، ولكن ليس صحيحا بالضرورة أن ضخامة العدد تقلل من عبء العمل، وتشترك الصحيفة اليومية الكبرى في عدد من الوكالات أكثر كثيرا مما تشترك فيه صحيفة الضاحية وصحيفة المدينة الصغيرة، ولذلك فمن المرجح أن يكون العمل كبيرا بالنسبة لهذه الخدمات الكثيرة. وقد سخر محررو الصحيفة الكبرى التي يبلغ توزيعها نحو نصف مليون نسخة. وهم الذين تمت مقابلتهم في هذه الدراسة. من الصحف التي تنشر الأخبار من الشريط المثقب مباشرة (مثل الصحيفة التي تحدثنا عنها أولا)^(١).

جرائد الصباح وجرائد المساء

تصدر الجرائد، خاصة في الصباح: فصورة قارئ الجريدة وهو يتناول فطوره، أو أثناء ذهابه إلى عمله هي نفسها في جميع البلدان؛ "والسكون النسبي لليل يساعد على إنتاجها وتوزيعها. على حد تعبير ألبير، الذي يقول: إن جرائد المساء، بشكل عام، جرائد المدن الكبرى، أو بالأحرى جرائد متممة لجرائد الصباح؛ بإمكانها إعطاء نتائج السباق والبورصة. وفي الولايات المتحدة، مع ذلك، حيث نهار العمل يفتتح باكرا، فإن جرائد المساء أعم. أما في فرنسا، التي لا تعرف الجرائد المسائية في الإقليم بصورة عملية، فإن في باريس خمس جرائد مسائية تؤمن ما يقارب الأربعين بالمائة من إصدار الجرائد

(١) وليام ريفرز وزميله: وسائل الإعلام والمجتمع الحديث، ص ٧١.

الباريسية، وهذه الجرائد، خلافاً لجرائد البلدان الأخرى، لها مهام وطنية، وأما في بريطانيا، فعلى العكس، فإن الصحافة الإقليمية هي، في الغالب، صحافة مسائية.

وتجدر الإشارة هنا أيضاً إلى الولايات الحديثة في الديموقراطيات الشعبية لجرائد "الأحياء الأهلة" المسائية ذات اللهجة والمواضيع الأقل عقائدية من الجرائد الصباحية الكبيرة" (١). وفي مصر صحيفتان: المساء والأهرام المسائي. ويصور لنا ريفرن وزميلاه: "الصحف اليومية المسائية" في الضاحية الأمريكية؛ على النحو التالي:

"تتلقى هذه الصحيفة أخبار الولاية والأخبار القومية والخارجية جميعاً، من خلال نشرة تنلقاها من الاسوشيتدبيرس، ونشرفين نلقاها من اليونيتدبيرس انترناشيونال. ويقوم بتحرير هذه الأخبار رئيس تحرير الأخبار ومساعداه. وفضلاً عن تقرير مصير أكثر من مائة ألف كلمة، ترد في هذه النشرات يومياً، يقوم هؤلاء الرجال الثلاثة بتحرير كل الأخبار المحلية وتحديد مكانها في الصحيفة، وقد تصل هذه الأخبار إلى عشر آلاف كلمة يومياً، كما يقومون باختبار نحو أثنى عشر ألف صورة إخبارية من مائة ألف صورة تستقبلها الصحيفة عن طريق جهاز التقاط الصور سلكياً. فهؤلاء الصحفيون الثلاثة يقومون بملء جعب أعمدة الأخبار فيما عدا صفحات المجتمع والرياضة والتجارة، وصفحة الرأي، وصفحات الصور القصصية.

ويقوم رئيس تحرير الأخبار بمعظم العمل بنفسه، فهو يستبعد كميات كبيرة من نشرات الوكالة، ويقسم البقية بينه وبين مساعديه. ولما كانت جميع النشرات تستقبل على أشرطة منقبة وعلى ورق أيضاً، فإن التحرير عموماً هو عبارة عن اختيار بين رواية الاسوشيتدبيرس ورواية اليونيتدبيرس انترناشيونال للخبر مع مراجعته من أجل الدقة والأخطاء الطباعية، والبحث عن الوقفات المناسبة في الأخبار ويمكن جمع الحروف من الشريط المنقوب بسرعة وبنفقات زهيدة، مع قليل من التغييرات وهذه أسباب قوية تساق ضد التحرير التأملي، فلا تعاد الكتابة إلا قليلاً، وليس هناك وقت لذلك. وعندما يصل رئيس تحرير الأخبار يجد نحو خمسين ألف كلمة من نشرات الوكالات (وتبدأ دورة عمل الوكالة لدى الصحف المسائية بالأخبار بعد منتصف الليل بقليل. وهكذا، فإن معظم رؤساء تحرير الأخبار الذين يبدؤون عملهم في الساعات الأولى من الفجر، يجدون

(١) بيار البيير: المرجع السابق ص ١٨.

أخباراً كثيرة في انتظارهم، وهو يستبعد بسرعة كل شيء فيما عدا ٨٠٠٠ كلمة. وفي خلال الساعات السبع التالية، تستمر الوكالات في إرسال نشراتها، ويستخدم رئيس تحرير الأخبار ومساعداه أكثر من ٢٠٠٠٠ كلمة من النشرات الإخبارية (وذلك من بين مجموع يصل إلى ١١٠٠٠٠ كلمة تقريباً، وكثير من هذه المعلومات مكررة لأنه كثيراً ما تغطي الاسوشيتدبيرس واليونيتدبيرس اقترناشيونال نفس الأحداث)، فهم يقومون بتحرير قلم، ويكتبون العناوين، ويوزعون الأخبار في أماكنها من الصعجات، ثم يبعثون بالأخبار المنتقاة إلى حجرة الجمع حيث يتم تحويلها إلى حروف طباعية.

كما قاموا أيضاً بتحرير ستة آلاف كلمة من الأخبار المطبوعة ووضعها في الصحيفة، واختاروا ست عشرة صورة ووزعوها على الصفحات. وخلال الساعة الأخيرة من عملهم اليومي، أعدوا بعض المواد للعدد القادم في اليوم التالي. مثلما فعلوا في اليوم السابق، عندما خصصوا الساعة الأخيرة لإعداد مادة لعدد اليوم. وفي خلال يوم واحد من العمل إذن، قاموا بتحرير ما يساوي كتاب صغير تقريباً. (وبالمقارنة تخصص دار النشر عادة ستة أشهر على الأقل، وغالباً ما تحتاج إلى سنة وأكثر بعد تنظيمها نص الكتاب، من أجل التحرير والإنتاج).

وتنتاب الشكوك رئيس تحرير الأخبار، لأنه يعرف أن كثيراً من قرائه يكونون قد اطلعوا، أحياناً، على الأخبار التي يبرزها، وأن قراء آخرين يكتبون بمجرد العناوين ومقدمات نفس الأخبار، التي يكونون قد استمعوا إليها من راديو السيارة أو شاهدوها على شاشة التلفزيون، ولكنه يعني بإعلام أولئك القراء الذين يريدون أن يعرفوا من الصحيفة أكثر مما يستطيعون معرفته من مصادر أخرى.

وتثور أسئلة وشكوك أخرى، فما هو مقدار الأخبار الجادة التي يستطيع القراء استيعابها؟ وكم عدد القراء الذين يطبقون خبراً آخر عن فيتنام، وخبراً آخر عن محادثات السلام غير الحاسمة في باريس، وخبراً آخر عن المعركة التي لا تنتهي بين الرئيس والكونجرس؟ ومن ناحية أخرى، هل يقوم رئيس التحرير بخدمة أولئك الذين يتابعون مثل هذه المسائل متابعة جادة - خدمة كافية - إذا نشر أخباراً على خمس بوصات بدلاً من نشرها على عشرين بوصة؟^(١)

(١) ريفرز وزملاءه: السابق، ص ٢٤٠.

الصحف النصفية والجزائرية الشعبية:

ويميز 'الدير' بين "الجزائرية الشعبية" و"الصحف الصفوة" في فرنسا؛ حيث أصبح هذا التعبير واضحاً على مستوى القراء أكثر منه على مستوى المضمون؛ فيقول:

"ولدت في باريس، عام ١٨٦٣، الجريدة الصغيرة *Le Petit Journal* وشأنها خمسة سنتيمات، وهي نوع من الصحافة "الصغيرة" الشعبية. بينما هو، بالعكس شديد الوضوح في البلدان الانجلوسكسونية وفي ألمانيا الاتحادية. نجد أن الصحافة الشعبية التي حدّد صيغها الحالية في الولايات المتحدة كل من "بولتزر وهرست" منذ نهاية القرن التاسع عشر، قد وجدت أسلوباً جديداً مع صيغة *Tabloid*، والحجم الصغير، وعزارة الصور، والعناوين الضخمة، والنصوص المختصرة، فهي تبحث عن التثويق والفضائح، وترمي إلى الإثارة أكثر مما ترمي إلى الإفادة.

وقد انتقلت إلى بريطانيا، ثم في حجم أكبر، إلى ألمانيا حيث أنجبت "صحافة الشارع *Boulevard - Presse*" ومن أسباب رواج هذه الصحافة، أيضاً سعرها المنخفض^(١).

ويذهب "ريفرز" إلى أن قراء الصحف في مستهل القرن التاسع عشر في أمريكا؛ قد أصبحوا من الجماهير الشعبية العريضة، بعد أن كانوا فئة صغيرة من الطبقة العليا. وبعد الثورة الأمريكية أصبحت غالبية الصحف مطبوعات تجارية أو سياسية تعمل لصالح رجال الأعمال الموسرين أو السياسيين، ولكن عندما أدرك التعليم التاجر الصغير، والعامل الميكانيكي، والصانع الحرفي، والمزارع، وعندما تدفق المهاجرون تدفقاً أدى إلى زيادة عدد سكان المدن الأمريكية النامية، وجد الناشر في ذلك سوقاً جديدة لصحفهم وقد كانوا يستهدفون تلك الجمهور الجديد المتزايد، ثم غيروا مضمون الصحف وفقاً لذلك.

في سبتمبر سنة ١٨٣٣، أصدر طابع شاب اسمه 'بن داى' أول عدد من صحيفة 'صن' في نيويورك، وكانت تطبع يدوياً. وكان 'داى' يبيع صحيفته ببس واحد، وهو سعر يتباين تبايناً حاداً مع ما كان يتقاضاه الناشر عادة وهو ستة سنتات. وقد عول على الطلب الجماهيري في الحصول على الربح المالي، بالرغم من انخفاض هامش الربح، وقد ركز بمهارة على مبيعات الشوارع نتيجة لحركة النحضر

(١) الدير، ص ١٩.

وبينما كانت الصحف المديعة بستة بنسب تقدم لقرائها أخباراً مطولة مثقلة بالسياسة، كان داي يتوود إلى جمهوره بفقرات قصيرة مشوقة عن حوادث الشرطة والمحاكم، وتنفيذ أحكام الإعدام والانتحار، وعجائب الدنيا وغرائبها، والموضوعات المحلية النافهة. وفي سنة ١٨٢٥ . عندما ساعدته المطابع المدارة بالبخار على طبع ما يكفي من النسخ لسد حاجة الطلب . كان 'داي' يقاخر بأن صحيفته "صن" توزع، 'وهو أعلى توزيع لأيّة صحيفة يومية في العالم'. وبعد أن أثبت داي أن ذلك يمكن أن يحدث، أخذ غيره من الناشرين يوجهون صحفهم إلى الجماهير التي سهر غورها^(١).

الصحف الوطنية والصحف الإقليمية يعبر التناقض بين هذين النوعين من الجرائد عن مهمتين متكاملتين للصحافة اليومية: "الأولى تعتمد على تنوع مضمونها وجودة أنبائها الوطنية والعالية، والثانية تعمل على إشباع الحاجة لمعرفة أبناء المنطقة أو الحي. هذه الجاذبية للناب المحلي، التي تستطبع الجريدة وحدها المتفرد بمعالجتها دون أن تخشى، في هذا الحقل، منافسة الراديو أو التلفزيون، هي من الأسباب المثينة لتعلق القارئ بجريدته: وهي تؤمن وجود مجموعة من الصحف المحلية، من الصحيفة الأسبوعية إلى الجريدة اليومية التي تقصر حقل أنبائها، فقمط على أحداث منطقة انتشارها، وعلى المشاغل وحدها لحياة قرائها اليومية.

والصحف الإقليمية، وإن كانت تابعة لسلسلة واحدة، كما في ألمانيا الاتحادية، أو ذات طبعات متعددة، كما في فرنسا، تدين بأساس نجاحها إلى صفحاتها المحلية. وفي المدن الكبرى، يمكن للضواحي السكنية أن تعطى أيضاً مادة لأخبار محصورة، بخلاف أحياء وسط المدينة حيث لا توجد مادة وحاجة لهذا النوع من الأنباء، رغم تكاتف السكان.

في البلدان التي تخضع فيها الصحافة لاقتصاد السوق، فإن الصحف الوطنية، التي لم يكن لسلطانها منازع قبل الحرب العالمية الثانية، أصبحت الآن مضطرة للتمود في وجه المنافسة المنظمة للصحف الإقليمية، وللصحافة الدورية، ولأن تعاني نتائج هو الراديو والتلفزيون.

(١) ريفر، ص ٦٤ .

ففي ألمانيا الاتحادية، فرضت أقامة الصحافة، من السلطات المحتلة عام ١٩٤٥، وقد دُعيت، ولم تعد الصحافة اليومية الوطنية ممثلة بصحيفة شعبية. أما في فرنسا، فقد فقدت الصحافة الباريسية أهم مراكزها في الأقاليم لصالح الصحف الإقليمية الكبيرة، لتصبح بصورة خاصة، صحافة "إيل دو فرانس Ile-de-France"، وإن هي ما فتحت تواصل توزيع ربيع أعدادها في هذه الأقاليم، فإنها تميل إلى لعب دور الصحافة المكتملة^(١). وفي إنجلترا، حيث تسيطر على السوق تقليدياً، الجرائد الوطنية، وحيث لم تعان الصحافة التحول الكامل لبنياتها خلال الحرب وبعدها، كما جرى في البلدان الأخرى للقارة، فإن الأزمة الراهنة للصحافة اللندنية تتعارض مع الازدهار النسبي للجرائد الإقليمية. أما في الولايات المتحدة، فالصحافة الوطنية اليومية ضعيفة نظراً لانتساع رقعة البلاد، أولاً، ولقوة التفرد المحلي والإقليمي، ثانياً. وإنما هناك بعض الصحف المرموقة تجد لها، خارج مناطق صدورها، جمهوراً محدوداً اجتماعياً ويخلص الأستاذ البير من هذه الصورة إلى أن حركة إقامة الصحافة اليومية، وتضيق حقل إعلامها التي هو نتيجة هذه الإقامة، يعرضان مفهوماً بكامله للصحافة اليومية؛ وبالتالي، جزئياً، عن معالجة الحياة الاجتماعية، فإن الجرائد تترك للصحف الجيدة المقلية، وحدها، التصيب المهم من "السلطة الرابعة" التي درجت، في غالب الأحيان، على التغنى بالتفرد بممارستها^(٢).

الجرائد المتخصصة:

إن الصحافة اليومية، بطبيعتها، صحافة أبناء عامة، وإن تنوع مادتها سبب من أسباب وجودها. ومع ذلك توجد فئات من الصحف المتخصصة من أهم أنواعها الصحف الرياضية والجرائد المالية.

وتشمل الصحف الدورية للأخبار العامة: الصحف الدورية المحلية:

إن كانت هذه الصحف تصدر كل ثلاثة أسابيع أو نصف شهرية أو أسبوعية، فإن إصدارتها، بصورة عامة، ضعيفة جداً، ولكنها تحتوي على عدد كبير من المواضيع،

(١) البير، ص ٩.

(٢) بيار البير: المرجع السابق، ص ٢٠.

وهي بطبيعتها متممة للجرائد. ومن المناسب أن يقرن بها العدد الكبير لصحف الأحياء التي تكثر في المدن الكبرى حيث توزع مجاناً.

أما صحف الأحد فلها في البلدان الانجلوسكسونية، أهمية بالغة تتواري أمامها الفئات الأخرى للصحف الدورية من حيث إصدارها وصفحاتها، وتحتفظ صحف "اليوم السابع" في الواقع بشكل الجرائد اليومية التي تصدرها، حتى لو كانت صفحات الرياضة و فقرات التسلية^(١).

المجلات :

تعتبر المجلات وسائل تنوير وتثقيف بأسلوب جديد يصل إلى الجماهير. وهي كفن تختلف عن فن الكتاب العادي، لأنها تتطلب على تحرير صحفي؛ ونجسيد للمعاني، وتبسيط للحقائق؛ وإخراج صحفي؛ وبماذج تبسر الفهم لكافة المستويات الثقافية. ولذلك فإننا قد نتحدث عن "إنتاج" المجلة الصحفية؛ ولا نكتفى بالحديث عن كتابة أبوابها أو تحريرها، وما تتضمنه من مقالات وحوار ومناقشة وأحاديث صحفية واستقصاء وبحث ودراسة. بشرط أن يتم كل ذلك في إطار الواقع الاجتماعي والثقافي والسياسي؛ ويعبر عنه باصطلاحات مفهومة لجمهورها، وفي عصرنا الذي يسوده التخصص الضيق، يستطيع فن المجلة أن يربأ الصدع، ويملا الثغرات الفاصلة بين شتى التخصصات في المجتمع.

والمجلة في اللغة العربية "مشتقة" من مادة (جلا) أي ظهر ووضح، ومنها جنبة الأمر أي ما ظهر حقيقة، أي الخبر اليقين، والمجنة هنا تعني استجلاء حقيقة من العالم.

وقد جاء تحول جمهور المجلة من الصفوة إلى الشعبية بعد نصف قرن من النحول الذي حدث بالنسبة لجمهور الصحافة. فقد ظهرت المجلة الحديثة زهيدة الثمن ذات الجاذبية الشعبية والتوزيع الضخم، على المستوى القومي في السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر. وفي ذلك الوقت، التي كانت شعار الديمقراطية كالتعليم العام قد خلقت جمهوراً عريضاً من القراء الجدد الذين يستطيعون قراءة المجلات، كما حررت الآلات الإنسان من الأعمال المملة، ومنحته وقت فراغ للقراءة. وقد أتت الثورة

(١) نفس المرجع ص ٢٦.

التكنولوجية إلى ظهور المطابع السريعة، وغيرها من المعدات اللازمة للناشرين كي يصلوا إلى الجماهير العريضة، وأتاحت شبكة خطوط السكك الحديدية توزيع الصحف في أقاليم شاسعة، وأكثر من ذلك، أخذ الإعلان، على نطاق واسع، في الظهور، عندما سعى المنتجون لتسويق منتجاتهم الجماهيرية عبر كل البلاد، وأصبحت المجلة وسيلة قومية للوصول إلى أعداد متزايدة من المستهلكين.

وقد أدى المضمون الشعبي والسعر الزهيد إلى اجتذاب عشرات الآلاف من القراء، وكان المعنون يدفعون بسخاء للوصول إلى هؤلاء القراء. وما كان يخسره الناشر من بيع النسخ كان يعوضه من إيرادات الإعلان الذي يجتذبه التوزيع المرتفع، وإعادة توزيع الدخل، ونضيق هوة التطرف في القوة الشرائية، أصبحت الطبقة الوسطى الكبيرة سوقاً للسلع المنتجة جماهيرياً، وهذه هي طبقة القراء التي استهدفتها المجلات بوجه عام. ولم يكن سعى الناشرين وراء مجرد أعداد كبيرة من القراء، ولكنهم سعوا وراء جماعات متجانسة من القراء، وهي جماعات تربطها المصالح المشتركة. أو الصناعات أو الحرف المشتركة. حتى يستطيع المعطن في المجلة الوصول إلى جماعة استهلاكية معينة، يرجح كثيراً أن تكون مهتمة بسنعتة.

يقول ريفرز وزميلاه: "عندما تحمست المجلات للحصول على الإعلانات في أواخر القرن التاسع عشر، أصبحت مرتبطة بنظام التسويق ارتباطاً لا فكك منه، وأصبح المضمون هو الطعم الذي يغري به الناشر جماهير قراء مجلته، وهي جماهير لها قيمتها بالنسبة للمعلن، نظراً لحجمها، ونجانسها، أو لكلا السببين معاً. وعندما وصل الناشر إلى المتوازن المتوازن توازناً ناجحاً يجتذب القراء المرغوب فيهم؛ أصبح عازفاً عن تغييره. ومن ثم، فقد أصبح كل عدد من أعداد مجلة معينة شبيهاً بالأعداد الأخرى.

ومثل هذه النمطية في المضمون كانت نتيجة طبيعية للسوق الشعبية، والإنتاج الجماهيري الضروري للمجلة، إذ كان عليها أن تنافس بنجاح في هذه السوق. وفي القرن التاسع عشر عندما كانت المجلات لا تزال تحرر من أجل الصفوة القليلة، كان رئيس التحرير يستطيع أن يلعب دور القاضي المرفع الذي يختار ما يشاء من بين ما يقدمه الكتاب الراغبون في نشر إنتاجهم.

وكانت أنواع المواد التي يستخدمها والطريقة المميزة التي يعالج بها الكتاب موضوعاتهم هي التي نقرر الشخصية التحريرية للمجلة. وهذه هي التي كانت تدفع القراء للشراء. وهكذا كانت نسبة كبيرة من مضمون المجلة من تخطيط هيئة التحرير واليوم تستخدم معظم المجلات فكرة أساسية في تخطيط التحرير، وفي كثير من المطبوعات تقوم هيئة التحرير بابتكار الأفكار بالنسبة لغالبية كبيرة من الموضوعات التي تنشرها المجلة، ثم يعهد بهذه الأفكار إلى بعض الصحفيين المشهورين، الذين يقومون بإجراء بحوث حول المقالات ثم كتابتها.

وهناك بعض المقالات التي يكتبها أعضاء هيئة التحرير وتكون النتيجة في كلتا الحالتين هي النمطية، وذلك مع القليل فقط من الاستثناءات.

كذلك يؤدي التقليد إلى نمطية مضمون المجلة، فعندما ينجح ناشر مستخدماً فكرة مبتكرة، أو مطوراً لفكرة قديمة، فإن الناشرين المنافسين يندفعون لإصدار مجلات مقلدة، للحصول على جانب من السوق. وفي سنة ١٩٢٦ في الولايات المتحدة أصدر شاب اسمه دويت ولاس العدد الأول من مجلة صغيرة متواضعة كانت تلخص ما اعتبره أفضل المقالات التي نشرتها مجلات ذلك العصر. وأطلق على المجلة اسم "ريدريز دابجست" وقد سارع القراء لشراؤها. كما أصدر الناشرون مجلات على شاكلتها. وفي النهاية أصبحت مجلات "المختارات" طرازاً جديداً قائماً بذاته.

كذلك ظهرت أنواع أخرى من المجلات التي قلدت الابتكارات الجديدة الناجحة مثل المجلات البوليسية ومجلات الاعتراف، والمجلات الاخبارية. والمجلات المصورة، ومجلات المغامرات.

وقد نجحت المجلة الحديثة كوسيلة إعلام جماهيرية، لأنها - أساساً - تلعب دوراً رئيسياً في معاونة نظام التسويق، والمجلة مثل الصحيفة، استطلعت على مر السنين أن تؤثر في مجال متسع من الأدواق والمصالح. ولكنها تختلف عن وسائل الإعلام الأخرى، من حيث أن معظم المجلات موجهة إلى جماهير متجانسة، أو جماعات ذات مصلحة خاصة. والمجلات على العكس من الصحف، توزع على المستوى القومى العريض، وهكذا فبالرغم من أن كثيراً من المجلات توجه إلى جماهير خاصة، فإن المجلة

قد أصبحت عموماً وسيلة إعلام جماهيرية. بمعنى أنها تنوسل إلى أعداد ضخمة في السوق القومية. على اختلاف الطبقات اجتماعياً واقتصادياً وثقافياً.

"وبالرغم من ضراوة المنافسة والتذبذب، فإن إصدار مجلة على نطاق ضيق قد يكون أقرب وسائل الإعلام مثلاً بالنسبة للمستثمر الجديد. وأهم شيء، هي الفكرة. فإذا كان لدى صاحب المشروع تصور مبتكر لمجلة جديدة، فمن المرجح أنه يجد الممولين لمشروعه. وإذا استطاع أن يدعم مجلته، في أثناء سعيه للفوز بثقة القراء والمعلنين، فسوف تكون الفرصة مواتية أمامه دائماً لتحقيق نجاح متواضع. كما أن هناك أملاً بعيداً أمامه، لكي ينتهي به الأمر إلى أن يدخل في زمرة العمالقة.

وقد كان على المجلات، مثل الصحف، أن تتكيف مع الظروف الجديدة. وقد تكبدت المجلات العملاقة مثل الصحف أيضاً معظم المعاناة. غير أنه في الوقت الذي اختفت فيه معظم المجلات الأسبوعية الكبرى العامة، وبعض المجلات الشهرية العامة، أصبحت المجلات تلبى الاهتمامات الخاصة أكثر قوة. ومن الأهمية بمكان، أن أعظم المحاولات الناجحة في النشر خلال السنوات العشرين الماضية هي المجلات المتخصصة".

وقد ازدهرت المجلات المتخصصة منذ الحرب العالمية الثانية ويبدو أنه لا يوجد الآن، اهتمام أو ذوق أو اتجاه أو ظرف من ظروف النشر، يتعذر أن تكون له دورية واحدة على الأقل. وقد عرفت مجلات ذات التوزيع الجماهيري مزايا التوجه إلى الصفوة.

وقد تصور كارول ستريتر المحرر بمجلة "فارم جورنال" نهاية لهذا الاتجاه نحو تخير الجمهور، فهو يتكهن بأن مجلة سوف تستطيع في غضون عشر سنوات، أن تنتخب المضمون المناسب لكل مشترك. فهناك معلومات عن اهتمامات كل مشترك تختزن على شريط إلكتروني. وعندما تذهب نسخة أحد المشتركين إلى قسم التجليد فإن الأشرطة تمكن الحاسب الإلكتروني من إسقاط المادة المختارة وفقاً لاهتمامه الخاص وعلى العكس من العفبات الضخمة التي تقف في سبيل إنشاء الصحف والإذاعات والأفلام، فإن سهولة ولوج صناعة المجلة تفسر لنا سبب امتلاء صناعة اليوم بنقط من الوحدات الصغيرة نسبياً، وهيئات التحرير قليلة العدد، والإدارات المتواضعة بمعدات القليلة. ولا يستثمر ناشر المجلة رأسماله عادة في المطابع والمعدات. ولكنه بدلاً من ذلك يتعاقد على طبع مجلته.

وتشمل أنواع المجلات (١).

١ - المجلات المصورة للأثنياء العامة : من الممكن جمعها في نوعين كبيرين: الأول: وفيه يفرّد للصورة مكان هام مثلاً: (باري ماقش) في فرنسا (ولايف) في أمريكا (والمصور) (وأخر ساعة) في مصر والثاني يتجه الجهد فيه نحو نوع المقالات وتنوع الفقرات، وتكون صيغ عرضه كثيرة التنوع، انطلاقاً من الحجم الصغير من نوع "تايم" إلى الحجم الكبير من نوع "ناي زايت".

٢ - الصحف الدورية الثقافية : بالرغم من كون قسم كبير من مادة الصحافة الأدبية، والفنية، والموسيقية، والمسرحية، ينتمي إلى حقل الوثائق، فإن هذه الصحافة تساهم بشكل مباشر في الأحداث الراهنة بتقاريرها النقدية وأصداؤها، وتقديدها الأعمال والفنانين. وهي تبقى بصورة ممتازة صحافة قيّمة ذات جمهور محدود.

٣ - الصحافة الدورية الوثائقية : إن هذه المنشورات، ذات الجمهور الضيق غالباً والمخصصة بطبيعتها لجمهور من الاختصاصيين الذين يجدون فيها، في الوقت نفسه، عناصر إنباء عن الوسط المهني والاجتماعي الذين ينتمون إليه، والوثائق التكنيكية الضرورية لنشاطهم الفكري أو المهني.. هذه المنشورات الكبيرة العدد والخارقة التنوع في جميع حقول النشاط الإنساني هي وربما أكثر مما هو الكتاب موطن لتجمع العلوم المعاصرة. إن مجرد فهرس مقالات المجلات الوطنية والدولية المختصة لموضوع ما هو في حد ذاته من التحديات الأولى التي يصطدم بالبحث بها.

"من المجلات العلمية، الممثلة للتيارات الكبرى للفكر الفلسفي أو السياسي أو الأدبي" إلى المجلة التكنيكية الرفيعة التخصص، فإن جميع الأشكال توجد فيها ويزداد تعميم صيغة 'الفيشات' أو الملفات المستقلة، المستقاة من النشرة، والتي تستطيع أن تأخذ مكانها في مجموعات الوثائق الأكثر اتساعاً.

٤ - ومجلات الرأي والأدب والفن؛ هي المجلات التي نعى بنشر الموضوعات والقصص والشؤون العامة؛ والنقد الأدبي والفني.

(١) يبار ألبين، المرجع السابق، ص ٢٦.

٥ - ومجلات المرأة أو المجلات النسائية؛ ومجلات الرجال؛ تجذب الرجل والمرأة من خلال تحريرها وإخراجها الفني وتنوع موضوعاتها. والمجلات النسائية تعتبر مجلات "شعبية" بما تنطوي عليه من جاذبية في قصصها ومقالاتها وصورها ولكنها تحول قارئها إلى ما يلائم أذواق النساء، وتحتوي هذه المجلات دائما أبوابا في فنون الطهي والأزياء الخ^(١) ومن هذا النمط الصحفي مجلة "هواء" التي تصدر عن دار الهلال و"نصف الدنيا" عن مؤسسة الأهرام. ومجلات الأخبار مثل "تايم" و"نيوزويك" و"باري ماتش" وما يصدر على منوالها، ذات أحجام صغيرة، ولكن حدودها لا تقف عند حدود الأخبار ذاتها، وهي تقدم كل أسبوع سجلا بأحداث هذا الأسبوع. وهذا النوع من المجلات، في انتشارها ومضمونها، يقارب الصحيفة المنتشرة على نطاق قوي^(٢).

٦ - وتقف المجلات المتخصصة نفسها على البحث في موضوع معين كالسرح مثلا أو السينما أو العناية بالطفل أو ما إلى ذلك، ومنها مجلات المسرح، والمسببما والقصة، التي تصدرها وزارة الثقافة، ثم مجلة الشعر التي تصدر عن مجلة الإذاعة والتلفزيون حاليا.

٧ - وتعنى المجلات الفنية والمهنية ما تدل عليه أسماؤها تماما. فكل مهنة وتجارة وحرفة الآن منشوراتها الخاصة، تخصص بالإعلان والطب، والتعليم، والجغرافيا والصحافة والعمال والراديو الخ^(٣).

٨ - والمجلات الأسبوعية للراديو والتلفزيون، تملك أرقاما قياسية في الإصدار وهي موجهة بالدرجة الأولى إلى تقديم البرامج والتعليق عليها مسبقا، ولكنها بصورة عامة، قليلا ما تعنى بنقدها. ولكن تنوع هذه البرامج وأهمية قرائها المنتمين، تميل إلى توسيع مضمون هذه الصحافة، مما جعلها نوعا من صحافة المجلات المصورة للأنباء العامة^(٤) ومن هذا النوع في مصر مجلة "الإذاعة والتلفزيون" التي تصدر عن اتحاد الإذاعة والتلفزيون.

(١) د. علي رفاة الانصاري، نفس المرجع ٢٦٦.

Brewster; Introduction to Advertisising in p. 290.

(٢) بيار البير: المرجع السابق ص ٢٦.

(٣) تلفزيون: المرجع السابق ص ٧٢.

(٤) بيار البير: المرجع السابق، ص ٢٢.

والمجئنة. كما يقول ديها ميل. على الحوادث اليومية نوع من الرقابة، وهي تنقل المعلومات إلى القارئ؛ وتؤدي وظائف الفن الصحفي، من إعلام؛ وتثقيف؛ وتنشئة اجتماعية؛ وتوجيه وإرشاد؛ وتسويق؛ وإمتاع ومؤانسة، من طريق تحريرها؛ وإخراجها. والمجلات عادة لا تظهر أكثر من مرة في الأسبوع؛ الأمر الذي يتيح لكتابها ومحرريها الوقت الكافي في البحث في المسائل. والمواقف التي تتناولها؛ عن تلك التي تظهر في الصحف اليومية، وبالتالي يكون لديها فرصة أفضل لإبراز الأحداث وتبسيط الأضواء عليها وتفسير معناها.

وقد تعرفنا على أنواع مختلفة من المجلات التي تكتب باستفاضة عن عملها وهدفها، مما قد يؤدي إلى التناقض والتضارب، ويصدر بعضها الوظيفة الترفيهية فقط، وتكون مزجحة بالمادة ذات الفائدة البسيطة، في حين يعالج غيرها بحوثاً جادة عميقة في المشاكل المعاصرة، ويضم بعضها المادة الترفيهية والمواد الجادة الأخرى مع تفسيرها للقارئ^(١).

والمجلة بخلافها الجميل وصفحاتها المرنة تمتاز ببقائها مع القارئ، بعض الوقت، وهو الأمر الذي تفتقر إليه الصحف اليومية عموماً. ومجلات: (الهلل) و(الرسالة) و(الثقافة) و(الحضارة) و(الزهرة) و(أبوللو) و(الكاتب المصري) و(الرسالة الجديدة) تحفظ أحياناً لدى القارئ لعدة سنوات؛ أو تنتقل من قارئ لآخر كما لو كانت من الكتب النادرة.

وإذا كانت الجريدة تتوجه إلى الجمهور العام؛ فإن المجلة تتوجه في معظم الأحوال إلى جمهور متخصص. وتعدد أشكال التحرير في المجلات لنوعاً بوظائفها الأساسية؛ ونوعية الجمهور الذي تتوجه إليه. فهناك مجلات تتوجه إلى الأسرة، وهناك المجلات الإخبارية التي تلخص أهم الأخبار؛ وتقدم تحريرياً تفسيرياً للأنباء مما لا يتاح للصحف اليومية؛ كما تقدم موضوعات عن خلفيات هذه الأنباء؛ والشخصيات العامة؛ واتجاهات الرأي العام. كما أن المجلات ذات الاهتمامات الخاصة، تصدر لقراء معينين.. وتتضمن مجلات 'الظل' التي تمثل حياة الأسرة: مجلات المزارع؛ ومجلات خاصة بالشباب؛ ومجلات للأسفار والرحلات؛ ومجلات التجارة والصناعة والتكنولوجيا والعلوم؛ والترفيه ومجلات للقراء أصحاب الهوايات.

(١) ادوين امرى وآخرون: وسائل الإعلام؛ ترجمة ميشيل تكلان، ص ٢٠٠.


وللمجلات الدينية طابع خاص وتأثير كبير؛ مثل مجلة (الأزهر) و(منبر الإسلام). وقد صدرت في مصر جريدة إسلامية رائدة هي جريدة (الرأي العام) تقدم نموذجاً للجمع بين خصائص الجريدة، والمجلة في تقديم المضمون الإسلامي.

وهناك مجلات تصدرها الشركات والمؤسسات لأداء وظائف العلاقات العامة؛ بأسلوب جذاب؛ وتعرف هذه المجلات بالصحف الصناعية ويذهب الأستاذ أدوين إيبري؛ إلى أن مجال النشرات الصناعية قد أحدث تقدماً كبيراً عندما أصبحت شركاتها على وعي بأهمية العلاقات العامة. ويحرر معظم هذه النشرات عدد من أصحاب الخبرة الواسعة في تحرير المجلات؛ وتخصص أموال كثيرة تحت تصرفهم لإبراز هذه المجلات في صورة مشرفة لائقة، ولكتابة مقالات وموضوعات على أعلى مستوى من التحرير النقاشي.

وتدرك شركات كثيرة أنه لابد أن يعمل بها محترفون، وذلك لكي تكون على مستوى المجلات العامة أو تتفوق عليها. وكما وضع ذلك أحد محرري تلك المجلات الصناعية الرائدة، وكان يعمل سابقاً في المجلات العامة في قوله: "لم يعد كاتب البريد أو مدير المستخدمين هو الذي يعتبر حجة في مجال التحرير الصناعي، ذلك لأن التركيز أصبح على التحرير ذاته وعلى الصحافة ذاتها". ويتجه بعض خريجي مناريس الصحافة مباشرة إلى تحرير المجلات الصناعية. وفي كثير من هذه النشرات تظهر مقالات ذات اهتمامات خاصة لا شأن لها بإنتاج الشركة التي تصدر عنها المجلة؛ ويحاط الدعاية عن الشركة بنوع من الحذر وبمستوى معين. وبعض الشركات الكبرى في الحقيقة تصدر عدداً من المجلات مخصصة للعملاء والمساهمين والموظفين، مثال ذلك: انترناشيونال هارفستر كومياني وفورد موتور كومياني، وتصدر الاثنان ٢٤ مجلة، للموظفين كل واحدة منها عن مصنع مختلف عن الآخر.. كما أن وبعض مجلات الشركات التي تعمل على وصولها إلى الجمهور وكذلك الموظفين توزع أكثر من مليون نسخة.

وتظهر مجلات الشركات في أحجام وأشكال كثيرة ومن الصعب القول في أي وقت معين كم منها يعد حقبلة من المجلات أو يدخل في دائرتها. وكثير منها يظهر في حجم الصحف اليومية.

ونخلص مما تقدم إلى أن التحرير الصحفي . من خلال الوسائل . يستجيب من خلال الشكل والمضمون إلى البيئة التي تعمل فيها هذه الوسائل الصحفية بهدف تحقيق التفاعل بينهما وبين المجتمع، ذلك أن وسائل الإعلام لا تؤثر في النظام السياسي والاقتصادي والاجتماعي الذي تعمل فيه فحسب، وإنما تتأثر أيضا بذلك النظام. ومن ثم، فعلينا أن نفهم المجتمع لكي نفهم وسائل الإعلام التي تعمل فيه فهما صحيحا، ولكي نفهم المجتمع، ينبغي أن ندرس تركيبه وأفكاره الكبرى ومعقداته الرئيسية، وكل ذلك معناه أن معرفة التاريخ والاجتماع والاقتصاد والفلسفة ضرورة لكي نفهم وسائل الإعلام فهما حقيقيا، ولكي نفهم طبيعة التحرير الصحفي - في هذا الإطار - من المنبع إلى المصب.



الفصل الثاني

الشكل والمضمون



تنقسم فنون التحرير الصحفي إلى قسمين كبيرين هما:

أولاً: الأخبار News .

ثانياً: فنون المعالم أو الموعات الصحفية Features .

وهذه الأخيرة تشمل: التحقيق الصحفي؛ الحديث الخاص Interview؛

المخالات الصحفية Articles والافتتاحية Leading Articles .

والتحرير الصحفي يدرس مادة الكتابة من حيث اختيارها وتقسيمها وتنسيقها، وما يلائم كل فن من فنونه؛ وقواعد هذه الفنون الصحفية، والدراسة هنا دراسة تعنى بالشكل في المقام الأول، وتوضح للدارس كيفية التوسل به في التقديم المضمون الصحفي؛ الذي يعتمد فيه الدارس على قراءاته وتجاريه الحيوية التي تزوده بالأخبار والآراء وتكشف له عن الحقائق. وفن التحرير هنا يصنع صنيع علم البلاغة من حيث أنه: يشير فقط إلى ما يتبع في تأليف المعاني وتنظيم الفنون أقساماً لتنتج الآثار المرجوة.

نلك أن علم البلاغة . كما يقول الأستاذ أحمد الشايب . يهمل إلى "الناحية الشكلية أو الأسلوبية فهو لا يعرض لقيمة الفكرة بل للامتها ولا يخلقها لكن يندسها، وهو يعنى كثيراً بالعبارات والأساليب. حتى أن بعض الباحثين يطلق عليه علم الأسلوب". ومهما تختلف وجهات النظر فقد أصبحت البلاغة تبحث الآن في هذه الموضوعات ولن تستطيع الإفلات من الإجابة عن هذين السؤالين: ماذا نقول؟ وكيف نقول؟.

وهما السؤالان اللذان يمثلان جوهر التحرير الصحفي. على النحو الذي جعلنا نعنى بالنظر إلى الفن التحريري على أنه يمثل وحدة فنية لها أصولها وقواعدها؛ كما نعنى بدراسة النصوص الصحفية في تفاصيلها؛ وفي صياغة أجزائها؛ لتتعرف على البناء الوظيفي في الجمل والمقدمات؛ وما تشف عنه من دلالات .

وفنون التحرير الصحفي تميل إلى أن تنتمي إلى أجناس الأدب الموضوعية في الغنى على النحو الذي جعلنا نقول مع الجاحظ :

"فإن أراد صاحب الكلام صلاح شأن العامة، ومصلحة حال الخاصة، وكان ممن بعم ولا يخص . وينصح ولا يفس، جُمعت النفوس المختلفة الأهواء على محبته، وجُبلت على تصويب إرادته".

وأكثر الخطب العربية بعد ذلك يمكن أن تندرج فيما سماه أرسطو: الخطابة الاستدلالية، كالخطب في مقامات الصلح والمخالفة، ومراعاة حرمة الجوار، وتحمل الديات، والمفاخرة والمجادلة، وما جرت به عادتهم من خطب عقد الزواج، ما إلى ذلك. ويهمننا هنا أن نورد في إيجاز الاعتبارات الأدبية فيما ذكروا من أحوال الخطابة والخطيب. ويغيب هذه الاعتبارات يرجع إلى حال الخطيب والسماعين وبعضها الآخر يرجع إلى الأسلوب. وهي الاعتبارات التي يعتبرها علماء الاتصال المعاصرين؛ المراكز التي تركز عليها نظرياتهم في الإعلام والاتصال بالجماهير.

وعلى الحُرر. تأسيساً على هذا الفهم. أن يعرف أقدار المعاني؛ وأن يوازن بينها وبين أقدار القراء في حالاتهم المختلفة. "فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً" كما يحدث في الصحف المتخصصة؛ ولكل حالة من ذلك مقاماً؛ حتى يقسم أقدار الكلام على "أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار تلك الحالات"^(١). ومراعاة المقام مدار الإيجاز والتطويل، إذ الإطالة، حين يكفي الإيجاز، مدعاة للضجر والسآمة؛ على حين الإيجاز في موضع الإطالة نقصان كمالاً يصح أن يستعمل المرسل ألفاظ الخاصة في مخاطبته العامة، ولا كلام الملوك مع السوقة^(٢).

وعلى المرسل أن يتلمس مواطن القبول من مستمعيه، فيطيل ما أقبلوا عليه، ويختصر ما لم يسمعوا، ويحذف عن الإطالة إذا وجد فيهم فتوراً عنه^(٣). وينبغي أن يستعمل الإيجاز في مخاطبة الخاصة، ونوى الأفهام المثاقبة؛ لأنهم يجتزون باليسير من القول؛ كما يجب عليه ذلك في المواعظ والوصايا، لتكون أيسر نقلاً وحفظاً. وأما الإطالة فتكون للعوام، ومن لبسوا من نوى الإفهام. ولا بأس في هذه الحالة من تكرار المعاني وتوكيدها أو إعادة بعض الألفاظ وترديدها تحذيراً أو تهويلاً وتخويلاً^(٤). وإنما نليق الإطالة بالأئمة والرؤساء ومن يقنتى به ويؤخذ عنه. أما العامة فليس لهم إذا خطبوا سوى الإيجاز، لأن الإطالة منهم. في رأي صاحب كتاب "البرهان"، مدعاة للتباين والاختلاف في الرأي. ولهذا المعنى يقول شاعر الخوارج:

(١) من صحيفة بشير بن المعتز، في الجاحظ: البيان والتبيين ج ١، ص ١٢٨، ١٢٩.

(٢) البرهان في وجوه البيان لابن وهب، ص ٩٧، ٩٦.

(٣) المرجع السابق ص ٩٦، والجاحظ: البيان والتبيين ج ١، ص ١٠٤، ١٠٥.

(٤) المرجع السابق ص ١٠٥، ونقد القنبر ص ٩٧.

كما أناساً على دين، ففرقنا .: قَدَحَ الكلامَ وخَطَمَ الجِدَّ باللعب
ما كان أغنى رجلاً ضلَّ سعيهم .: على الجدال، وأغناهم عن الضَّطَبِ^(١)

وقد تنسم المعالجة في التحرير الصحفي بالطابع "الجدلي" من خلال التحقيق الصحفي؛ والمقالات؛ والأحاديث؛ وغيرها من فنون (المعالم الصحفية) خاصة؛ على النحو الذي يتواصل مع بلاغة الجدل في إقرار الحجة عن طريق الحوار

وتبني مقدمات الجدل مما يوافق الخصم عليه، وإن لم يكن في نهاية الظهور للعقل. وهذا ما يفرق بين الباحث عن الحق في ذاته، وبين الجادل الذي يقصد إلى إلزام خصمه الحجة، فإذا سبقت الحجة مما يوافق الخصم عليه فلا مطنع له فيها^(٢). والسائل في موقفه أقوى من المحبب، ولذا لا ينبغي للصحفي أن يتخير في الإجابة عن السؤال من يتوق في قدرته على إجابته؛ لأنه إذا لم يجب، أو أجاب ولم يقنع، أو نلجج في كلامه فقد ظهر عجزه^(٣).

وفي أسلوب التحرير الصحفي يستجاد عدم التكلف؛ والالتزام بالوضوح؛ وإثبات الغرض المقصود؛ وليست الأشياء والأحداث والصور من الوضوح في ذهن القارئ مثل ما هي من الوضوح في ذهن المحرر

كتاب الأسلوب ولغة الصحافة :

يقول عميد الأدب العربي في سياق حديثه عن التفكير: إنه الأداة الطبيعية التي نصطنعها في كل يوم، بل في كل لحظة ليفهم بعضنا بعضاً ويعاون بعضنا بعضاً على تحقيق حاجتنا العاجلة والأجلة، وعلى تحقيق مهمتنا الفردية والاجتماعية في الحياة. ونحن نصطنع هذه الأداة ليفهم بعضنا بعضاً، ولنفهم أنفسنا أيضاً، فنجد أننا نشعر بوجودنا وبحاجتنا المختلفة وعواطفنا المتأبنة وميولنا المتناقضة حين نفكر. ومعنى ذلك أننا لا نفهم أنفسنا إلا بالتفكير ونحن لا نفكر في الهواء ولا نستطيع أن نعرض

(١) المرجع السابق ص ١٠٣، ١٠٤، والقذح: أتروى بسوء القول .

(٢) نفس المرجع ص ١١١، وراجع كذلك الخطابة لأرسطو الفصل الثاني من الكتاب الأول.

(٣) نفس المرجع ص ١١٩. محمد غنيم: هلال المنخل إلى النقد الأدبي الحديث ص ١٦٦.

الأنبياء على أنفسنا إلا مصورة في هذه الألفاظ التي نقدرها ونديرها في رؤوسنا وتظهر منها للناس ما نريد ونحفظ منها لأنفسنا بما نريد، فنحن نفكر باللغة ونحن لا نغلو إذا قلنا إنها ليست أداة للتعامل والتعاون الاجتماعيين فحسب وإنما هي أداة للتفكير والمحس والشعور بالقياس إلى الأفراد من حيث هم أفراد أيضا.

والكلمة المطبوعة في الوطن العربي مدرسة للمثقفين الذين ينقطعون عن الدراسة المتصلة بحكم نظم الحياة ومشاغلتها حيث تصل بين وبين مناحي اهتماماتهم الثقافية وتكون بمثابة الحصص اللغوية اليومية أو الأسبوعية أو الشهرية والصحف بذلك تيسر لهم استمرار حياتهم اللغوية ومتابعة هذا المد الذي بدؤه في التعليم كما أن الكلمة المطبوعة تصيح مدرسة لعامة المتعلمين الذين لا يجدون في حياتهم ما يعينهم على ذلك وييسر لهم أسبابه. إن عامة المتعلمين يجدون في الكلمة المطبوعة البسطة مجال تيسير المعرفة وإتاحة أسباب اللغة، وعلى ذلك فإن لغة الصحافة ذات أثر كبير في حياة الأمة الفكرية اللغوية حيث تتيح للفكر فرصة الظهور وتمكن له من فرص الذمو كما نضيف. باستمرار. إلى رشيد الشكر العربي وحياته الفنية والتعبيرية جديدا.

ولذلك تحرص الصحف الكبرى في العالم أن يكون لها دليل، يطلق عليه "كتاب الأسلوب" يتضمن مجموعة القواعد والتعليمات التي تضعها الصحيفة لحريتها، وهي تشمل تهيئة النص، ومراجعته، وتصحيحه ومطابقته للأسلوب الصحفي والدقة في اللغة والمعلومات وتخاشي التعبيرات الجارحة وما إلى ذلك من الأمور التي تحقق التناغم في أسلوب الصحيفة ككل، على النحو الذي يحفظ لها شخصيتها بين الصحف الأخرى ويحافظ على سلامة اللغة ودقتها في التعبير. وكتاب الأسلوب **Stylebook** الذي أصدرته وكالة 'يونايتيد برس' من هذه النماذج الجيدة في مجال الأخبار

وكتاب الأسلوب في الصحف يقدم خلاصة وافية لاغنى عنها للاستعمال التحريري بصفة مستمرة. ذلك أن هذا الكتاب الدليلي يمثل مجموعة من المعايير في التحرير الصحفي لإرشاد المحررين بالصحف ووكالات الأنباء. ويذهب الأستاذ 'موهنبرج' إلى أن كتاب الأسلوب الجيد يستطيع أن يقدم الكثير من أجل تحسين طريقة تقديم الأخبار والموضوعات الصحفية. يقول:

وعندما كان "لويس جوردان" محرراً للأخبار في جريدة "نيويورك تايمز" كتب عن كتاب الجريدة الجديدة الذي صدر بعنوان "كتاب الأسلوب واستعماله" الذي راجعه وحرره قائلاً:

"إن الغرض من كتاب الأسلوب" هو إعطاء أفضلية على ذلك الذي يهبط بمستوى اللغة بالنزول بمستواها ويستهدف الحفاظ مثلاً على التمييز ما بين كلمتي "يتضمن" و"يستبدل"، وللافاة بدعة التعبير الجديد مثل الأفعال: يضيف ويؤلف... ويعمل على نحاشى استعمال "أكل عليه الدهر وشرب" ونحاشى أى تعبير مبتذل أو بال، ويجتنب العامة في سياق الكلام غير الملائم، ويعى أهمية استخدامها في الوقت المناسب، وأن يستخدمها عندما يكون سياق الكلام ملائماً"^(١).

ويسوق مثلاً على التغيير في أسلوب جريدة "التايمز" في ١٤ سنة منذ طبعتها الأخيرة لكتاب أسلوبها، فقد سبق للجريدة أن عرفت المرأة المتزوجة لأول مرة على أنها "مسز جون دو" أما الآن فنسميها "جين دو" للوهلة الأولى ثم "مسز دو" بعد ذلك. ويستمر كتاب الأسلوب في استعمال الألقاب الشرفية للرجال والنساء فيما عدا الاتسات (مس) ولكنه يحدث:

"عند الإشارة إلى النساء يجب أن نتلافى الكلمات أو الجمل التي تتضمن أن "التايمز" تتكلم بصوت رجالي، فيجب أن يكون تصوير الرجال كخمانج والنساء كاستثناء"^(٢).

ومن بين الاصطلاحات المحظورة استعمالها الألفاظ التي تحط من الكرامة مثل ذمية والجنس الضعيف، والمرأة الصغيرة. ويحدث الكتاب أيضاً من المعاني الخبيثة غير المرغوبة من حيث "الدلالة" والتي قد تحمل اصطلاحات تبدو في ظاهرها حميدة مثل ربة منزل، وشقراء، وسيمة، وجددة، ونحانة، وطلاق، وغيرها والقاعدة هي أن الكتاب يجب أن يسألوا أنفسهم عما إذا كانت مثل هذه المصطلحات ملائمة حين تستخدم بالقياس إلى الرجال في نفس سياق الكلام: وهي تستخدم أيضاً حين تعمل الأوصاف عن شخص أو جنس آخر أو دين.

(١) كتاب الأسلوب الصحفية نيويورك تايمز، نيويورك ١٩٧٦.

(٢) هوهنبرج، الصحفي المحترف، ترجمة ميشيل نكلا، ص ١٢٤.

إن قانون جريدة 'النايمز' ضد الابتذال والسوقبة والتجديفية الذي صدر في ١٨٩٦ عندما اشترى أدولف س. أوكس الجريدة، كان مرهقا للأعصاب مع لوائح الصحف الأخرى الكثيرة. والآن فإن كتاب أسلوب 'النايمز' يدعو إلى الدهشة عندما يفسر التجديفية في هبثاتها الخفيفة بأنه يمكن في بعض الحالات تبريرها^(١).

وفي حين أن كتاب أسلوب 'أسوشيتدبرس' يسمح باستخدام لفظ: الفحش أو الابتذال والسوقبة والتجديفية طالما كان هناك سبب قوي لذلك، ومثل هذا الاستخدام لا بد أن يرافقه تحذير للمحررين يكتب فوق الموضوع؛ وأن تستمر أخلاقيات الصحافة تُصب أعينهم نموذجاً يحتذى به.

كتاب الأسلوب الإلكتروني :

من وجهة النظر المقبولة بين المحررين فإن من الكتب المؤثرة في الولايات المتحدة، كتاب أسلوب اب. بي. بي. أي، الذي روجح لأول مرة بعد ٢٠ سنة في عام ١٩٧٧. ولأن وكالتي الأنباء الأمريكيتين هاتين تغطيان الدولة الأمريكية؛ ولهما تأثير عظيم فعال خارج البلاد فإن كتابهما يقرأ بدقة بالغة.

وفي طبعته الجديدة، توجد اصطلاحات جديدة في الأسلوب العادي، فبدأ عنا حالات عناوين المقاملات، فقد قررت الوكالتان إلغاء "مس" و"مسز" من جميع بريقيات الرياضة واحتفظت بهما أي "مس" و"مسز" في بريقيات الأخبار ولكنها أعملت أي امرأة حق الاختيار بأن تلقب (بس). وأجريت تغييرات كثيرة هامة في الأسلوب بسبب سيطرة الكمبيوتر في عمل الخدمة السلكية. وكما يصف ذلك 'وليم رباريدت' وهو مساعد مدير تحرير 'بوبي' 'أي' بقوله: "إن الطرق القديمة التي كنا نعمل بها الأشياء لا بد أن تهمل في هذه الأيام بسبب التكنولوجيا الحديثة وأجهزة الكمبيوتر التي تتكلم مع غيرها من أجهزة الكمبيوتر. فالكمبيوتر يحتاج إلى معلومات معينة دائماً في نفس المكان حتى يعرف ما يجب عليه عمله. وبمعنى آخر الكمبيوتر يخضع لبرامج تقوم بالبحث عن أشياء معينة في مكان معين وهو يتفاعل بطرق معينة نتيجة لذلك. والغرض من وراء الحصول على نموذج نقتبه جميع الخدمات 'البرقية' هو تمكين

(١) نفس المرجع ص: ١١١.

مستلمى المعلومات من تسمية البرامج لقبولها بطريقة موحدة". ويحدثنا "هو هونج" عما يسميه بدرس "هيمنجواي" الكاتب الأديب الشهير، ذلك أنه بعد سنوات من اعتزاله العمل في صحيفة "كانساس ستي ستر" بذكر "أرنست هيمنجواي" أول مبادئ كتابة الأخبار كما وصفت في كتاب الأسلوب بالصحيفة وكانت أول جملة على النحو التالي:

استخدم جملاً قصيرة. استخدم فقرات قصيرة. استخدم لغة إنجليزية قوية ولا تنس أن تصارع من أجل السلاسة. كن إيجابياً ولا تكن سلبياً.

يقول تشاريس أ. فتون في كتابه 'اللمذة على يد إرنست هيمنجواي' والحاصل على جائزتي "نوبل" و"بوليتر" عن تأثير أسلوب الكاتب.

كانت هذه أحسن القواعد التي تعلمتها في مهنة الكتابة. ولم أنسها مطلقاً وليس هناك إنسان ذو موهبة، يحس ويكتب بصدق عن الشيء الذي يحاول أن يقوله ويفشل في أن، يكتب جيداً إذا التزم بهذه القواعد ..

أن صورة واحدة للتنوع المحير في الاستعمال الذي يمكن أن تكتب به اللغة، هو إصرار الصحف الكلاسيكية، لمعظم سنوات هذا القرن، على أن الأفراد يجب أن يعرفوا كأشخاص، وكلمة كثير قد تعنى عرفاً غير محدودة "كاناس". وبقليل من الاستثناءات فإن جميع صحفيي الإذاعة تقريباً يستخدمون كلمة "ناس" كما صدرت في الطبعة الثالثة العالمية من قاموس 'ويبستر'.

ومنذ صدرت صحيفة (الأهرام) قبل مائة وخمسة وعشرين سنة، وهي مدرسة بكل ما تحمل هذه الكلمة من معانٍ على حد تعبير الأستاذ إبراهيم نافع في تصديره لـ: "دليل العمل الصحفي" للأهرام Al - Abram Style Book يقول في تصدير هذا العمل الكبير: "وقد تطورت طباعة الأهرام بتطور الطباعة ومستلزماتها، فكانت الرائدة في الوطن العربي، بل كانت أول من لاحق عصر الأقمار الصناعية وثورة الاتصالات في تناول الصور وبثها في لحظات لتكمل التعبير بالكلمة والصورة في آن واحد، وكما تطورت المعدات، تطور أسلوب الكتابة ليواكب أسلوب الحياة المتجددة دائماً. ومن هنا يلحظ القارئ الفرق الكبير بين ما يكتب في الجريدة اليوم وما كان يكتب قبل أكثر من

مائة عام في أواخر القرن التاسع عشر ثم في مطلع القرن العشرين، ومقتصفه وأخر سنواته. ولكن الأهرام حرصت دائما على شيء مهم هو أن تحوز ثقة قارئها في صدق ما تكتب، ودقة ما تنشر. ولعل هذا هو ما أعانها على البقاء طوال هذه السنوات التي لا تباريها فيها مطبوعة عربية أخرى في أي مكان من وطننا الكبير.

"وإذا كانت 'الأهرام' مدرسة لقرائها بما تنقله إليهم من أخبار وتحليلات وأفكار وآراء جرة فإنها تعتبر أيضا مدرسة للعاملين في الصحافة تعلم فيها ألوف من المهنيين الذين لمعت أسماءهم، وأصبحوا نجوما في سماء الوطن العربي. أبناء مدرسة 'الأهرام' أصدروا وحرروا المئات من الصحف والمجلات ووضعوا فيها خبراتهم التي اكتسبوها من هذه المدرسة".

إلى أن يقول الأستاذ إبراهيم نافع عن كتاب "الأسلوب ودليل العمل الصحفي في الأهرام": مع سنة التطور رأيت الأهرام أن تصدر هذا الكتاب كدليل عمل للصحفيين الجدد. تهدف من وضعه بين أيديهم أن يكون هاديا لهم في عملهم المهني الذي يمارسونه كل يوم.. وهو يكمل بذلك الدراسة النظرية التي تلقوها في الجامعات. وهذا الدليل خلاصة تجارب زملاء من أسرة الأهرام مارسوا الصحافة سنوات طويلة، عملوا في شتى فروعها. واكتسبوا خبرات يندر أن تتوافر لصحفي آخر في الوطن العربي".

وقد نهض بإعداد هذا العمل العلمي، الأستاذ أحمد نافع، الذي يقول في تقديم الكتاب: "إذا كانت الصحافة هي ضمير الأمة، وهي عقلها الذي تتماوج فيه الأفكار، وتتوازن فيه الآراء.. وهي قائدة النهضة لبناء الحضارة وهي الوعاء الأوسع لنشر المعارف، والعملود الأعلى لرفع آراء الثقافة:

"إذا كانت الصحافة هي هذا كله، وأكبر من هذا كله فما أحرأها بأن تكون ناصعة البيان سليمة اللسان نقية الوجدان، تقدم للناس خلاصة المعرفة في مجالاتها المختلفة التي تصل فيها وتجول بالعبارة السهلة، واللقطة الصحيحة، تعرض فيها حقائق الأمور جليلة واضحة، وتهدى بها إلى السبيل السوي، وتصل بها إلى غايتها المنشودة.

'كانت الصحافة من قبل ملكاً لأفراد يملك أحدهم الصحيفة فيقود هو خطاها كما يشاء، ويحكم على الأمور كما يشاء.. من وجهة نظره الفردية، لا يسمح بأن يذشر في صحيفته إلا ما يوافق نزعته وهواه، من الناحية السياسية ومن النواحي الاقتصادية والاجتماعية على السواء.. ولقد أصبحت الصحافة الآن مؤسسات كبيرة يقودها ضمير الأمة ويحدوها إلى غايتها ومقاصدها، فهي تضم كل الانجاءات وتنقل إلى القارئ أهم ما يتصل بحياته من شئون؛ طبقاً لحقه الدستوري في المشاركة عن طريق حق الفهم والمعرفة، فأصبحت معطياتها اقتصادية وسياسية واجتماعية وثقافية وأدبية وفنية ودينية، فهي انطلاقاً من ذلك كله تمضي إلى تحقيق المصالح العليا للأمة علماً وحضارة وتقدماً ورخاء.. تلك هي الصحافة اليوم وتلك هي رسالتها.'

ويخلص الأستاذ أحمد نافع من ذلك إلى أن 'من حق القارئ أن يتلقى ما تقدمه الصحافة إليه في الأسلوب الأسهل، والبيان الأمثل، والتعبيرات التيسرية، والكلمات الواضحة، واللغة الصحيحة. وقد يحدث أن يختلف الكتاب الصحفيون في استعمال الأخطاء الشائعة؛ فمنهم من ينكرها ويتحاشاها؛ ومنهم من يجيزها لشيوعها، وقد يختلفون أيضاً في بعض مواضع الهمزة وعلى أي حرف ترسم. وقد يفوت بعضهم بعض دقائق اللغة كما هو الحال في تمييز الأعداء مثلاً. لذلك كان من أهداف هذا الكتاب وضع هذه الأمور وأمثالها في نصائبها الصحيح ودعوة كتاب الجريدة ومجلاتنا المختلفة والعاملين فيها جميعاً إلى مراعاة هذه الضوابط واتباعها، لأن القارئ إنما يتلقى في هذه الأيام خاصة، علمه وثقافته ومعارفه وضوابط لغته من الصحف، ومن حقه هو على صحيفته التي يقتلها عليها ألا تنجبل فكره بين شقات من الأشكال للكلمة الواحدة وشقات من الضوابط في لغة الكلام.'

وحين تلقى نظرة سريعة على أثر الصحافة في اللغة في النصف الأول من القرن الحاضر في مصر نجد طائفة من مشاهير الكتاب في الأدب والسياسة والاجتماع كان لمقالاتهم وكتبهم التي نشرت كمقالات في الصحف أثر كبير في تطور الشعر والأدب العربي بوجه عام، وهم يشتركون جميعاً في وفرة الحصول من المقالات في المجلات والصحف على اختلاف أنواعها، غير أنهم اختلفوا في أسلوب الكتابة فمنهم المتعمق وراء الفكر: (العقاد) ومنهم المؤثر للأسلوب الحديث القريب الشئول: (المازني) ومنهم

الأكاديمي المتمكن من الأسلوب العربي الكلاسيكي القادر على معالجة نواحي الحياة الحديثة بهذا الأسلوب: (طله حسين).

والصحافة نوجه النشاط العقلي للأمة. وتاريخ الصحافة يشمل فترة طويلة من الزمن تسمح لنا بأن نقيّم تأثير التطور الاجتماعي على عقلية الناس وأن نقيّم حرص لغة الصحافة على جوهر اللغة العربية، وسيرها طبقاً لخصائصها وأساليبها الأصيلة والعريقة. والصحافة العربية تساهم في تجديد لغة الضاد عن طريق عاملين رئيسيين أحدهما: هو الكسب الخارجي وما يتسرب إليها من لغات أخرى عن طريق الترجمة البرقية ثم يتأصل فيها ويصبح جزءاً ثابتاً منها.

كما أن دراسة المفردات في لغة الصحافة تنتج ناحية أخرى غير الناحية التاريخية؛ ذلك أن الكلمات لا تستعمل في واقع اللغة الصحفية تبعاً لقيمتها التاريخية وإنما على أساس أن للألفاظ في الصحافة قيمة محددة باللحظة التي تستعمل فيها. إن السياق هو الذي يفرض قيمة واحدة يعينها على الكلمة، ومن ذلك ما جرى في لغة الصحافة جريانا طبيعياً من ألفاظ وأوضاع جديدة لمعان شتى فقيل مثلاً:

فنان. للماهر في الفنون. أصبح على أمر ما: أي أنكره ووضع فاعله موضع الملامة.

تجول في البلاد. بدل جول فيها "اكتشف الأمر. أي كشفه وأظهره لأول مرة خابره. أي فاقضه أو بادلته الخبر ومنه قلم الخابرات حكم على المجرم بالإعدام أي بالموت.. والإعدام أصلاً فقد المال، فحولوه إلى فقد الحبة.

نظلم وحنوى. نسبة إلى الموحدة والقياس أن يثقل وحنى ومثلها كُتبتوى نسبة إلى الكتلة.

وتأسيساً على ذلك وجدنا اللغة الصحفية تنتج إلى الوضع النفي لمختلف المعاني والأغراض، ولقد أضافت إلى اللغة كثيراً مما لم تعرفه من قبل، واستخدمت في ذلك النحت والقياس والاشتقاق. كما اتجهت لغة الصحافة في اتجاه الوضع المجازي عن طريق توليد اصطلاحات مجازية للتعبير عن معان خاصة، يذكر منها الأستاذ أنيس المقدسي: القوة الضاربة، أي السلاح الكافي، اجتمع المؤتمر على صعيد الوزارة أي كان مؤلفاً من وزارة الدولة.

أخذ المبادرة، أي سبق غيره في أمرها. أنتهاك صارخ لحقوق الشعب أي انتهاك واضح شديد. ناطحات السحاب . للأبذية الشاهقة العلو توترت العلاقات بينهم أي ساءت واشتدت، صوت في الجلسة لفلان: أي كان من مؤيديه وأظهر تأييده له.

كما اتجهت لغة الصحافة إلى الاشتقاق الإسمي عن طريق اشتقاق صيغ من أسماء خاصة ومن أمثلته: قنن . من القانون. نقول قنن الطعام أي تناوله بحسب قانون محدد. قول . من المال . قول المشاريع أي قدم المال اللازم لها. تطور . من التطور فنظام التطور هو التقدم من طور إلى طور عايد أو عيّد . من العيد احتفل بالعيد أو هنا به . قيم . من القيمة تقييم الأشياء أي تقدير قيمتها. استجواب . من الجواب. استجوب القاض فلانا أي طلب منه الجواب. وهكذا فإن 'لغتنا تتسع لكل عظيم' على حد تعبير الأستاذ أحمد نافع الذي يقول في 'دليل العمل الصحفي': والعربية هي التي وسعت كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام ووسعت ما تفرغ عن ذلك من تراث الإسلام وعلومه تفسيراً وأحاديثاً وفقهاً وتشريعاً ووسعت علوم التوحيد وأصول الأحكام وعلوم الفلك والرياضيات وعلوم الطبيعة والكيمياء.. والطب والزراعات والصناعات.. وهي الآن تتسع لكل ما يترجم إليها من اللغات الحية واللغات المنتشرة في هذا العالم الواسع الكبير شرقيه وغربيه، ولا تزال العربية تتسع لكل عظيم^١.

يقول أستاذنا الدكتور شوقي ضيف رئيس مجمع اللغة العربية من مقال بعنوان: 'اللغة العربية في مواجهة القرن الحادي والعشرين' نشر في صفحة الأدب بجريدة الأهرام^(١): 'اللغة العربية أقدم اللغات الحية زمناً وأطولها عمراً وأكثرها قدرة على تمثل الحضارات السابقة عليها، تمثلت حضارات الأمم القديمة التي سبقتها في الحضارة وأضاف إليها ما جعلها ذات حضارة كبرى أذاعتها في القارات القديمة: آسيا وإفريقيا وأوروبا، وامتازت بحيوية منأججة نقاذة بحيث لم تنزل لغة أيام الفتوح الإسلامية إلا ظفرت بها، ظفرت في العراق باللغتين: الآرامية والنبطية . وفي إيران باللغة الفارسية وفي الشام باللغتين السريانية واليونانية، وفي مصر باللغتين الديموطيقية واليونانية، وفي تونس وما وراءها بالمغرب باللغتين: البربرية واللاتينية وفي الأندلس: باللغة الرومانشية الإسبانية.. وأهل كل هذه البلدان شرقاً وشمالاً وغرباً رأيت لغاتهم أستاذهم

(١) جريدة الأهرام، صفحة الأدب، الجمعة ١٢/٥/١٩٩٧.

وَحَلَّتْ مكانها العربية، واتخذوها للتعبير عن وجدانهم ومشاعرهم شعرا ونثرا وعن عقولهم وألبابهم فكرا وعلوما وفلسفة، وواتتهم العربية، وخاصة في صنوف العلوم والأفكار الفلسفية، بكل ما أرادوا من صور التعبير مهما كانت عميقة لرونتها الشديدة واشتقاقاتها الكثيرة. وقادت اللغة العربية العالم حضارياً وأدبياً وعلمياً وفلسفياً طوال ستة قرون منذ القرن الثامن الميلادي، وظلت علوم العرب وفلسفتهم تنصب في أوروبا وجامعاتها منذ بدءوا في ترجمتها بالقرن الحادي عشر الميلادي ومضوا يتعلمونها حتى القرن السابع عشر وأخذت تضيء لهم مسالكهم إلى علومهم الحديثة.

وأصاب العربية ركود قرونًا وعادت إلى الازدهار في عصر محمد علي وحلفائه، وفي هذا القرن العشرين يفتح العرب على علوم الغرب وينشطون في ترجمة الطب والعلوم المختلفة إلى العربية ويضعون معاجم العلوم فرادى وجماعات كمعجم محمد شرف الطلي سنة ١٩٢٦ ويشتمل على أربعين ألف مصطلح علمي، ناهيك عما وضعته مجامع اللغة العربية في القاهرة وسوريا وبغداد من عشرات المعاجم العلمية، ولمجمع اللغة العربية القاهري أربعة عشر معجماً علمياً، وليس في الجامعات المصرية علم غربي يدرس فيها الآن إلا وفي المجمع القاهري مُعجم له يعرض مصطلحاته الغربية ومقابلاتها العربية، وواضح . من ذلك كله . أن اللغة العربية تاريخاً حضارياً مجيداً وعت فيه منذ أربعة عشر قرناً كل ما كان لدى الأمم القديمة من حضارات وعلوم وفكر وفلسفة، وأضافت إلى كل ذلك إضافات رائعة وقادت العالم قرونًا؛ حضارياً وعلمياً، وواكبت أوروبا قرونًا متحاربة على علومها وفلسفتها مما أعدها سريعاً لتنهضتها الحديثة.

واستطاع علماء مصر في القرن الماضي أن يستحدثوا فيها لغة علمية عصرية شاعت في العالم العربي، وعلا صوتها في هذا القرن العشرين بفضل أدباء مصر الكبار الذين تترجم أعمالهم إلى الغرب، وبفضل علمائها الذين ينقلون إليها العلوم الغربية ومصطلحاتها العلمية، وهذه اللغة الحية التي ملأت العالم شرقاً وغرباً علماً وأدباً، يدعو بعض أبنائها في بعض الصحف إلى استبدالها بالعامية التي تستخدمها في حياتنا اليومية بالسوق والمصنع والمنزل. ومن يدعون هذه الدعوة لا يعرفون تاريخ اللغة العربية؛ لغتنا ولغة العرب القومية، وطاقاتها اللغوية، وحملها لثقافة الأمة الثقافية الديني والتاريخي والأدبي والعلمي؛ طوال أربعة عشر قرناً، وهم أيضاً لا يعرفون شيئاً عن العامية.

- وهي في أكثرها فصحي مُخرّفة كما في مثل: سمع وفهم وعلم، بكسر أولها جميعا. ثم هي لا تحمل أي تراث ثقافي أو ديني أو تاريخي أو علمي، وهي لا تصلح أن تحمل لنا فكرا أو علما أو ديناً، إذ هي لهجة متداولة في الشئون اليومية المؤقتة، والعربية في ذلك مثل اللغة الفرنسية وغيرها من اللغات الغربية الحية، فجميعها لها لهجات يومية تتداولها شعوبها غير لغاتها الأدبية والعلمية، ولم يقل أحد هناك: دعونا من لغة الفكر والعلم والثقافة والأدب، ولنحدث فيها بلهجتنا اليومية. وذلك فضلا عن أنها دعوة خطيرة، إذ يترتب عليها أن تصبح للأمة العربية لغات بعدد عاميات شعوبها التي تصل إلى نحو عشرين عامية، وبعض الأقطار به عاميات متعددة مثل العراق ومثل مصر ومعروف أن عامية الوجه البحري تخالف عامية الصعيد، وهم بذلك يدعون! دون وعي. إلى تمزيق الأمة العربية إلى أمم بعدد العاميات المنتشرة في أقطارها، ومثل خطأ الدعوة إلى العامية الدعوة إلى الإبقاء على الإنجليزية لغة لتعليم العلوم الغربية في جامعاتنا العربية وتعميمها في كل سنوات الكليات العلمية، ويقولون أيضا إن العلم عالمي؛ وإذا لا نعلم شيابنا بالإنجليزية اللغة العلمية السائدة في المحيط العلمي، ويقولون إننا إذا علمنا العلوم باللغة العربية يُخشى عليهم من الانغلاق وألا يستطيعوا ملاحقة التيار العلمي العالمي، ونحن حين نقول بتعريب التعليم الجامعي في البلاد العربية سنحرص أشد الحرص على إتقان الشباب للغة الإنجليزية أو إحدى اللغات الحية الأجنبية، وستوضع للشباب البرامج والمناهج الكفيلة بتحقيق ذلك. بحيث يكون أساتذة جامعاتنا مثل أساتذة الجامعات في فرنسا أو في ألمانيا، فهم يُعلمون العلوم بالفرنسية في الأولى أو بالألمانية في الثانية، ويكتب نقرُ منهم مقالات علمية باللغة الإنجليزية، وينشرها في المجلات العالمية، وسيكون أساتذة جامعاتنا مثلهم يُعلمون الشباب في الجامعات باللغة العربية، وسيكون منهم من يتقنون الإنجليزية أو لغة حية عربية أخرى، ويكتبون بها مقالات علمية تنشر في المجلات العالمية.

وبيننا نقر لا يعرفون اللغة العربية وتراثها ويقولون: إنها لغة تراثية ولا تصلح لعصرنا إذ لا تستطيع مواكبة الحضارة الغربية ولا مجاراة إنجازاتها الحضارية، وهي بذلك تعد معتقبة عن عصرنا، ولا تصلح له أي صلاحية، وهو كلام يُلقى على عواهنه دون تدبّر ودون معرفة بالتراث العربي، ومثله لحضارات الأمم القديمة، وإقامته

لحضارة شامخة، وعبوره الأندلس وصقلية إلى أوروبا، وإعدادها العلمي لحضارتها الحديثة، كما أعدت مصر في القرن الماضي للنفوذ إلى لغة علمية حديثة شاعت في العالم العربي. وطبيعي أن هذا النفوذ لا يعرفون اللغة العربية وتراثها ولا يعرفون أنها هي التي قاومتها بها مقاومة عنيفة المستعمرين الإنجليز والفرنسيين، حتى ولو على وجوههم من ديارنا العربية إلى البحر المتوسط وما وراءه. ومعروف مدى مقاومة العربية الحادة وتراثها؛ لفرنسا طوال قرن وربع قرن في الجزائر؛ حتى طردتها بعد محاولاتها الكثيرة اليائسة تعليمية وغير تعليمية، في استخدام الجزائريين الفرنسية بدلا من العربية. إن اللغة العربية لم تنازل لغة إلا ظفرت بها، وهو ظفر وانتصار كانت تستعين فيها العربية بتراثها الثقافي؛ الأدبي والعلمي والتاريخي والديني الذي ينزل مذهبها منزلة الأرواح والأفئدة.

وهاهو الغربُ يعدّ لنظام عالمي جديد من أهم مقوماته العولمة، وهي أن تصبح كل أمة فيه عالمية حضاريا وثقافيا، ويخشى مع هذا النظام أن تفقد الأمم خصوصياتها وهوياتها.

وفي تقديرى أن العرب لم يقبلوا هذا النظام إلا إذا اعتدل ميزانه ولم يتعارض مع شخصيتهم الحضارية والثقافية، والأمة العربية في مواجهتها القرن الحادي والعشرين بل قرون الألف الميلادية الثالثة جميعها ستظل تصر إصراراً لا يماثله إصرار على التمسك بجوهرها ولغتها العربية، وتراثها الحضاري والثقافي المخالد الذي أتاح لها حياتها الطويلة الخصبة ووجودها العالمي العظيم^(١).

وتنساءل مع الأستاذ أحمد نافع: 'من من الناس وحملة الأقلام أولى من الصحفي بسلامة اللغة وصحتها؛ وهو الذي يقود ركب الثقافة والبيان والبلاغ في أمته وشعبه؟ تلك أن الصحافة "ومعها وسائل الإعلام الأخرى من إذاعة وتلفزيون، تلازم الناس من صحوهم إلى منامهم، فهي المؤثر الفعال في طبع حياتهم وصوغها، وفي توجيه أفكارهم وتنوير عقولهم وتنقية وجدانهم وترسيخ قيمهم؛ أو هي التي تقلب ذلك كله رأسا على عقب. الصحافة هي المعلم الأول للشعوب؛ وعنهما يتعلم الناس، وبها يقتنون، فهي أعم وأشمل وأوسع تأثيراً من المدارس والجامعات، غداً لم تتدارك

(١) د. شوقي ضيف: اللغة العربية في مواجهة القرن الحادي والعشرين

الصحافة الأمور التي تسيخ شخصية الأمة أو تهاننت في استئراء الأخطاء التي تشيع في لغتها، صارت تلك الأخطاء عند الناس هي القاعدة من حيث لا يدرون.. والصحفي كاتب، وكل كاتب يجب عليه أن يراعى فيما يراعى سلامة لغته وقواعدها الصحيحة وأن يتعرف على الأخطاء ليتحاشاها^(١).

ويؤكد كتاب الأسلوب في وكالة 'أسوشيتدبرس' أن هذا المرجع الدليلي للمحررين؛ يساعد على تقديم الكلمة المطبوعة تقديمًا دقيقًا ومُحكماً؛ ومُنعا لعين القارئ، ويجب أن يركز على قواعد النحو

إن أي كتاب للأسلوب؛ كما يذهب إلى ذلك "موشنجر" لا يمكن أن يحل محل العمل الشاق؛ والمهارة المكتسبة في الكتابة؛ والذوق الفني؛ من مقومات الكاتب والمحرر الصحفي. كما أن هذا المرجع الدليلي لا يمكن استخدامه لتقويم النقاط المهمة في قصة خبرية أو موضوع صحفي. ولا يستطيع أن يظهرنا على طريقة أفضل لتقديم الأخبار أو ترتيبها؛ إذ ليست هناك قوانين تحل محل التفكير نفسه.

الشكل والمضمون في فنون التحرير:

والمضمون يمثل نقطة البدء للتعبير في التحرير الصحفي؛ وليس هناك فاصل بين خصائص المضمون وخصائص التعبير؛ بحيث يمكن الانتقال من أحدهما إلى الآخر وفي ذلك يقول 'كرويتشي': 'قد يكون المضمون هو ما يمكن تحويله إلى شكل، ولكن طالما لم يوضح في الشكل، لا تكون له صفات محدودة؛ فلا نعلم عنه شيئاً^(٢) ولا يصير مضموناً إعلامياً؛ إلا بعد وضعه في "الصورة التحريرية" الملائمة.

فاللفظ والمعنى متلازمان؛ إذ العملية الفكرية في التحرير واحدة؛ وفيها تتجلى الصورة الإعلامية عن طريق صياغتها. ولذلك ذهب 'عبدالقاهر في البلاغة العربية؛ إلى ربط الألفاظ بدلالاتها في السياق من حيث تكوين الصورة الأدبية فإنها كانت العبرة بالألفاظ في مواقعها من الجمل، فليس ذلك لأنها المقصودة أولاً بالفكر؛ إذا لا يُعقل أن يُقصد أولاً إلى ترتيب المعاني من استقلال عن اللفظ، ثم بعد ذلك يُستأنف النظر في

(١) أحمد نافع: دليل العمل الصحفي. الأهرام ٤ مؤسسة الأهرام ١٩٩٧.

(٢) د. عبد العزيز جمودة: علم الجمال والنقد الحديث، ص ٢٤.

الجملة الدالة عليها، ولا أن يُقصد إلى ترتيب الألفاظ وتواليها على بُنظم خاص في استقلال عن الفكر. ولكن هذا الترتيب للألفاظ يقع ضرورةً ملازماً للمطلوب الأول، وهو المعنى المدلول عليه في الصورة^(١) وليس الأمر كما ذهب ابن خلدون (إلى أن المعنى تابع للفظ - في مناصرته للفظ -^(٢) ولكن الأمر كما يرى عبدالقاهر، يجعل اللفظ تابعاً للمعنى بالضرورة؛ إذ الألفاظ أوعيةٌ للمعاني، وهي أدواتنا لفهم هذه المعاني. فإننا يجب لمعنى أن يكون أولاً في النفس وجب للفظ الدالّ عليه أن يكون مثله أولاً في المنطق^(٣) فلا يتصور أن يعرف المرء للفظ موضعاً من غير أن يعرف معناه، ولا أن يتوخى في الألفاظ من حيث هي ألفاظ؛ ترتيباً ونظماً، وإنما يتوخى الترتيب في المعاني؛ فإذا تم ذلك تبعتها الألفاظ وقفت آثارهما^(٤) و"إنك إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك، لم تحتاج إلى أن تستأنف فكراً في ترتيب الألفاظ، بل نجدها تترتب لك بحكم أنها حُدْمٌ؛ وتابعة لها ولاحقة بها؛ وإن العلم بمواقع المعاني في النفس، علمٌ بمواقع الألفاظ الدالة عليها في المنطق"^(٥). ولهذا التلازم في العملية الفكرية بين الألفاظ في السياق ودلائلها على معناها العام، يرى عبدالقاهر أنه لا يتصور بحال أن يصعب مرام اللفظ بسبب المعنى، لأنه لا يتصور أن يحصل المرء على المعنى أولاً على حدة، ثم يبحث له عن الألفاظ الدالة عليه؛ إذ أن الألفاظ، من حيث هي ألفاظ لا تُطلب بحال؛ وإنما تطلب من أجل المعاني في الصياغة والسياق. فطلب المتكلم دائماً متوجّه إلى المعنى الذي يريد أن يصوغه في كلام تامّ بدلّ عليه، وقد تعرّض له الصعوبة بسبب اللفظ، ومن أجل ذلك تخلّصت لغة الصحافة من السجع مثلاً؛ ذلك أن صعوبة ما صعب من السجع هي صعوبةٌ عرضت في المعاني من أجل الألفاظ وذلك أنه صعب عليك أن توفق بين معاني تلك الألفاظ المسجعة، وبين معاني الفصول التي جعلت أوداقاً لها، فلم تستطع ذلك إلا بعد أن عدّلت من أسلوب، إلى أسلوب، أو دخلت في ضرب من المجاز، أو أخذت في نوع من الاتساع؛ وبعد أن تعلّقت على الجملة ضرباً من التلطف^(٥).

(١) عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز ص ٤٢ - ٤٣.

(٢) د. محمد غنيمي هلال: السابق ص ٢٩٦.

(٣) عبدالقاهر الجرجاني: المرجع السابق ص ٤٢.

(٤) نفس المرجع، ص ٤٤.

(٥) نفس المرجع، ص ٤٤.

والعملية الذهنية في التحرير يتلازم فيها المعنى؛ والألفاظ الدالة عليه في الجمل مؤنثفة؛ ويدهى أن المطلوب هو المعنى؛ إذ الألفاظ من حيث هي أصوات لا تُطلب أبداً، ولكن المعاني إنما تُطلب بالألفاظ من حيث دلالاتها في التحرير فأنت إنما تطلب المعنى؛ وإذا ظفرت بالمعنى فاللفظ معك، وإزاء ناظرك، وإنما كان يُتصور أن يصعب مرام اللفظ من أجل المعنى أن لو كنت طلبت المعنى فحصلته، احتججت إلى أن تُطلب اللفظ على حدة وذلك محال^(١)، على حد تعبير عبدالقاهر، وهنا نجد أن عبدالقاهر يمس مسألة جوهرية؛ أشار إليها أرسطو، وهي أن عملية النطق مستلزمة للتفكير بالضرورة. ويسم العلم الحديث بأن التفكير على أية صورة إنما يكون بالأعاض، على حين يفكر المرء في صمت في ذات نفسه، واللغة هي وسيلتنا للوعي؛ "بما حولنا، والتعبير عنه"^(٢). يقول "برجسون" في مقدمة رسالته في الأفكار المباشرة للوعي: "إننا نفكر ضرورةً بالألفاظ".

وحيث نذهب إلى أن التحرير الصحفي إنما هو في جوهره تفكير؛ وتعبير؛ فإن هذا المذهب يرجع إلى أن الكلمات رموز لمعاني الأشياء؛ الحسية أولاً، ثم التجريدية المتعلقة بمرتبة أعلى من مرتبة الحس ثانياً. فهي رموز لحالات نفسية هي مادة الفكر، والصوت اللغوي وظيفة عقلية، لها دلالاتها على الكلام النفسي الداخلي، وهذه الحالات النفسية التي تثيرها اللغة ليست فردية محضة؛ لأن دلالتها على الأشياء ومعانيها ليست طبيعية؛ بل هي وضعية اصطلاح عليها؛ فمعانيها المشتركة بين الناس هي التي تعطيها كل قيمتها اللغوية. وبهذا وحده نستطيع أن نفكر بالكلمات؛ ونبنى حججنا عليها بوصفها رموزاً للأشياء، يقول أرسطو:

والكلمات المنطوقة رموزٌ لحالات النفس؛ والكلمات المكتوبة رموزٌ لكلمات المنطوقة؛ والكتابة ليست واحدة عند كل الناس، شأنها في ذلك شأن الكلمات المنطوقة، ولكن المحاولات النفسية التي يعد التعبير دليلاً مباشراً عليها هي عند كل الناس، شأنها في ذلك شأن الأشياء التي تُعدُّ هذه الحالات صوراً لها^(٣).

(١) نفس المرجع، ص ٤٩.

(٢) د. محمد عيسى هلال؛ انرجع السابق، ص ٤٨.

(٣) نفس المرجع، ص ٤٩.

وفي التحرير الصحفي - تأسيساً على هذا الفهم - عمليات عقلية متتابعة؛ تقوم على أساس الفهم التواصلي للغة؛ فالتسمية نفسها تصيف إلى المحسوس ما يزيد به عن مجرد وجوده الحسي. فإننا قلت: (محمدًا) مثلاً، فهذه التسمية تتضمن مبدأ (الإنسانية) إضافة إلى تعيينها هذا الشخص المعروف بهذا الاسم، ومبدأ (الإنسانية) عالمي في ذاته. وبذلك كانت اللغة عند أرسطو رمزاً للفكر فالنطق والفكر عنده متلازمان. ويعدون الكلمات لا يتيسر فكرو ولا علم ولا اتصال. وكلمة (لوجوس) Logos التي من معانيها (المنطق أو العلم) معناها: اللفظ في الأصل؛ ثم صارت تطلق على اللغة، وهي عند أرسطو مرادفة للعقل^(١).

والإنسان لا يواجه الواقع مواجهة أولية، فبدلاً من التعامل دائماً مع الأشياء نفسها؛ يطور الإنسان أفكاراً عن هذه الأشياء، وهو يغلف نفسه بغلاف من الأشكال اللغوية، والصور الفنية، والرموز الأسطورية؛ لدرجة أنه لا يستطيع أن يرى شيئاً أو يعرفه إلا من خلال نظامه الرمزي. وكما قال 'ايكتيوس': 'إن ما يخلق الإنسان ويخيفه ليست هي الأشياء، وإنما آراؤه وتخيلاته عن هذه الأشياء'.

ولقد صور 'الترلمان' عام ١٩٢٢ في كتابه عن (الرأي العام) صورة ممتازة للبيئة الصورية.. فالعالم الموضوعي الذي يتعامل معه الإنسان يخرج عن نطاقه وعن بعده وعقله. ويضع الإنسان لنفسه في رأسه صورة للعالم الخارجي تختلف في مدى الركنين إليها. وهكذا لا يسلك الناس على أساس المعرفة المباشرة والمؤكدة بالعالم الواقعي، وإنما على أساس الصور التي صنعوها بأنفسهم، أو أخذوها عن الآخرين، ويتوقف سلوك الإنسان على تلك الصور التي في ذهنه. وهذه الصور تفك الرسائل التي يتلقاها الإنسان من العالم الخارجي، ويستخدم فيها الصور المخزونة، والتصورات السابقة، والتحيزات، والدوافع، والمصالح، لتفسير الرسائل واستكمالها، وبالتالي توجيه عمل الانتباه والرؤية ذاتها، وتصبح هذه التفسيرات أو التوسعات نتائج أو نشاطاً جامدة.

ويذهب 'ليمان' إلى أن هذه الأنماط الجامدة تقرر السلوك البشري. والأصل في (الخط) أنه تلك اللوح الذي يصنع بأخذ قالب للسطح الطبايعي، وصب المعدن الطبايعي عليه، ونصب عقول الناس، وفقاً لنظرية (ليمان) في قالب.. وهي الصور التي

(١) نفس المرجع، ص ٤٩.

يكونونها عن العالم الخارجي، ثم تقوم العقول بتوليد الأفكار والاستجابة للمثيرات وفقاً لنماذج القوالب. كان "اليمان" يكتب فقط عن العلاقة بين الرأي العام والصحف؛ ومع ذلك فإن فكرته - كما يقول ريفرز - يمكن أن تمتد لتشمل جميع وسائل الإعلام. ذلك أن هذه الرسائل تعمل كمصدر رئيسي للمعرفة يزود الناس بالرسائل من العالم الخارجي. ويستخدم الناس تلك الرسائل لتشكيل الصور العقلية عن عالم الشؤون العامة.

ومواقع الألفاظ من الجمل؛ بوصفها الرسائل التي بها يؤدي المعنى؛ يظهر مزية التحرير؛ ودقة استخدامه للألفاظ في جلاء الصورة. ويمكن النظر إلى الصحف ووسائل الإعلام؛ على أنها تخلق نوعاً من البيئة الصورية بين الإنسان والعالم الموضوعي الحقيقي. ولهذه النظرة معانيها الهامة في فهم طبيعة التحرير الصحفي والإعلامي؛ وما يتميز به . خلال الوسائل - من سرعة وشمول وانتشار.

والألفاظ - في التحرير بأشكاله المختلفة هي وسائل للتفكير والتصوير الإعلامي. ويفتضى هذا الفهم الحرص على دقة الدلالة وسامها؛ وجلاتها في صورة موضوعية؛ وهي خصائص لا يمكن أن تتوافر في التحرير الصحفي والإعلامي؛ إلا بأن يُؤتى "المعنى من جهته، ويُختار له اللفظ الذي هو أحسن - وأكثر - عنه؛ وأتم له. وأخرى بأن يُكسبه نبلا، ويظهر فيه مزية " على حد تعبير عبد القاهر. ولا تكون المزية للكلمة إلا بحسب موقعها من الجملة، لا لتثام معناها مع معنى جاراتها.

وأهمية المضمون؛ في التحرير الصحفي تنحصر في التعبير عنه أي وضعه في شكل من الأشكال الصحفية. وفي هذا إقرار بحرية المحرر ولكنها حرية مسئولة تلتزم بالأخلاقيات والقيم والمبادئ "والمساحة المكانيّة" المحددة في الصحيفة.

هذا الالتزام هو الذي يكسب المحرر؛ وصحيفته، "مصادقية" مصدرها القانون الخلقى، والواجب الفنى في صدق التعبير؛ ودلالته عن الواقع دلالة أمينة.

وقد جاء في كتاب 'التقصير' الذي اشتركت في تأليفه ستة من أشهر الصحفيين والمراسلين الإسرائيليين عقب حرب أكتوبر: 'أن أخطر مظاهر التقصير في حرب أكتوبر بالنسبة لإسرائيل إنما يتمثل في فقدان قياداتها السياسية والعسكرية، للثقة التي كان الشعب يَكُنُّها لها، وكان أهدح أخطائها هو خوف تلك القيادة من عدم تحمل

الشعب الأنياء المؤلة عن الفشل والهزيمة ومحاولات التغطية على المسؤولية الشخصية لبعض القادة عن الهزيمة.

وفي هذا النص من نصوص إعلان الحرب توضيح لماهية 'المصداقية' كمصطلح شاع في هذا الزمان، وهو مصطلح يشير إلى 'الصدق الإعلامي' في وسائل الإعلام، كما يشير إلى 'الصدق الفني' في الأعمال الأدبية والفنية؛ فبالقياس إلى وسائل الإعلام لا بد من تحري الصدق والدقة والإنصاف، فيما تقدم لجمهور القراء، فهذه الوسائل هي 'الرائد الذي لا يكذب أهله' وهي تقوم بدور 'خضام' زرقاء البمامة المشهورة؛ التي كانت تبصر على مدى ثلاثة أيام؛ فتصدق أهلها الأخبار؛ في حين تقوم وسائل الدعاية، التي يشير إليها كتاب 'التقصير' الاسرائيلي؛ بدور 'حرافة' حين تتوخى الكذب الدعائي. ودور 'خضام' هذا في الإعلام، تؤكد الدراسات الحديثة؛ حيث يتلخص عن: إعلاء تقرير صادق وشامل ونكح عن الأحداث اليومية في سياق يعطى لها معنى.

وهذا ما اتسم به 'إعلام' أكثر؛ على النحو الذي يلخصه د. محمد عبدالقادر حاتم في قوله: إن سياستنا الإعلامية تعتمد أساساً على 'تقديم الحقائق للشعب والعالم بأسره بأمانة وموضوعية'.

لقد نثبه 'هتلر' و'فرانكلين روزفلت' و'ويلسون' إلى أهمية الدوافع الأدبية وهم يستخدمونها لأغراض دعائية تختلف عن أغراض الإعلام. الأمر الذي يدفعنا إلى تنقبة جواهر الأدب؛ وجوهر الإعلام على أساس من مفهوم 'المصداقية' الذي يعنى الإحساس بالتعاون والتجاوب بين 'مصدر' الرسالة و'مقلقيها' وهو الإحساس الذي يؤدي إلى نجاح 'الرسالة' الانصالية في الأدب وفي الإعلام. ولذلك تنجهد المدارس النقدية الحديثة إلى نقد متخصص في دراسة استجابة القارئ **Reader – Response Criticism** وتنقل اهتمامها من العمل الأدبي بوصفه بناءً مُنجزاً من المعاني؛ إلى استجابات القارئ وهو يتتبع بعينه الصفحة التي تحتوي النص. وبهذا التحويل في المنظور ينحوّل العمل الأدبي إلى نشاط في عقل القارئ. ويتفق نقاد هذا الاتجاه؛ على أن معاني النص هي 'إنتاج' للقارئ الفرد. ويتبنى التفسير الإعلامي للأدب هذه الآراء حول العوامل الرئيسية التي تشكل استجابات القارئ، والموقع الذي يجب التمييز فيه

بين ما هو مُعطى موضوعي في النص، واستجابات القارئ الفرد؛ والنتيجة، التي يتم التوصل إليها حول المدى الذي يضغط فيه النص استجابات القارئ^(١).

وإذا كان الإعلام المصري في حرب أكتوبر؛ قد أكد على مفهوم 'مصادقية المصدر' Source Credibility، فإن هذا المفهوم من أهم المفاهيم التي يركز عليها التفسير الإعلامي للأدب؛ تأسيساً على ما انتهت إليه بحوث 'الاتصال' من تأكيد للارتباط بين 'صدق المصدر' و'الثقة فيه' من جانب الجمهور، فالرسائل الاتصالية التي يتم بثها من 'مصادر عالية التصديق تزيد من درجة الاقتران بالرسالة'.

وأفضل طريقة لتحديد تأثير المصدر إنما تكون بدراسة المتلقي. وعلى ذلك يغدو مفهوم 'المصادقية' مفهوماً أصيلاً في تفسير الفن والأدب والإعلام؛ منذ تحدث عنه أرسطو؛ ومنذ تحدث عنه البلاغيون العرب.. ومنذ حاول عدد من علماء الإعلام المحدثين تحديد الخصائص والمكونات التي تجعل المتلقي يصدق المصدر، وقبلهم قال أرسطو إنها القدرة على التمييز الحسن والأخلاق الطيبة؛ وحسن نية المصدر، ويؤكد المحدثون هذا الرأي كما يؤكدون على الخبرة والكفاءة ودرجة الثقة، وي طرح المصطلح الخاص بالمصادقية؛ بالقياس إلى الأدب؛ مشكلة الصدق الفني والواقعي من جديد؛ وهي المشكلة التي يقول فيها فلاسفة الفن "إن الغاية الخلقية هي أساس كل تصديق.. ولهذا كان علينا أن ننظر إلى العمل الأدبي كلاً أو مجموعاً لأعلى؛ ولذلك أكد أرسطو أن الفضائل الخلقية والفكرية هي أساس السعادة وأن الكلام هو الذي يجلو النافع وغير النافع ويبين العدل من الظلم، لأنه خاصة الإنسان التي تميزه عن غيره من المخلوقات؛ والفرق بين السوفسطائي المغالط وغيره ليس في الموهبة ولكن في التصديق.

وفي بلاغتنا العربية ينتصر عبدالقاهر لن قال: خير الشعر أصدقاه، لأنه يوجب ترك الإغراق والمبالغة، ونحزى التحقيق والتصحيح واعتماد ما يجري من العقل على أساس صحيح.

وإذا كان البحثي قد تمرد على حدود المنطق؛ فإن الصدق الفني بدوره يؤدي إلى مفهوم المصادقية.. على النحو الذي دفع 'وردفورت' إلى أن يقول: إن الشاعر يشعر

(١) راجع للمؤلف: التفسير الإعلامي للأدب بالقاهرة دار المعارف ١٩٨٠.

ويفكر بروح العواطف اليمشية؛ ودفع بالعقاد إلى أن يقول: إن الشاعر العظيم إذا اتجه إلى الحياة؛ يُسمعك أصداء النفس الأدمية في جهرها وجواها. والذوق الفني في التحرير الصحفي، من الأمور التي ترتبط بمسألة اللفظ والمعنى، ونشير هنا إلى ما قام به بعض علماء الجمال الألمان من بحوث نفيدنا في "فن التحرير الصحفي" ولاسيما حين نتحدث عن مسألة 'الشكل'. وهؤلاء العلماء هم أصحاب المدرسة 'الشكلية'.
Formalist School وعلى رأسهم "جوهان فريدت هزبارت" **Johan Friedrich Herbart** (1776 - 1841) وعنده أن علم الجمال يجب أن يُعنى بخصائص الفن من حيث هو. فلا يصح أن يُلقى بالا إلى الاعتبارات الميتافيزيقية، ولا إلى ما يثير المضمون من عواطف ومشاعر هزلية أو جدية، فهذه عناصر نفسية، خارجة في طبيعتها عن جوهر الفن. والجمال ينحصر. في فلسفة هزبارت. في العلاقات؛ بين الأصوات، أو الألوان، أو الأفكار، على حسب طبيعة الفن، وعلى حسب التجارب الفنية في الحالات الخاصة^(١). وهذه العلاقات الجوهرية ليست محسوسة وإن كانت وليدة. ولا تحتاج إلى تصوير تفهم به، وتتولد من عناصر محسوسة؛ على حين الجمال يتمثل في العلاقات التي يتبعها مباشرة في الوعي حكم بالتصوير غير المشروط. وكلما ارتقى المرء في ثقافته قلّت عنده قيمة اللذة، وارتفع شأن الجمال. وعماد الحكم في الجمال هو الذوق لا المنطق ولا العقل. وحكم الذوق عامٌّ عالمي خالد، لا يتغير في زمان أو مكان، متى بُحنت كل العناصر في علاقاتها بعضها مع البعض الآخر في كل حالة خاصة. وقد تتلاقى الأفكار الجمالية مع الأفكار الخلقية. فالحرية النفسية، والكمال واللطيف، والإنصاف، والحق؛ كلها مدركات جمالية؛ وهي كذلك أفكار أو مدركات حلقية متى طبقت على الإرادة.

والفن حقيقة معقدة، وهي وليدة عنصرين: عنصر غير جمالي، وله قيمة نفسية أو منطقية أو اجتماعية إعلامية أو ما إليها، وهي ما يُطلق عليه: المضمون. وعنصر جمالي محض، وهو نتيجة المدركات الجمالية الأساسية، وهو ما يُطلق عليه: الشكل^(٢).

(١) Croce: op. Cit. P. 93-94. عبد العزيز حموية: السابق ص ٢٤.

(٢) نفس المرجع، ص ٢٥.

وتأسيساً على هذا الفهم؛ فإن هذه النتائج ستتضح لنا حين ندرس الأشكال الفنية في التحرير الصحفي؛ ولكننا هنا نسوق اعتبارات عامة؛ نتبعها بمشينة الله في الفصول التالية؛ بتفصيل للنواحي الفنية في كل شكل من أشكال التحرير الصحفي. ذلك أن لكل شكل من أشكال تحرير الأخبار وفتور العالم، قواعد يجب أن تراعى بصفة عامة في التحرير الصحفي. وهذه القواعد قد تتجدد كلها أو بعضها على حسب التطور؛ ولكنها في كل مرحلة من المراحل؛ تحتفظ بأفكار عامة مشتركة توحد ما بين الفنون التحريرية على نحو ما؛ مهما اختلفت تلك الفنون في درجاتها الفنية. وربما من أجل ذلك أنكروا كثير من كبار النقاد نظريات 'الأجناس الأدبية' كنظريات الشعر، والقصة، والمسرحية وما إليها؛ ورأوا فيها مساساً بحرية الكاتب.

وعلى الرغم من ذلك؛ لا ينبغي المبالغة في هذه الناحية إلى درجة قطع الصلات بين الأعمال الصحفية التي تنتمي إلى فن تحريري واحد. إن أن إخضاع هذه الأعمال للنظريات العامة فيه ما يساعد على إنكفاء الحيوية فيها؛ إذا روعيت المرونة في الإدراك والتطبيق؛ وفيه كذلك ما ينهض بالأدب، ويفنون التحرير الصحفي؛ بوصفها جهداً إنسانياً في الإرسال والاستقبال.



الفصل الثالث

معايير التقييم

المحظي

'الخير' في اللغة العربية : واحد الأخبار.. و ما أتاك من نبأ عمن تستخبر
والخير: النبا، والجمع أخبار، و"أخبار" جمع الجمع.

- فاما قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾، فمعناه يوم تنزل نخبير بما عدل عليها.
- وخبره بكذا، وأخبره: نبأه.

- واستخبره: سألته عن الخبر وطلب أن يخبره، ويقال: نخبرت الخبر واستخبرته،
ومثله: تضعفت الرجل واستضعفته، ونخبت الجواب واستخبرته.. والتخير السؤال عن
الخبر، وفي حديث الحديبية: أنه بعث عينا من خزاعة يتخير له خبر قريش، أي
يتعرف.. يقال: تخير واستخبر: إذا سأل عن الأخبار ليعرفها.. يقال: من أين خبرت هذا
الأمر: أي من أين علمت؟ وقولهم: لأخبرن خبرك، أي: لأعلمن علمك.

- يقال: "صدق الخبير الخبر".

وذلك ما ورد في 'لسان العرب' لابن منظور، أما المعجم الوسيط الذي أصدره
المجمع اللغوي في عصرنا هذا، فيذهب إلى أن:

- الخبر: ما ينقل ويحدث به قولا أو كتابة .

- وعند الناطقة، قول يحتمل الصدق والكذب لذاته.

وفي معجم ألفاظ القرآن الكريم^(١) نجد أن ورود لفظ (النبأ)، يفتح أمامنا
مغالبق التعريف، يتكرر أكثر من مرة.

١ - نبأه بالشيء: أخبره به وذكر له قصته .

ويقال: نبئني هل تزورني غدا، ونبئ علبا أنه لعلى القدر.

نبأت: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ نِعْمَةً وَأَعْرَضَ عَنْ نِعْمٍ﴾ ٢/التحرير

نبأتكما: ﴿قَالَ لَا يَا بَنِيَّ كَمَا طَعَامَ تُزْرَقَانِي إِلَّا تَبَأْتُكُمَا بِتَأْوِينِهِ﴾ ٢٧/يوسف.

نبأنا: ﴿قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾ ٩٤/التوبة.

أي شيئا من أخباركم أو أخباركم على زيادة (من).

(١) محمد علي الشارح: معجم ألفاظ القرآن الكريم الجزء السادس، الهيئة المصرية للتأليف والنشر.

- تَبَانِي: ﴿ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ تَبَانِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ ٢/التحرير.
- تَبَاهَا: ﴿ فَلَمَّا تَبَاهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا ﴾ ٣/التحرير.
- سَأَنْبُوكَ: ﴿ سَأَنْبُوكَ بِمَا أَوَّلَ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾ ٨٧/الكهف.
- أَنْبَيْتُكُمْ: ﴿ قُلْ أَوْفَيْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ نَبِيِّكُمْ ﴾ ١٥/آل عمران.
- ﴿ وَأَنْبَيْتُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ ٤٦/آل عمران.
- واللفظ في ٦٠/المائدة و ٤٥ يوسف و ٧٢/الحج و ٢٢١/الشعراء و ٨/العنكبوت و ٦٥ لقمان.
- لَتَنْبِيئِهِمْ: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنْبِيئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ ١٥/يوسف.
- تَنْبِيئِهِمْ: ﴿ يَصْطَرِّفُ الْمُتَافِيئُونَ أَنْ تَنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ ٦٤/التوبة.
- أَنْبَيْتُونِ: ﴿ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾ ١٨/يونس.
- تُنَبِّئُونَهُ: ﴿ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ ﴾ ٣٣/الرعد.
- فَتُنَبِّئُكُمْ: ﴿ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَتُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ٢٣/يونس، واللفظ في ١٠٣/الكهف.
- فَلَتُنَبِّئَنَّ: ﴿ فَلَتُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا ضَلُّوا ﴾ ٥٠/قصص.
- فَتُنَبِّئُهُمْ: ﴿ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَتُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا ﴾ ٣٣/لقمان.
- يُنَبِّئُكَ: ﴿ وَلَا يُقَبِّتُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ ١٤/فاطر.
- بَيِّنْكُمْ: ﴿ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَتُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ ٤٨/المائدة.
- واللفظ في ١٠٥/المائدة أيضا و ٦٠/١٦٤/الأنعام و ٩٤/١٠٥/التوبة و ٧/سبا و ٧٧/الزمر و ٨/الجمعة.
- يُنَبِّئُهُمْ: ﴿ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ ١٤٤/المائدة. واللفظ في ١٠٨/١٥٩/الأنعام و ٦٤/النور و ٦/٧/الجدال.
- نَبِيٌّ: ﴿ نَفِيٌّ عِبَادِي أَمِيُّ أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ ٤٩/الحج.
- نَبِيئِنَا: ﴿ إِنِّي أُرَاهِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّلِيحَ مِنْهُ نَبِيئِنَا بِمَا أُولِيهِ ﴾ ٣٦/يوسف.
- نَبِيئِهِمْ: ﴿ وَنَبِّئُهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴾ ٥١/الحج واللفظ في ٢٨/القمر.
- نَبِّئُونِي: ﴿ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ١٤٢/الأنعام.

- لَتُنَبِّئُنَّ: ﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُنَبِّئُنَّ ثُمَّ لَنَحْنُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ﴾ ٧٠/التغابن.
- يُنَبِّئًا: ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴾ ٣٦/النجم.
- يُنَبِّئُوا: ﴿ يُنَبِّئُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾ ١٣/القيامة.
- ٢ - أنبأه بالشيء: - نبأه به. ويقال أيضا: أنبأه الشيء.
- أنبأك: ﴿ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا ﴾ ٣/التحریم.
- أنبأهم: ﴿ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ ﴾ ٢٢/البقرة.
- أنبئهم: ﴿ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ﴾ ٢٢/البقرة.
- أنبئوني: ﴿ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ٢١/البقرة.
- ٣ - استنبأه عن الشيء: طلب إليه أن ينبئه به. ويقال: استنبأه الشيء، ويقول من هذا: استنبأه هل يحضر؟
- يستنبئونك: ﴿ وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ ﴾ ٥٢/يونس.
- ٤ - النبأ: الخير ذو الشأن والقصة ذات الجال. والجمع أنباء والنبأ قد يكون من الماضي. وقد يكون عن الآتى، كما فى قوله تعالى: ﴿ لِكُلِّ نَبَأٍ مُّسْتَقَرٌّ ﴾ ٦٧/الأنعام. أى لكل خبر بأن شيئا سيقع وقتاً أو مكاناً يقر فيه ويقع، أو لكل حدث جاء فيه نبأ. وقتاً أو مكاناً يقر فيه .
- نبأ: ﴿ وَاتْلُ عَنَّهُمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا ﴾ ٢٧/المائدة واللفظ فى ٦٧/٣٤ الأنعام و ١٧٥/الأعراف و٧٠/التوبة و٧١/يونس و ٩/إبراهيم و٦٩/الشعراء و٢٢/النمل و٣/القصص و٦٧/٢١/ص و٦/الحجرات و٥/التغابن و٢/النبأ.
- نبأه: ﴿ وَتَعَلَّمْنَ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾ ٨٨/ص.
- نبأهم: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ ﴾ ١٣/الكهف.
- أنبأه: ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾ ٤٤/آل عمران. واللفظ فى ٥/الأنعام و٤٩/١٠٠/١٢٠ هود و١٠٢/يوسف و٩٩/طه و٦/الشعراء و٦٦/القصص و٤/القمر
- أنبأكم: ﴿ وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْتَأْذِنُونَ مِنْ أَنْبَأِكُمْ ﴾ ٢٠/الأحزاب.

وفي الألفاظ الفرأنية الكريمة، تحديات جامعة مانعة، تيسر لنا سبيل الفهم، وتضئ معارفنا الحديثة، التي تعتبر الخبر - النبأ، جزءا من طبيعة الحياة طالما وُجد متحدثٌ يقول، وأنا أن تسمع.

إن الخبر - النبأ، عند المحدثين، تقرير عن حادثٍ يستطيع القارئ، أو جمهور وسائل الإعلام، أن يفهمه، وهو عندهم أيضا: كل جديد يهم أكبر عدد ممكن من الناس... ويذهب ' ولزلي وكاميل' إلى أن الخبر تقرير عن فكرة أو حادث أو صراع له صفة الحالبية أو الجنة ويهم المستهلكين (جمهور وسائل الإعلام). وهناك من يقول: "إن الأخبار هي بعض أوجه النشاط الإنساني التي تهتم الرأي العام وتوجهه وترشده وتسليه وتعلمه' .. أو'الخبر [يراد لحادث وقع حالا يبعث على اهتمام جمهور المستقبلين لوسيلة الإعلام، ليعلم هذا الجمهور بما يريد، بشرط ألا يخالف الخبر قواعد الذوق وقوانين خدش السمعة، وكلما أثار الخير مزيدا من التعليقات زادت أهميته"، وكلما أثار الخبر مزيدا من التعليقات زادت أهميته' و'الخبر هو كل ما تلوكه ألسنة الناس' وهو 'سرد صحيح موقوت لأحداث وكشوف وآراء وأمور من أي نوع تؤثر في القراء أو تثير اهتمامهم' .. والخبر 'هو ما حدث من أمور، وكل ما توحى به الأحداث، وكل ما يترقب على مثل تلك الأحداث".

وقد قال اللورد نورثكيف، منشى الصحافة الإنجليزية الحديثة، إن الشيء الوحيد الذى يساعد على زيادة توزيع الجريدة هو الخير، والخبر هو كل ما يخرج عن محيط الحياة العادية المألوفة. ويكون مدار حديث العامة والخاصة^(١).

وهناك تعريف آخر يقول: إن الخبر الصحفي هو كل خبر يروي رئيس التحرير أو رئيس قسم الأخبار في جريدة عن الجرائد أنه جدير بأن يجمع ويصنع وينشر على الناس؛ لحكمة أساسية؛ هي أن الخير فى مضمونه يهم أكبر جمع من الناس يرون فى مادته (ما فائدة ذاتية أو توجيهها هاما لأداء عمل أساسى؛ أو تكليفا بواجب معين، إلى آخر ما يراه الناس واجبا يتحتم على الصحافة كإداة من أدوات الإعلام أن تؤديه

(١) د. عبداللطيف جعينة، المدخل فى فن التحرير الصحفي (١٩٥٦) من ٥٦ و ٥٥.

نحوهم. ومن هنا نستطيع أن نفرق بين الأخبار العادية التي تتداولها بعض الألسنة، والأخبار الصحفية التي تتداولها كلُّ الألسنة^(١).

أما البلاغيين العرب، وفي مقدمتهم صاحب "البرهان" فيذهبون إلى أن الخير استجلاء للبواطن، ومما يُوصَل إليه "بالخير" مثل الصلاة التي هي في اللغة الدعاء، والصيام الذي هو الإمساك، والكفر الذي هو ستر الشيء، فلولا ما أتانا من الخير في شرح مراد الله، عز وجل، في الصلاة والصيام ومعنى الكفر لما عرفنا باطن ذلك، ولا مراد الله - عز وجل في الصلاة والصوم، ولا كان ظاهر اللغة يدل عليه، بل كنا نسمى من دعا مصلياً، وكل من أمسك عن شيء صائماً وكل من ستر شيئاً كافراً^(٢). وفي هذا الفهم ما يؤكد المنهج القرآني في الإعلام، فقد كان القرآن الكريم نفسه الوسيلة الإعلامية المقدسة. ولا تخفى العلاقة الوثيقة بين لفظ "النبا" و "النبي"^(٣). فالنبي هو من يصطفيه الله من عباده البشر، لأن يوحى إليه بالدين، والشريعة فيها هداية للناس. وأصنئه النبيء بالهمز من أنبأ، لأنه يُنبئ عن الله سبحانه، أو لأنه يُنبأ بما يوحى إليه، جرى فيه التخفيف بقلب الهمزة ياء كما قبل: البرية في البرية. وقد قرئ في القراءات السبعة أنبئ على الأصل. وإذا ورد النبي في الكتاب - معرِفاً بالأ فالمراد به الرسول عليه الصلاة والسلام، وإذا ورد مُكرراً أو معرِفاً بالإضافة فالمراد غيره.

ونحن نذهب مع أستاذنا الدكتور حمزة رحمه الله إلى أن الإسلام دين إسلامي لأنه اعتمد على القرآن .. والقرآن آية الله تعالى في البلاغة، وفي التأثير في نفوس البشر إلى الدرجة التي سجد العرب لها، والقرآن هو أكبر وسائل الإعلام في الإسلام، وقد نص القرآن في كثير من آياته على أن الرسول مكلف من قبل الله تعالى بشيء واحد فقط هو تبليغ الناس هذه الرسالة الجديدة. وأنه لابس مسئولاً عن تصديق الناس لها أو عدم تصديقهم إياها. قال تعالى: 'وما على الرسول إلا البلاغ'

ثم إن القرآن الكريم نزلت آياته حسب المواقف والحوادث التي مرت بالرسول صلى الله عليه وسلم، يستشهد بهذه الآيات التي نزل بها الوحي في كل حادثة من هذه

(١) جلال الدين الحامصي. المنسوب الصحفي من ٢٣. ٢٤. د. إبراهيم امام المرجع السابق ص ٨٧.

(٢) البرهان في وجوه البهتان ص ١١٢.

(٣) معجم الفاظ القرآن الكريم الجزء السادس ص ٨٨.

الحوادث وفي كل موقف من هذه المواقف، وكانت بعض آيات الكتاب تُذمُّ الرسول بما سيحدث له ولأصحابه في المستقبل، وكانت بعض آياته تقف الرسول على أخبار المشركين والمنافقين وما كان يدبره هؤلاء وهؤلاء من المؤامرات ونحو ذلك، كما كانت بعض آياته تنقد حالة المسلمين في كثير من المواقف التي تمرَّ بهم وترشدهم إلى الصواب في هذه المواقف، يقول الدكتور حمزة^(١):

'وإذا نظرنا إلى القرآن الكريم من جميع هذه النواحي الإخبارية وما يتبع هذه الأخبار من نقد وتحليل لمواقف المسلمين والمنافقين ورسم الطريق الذي يسلكه المسلمون تجاه المنافقين ورسم الآداب التي يجب على المسلمين أن يعاملوا بها الرسول، نقول إذا نظرنا إلى القرآن الكريم من هذه الناحية فقط أمكننا أن نعتبر هذا الكتاب المقدس صحيفة الإسلام، إذا صح هذا التعبير، ولكنها صحيفة من طراز آخر يمتاز بالصدق كأحسن ما يكون الصدق وبالفزاهة في التوجيه والإرشاد كأحسن ما تكون الفزاهة، ولا غرو - فإنها صحيفة الله تعالى ومن أصدق من الله قبلاً.

"وأهم من ذلك كله أن هذه الصحيفة الإلهية كان لها الأثر كل الأثر في خلق مجتمع جديد في الجزيرة العربية، هو المجتمع الإسلامي الذي يختلف اختلافاً تاماً عن المجتمع الجاهلي. يدلنا على ذلك أنه أصبح للمجتمع الإسلامي الجديد على يد الرسول مجموعة من القيم والمفاهيم مخالفة كل المخالفة للقيم والمفاهيم التي كانت للعرب في الجاهلية، وبعبارة أخرى أصبح المثل الأعلى للمسلمين على يد الرسول شيئاً مغايراً كل المغايرة للمثل الأعلى للعرب في العصر الجاهلي."

وتأسيساً على هذا الفهم، يمكن تحديد الطبيعة الجوهرية للخبر، وهي التي تفيد اليوم علوم النفس والاجتماع؛ في وضع قاعدة لاستنباط هذا الفن، الذي حدده القرآن خير تحديد، بحيث يمكننا أن نذهب إلى أن الخبر الإعلامي هو بيان للعلاقات المتغيرة بين الإنسان والإنسان وبينه وبين بيئته، والخبر - هو "كل قول أفذت به مستمعه ما لم يكن عنده"، ويُعلمنا ابن وهب، أن من الأخبار "أخبارا تقع بها الفائدة ولا يحصل منها قياس بوجب حكماً، فمن ذلك الخبر المنفي، فإنه يفيدنا انتفاء الشيء الذي ينفيه ولا

(١) د. عبداللطيف حمزة: الإعلام في صدر الإسلام من ٣٩.

يحصل في نفوسنا منه حكم، ويقول إن "الكذب إثبات شيء لشيء يستحقه، أو نفي شيء، والصدق (الإخباري) إثبات شيء لشيء يستحقه، أو نفي شيء عن شيء لا يستحقه. والحلف في القول إذا كان وعدا دون غيره، وهو أن يعمل خلاف ما وعده، فيقال: 'أخلف فلان وعده' ولا يقال 'كذب'."

'والنسخ في الحكم تبديله برفعه ووضع غيره مكانه. وأصله في اللغة وضع الشيء مكان غيره إذا كان يقوم مقامه، ومنه قوله - عز وجل - : "ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها"^(١).

"والنسخ لا يكون في الخبر، لأن الخبر إذا تبدل عن حاله بطل، وفي بطلان قول الصادق وجود الكذب لا محالة، وليس يجوز للصادق أن يخبر بخبر فيكون ضده وينقيضه صدقاً إلا أن يكون خبره الأول معلقاً بشرط استثناء، كما وعد الله - سبحانه - قوم موسى - عليه السلام - دخول الأرض المقدسة إن أطاعوه في دخولها، فلما عصوه حرمها عليهم فلم يدخلها منهم أحد."

فيذا كان الخبر - هو كل قول أقدت به مستمعه بما لم يكن عنده، فما هي الظروف أو خصائص الأحداث التي من شأنها رفع كل قول إلى مرتبة الخبر 'المفيد' ذي القيمة الإخبارية بحيث يكون سره 'مفيداً' للمستمع أو القارئ، ياعنًا على اهتمام الجهور.

في الإجابة عن هذا التساؤل نقول إن الخبر لا يخرج في مفهومه عن الدائرة التي حددها القرآن الكريم الرسالة الإعلامية المقدسة؛ للخبر - النبأ - من حيث أنه 'ذو شأن'، وقصة 'ذات بال' وقد يكون النبا عن الماضي، وقد يكون عن الآتي كما في قوله تعالى: {لِكُلِّ نَبَأٍ مَسْتَقَرٌّ} ^(٢) أي لكل خبر بأن شيئاً سيقع، وقت أو مكان يعرفه ويقع، أو كل 'حدث' جاء فيه نبأ، وقت أو مكان يعرفه، وعلى ذلك يمكن القول إن 'الحدث' ذا القيمة الإخبارية هو الحدث الذي من شأنه التأثير في العلاقات السياسية أو النادية، أو غير ذلك من العلاقات أو تغييرها على نحو ما؛ ذلك أن 'الحدث' الذي له قيمة خبرية هو الحادث الذي يغير الأوضاع القائمة أو يوقع بها اضطراباً، أما الخبر فهو سرّاً لمثل هذا الحادث."

(١) سورة البقرة الآية ١٠٦ .

(٢) سورة الأنعام الآية ٦٧ .

وعلى ذلك فإن "التغيير" سواء أكان واقعياً أو مُرتقياً، يغدو العنصر الجوهرى فى الخبر، والواقع - أن - الخبر لابد أن يكون جديداً والتغيير لابد أن يكون ذا قيمة بالنسبة لجمهور وسائل الإعلام، فيؤثر أحياناً فى نفوسهم، كأن يثير قلقهم على أمر يعينهم من أمر الحياة ويبيعث فيهم أحياناً آمالاً كثيراً يعقدونها على الوزير الجديد أو حتى على الطفل الجديد. ولكن ما نامت الظروف بأقبة على ما هي عليه يوماً بعد يوم، فليس ثمة ما يحرك مشاعر الجمهور العادى سواء إلى أعلى درجات الإنسانية أو إلى أدنى تلك الدرجات. أما إذا حدثت حادثة فإوقعت اضطراباً فى الأوضاع القائمة وأثار نذيرها، كثيراً كان أو صغيراً، آمال جمهور وسائل الإعلام أو مخاوفه، فإن الفرد سواء جهل التغيير الذى طرأ على العالم أو أهمل متابعته، لا يقوى إلا فى الغابر على اجتناب المخاطر أو استثمار الفرص التى ينطوى عليها ذلك التغيير.

وحيث أن "كل نبأ مستقر" كما جاء فى القرآن الكريم، فإن الأخبار التى تتعلق بالمستقبل كأخبار المجالس والمؤتمرات والمشروعات وما إليها هى الأخرى تتعلق بتغييرات وشبكة الوقوع، فلا ينبغي "عزل الأحداث فى حد ذاتها عن سياق ظروفها ومعنى هذا أن الظروف نفسها تبعث على الاهتمام، والواقع أن أحداث المستقبل إنما "تلقى ضلالها" على الحاضر، وعلى المنسوب الصحفى تبعه خاصة هى أن يبصر جمهوره بقرب وقوعها" (١).

ولا يكاد يكون هناك شك، فيما يذهب إليه علماء الصحافة من أن الخصائص الجوهرية للخبر إنما تكمن فى التغيير الذى يحدث أثراً فى الحالة القائمة، كما يكمن حول هذا التغيير، وهو يكمن تبعاً لذلك، فى التغيير الذى يُحتمل أن يطرأ على الحالة فى المستقبل. ومن المؤكد أنه إذا جرت الأمور فى الغد على نحو ما هي عليه اليوم تماماً، أصبحت قراءة الصحيفة، فى صباح اليوم التالى ياعثة على الملل، والأسئلة التى تجول فى خاطر الصحفى، دائماً هى: "ماذا حدث؟" و"ماذا جرى الآن؟" و"ألا من جديد؟" و"أشمة ما يثير" و"هناك ما يؤذن بجديد؟" فإذا لم يطرأ جديد على ألوان النشاط المتعددة فى المكاتب والمصالح ودور الحكومة وعاصمة الدولة، وإذا لم تكن هناك أحداث وشبكة الوقوع من شأنها أن تذر بالحقاق تغيير أو اضطراب فى الحالة القائمة والظروف

(١) استفتاء الأتباء فى (سناتلى جونسون وجوليان هاريس) ص ٢٧ وما بعدها.

الرتيبة، فقد يبدو أنه لا أختيار في ذلك اليوم، فإذا كان عنصر التغيير هو الذي يمثل الحدث الخبري عن الحدث غير الخبري، فإن مدى هذا التغيير وأثره على الجماعة هو المقياس الذي على أساسه يتم 'تقويم' الخبر

الخبر الإعلامي:

يقول العلامة ابن سينا^(١): « لما كانت الطبيعة الإنسانية محتاجة إلى المحاورة لاضطرارها إلى المشاركة والمجاورة، اتبعت إلى اختراع شيء يتوصل به إلى ذلك، ولم يكن أخف من أن يكون فعلا، ولم يكن أخف من أن يكون بالتصويت، وخصوصا والصوت لا يثبت ولا يستقر ولا يزدحم، فتكون فيه مع خفته فائدة وجود الإعلام به مع فائدة انمحاءه إذ كان مستغنيا عن الدلالة بعد زوال الحاجة عنه، أو كان بتصوير بدالاته بعده، فمالت الطبيعة إلى استعمال الصوت ووفقت من عند الخالق بآلات تقطيع الحروف وتركيبها معا ليدل بها على ما في النفس من أثر ثم وقع اضطرار ثان إلى إعلام الغائبين من الموجودين في الزمان أو من المستقبين إعلاما بتدوين ما علم، أما لينضاف إلى ما تعلم في المستقبل، فتكمل المصلحة أو الحكمة الإنسانية بالتشارك، فإن أكثر الصنائع إنما تمت بتلاحق الأفكار فيها والاستنباطات من قوانينها واقتفاء المتأخر بالمتقدم واقتدائه به، أو لينتفع به الآتون من بعد، وإن لم يحتج إلى ما يُضاف إليه بكمل به، فاحتيج إلى ضرب آخر من الإعلام غير النطق، فاختُرعت أشكال الكتابة، وكله بهداية إلهية وإلهام إلهي.

فالخبر الإعلامي إذن؛ شيء مجرد، من حيث جوهر طبيعته، ولكنه كما نُعلمنا ابن سينا، يتخذ وسيلتي الصوت والكتابة، وهو لذلك يرتبط في عصر ثورة الإعلام، بالجنس الإعلامي من حيث الإفادة بمقومات الوسيلة الإعلامية ذاتها، فيصبح لدينا: فن للخبر الصحفي، وآخر للخبر الإذاعي وثالث للخبر المرئي... وتبدأ هنا بدراسة فن الخبر الصحفي تأسيسا على أن تقويم الخبر الإعلامي إنما يتم بطريقتين: تقويم الخبر وفقا للوسيلة؛ ثم تقويم الخبر وفقا للخصائص الذاتية:

(١) ابن سينا: الشفاء المنطق ٢٠٧. العبارة تصدير ومراجعة د. إبراهيم مدكور وتحقيق محمود الخضيرى (١٩٧٠) ص ٢.

فن الخبر والإعلام الكلاسيكي.

إن نوعية الجنس الصحفي كفنٌ إعلامي كلاسيكي، إنما تعود إلى وضوح طبيعته، وقد أجريت تجارب ودراسات عديدة حول خصائص كل وسيلة من وسائل الإعلام، وقدرتها على التأثير في الناس، ونشير نتائج التجارب التي أجراها لازار سفيلد Lazarsfeld ودوب Doob وواپلز Waples وبيرسون Berleson إلى أن المطبوعات كالكتاب والمصحفة والمجلة واللافئات لها مميزات شامة تجعلها تتفوق على غيرها من الوسائل الأخرى، وأهم هذه المميزات أن القارئ يستطيع أن يسيطر على الوسيلة بالطريقة التي تلائمه، فهو يستطيع أن يطلع على الأخبار والموضوعات التي يرغب في الاطلاع عليها، ويراجع ما يريد أن يراجعه بالسرعة التي تناسبه، وفي أي وقت يشاء^(١) وتثير التجارب إلى أن المواد الصعبة يفضل أن تقدم عن طريق الكلمة المطبوعة، ومن الأفضل استخدام المطبوع للوصول إلى الجماهير المتخصصة والجماهير صغيرة الحجم^(٢).

وفي المطبوع، نطلب إلى الكتاب ما نسميه عناصر المعرفة، ونطلب إلى الصحف معلومات وعناصر وأخباراً.

والجريدة - كما يقول جورج دوهاجيل - ضرورية لرجل القرن العشرين فهي نفتح عينه عندما ينهض من فراشه فتوقظه وترميه بحفنة من الوقائع والآراء. والجريدة إقطار الصباح، وهي مكتوبة على نحو يجزك الخيال. وهي تثير النفس وتقص الحوادث وتعرض الآراء، وفي كل يوم تلجأ إلى حيل جديدة، في الطباعة، كما تخصص للصور التي لا تطلب أي جهد مكاناً يزداد يوماً بعد يوم، فهي تسعى إلى استهواء القارئ وهي لا شك تقدم إليه أفكاراً وقواعد وقتيلاً من غسل الأدب، ومن جوهر الفلسفة، ولكنها تحمل إليه قيل كل شيء زائداً من أكوام الحوادث اليومية التي ما تزال حارة.

ويذهب بعض الباحثين إلى أن الكلمة المطبوعة نحتاج إلى مساهمة من جانب القارئ أكبر من تلك التي تتطلبها الوسائل الأخرى من جمهورها، لأن "تكوين" الرسالة

(١) د. إبراهيم أمام الإعلام والاتصال بالجماهير ص ١٧٥.

(٢) د. جيهان شفيق، الأسس العلمية لتقنيات الإعلام ص ٢٤٢.

Harry Goldestein "Reading and Fastening Comperehention at vanous controlledrates N.Y,1940.

المطبوعة أقل اكتمالا، ولا تواجه القارئ بمُحدَّثٍ يسمعه، كما يفعل الراديو، أو يشاهده كما هو الحال في حال السينما أو التلفزيون. ولهذا يسمح المطبوع بحرية أكبر من التخيل وتوزيع الضلال والتفسيرات وما إلى ذلك. فالقارئ لا يحس بأنه جزء من عملية الاتصال كما يحس مستمع الراديو أو مشاهد الفيلم، ولكنه مضطر إلى أن يساهم بشكل خلاق في نوع من أنواع الاتصال غير الشخصي. ويفترض بعض الباحثين أن مثل هذه المساهمة الخلاقة مزايًا إقناعية.

وتلعب الصحافة اليوم دورا هاما في الحضارات الحديثة، ولا جدال - في أن للصحافة تأثيرها القوي على الجماهير، ففضلا عن إيمان الناس بصدق الكلمة المطبوعة إيمانًا يقترب من القداسة والاحترام، نجد أنهم يتأثرون بمضمون الصحف تأثرا عميقا^(١).

ولا ننسى سحر 'الكلمة المطبوعة' في مصر - أو كما يقول العقاد^(٢). "في جنتها قبل أن تبدلها كثرة التداول" وتدخلها الألفة في عداد اليوميات الرتيبة التي تنتظر في أوقاتها ولا تحتاج (إلى لهفة في الانتظار).

ويذكر العقاد^(٣) كمثال على تأثير الصحافة في مصر في مطلع القرن العشرين، أن "أعيان الريف كانوا يحبون أن يشتركوا في الصحف اليومية لأنها مظهر من مظاهر الوجاهة والاهمية" في القرية أو البلدة الصغيرة، ولم يكن بالقليل بين مظاهر الوجاهة اليومية أن يحضر ساعي البريد إلى الدار يوميا ليدق الباب على مسمع من الجيران وينادي بصوت يشبه المنادي باسم 'المحكمة' في ساحة القضاء، .. 'بوسطة'.

فإذا بالحيّ كله يترقب 'سماعا' جديدا بعد هذا النداء، يحبط بأنباء الأرض والسماء، ويتحدث عن المكسوف و'الانجلاطيرا' وملك 'الفرنسا'، أو 'الجمهور' كما كانوا يسمعون عنه منذ أيام حملة نابليون، وياله من 'واعج' وراء الخيال!

والصحافة دخلت إلى الناس مع الديمقراطية في موكب من ضروب العرفان الحديث، فدخل مع الديمقراطية العلم، والصناعة، والآلة الطابعة وهذه جميعا - على حد تعبير الدكتور أحمد زكي - "أشياء تعمل كلها للتقدم جاءت الناس في أوقات متقاربة،

(١) د. إبراهيم إمام "فن العلاقات العامة والإعلام" ص ٢٠٣.

(٢) عصر العقاد: صفحات مطوية في تاريخ الصحافة الوطنية؛ القاهرة مؤسسة بختار ١٩٩٠.

يحمل بعضها بعضاً، ويؤازر السابق منها اللاحق، فكانما كانت هي والناس في الزمان على ميعاد. ومع هذا النمو الذي كادت تضيق به الأرض موضعاً، وتضيق به حيل الناس مسرحاً، جاء التعقيد. فكل شيء هو اليوم مُعقّد: الحكم تعقّد. الصناعة تعقّدت. صلة الرجال بالآلة تعقّدت، صلة الناس بوى الآلة، والناس بوى العَصَل والناس بوى القلم، زالت عنها البساطة وحل محلها التعقيد، حتى كاد الحكم أن يكون محنة، بمشي أصحابه على مثل الصراط، على يمينهم الفشل وعلى يسارهم النجاح، فإن هم وصلوا الصحافة بشعورهم إلى آخر الحبل سالمين، فهذه مشيئة من الله والأقدار. والحكم شعوب وحكومات ونواب. والحكم شرطة وجيش. والحكم قضاء وعدل" وأريد أن أزيد فأقول: والحكم صحافة. وكثيراً ما ضعف الحكم فكانت الصحافة فوق الحكم. أنكر بذلك الصحفي الفرنسي الشهير كليمانسو Clemenceau (١٨٤١ - ١٩٢٩) كان إذا كتب - كتب بأحرف من نار وعصف بالحكومات كما تعصف الأعاصير بالبيوت الرقيقة، وسموه بالتمر لأنه ما يهاجم في صحافته إلا أسال دماً. أفمن أجل هذا سميت الصحافة بصاحبة الجلالة؟! والحق أن الصحافة اليوم دخلت في حياة الناس كما دخل الهواء والماء، أو كما يقول الفيلسوف الكبير "هيجل": إن قراءة الصحف اليومية أصبحت صلاة الصبح عند الإنسان الحديث" فقد أصبحت قراءة الصحف يومياً شيئاً معتاداً للقراء ولا يستطيعون الإقلاع عنه' ولا شك أن هذا التكرار أو الإيقاع المستمر المتواتر من أهم سمات الفن الصحفي، وإذا كان المنطق يقول، إنك إذا أردت أن تتصور قيمة الشيء فعليك أن تتخيل أنك فقدته. فهب أننا فقدنا الصحافة يوماً، وطال اليوم فكان أسبوعاً، فما فوق ذلك، أفقدرى أى شر يقع فيه الناس؟ لقد أظهر الإضراب الطويل لصحف نيويورك في ديسمبر ١٩٦٢ ويناير ١٩٦٣ مدى كون الجريدة آلة ضرورية للحياة الجماعية في تجمع سكني كبير، ويذكر الدكتور أحمد زكي^(١) - أنه حضر زمناً انقطعت فيه المواصلات في العاصمة الكبيرة، فلا ترام، ولا حافلة، ولا تكسية، ولا حنطور: 'وأستحيينا الحيرة' فكانت نواب هذه الأيام، ففي هذه الأيام انقطعت بين الناس روابط المدنية بانقطاع مواصلاتها، واعتري الناس شيء كثير من هلع وهو هلع امتزج بالشيء الكثير من الوحشة.. وأوحش من هذه الأيام التي انقطعت فيها

مواصلات الأجسام، وحشة احتجبت فيها الصحف فكان احتجابها ذهلياً لمواصلات ما بين الأنفوس، لم يُدر حتى ما كان يجري في سائر الأحياء، ولا عرف قريب ما دهي قريبه وأقرباه في أطراف المدينة. واحتجب الخبر الذي كان يأتي مع الإفطار صباحاً، ويأتي مع الإساءة فيظلمن الناس بأن السلام سائد أو هو غير سائد، فيعدون للتأثرات صنوفاً من الحذر كثيرة".

من هذه الصورة يتضح ما تحظى به الصحافة من احترام عظيم وثقة كبيرة يكنها الشعب لها، وخاصة في مصر وغيرها من الأمم المتحضرة، ومع أن التجارب التي أجريت في مصر وسوريا والأردن ولبنان مجتمعة، قد أثبتت أن ٦٣٪ من الجماهير العربية تفضل الإذاعة على الصحافة. فقد كانت النتيجة عكس ذلك بالنسبة لمصر وحدها.

ويرد الدكتور إمام، ذلك إلى تاريخ الصحافة المصرية الحافل بمواقف الجهاد الوطني المشرف، والدليل على ذلك أن كثيراً من الأميين في مصر يشتركون للصحف ليقرأها لهم بعض المتعلمين أو يجتمعون في المقاهي، أو الدور الريفية للاستماع إلى تلاوة الصحف^(١).

والصحيفة تتفوق على الوسائل الأخرى كالإذاعة أو السينما من حيث أنها تعطي القارئ حرية كاملة في اختبار الوقت المناسب لقراءتها، كما أن القارئ يتمكن من إعادة أو مراجعة ما قرأ، في أي وقت يشاء. لذلك كانت الصحف والمجلات والطبوعات، بوجه عام من أصلح الوسائل لتبث الموضوعات المعقدة والدراسات الصعبة ذات التفاصيل المتشعبة.

ويذهب 'ماكلوهان' إلى أن للصحافة وظيفة "اعترافية" بمعنى أنها تثير شعور استنفاف "خفايا المشكلة" بحكم شكلها نفسه، بعيداً عن محتواها، فصفحة الجريدة تكشف خبايا عمل مجموعة اجتماعية ما وتفاعلتها مع عملها ومجتمعها ولذا نجد أن الصحافة تبدو في حرية أكبر حين تكشف عن النواحي القبيحة للحياة. وكما يقول المثل: إن الأخبار الحقيقية هي الأخبار الرديئة، أخبار رديئة عن شخص أو بالنسبة له، في سنة ١٩٦٢ حرمت مدينة 'مينابوليس' من الصحف لعدة شهور، وكان مدير الشرطة

(١) من العلاقات العامة والإعلام ص ٢٠٣.

يقول: 'صحيح أن الأخبار تنقصني ولكن فيما يتعلق بعملى فأرجو أن يظل بلا صحف إلى الأبد، فالجرائم نقل بدون صحف لا تحدث عنها، وبالتالي لا تزوج لها بين الناس.

وحتى قبيل الاستخدام التلغرافى، اقتربت صحف القرن التاسع عشر كثيرا من الشكل الفسيخسفاثى بتعبير "ماكلوهان"، ولقد انتشر استخدام الطابعات الدوارة (روتاتيف) قبل ظهور الكهروباء بعدة عقود. ولكن الجمع البدوى للحرف ظل مفضلا على كل الوسائل الميكانيكية حتى اختراع الليبوتيب، حوالى ١٨٩٠. لقد أصبح بإمكان الصحافة بفضل الليبوتيب، أن تكتيف شكلها حسب امتحان التلغراف والطابعات الدوارة بصورة أفضل، وإنه لمن الغريب أن "الليبوتيب"، الذى حل مشكلة بطء الجمع اليدوى القديمة، لم يكن من اختراع قوم كانت هذه المشكلة نخصهم، لقد أنفقت ثروات طائلة عيثا على اختراع آلات جمع الحروف، إلى أن جاء شخص يدعى 'جيمس كاليفان' كان يبحث عن وسيلة لكتابة واستنساخ مذكرات مختزلة بطريقة سريعة، فتمكن من أن يزاوج بين آلة الجمع والآلة الكاتبة، لقد حلت هذه الآلة مشكلة جمع الحروف المطبعية. هذه المشكلة التى كانت من طبيعة مختلفة تماما.

والخير هو أول ما تعطيه الصحافة؛ ولكن يناهض الخبر خطورة تفسير هذه الأخبار والكشف عما وراءها من محجبات الأمور" وما لابسها من خافيات الأغراض والأهداف، فى شتى بقاع الدولة الواحدة، وفى سائر الدول والأصقاع، فى زمان قد يكون ما بين دولة ودولة أقرب مما يكون أحيانا بين طرف وطرف من الدولة الواحدة مترامية الأطراف... يقول الدكتور أحمد زكى^(١).

'وأنا إذا تحدثت عن الخبر الذى تأتى به الصحافة، انصرفت الأذهان إلى الخبر السياسى، والخبر السياسى لاشك خطير، ولكن وضعه فوق الأخبار جميعا داء قديم، إنه إلى جانب الخبر السياسى توجد أخبار مناشط الحياة وما نغلا من الحاجات وما يخص أخبار الصادر والوارد من البلاد. أخبار الأرزاق جميعا، من رزق عامل ورزق كاتب، وأخبار الناس فى مجتمعهم، فى أفراحهم وفى أحزانهم وفى مجارى العيش السوية التى لا تصل بأفراح وأحزان. والأمن له خبر واختلال الأمن له خبر أكبر، وقد

(١) المرجع السابق ص ١٠.

تطويع الجريمة في الناس فتحتل مكان الصدارة من الصحف كما يحدث اليوم حين تحتل الجرائم الجنسية رؤوس صحف، في بريطانيا وأمريكا، والحرب لها خبرها، والسلام له خبره. والمخترعات والمبتدعات فيما يضر الناس وما ينفع لها خبرها.

إن زيادة وسائل سرعة نشر الأخبار أوجدت بطبيعة الحال طرقاً جديدة لتقديم النص إلى القارئ. وفي سنة ١٨٣٠ كتب الشاعر الفرنسي "لامارتين": "إن الكتاب يصل متأخراً أكثر ما ينبغي" مشيراً بذلك إلى أن الكتاب والجريدة شكلان مختلفان تماماً، يقول ماكلوهان: "وإننا أبطأنا في جنس الأخبار وفي جمع حروف النصوص، فلا بد أن يحدث تغيير ليس في المظهر الخارجي للصحف فحسب، بل في أسلوب من بحرها كذلك، وأول تغيير كبير في الأسلوب حدث في بداية القرن الثامن عشر، حين اكتشف أديسون Addison وستيل Steele للصحيفتين الشهيرتين: "تاتلر" Tatler "سبكتاتور" Spectator تقنية جديدة للكتابة تماشى مع شكل المطبوع؛ هي تقنية الأسلوب الثابت المباشر

وليس من قبيل المصادفة أن يكون جمال الدين الأفغاني ويعقوب صنوع والأستاذ الإمام محمد عبده ومصطفى كامل وأحمد لطفى السيد ومحمد حسن هبكل وعبدالقادر حمزه، من رواد الصحافة المصرية الذين جمعوا بين الثقافتين العربية والأوربية، وقد استطاع هؤلاء بجهودهم الرائعة أن يكتشفوا لغة الفن الصحفى العربى؛ التى تقرب من لغة الأدب؛ وتتنازل بالسلاسة والواقعية والتبسيط^(١).

إن تقنية الأسلوب الصحفى الجديد، كما يقول ماكلوهان؛ تقوم على التوجه إلى القارئ مع الاحتفاظ بمستوى الأسلوب ذاته، من أول النص التحريرى إلى آخره. وبهذا الكشوف وصل هؤلاء الرواد فى الصحافتين الأوربية والعربية، الكلام المكتوب بجوهر المطبوع، وخلصوه من تنوع نغم اللغة المنطوقة، بل اللغة المخطوطة أيضاً، وإنه لمن المهم أن نفهم جيداً ظاهرة تطابق اللغة على المطبوع، ذلك أن التلغراف، أعاد فصل اللغة عن المطبوع، مما أدى إلى ظهور هذه الأصوات غير المفهومة التى يطلق عليها "مانشيت" أو الأسلوب التلغرافى. هذه الظواهر لا تزال تضايق رجال الأدب بعادتهم المتكلفة

(١) د. إبراهيم أحمم: دراسات فى الفن الصحفى ص ٤٥.

باتخاذ الأسلوب المستمر الذي يقلد التماثل الطبيعي، "فلمانتشبات، والعناوين الرئيسية للصفحة الأولى أسلوب مثل:

رسالة الرئيس مسارة من الملك فهد.

الخويعر: علاقات قوية تربط مصر والسعودية

الأمير هيثم الله يلتقي
بموسى والهبان بالروافح
الشيخ ولي العهد السعودي
عبد الله بن عبدالعزيز سار إلى
من وزير الخارجية المصري
والدكتور أسامة كمال مستشار
مصر سارة فستن هسليتا
الإشعاع وزير الخارجية
الأمير هيثم الله

تضم الرئيس مسارة رسالة من سموه المصري كرسره، للوجه من
مؤلفين خلال استقبله أسامة كمال وزير الخارجية وزير دولة
الوزراء السعوديين.
ويصحح الرئيس السعودي على إنفلة بار. الرسالة تعلق بكل ما
التحليل والملائمة الوطنية والتي تربطها في مصطفى الملك
رعاة إلا كانت هناك علاقة بين فرام أحد الوزراء السعوديين منارة إلى
وزر، الرسالة التي تم تلخيصها فيروز كرسره، سارة كمال وزير
رسالة تعلق بكل ما استقبله أولها من إن أخيه عما يوم التفت
والطائر وزير إلى العلاقات الصعبة التي تربط مصر والسعودية
التي تبذل مع لقاء كرسره إن سعود. وبمسة كمال - وكلمة بالأساس
السعوديين من مصر. وأكد كرسره السعوديين وهم القيادة من
الملك فهد والشيخ هسليتا
الرئيس من سعد الشريف
السعودية بالملك

www.egypttoday.com

واشغلنا تعتبر أن هناك خطوة في الطريق الصحيح

نتانيا هو يلغي تجميد الاستيطان في مناطق حدتها حكومة العمل

موسى يعد لقائه بالوهد الإسرائيلي:

إن يتم إنقاذ السلام بعودة إسرائيلية.. بلاهداتية
قرار إسرائيل بإعادة الانتشار.. عام وغامض

ويذهب ماكلوهان كذلك إلى أن معالجة الخبر ونشره لم يكونا النشاط الرئيسي للعالم الميكانيكي والصناعي، في حين أنه الآن النشاط الأساسي والمصدر الأول للثروة في العالم الكهربائي. ففي نهاية العصر الميكانيكي كان الناس لا يزالون يعتقدون أن الصحافة والراديو، بل والتلفزيون أيضا، إنها هي أشكال من الإعلام يمولها صانعو ومستهلكو المنتجات "الحقيقية" كالسيارات، والصابون، والبزيرين، وكثما تمد الآلية الذاتية (الآتوميشن) نفوذها يصبح من الواضح أن السلعة الأساسية هي الإعلام، وأن الأموال الحقيقية إنما هي ثانوية بالنسبة لصناعة الإعلام.

ويذهب إلى أن الجريدة لم تتجه منذ البداية إلى شكل الكتاب، ولكن نحو شكل فسيخسائي يقوم على المشاركة. ومع زيادة سرعة الطبعة وجنى الأخبار، أصبح هذا الشكل الفسيخسائي أحد المظاهر السائدة للمجتمع البشري. وبالفعل فإن هذا الشكل ينطوي على مشاركة ايجابية أساسية لتنشيط المؤسسات الديمقراطية. وفي الوقت نفسه لا يمكن قطعاً أن يقوم الكتاب أو الأدب مقامها. يقول ماكلوهان:

"إن أول ما يبحث عنه قراء الصحيفة هو ما يعرفونه من أخبار. فحين نشاهد حدثاً أو مباراة، أو هبوطاً في سوق الأوراق المالية، أو عاصفة رملية، فإننا نبادر بالبحث عن وصف ما حدث. لماذا؟ إن الإجابة عن هذا السؤال أساسية لفهم وسائل الاتصال لماذا يحب الطفل أن يكثر من الكلام عن أحداث اليوم بشكل غير مترابط؟ كيف نفسر تفضيلنا لروايات وأفلام تكون شخصياتها وديكوراتها مألوفة لدينا؟ أن يرى الناس المنطقيون تجربتهم، أو يتعرفوا علينا في أشكال مادية جديدة؛ هبة من هبات الحياة التي لا تقدر. والتجربة المنقولة إلى وسيلة جديدة من وسائل الاتصال تجعلنا نرى أو نسمع، تماماً نسخة سائغة لوعي سابق "إن الصحافة تثقل الإحساس الذي شعرنا به باستخدامنا لحواسنا. وباستخدامنا لحواسنا ولقدراتنا نستطيع أن ننقل ونغير العالم الخارجي، إلا جوهر تواننا ذاته، وإن احتدام النقل يفسر لماذا يريد الناس عزيزاً أن يستخدموا كل حواسهم على الدوام. وهذه الإمتدادات الخارجية لحواسنا وقدراتنا والتي نسميها وسائل اتصال، نستخدمها على الدوام بقدر ما نستخدم عيوننا وأناثنا. للأسباب نفسها، وعلى العكس، فإن 'رجال الأدب' يعتبرون هذا الاستخدام المنتظم والدائم لوسائل تحقيقنا، وفي عالم الكتب فإن الأمر ليس مؤلفاً لهم.

ويقصد ماكلوهان بالشكل الفسيخسائي للصحافة: أسلوب الصورة الجماعية أو المشتركة التي تستلزم مشاركة في العمق، وهذه المشاركة جماعية أكثر منها خاصة. وجماعة أكثر منها مانعة. وبعد أن كانت الأخبار بالنسبة للصحافة القديمة شيئاً خارجاً عنها، ولم تكن للصحيفة سلطة عليها، أصبحت اليوم تشعر بأن الأخبار توجد لكي تروى وتحكى. وليس هذا فحسب، وإنما لكي تستقى ويبحث عنها، بل ولكي تصنع" وإن المصطلح المعروف باسم "المانشيت"، والذي يسميه ماكلوهان "صنع العناوين الرئيسية" غامض إلى حد الغرابة. حيث أن وجود حدث في الصحيفة يعني في الوقت

نفسه أن يكون الحدث خيرا، وإن يصنعه وهكذا فإن 'صنع العنوان الرئيسي' يعنى عملا كاملا من الأعمال والخيالات في وقت واحد. غير أن الصحافة هي عمل وخيال يصنعان يوميا. وهي - أي الصحافة - تُصنع تقريبا من كل ما يمكن أن نجده في المجتمع وبواسطة الفسيفساء 'تغدو صورة أو قطعة من المجتمع'.

وإذا نظرنا إلى الصحافة فنسجد أنها بالتعبير الماكلوهاشي: 'فسيفساء'، وتنظيم يستلزم المشاركة، وضرب من العالم الذي يجب أن تصفه بأنفسنا، ويغدو من السهل أن نعرف لماذا هي ضرورية للحكومة الديمقراطية. وفي تحليل للصحافة بعنوان: الفرع الرابع للحكومة يلاحظ 'كاتر' Cater بدهشة ودون أن يعرف الكيفية، أن الصحافة هي التي تربط مختلف الخدمات ببعضها البعض من ناحية، وبالأمّة من ناحية هذه الخدمات التي تتشعب وزارات الحكومة إلى شعب من أجلها.

ويذهب ويكهام ستيد Wicham Steed من أعلام الصحافة، إلى أن من الصعب على الصحيفة أن ترتفع عن مستوى القراء. ولذلك كان من الصدق أن يقول: إن للامة الجريدة التي تستحقها، كما يصدق حين يقول أيضا: إن الذوق العام للجمهور قد يتأثر بالصحف التي تؤثر في الغرائز المنحطة للقارئ، ذلك أن الصحافة كما يقول العقاد^(١): 'تابعة للامة التي تعيش فيها، وليست بسابقة لها ولا مترقية عليها، وإذا اتفق في موقف من المواقف الفادرة أن تقدمت الصحافة على أمتها فذلك ولا ريب عارضة لا تدوم. لأن الصحافة إذا تقدمت أمتها على الدوام انقطعت عنها، وليس في وسع صحيفة من الصحف أن تنقطع عن قارئها وعن البيئة التي تكتب لها، وهي مضطرة إلى الرجوع إليها يوما بعد يوم، أو أسبوعا بعد أسبوع، أو شهرا بعد شهر، كما تضطر جميع الصحف اليومية والمجلات الدورية'. يقول العقاد:

'إن الصحافة المثلى هي صحافة مستقلة في آرائها مختصة في نواحيها أمينة في أداء رسالتها، خادمة للثقافة والأخلاق فيما تنشره من موضوعاتها وأخبارها.

'وفي مقدورك أن تؤدي هذه الشروط بعبارة أخرى مرادفة لها كل المرادفة وهي أن الصحافة المثلى هي صحافة الأمة الميرة الرشيدة. والتميز في الأمم ثمرة من ثمرات التعليم والفطرة المستقيمة.. فإذا كانت الأمة متعلمة قوية الفطرة فلا تشتترط

(١) عصر العقاد: السابق ص ١٢٩.

فيها شروطاً للصحافة لأنها لن تروج فيها إذا هي خالفت شروط الاستقلال والأمانة، والخدمة القومية التي تقدم مصلحة الوطن على مصالح الأحزاب والأفراد.

"ونحن نلمح أثر التقدم في صحافتنا كلما لمحنا أثر التقدم في أقوامنا وجماهيرنا فنحن اليوم خير مما كنا بالأمس، ونحن غدا فيما نرجوه . خير مما نراه اليوم".

وقد بيّن 'ويكام ستيد' مهمة الصحافة في جمع الأخبار التي تهتم الرأي العام وإعلانها وتفسيرها، وهذه المهمة مفيدة قيمة ما في هذا شك وفيها كثير من المسئولية ولكن فيها أيضا كثيرا من المشرف والفخار

والصحافة صورة حديثة من الخدمة الاجتماعية قد نهضت وانتعشت بفضل الطباعة، ولم تلبث أن ازدادت نهوضا وانعاشا وامتلاّت حياة ونشاطا بفضل الانتقال من المرحلة البدائية إلى المرحلة النيكانتكية، فأمكن بذلك أن تُجمع الأخبار، وأن توضع في إطارات معدنية وأن تُنشر على الناس بكميات كبيرة.

وربما حان الوقت الآن لدراسة التغيرات التي أحدثتها اختراع التليفون والراديو والتلفزيون؛ في الصحافة. فقد سبق أن رأينا - عند ما كلوهان - أن التلغراف هو العامل الأساسي الذي شارك أكثر من غيره في خلق الصورة الفيسفائية للصحافة الحديثة بكتلة مقالاتها التي لا رابط بينها ولا صلة. إن هذه الصورة الجماعية للحياة المشتركة، التي حلت محلّ وجهة النظر أو التوجيه الصحفي، هي التي تخلق المشاركة في هذه الوسيلة. وحين ألغى التلغراف الزمان والمكان من الأخبار فقد خفف من حميمية شكل الكتاب، وبالمقابل دعم صورة الجمهور الجديد في الصحافة.

ولعل أهم أثر للتلغراف، هو ما تتميز به لغة الفن الصحفي اليوم. ونذكر أن 'ويكام ستيد' قد لجأ إلى الصحفي الكبير 'سي. ت ستيد' يسأله النصح في ميدان الصحافة، فقال: 'ستيد' 'الستيد':

'كل ما يحضرك في الكتابة أسرع ودونه، ويعد أن تدونه تصور أنك سوف ترسله بالبرق وأنت في بلدك إنجلترا إلى استراليا على نفقتك الخاصة بحيث تكلفك الكلمة الواحدة سلنا، وعلى هذا ينبغي أن تحذف ما لا فائدة منه ولا عناء فيه، وستجد في النهاية أنك حذفت كثيرا وأبقيت قليلا ولكن هذا القليل هو ما ينبغي أن ترسله إلى صحيفتك'.

وإن كان التلفزيون قد قصر الجملة، فنستطيع أن نقول مع ماكلوهان إن الراديو قصر عمر التحقيق، وأن التلفزيون أعطى أسلوباً استهفامياً للصحافة والواقع أن الصحافة ليست فقط فسيقفاً للمجتمع الإنساني بصورة عن بعد، ساعة بساعة، ولكن تكنولوجيتها هي نفسها فسيقفاً مكونة من تكنولوجيات المجتمع، وحتى في اختبارها لما هو جدير بالذشر، تعلن الصحافة عن تفضيلها للأشخاص الذين لهم بعض الشهرة في السينما والراديو والتلفزيون والمسرح، ويتيح هذا الواقع فهم طبيعة الصحافة كوسيلة للاتصال. وبالفعل فإن الناس الذين لا نسمع عنهم إلا من الصحف هم أناس عاديون في الواقع!

تقويم الخبر:

يدين مما تقدم أن تقويم الخبر يقوم على أساسين، الأساس الأول هو تقويمه وفقاً لخصائص الجنس الإعلامي، والأساس الآخر هو تقويمه وفقاً لخصائصه الذاتية، ذلك أن الخبر - ككل، شيء مجرد، وكما يبين من التعريفات المتباينة حوله، لا يقوم وفقاً للوسيلة الإعلامية التي تنتشره أو تذيبه فحسب، ولكنه تأسيساً على الفهم القائل بأن الخبر سرد لعلاقات الإنسان المتغيرة مع بيئته يصبح ذا قيمة خبرية، عندما يغير من الأوضاع القائمة. وهنا نتساءل عن الخصائص التي ينبغي توافرها في الخبر حتى يكون هاماً في نظري وسائل الإعلام، وما هي الأسس التي تجعل خبراً من الأخبار يتقدم لينشر أو يُذاع؟.

وللإجابة عن هذا السؤال؛ نتبع - رحلة الأخبار مع أسرة عادية، ولتكن أسرة السيد 'زيد' الذي استرعى انتباهه في الصفحة الأولى من صحيفته عنوان على أربعة أعمدة حول:

١٩ نوفمبر ١٩٩٧

مجلس «الدوما» يناشد يلتسين إقالة وزير مانيته

ويطالع السيد 'زيد' العنوان بسرعة، ولكنه لم يكن مهتماً بمتابعة الخبر أكثر من ذلك؛ فبكتفى بالعنوان ثم ينتقل إلى عنوان آخر أكثر إثارة 'وهو':

الأشغال المؤيدة لجنايني زرع حديقة فيلا بمخدومه بنبات الجانجو في السويس

يستعرض السيد (زيد) الفقرتين الأولىين من هذا الخبر مكتفياً بذلك. قالجنايني لم يكن معروفاً للسيد زيد. إلا أن الذي اجتذب انتباهه في العنوان هو كلمات: الأشغال المؤيدة - جنايني.. حديقة فيلا - السويس. فهذه الكلمات كانت الدافع القوي وراء اهتمامه بالخبر، وذلك لأنه من مواليد مدينة السويس، وإن كان قد اغترب عنها لسنوات طويلة. أما الكلمات الأخرى فقد جذبت انتباهه؛ لأن زراعة الخدرات ممنوعة بطبيعة الحال؛ ولكن أن يزرعها "البستاني" في "حديقة منزل مخدومه" فذلك هو غير المألوف.. انتقلت عينا السيد زيد؛ بعد ذلك فوقعنا سريعاً على عنوان جديد وفي حقيقة الأمر؛ فإن هناك العديد من الاعتيادات التي تكمن خلف اختيار هذا التنظيم أوذاك وتتصل بموقف الجمهور من الموضوع واهتماماته.

والتحرير الصحفي - كما تقدم - يركز على تحويل الأحداث؛ والمعلومات؛ إلى أخبار وموضوعات؛ ومقالات، وتمت هذه العملية في ثلاث مراحل: البحث، الاختيار، والكتابة (التحرير في قالب صحفي)، وتتم جميع هذه المراحل عبر دورات معقدة أو بسيطة، أبسط دورة منها تتعلق بحدث منظور ومهم وقريب. مما يبرر عمل المندوب الصحفي. وتنتهي عملية الاختيار عندما يطلع المندوب على الحدث ثم ينقله ليحرره سكرتير التحرير في قالب صحفي. ولا يبقى من الدورة إلا الطباعة والنشر؛ ولكن، في الحقيقة، إن عدداً كبيراً من الأسباب يتدخل في عملية الاختيار^(١). فالبحث عن المعلومات، هو أساساً، من واجب المندوب. وتحرير الخبر من واجب المندوب أيضاً؛ جزئياً ولكنه من مسؤولية سكرتير التحرير الأساسية. وهاتان العمليتان، أي البحث عن الخبر وتحريره، تشكلان المرحلة الأولى والثانية من الوظيفة الصحفية، والاختيار بعد البحث، يمثل المرحلة الأولى، ولو قام به المراسل أو المندوب أو سكرتير التحرير أو محرر الأيواب الثابتة. وليست هناك صحيفة تستطيع نشر كل ما يحدث في العالم ليحرره،

(١) فيليب جابار: تقنية الصحافة؛ ترجمة فادي الحسيني.

أو ما يصل إليها، عبر الوسائل العديدة الموضوعة تحت تصرفها، وأول عمل للصحفي عندما تبدأ الدورة الإعلامية، هو أن يختار الوقائع التي سيحولها بالتحرير إلى أخبار فعلى كل صحفي أياً كانت وظيفته، أن يأخذ قراراً بالاختيار، عدة مرات أو عشرات المرات في اليوم، وهذه الاختيارات المتعددة تتصارع وتتداخل لتثير تدريجياً كتلة وقائع اليوم المتخمة، ولتؤدي إلى "موجز" الصحيفة، مراسل الصحيفة أو وكالة الأنباء هو "الديديبان" الذي يقوم بدور "خزام" كما تقدم؛ وهو "الذي يمثل الصحيفة في المكان المعين، وهو أول من يختار ويقرر ما هو جدير بأن يعرف خارج المجموعة الإنسانية؛ التي يقوم فيها بدور آذان بقية العالم وعيونهم، ومسؤولية المراسل كبيرة، فإذا أهمل واقعة لها عواقب مهمة، فما من أحد يستطيع تثير عيابه، وإذا نقل جميع الوقائع التي تصل إلى حد علمه، خوفاً من إهمال واقعة مهمة، فيكون قد أغرق التحرير في أوراق لا قيمة لها وباختصار لا يكون قد قام بعمل صحفي. والمندوب الموجود على مسرح الأحداث لا يتمتع بصلاحية الاختيار؛ لأن وجوده في هذا المكان المعين يعنى نهاية الاختيار.

ولكن عليه أن ينفذ أمام التفاصيل المختلفة ويستوضح قبل أن يأخذ قراراً. وسلسلة القرارات هذه، سلسلة غريزية إجمالاً، فإذا وقع المندوب تحت تأثير حركة الأحداث التي يراقبها، قد لا يجد الوقت الكافي للتفكير والاختيار^(١).

وسكرتير التحرير هو آخر من يختار. فقبل أن يفرغ كتلة المواد، التي ستصبح أنباء اليوم، في قالب صحفي، عليه أن يشذب ويختصر ويهمل بعض العناصر. وهذا الاختيار يؤله أحياناً، لكنه يعلم أن المنفذ الوحيد أمامه هو قراره الحازم في أن يقدم أولاً يقدم؛ للجمهور هذا العنصر الإعلامي أو ذلك، في جميع الحالات الاختيار حاسم؛ فالمراسل يستطيع أن يضاعف إرسال الكلمات عشر مرات، إذا رأى ضرورة لذلك؛ والمندوب يستطيع أن يكتب عشرة أسطر زيادة على المطلوب. أماسكرتير التحرير فهو سجين المساحة الموضوعة تحت تصرفه.

فالتأكيد على أهمية الاختيار هذه المرحلة المجهولة من نشاط الصحفي، أمر ضروري، لأن هذه المرحلة، وإن كانت لا تترجم إلى عمل ملموس، تمثل المرحلة الأولى التي

(١) نغرين المرجع ص ٢٤.

تحدد حركية الإعلام، والاختيار يصبح سهلاً في الحالات المتطرفة. على أن الانتقاء عملية دقيقة لا نترك لذوق التحرير وحده، بل تتم من خلال موازين دقيقة منها ما هو عام، ومنها ما يتعلق بالمؤسسة الصحفية.

وترتبط المقاييس العامة للاختيار في التحرير الصحفي بالحدث نفسه؛ وهذه المقاييس هي الدلالة؛ والحالية الإعلامية. أما المقاييس الخاصة بكل مؤسسة صحفية؛ فهي ترتبط بجمهورها، ويمكن تلخيص هذه المقاييس في معيار واحد هو معيار الأهمية.

أولاً: الحالية الإعلامية:

إن الأخبار كما نعرف إنما تعنى شيئاً جديداً، ولا يشك الجمهور في ذلك مطلقاً. فهو حين يفتح صحيفة أو حين يجلس أمام الراديو أو التلفزيون في موعد الأخبار إنما ينتظر جواباً عن سؤال عام: "ماذا حدث من جديد؟".

وقد نجد بعض التطرف في السعي الدائب وراء الأنية التي تميز الصحافة المعاصرة، فالركض وراء سبق الصحفي، أي وراء الخبر الجديد الذي سينقل، يجرى أحياناً على حساب الخبر وإذا كان هذا السياق يشكل حافزاً للصحفيين، فهو بصطدم بلا مبالاة الجمهور ولكن، ومهما يكن الأمر، فهو قانون من قوانين الصحافة الحديثة، ومن العبث تجاوزه، فوكالة الأنباء ومحطة الإذاعة التي تسبق غيرها في نقل حدث مهم، تكتسب شهرة كبيرة. وأخيراً رغم أن الصحافة المكتوبة تتأخر بدوريتها البطيئة، نوعاً ما بالمقارنة مع الدفع المتواصل بين الرسائل التي تلتقيها، فإن لكل طبعة، دقيقة مصدرة، بعدها لا يمكن لأي خبر يصل إلى التحرير أن يعرف طريقه إلى النشر ومن عادة الجمهور أن يقرأ ويسمع، ولا يلاحظ عموماً أن صحيفة ما خسرت السياق إلا عند وجود الأحداث المهمة، والنشء نفسه يقال عن حالة الحدث الذي تنقله الصحيفة إليه، فالفارئ لا يدرك أن السرعة غير ممكنة، وهي محدودة بالإمكانات التقنية، وهو يقرأ حفيظة ما جرى أثناء نومه، عند تناوله الإفطار.

يقول الأستاذ فيليب جايار:

"هذه الحاجة إلى الأنية واضحة عندما يستحث الإعلام جمهوره، أي قسماً من الجمهور، إلى التحرك الإيجابي، وهنا يؤدي تأخر النشر إلى عواقب سيئة، في حالة

الإعلان عن مظاهرات سياسية أو نقابية أو رياضية أو ثقافية. والشئ نفسه يقال، اليوم، عن تأخر نشر أخبار حركة اليورصة، وأسعار المواد الأولية. كما أن تأجيل نشر بعض المراسيم والقوانين التي تدعو إلى ضبط التصرفات مباشرة، وتأجيل نشر إنذارات الحرب أو الفيضانات التي تتطلب استعدادات على المستوى الوطنى والعائلى والفردى، يؤدى إلى عواقب سيئة.

وعندما تكون المصلحة الفردية بعيدة عن المساس، فالوحدة الوطنية والعالمية، فى أيامنا هذه، أوجدت الحاجة إلى معرفة ما يجرى فى الطرف الثانى من البلاد أو من العالم، فور حدوثه. فالحالية إذاً من أهم عناصر التقويم الصحفى. مما يعنى أن يواصل الصحفى جهاده؛ ليطلع وينقل. فى أسرع وقت ممكن، الأحداث المعبرة عن أهمية والجديرة بالاهتمام. فالأخبار التي يتأخر نشرها، تقل نسبة الاهتمام بها. والخبر الذي يمكن أن يحتل خمسة أعمدة فى الصفحة الأولى عند تذييله بـ "عاجل - من مندوبنا الخاص"، لا يستحق أن يكون أكثر من خبر على عمود؛ فى إحدى الصفحات الداخلية، لو علم به التحرير عند قراءته فى صحيفة أخرى.^(١)

والخبر لا بد أن يكون قريباً من حيث المكان، ومن الثابت أن أحداثاً تقع فى مصر تهتم المصريين أكثر مما تهتم سكان أمريكا الجنوبية مثلاً. العكس صحيح، فإن الجمهور يهتم بحادث بسيط يقع قريباً منه. أكثر مما يهتم بحادث أكثر أهمية يبعد عنه أميالاً وأمهالاً كإضراب عمال المناجم فى جنوب إفريقيا مثلاً. واليوم تشكل الأنباء ذات الطابع المحلى البحث الأساسى الذى يبنى عليه الصحفيون توزيع صحفهم. وتدل البحوث على أن النىأ الذى له أهمية دولية - فيما عدا الأحداث الرئيسية - لا يثير سوى اهتمام ١٠٪ فقط من القراء فى المدن الكبيرة.

وتراعى الصحف هذا القرب المكاني مراعاة دقيقة، وتفرق من أجل ذلك بين الطبعة التي توزع فى العاصمة والطبعة التي توزع فى الأقاليم، فإذا وقعت الحادثة فى العاصمة عنيت بها الطبعة التي توزع فى العاصمة عناية تامة، وتقل هذه العناية

(١) نفس المرجع ص ٣٥.

بالقياس إلى طبعة الأقاليم أو المدن أو الطبعة الدولية، والعكس بالعكس، فالناس يعامة، أكثر ما يكونون اهتماما بالأحداث الواقعة قريبا منهم من حيث المكان والزمان.

والقرب قد يكون مكانيا وقد يكون زمانيا أو نفسيا، ويرتبط القرب الزماني بالحالية الإعلامية، وكلما كان الخبر جديدا كان اهتمام القراء به عظيما، وهناك من يقول: "ليس هناك اقدم من صحيفة الأمس" ولذلك نجد المحرر يكتب الخبر مستعملا كلمة "اليوم" إذا كانت الصحيفة مسائية، أو كان الخبر مذاعا بالراديو أو التلفزيون، ويستعمل كلمة "الأمس" إذا كانت الصحيفة صباحية، والزمن عامل هام جدا، حتى أن ساعة أو ساعتين قد يغيرا من قيمة القصة الخيرية؛ وخاصة إذا كانت صحيفة منافسة تكتب عنها، ومما يدل على أهمية القرب الزماني أن "آخر خبر هو أكثر الأخبار لفتا لأنظار القراء، ولكن قاعدة الجودة الزمنية لا تسرى على كل القصة - كما يقول كارل وارين - فقد يضطر المحرر إلى تضمين موضوعه إشارة إلى ما سبق أن نشر من قبل عن نفس الموضوع، ولكن هذه القاعدة لا بد أن تطبق على الجملة الأولى، ومن الواضح أن قاعدة الجودة لا تنطبق على الوقت الذي حدث فيه الخبر، وإنما تنطبق على وقت إناعته.

ويستخدم القرب الزماني والمكاني والنفسى في قياس خصائص معينة للخبر ولكن بعد أن يعترف بقيمة الخبر فعلا، وذلك لتقرير: هل يروج ذلك الخبر أو لا يروج وأين يكتب له الرواج، وهل يستحق الخبر عناء تقصى أطرافه أم لا، والقرب النفسى يحتل أهمية كبيرة، فما يحدث لطلابنا في الخارج قريب إلى نفوسنا، ولذلك يظفر بالنشر مهما بعدت المسافات^(١) ومع أن القيم الخيرية لا تقرر في حد ذاتها أهمية الخبر بل تقرر طبيعته فقط، فإنه كلما زادت القيمة الخيرية لحادث من الحوادث، زاد اهتمام الناس به، وزادت بالنال أهميته .

ثانيا: الجودة الإنسانية:

قل أن يكون لبعض الروايات شأن إذا رويت باعتبارها حوادث متفصلة أو مستقلة. فالقتل مثلا حادث فردي مستقل ذو قيمة خيرية لما ينطوى عليه من عنصرى الصراع والكارثة، والانتخاب حادث مستقل له قيمة خيرية بسبب الصراع

(١) د. إبراهيم أمام : دراسات عن الصحفي ص ١١٧ .

(وكذلك الفوز والهزيمة) وبسبب الفئات التي تنرب عليه. وإذا أفلت سجين مقيد من جندي الشرطة فهو خير يستحق النشر بسبب جدته. ولكن الحادث الفردي نفسه لا تروى عنه الصحيفة إلا خبراً صغيراً. ولهذا فإن سكرتير التحرير أو محرر أخبار العاصمة قد يطلب من المندوب تحويل هذا الخبر الموجز إلى قصة ذات زاوية إنسانية. وعندئذ ينشر الموضوع في عمود كامل من أعمدة الجريدة. وفي هذه الحال لا يقتصر المندوب على الحادث في حد ذاته، بل يذهب إلى ما وراء الحادث ليتقصى الاعتبارات الإنسانية التي تكشف كل من له ضلع في الحادث. فكيف تركت السيدة أطفالها وحدهم في السيارة؟ ولماذا؟ وكيف نعلمت العدو السريع؟ وما هي أحوال أسرتها؟ والمسارق: من هو؟ وما إلى ذلك. وهكذا ينقب المندوب عن الاعتبارات الإنسانية للحادث الذي وقع.

وينبغي ملاحظة أنه فيما يتعلق بالموضوعات التي يمكن وصفها بأنها تستويى النزعة الإنسانية، يتعين على المندوب أن يذهب إلى ما وراء الحادث نفسه ليتقصى ملامسته الإنسانية، فهو يسعى عادة إلى جمع المواد التي يحتاج إليها كتاب الروايات، مثل العواطف والوقائع المتعلقة بحياة المرء والحوادث المسرحية والوصف والدوافع والمصاعب والآمال. وما هذه بأحداث، ولكنها ملامسات تحبط بالأحداث. ومن الأحداث ما تسهل كتابته من الزاوية الإنسانية وما يصعب تناوله من تلك الزاوية. وما أكثر الحوادث التافهة التي ما كانت لتستحق النشر استناداً إلى قيمتها الخبرية الضئيلة، ولكنها اكتسبت من الملامسات الإنسانية ما جعلها من حيث الكم ومن حيث الكيف محورا للروايات الإعلامية التي تعالج الزاوية الإنسانية. ثم إن هناك من الأحداث المبالغ الأهمية ما يكون مرتبطاً بنسب من الظروف.

والأشخاص والعواطف والمصالح المتضاربة؛ يقتضى تجزئتها إلى أخبار موجزة تحتاج إلى جهد واع؛ وقد تجرد الحادث من كثير من جوانبه الهامة. ومن هذا القبيل حادث إغراق الأم لأطفالها الأربعة في النيل حزناً على شقيقها الذي قالت إنه مات وتبين فيما بعد أنه لا يزال على قيد الحياة، وأنها مصابة بمرض نفسي وسبق علاجها بجلسات كهربائية بإشراف أحد الأطباء وكانت تغادر قريتها وتهم على وجهها في البلاد المجاورة. ومن هذا القبيل أيضاً: إحالة طبيبين لمحكمة الجنايات استدراجاً طالبة وحاولا الإعتداء

عليها، وكذلك ما ينشر من مثل هذه الأخبار التي مرقت حالة راهنة وعرضت على الجمهور قضية الاختطاف والاعتصاب، مما يهين الرأي العام لاتخاذ إجراءات رادعة.

ويكتسب الحادث أهمية من سياق الظروف المحيطة به. فإذا شب حريق في خيمة لا يوجد بها شيء، كان هذا حادثاً تافهاً، أما أن يثب حريق للمرة الثانية في خيمة السيرك القومي بسبب ماس كهربائى أنى على جزء كبير من الخيمة، فقد يكون لهذا الحادث أهمية كبيرة، لما يفضي عليه من الصراع من أجل السيطرة على الفيران وإخمادها تماماً قبل أن تمتد إلى حيوانات السيرك وإلى مسرحى البالون والسامر الجازين. ولهذا لا يسعنا أن نقيس القيمة الخيرية لحادث فردى إلا من حيث نوع الحادث. أما وطأة الحادث أو اثره أو عاقبته فإنها تقاس بسببب الحادث أى بملابساته وظروفه. فقد يقع حادثان متشابهان من حيث موضوعهما، فبمروق أحدهما نسيج الظروف مزيقاً هيناً بينما يقطع الآخر تقطيعاً شديداً. وقد تتكرر حوادث الاختطاف أو سقوط الطائرات، غير أن تمزيق هذه الحوادث للحالة القائمة لا ينحسر عن أنسجة متشابهة من الزاوية الإنسانية الخلابة، كما أنها لا تتساوى في عواقبها الاجتماعية.

ويتضح من ذلك أن الأخبار ذات الزاوية الإنسانية إنما تنشأ عن حادث عادي تقاس أهميته الخيرية بمدى تغييره لحالة قائمة، وما اصطلح عليه من قيم خيرية. أما هل تنشأ الأخبار على هذا النحو، أى أن تكون قصة ذات زاوية إنسانية لا خبراً عادياً مجرداً، فإن ذلك يتوقف على الظروف التي يميظ عنها الحادث اللذام يعد أن يمزق الحادث هذا النسيج. وأحياناً يبدو الحادث فى بعض الأحيان عامراً بالعواطف البشرية وبالمفارقات المختلفة التي تزيد أهميتها على أهمية الحادث نفسه، وفي هذه الحال تتضاءل أهمية الحادث فى حد ذاته، وكثيراً ما يسوق المحرر حوادث إخبارية مجردة ولكنه يضيف إليها بين الحين والأخر ملابسات من أضواء الزاوية الإنسانية ليجتذب اهتمام القارئ ويحمله على قراءة هذه الحوادث. فالزاوية الإنسانية اصطلاح مفيد يطلق على وصف المواد التي تتدفق من خلال الحادث، وهى قيمة روائية قصصية لا قيمة إخبارية، ويمكن اعتبارها رديفاً للصراع والعاقبة والكارثة والتقدم والجدّة والشهرة والوقتية وما إلى ذلك من القيم الخيرية. وكما يقول "جونسون وهاريس" فإنه ما من حادث إلا ويمكن معالجته من الزاوية الإنسانية إما معالجة كاملة، وإما معالجة جزئية، وإما معالجة تخلو من كل اعتبار للزاوية الإنسانية.

ثالثاً ، عنصر الضخامة:

لا يقصد بهذا العنصر التهويل أو المبالغة ونحو ذلك، ولكن يُقصد به إثارة اهتمام أكبر عدد من الناس، فمن الأخبار ما يمس جماعة قليلة من الناس في المجتمع فلا يؤبه له كثيراً في الصحف ووسائل الإعلام. ومن الأخبار ما يمس أكبر عدد ممكن من أفراد المجتمع، أو يمس مرفقا من أهم المرافق الحيوية في هذا المجتمع، أو يمس مشكلة من أكبر المشكلات السياسية أو الخلقية أو الاقتصادية التي تهتم المجتمع، وإذا ذلك ترمى وسائل الإعلام تخصص لهذا الخبر الضخم مكانا ظاهرا في صدرها.

وعنصر الضخامة يرتبط ارتباطا وثيقا بالدلالة الإعلامية، ومدى اهتمام الناس بها. تقول القواعد الأولى في علم حساب الأخبار أن نبأ حادثة أصابت ألف شخص أهم من نبأ حادثة أخرى أصابت ١٠٠. وقرار قاض في المحكمة أو تفسيره لإحدى مواد القانون إجراء فني بحث، ولكنه في الوقت ذاته يؤثر في حياة الملايين. ويستطيع الصحفي أن يكتب موضوعا مثيرا يبين فيه نتائج القرار على حياة العامة.

وقد لا يهتم "زيد" من الناس إذا قرأ أن شركة النقل العام على خلاف مع عمالها، ولكن إذا قال له المندوب إن العمال سوف يبدأون غدا إضرابا عاما؛ وأنه سوف يسير على قدميه إلى عمله أو سوف يدفع جنبيهين إضافيين إذا أراد الركوب، فإن الخبر يدخل دائرة الاهتمام الشخصي في كل بيت. وأهمية الخبر لا تقاس بمدى ما يحدثه من تغيير واضطراب نفسي، وإنما بضخامته، أي عدد الأشخاص الذين يؤثر فيهم الخبر.

وإذا اجتمعت أهمية شخصية من الشخصيات مع أهمية الموضوع وضخامة عدد المهتمين به، فلا بد أن يكون الخبر صالحا للنشر في الصفحة الأولى، أو في إحدى الصفحات ذات الأهمية الكبرى، ذلك أن الأسماء تصنع الأخبار كما يقولون، وأن الأسماء اللامعة تصنع الأخبار الهامة، فإذا سلمنا بصحة هذا القول، فكيف ينطبق مبدأ تغيير الحالة القائمة على هذه القيمة الخبرية التي يلوح أنها ثابتة غير متغيرة؟ يجيب "جونسون وهاريس" على ذلك بأن المبدأ يصح بالنسبة للأغراض السياسية وحدها. وإن لم يكن صحيحا مئة في المئة، فإذا كانت الأسماء وحدها هي صانعة الأخبار لما احتاج الأمر إلى ترقيب الأحداث حتى تساق الأسماء في الجريدة، فلا بد للرجل الشهير من أن يفعل شيئا يعدل به وضعها قائما إذا أريد لإسمه أن ينتشر في

وسائل الإعلام، والسياسيون يدركون جيدا، حتى ولو لم يفتلن إلى تلك المنحوتين والمحزون، أن أهمية الإسم اللامع ترجع إلى قدرة صاحبه على تغيير حالة قائمة.

الأسماء والشهرة: وقد تكون الشهرة مؤقتة سواء كانت لأشخاص أو أماكن أو أشياء أو حوادث تثير اهتمام القراء، مثل اكتشاف مقبرة نوت عنخ آمون أو معركة انتخابية، أو أحداث لبنان، وقد يستمر أثرها على الناس مثل قضية ووترجيت؛ أو قضية "مونيكا" أو موضوع تحديد النسل، وسيصر ملايين الناس على معرفة التفاصيل إذا وقع حادث لإنسان مثل "نيكسون" أو "جاكلين كينيدي" أو "أوناسيس" أو "كلينتون" أو "الأميرة ديانا".

وإذا قال 'زيد' يقال: يجب إرسال كل السائقين السكارى إلى السجن، فليس في هذا القول خيرا، لأن 'زيدا' إنسان غير مسئول ولا يهيم الرأي العام، ولكن إذا أعلن "عمرو" رئيس الشرطة في المدينة هذا التصريح، أصبح خيرا ينشر في مكان بارز.

وكل إنسان يحب الأبطال والساسة البارزين في الهيئة الاجتماعية، وكذلك يحب الرياضيين والفنانين. وملايين من الناس يقبلون منهم على قراءة قصص المكتشفين والرحالة ومغامرات أصحاب الملايين.

يقدم لنا الأستاذ الحمامصي، مجموعة من المعادلات الصليبية التي تبين عناصر الغرابة والإثارة في الخبر فيقول:

'رجل عربي تزوج من غير أن يطلق زوجته السابقة، ثم يستمر بعد ذلك في عملية الزواج من واحدة بعد الأخرى حتى يصبح عدد زوجاته 'أربعا'، ثم ينكشف أمره وتقف زوجاته الأربع أمام المحكمة شاكيات خروجيه على الدين والقانون.. مثل هذا الخبر يتطور في صحافة الغرب ليصبح قصة يتحدث عنها الناس جميعا، ويقاد صاحبها إلى المحاكمة وتتوسع الصحف في النشر عنها، بينما مثل هذا الخبر في أي بلد يدين أهله بالدين الإسلامي لا قيمة له لأن القانون والدين يبيحان للزوج أن يتزوج أربعا.

ولكن إذا حدث في بلد إسلامي وجود امرأة تزوجت أكثر من رجل فأصبح العدد ثلاثة أو أربعة، هنا يمكن أن يتطور الخبر ليصبح قصة صحفية تشغل القراء!

ومعادلة أخرى:

نبأ عن صراف بنك + زوجة + ٧ أولاد = صفر.

بينما أن نبأ عن صراف بنك - ١٠ آلاف جنيه من الخزينة = خيرا.

أو نبأ عن صراف بنك + زوجة + عشيقه - ١٠ آلاف جنيه = خيرا أكثر أهمية.

ومعادلة ثالثة:

نبأ عن : رجل عادى عمره ٨٠ سنة + حياة عادية = صفرا.

ونبأ عن رجل عادى عمره ٨٠ سنة + رحلة مغامرة = خيرا.

رجل عادى عمره ٨٠ سنة + زوجة شابة ١٨ سنة = خيرا .

رجل عادى ٨٠ سنة + زوجة شابة ١٨ سنة + ٣ نوائم = خيرا أكثر أهمية.

ومن المعروف أن القبض على سكير في الشارع ليس خيرا، ولكن إذا كان هذا السكير رئيس جمعية منع المسكرات صار خيرا. وقصة الفروي الذي باع ترام العباسية لمصرى من أقاصى الصعيد قصة خيرية طريفة، وطبيعى أن للقصة ذيولا كأن يركب الصعيدى الترام ويحاول الحصول على الإيراد من الكسارى، ومثل هذا النوع من القصص الطريفة لا يمكن أن يهمل بمجرد اختفاء العناصر الإخبارية الأخرى، بل يكفى أن يكون 'غريبا' لى يكون 'خيرا' ذلك أن مثل هذا الخبر قد يعيش فى أذهان جمهور القراء أكثر مما يعيش خيرا استقالة موظف كبير بسبب خلافه مع بعض زملائه فى العمل.

وتذهب بعض الصحف إلى أن عناصر التشويق والإثارة والطرافة والروعة من أهم سمات الخبر الجيد. وهناك تعريف لنبأ يقول إنه ما يخرج عن المؤلف فيصبح بارزا. ويلاحظ الدكتور إمام أن عنصر التشويق ينطوى على الابتعاد عن الموضوعات الجافة الجردة، غير أن جوهر الفن الصحفى يكمن حقيقة فى تقديم الخبر الجاد، والموضوع المفيد، والمعلومات الدقيقة بأسلوب شائق ممتع مفهوم، مؤثر للفكر، وليس مؤثرا للغرائز الدنيا. وذلك يتطلب بطبيعة الحال تنوع الموضوعات وشمولها حتى نجد كل فئة من القراء بحبها.

خامسا، الدلالة الإعلامية :

ومعيار الدلالة الإعلامية يقوم على النظرية المتعلقة بجوهر الإعلام، كأساس عام للقيم الإعلامية، وكل ما له قيمة إعلامية مما يغير حالة قاشمة أو يندثر بتغييرها أو يترتب على حوادث وقعت فعلا أو هي بسبيل أن تقع، وهي حوادث تتميز بدلالة، تقوم على الصراع ومراكز الاهتمام الإنساني، ففي المجتمع ألوان شتى من الصراع، ولعظمتها أهمية إخبارية، فكلّ صراع فعليّ - كما يقول جونسون وهاريس. إنما يمثل تعديلا ظاهرا لوضع قائم، وهو صراع يندثر في شكله المادي بإحداث إصابات أو إلحاق ضرر، كالحرب والاضطرابات والحملات السياسية والمناقشات البرلمانية الحادة، فإن لها في صدر الصحف متسعا، ولكن تلاحم النظريات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والمناقشات التي تدور بين المفكرين والعلماء، قد تستحق إذا قيست بتأثيرها وعواقبها أن يضاف عليها من القيمة الإعلامية أكثر مما يضاف عليها فعلا. وهناك أنواع عديدة من الأخبار التي يكون الصراع عنصرا الغالب أي الكفاح ضد قوى متفوقة مثل: صراع الإنسان مع الطبيعة، وصراع الفرد مع المجتمع المنظم، وصراع الكتل السياسية مع الكتل الاقتصادية بالحروب والحملات والإضرابات.

كما أن كل صراع يسفر عادة عن فوز فريق وهزيمة لفريق. وكثيرا ما ينجم عن ألوان الصراع الرتيبة في الحياة، - والتي تفتقر في حد ذاتها إلى عناصر التقويم الصحفي - نماذج من النجاح المشرق، كما نجد في المخترعات وأساليب العلاج الجديدة التي تصدر عن المعامل ولكنها مع ذلك من أمارات التقدم.

وكذلك القصص التي نحمّلنا على التساؤل عما سببحدثا تستثير اهتمامنا باستمرار كقصص العمال الذين أطيح عليهم النجم وقصص المغامرات والاستكشافات. ويدهى أن الحادث ذا القيمة الصحفية هو الحادث الذي يندثر سلسلة متصلة من الأحداث تؤثر في كثير من الناس، أو الحادث الذي من شأنه أن يتسبب في مثل تلك السلسلة. أي أن يكون حادثا كثير العواقب والمتابع. ومن الأحداث ما تزيد عواقبه على غيره. فتفسح لها الصحف مجالا أرحب من غيرها وتفرد لها العناوين الضخام، لأنها أحداث ذات قيمة إعلامية. فقد اصطلح على أن للعواقب جميعا قيمة إعلامية.

وفي بعض الأحيان يساق الجنس بوصفه قيمة خبرية. ويبدو على هامش الكلام كما يقول جونسون وهاريس - أن للجنس مقدرة كبيرة وشهرة ذائعة في تغيير الحالة القائمة والحاق الاضطراب بها. وقد رأينا منذ أعوام كيف أن زواج أميرة من أميرات البيت المالكي في مصر إذ ذاك، هي الأميرة (فتحية) أخت فاروق من شباب مسيحي هو رياض قالي، أتاح للجرائد المصرية أنس الفرص للكثافة الصحفية، على نحو ما نجد في 'أخبار اليوم'. وكذلك ملابسات حوادث مصرع الأميرة "ديانا" و'دودي الفايدي' في باريس؛ وما أشبه عن شروعاتهما في الزواج.

والدلالة الإعلامية هي أساس الانتقاء من الكم الغفير من القصص والأحداث التي تصل إلى الصحف، حيث لا تتوفر المساحة لنشر كل ما يصل إليها، لذلك يتحتم على المحرر المسئول أن يتخذ قراراً في اختيار ما ينشر ويحدد حجم المساحة الكافية المخصصة له، وأساس هذا الاختيار هو: الدلالة الخبرية، التي تُشير إلى درجة أهمية كل حدث من الأحداث، ومدى الاهتمام الذي يستقبله به القارئ.

ويطبق هذا المقياس على الحدث نفسه، وعلى مدى تأثيره في الزمان والمكان: فغرق أحد الأكوخ لا يعنى شيئاً إلا بالنسبة إلى سكان الكوخ، محلياً، أما الفيضان، الذي يغرق إقليمياً في بلد ما، فينتقل صده حتى يبلغ أبعد البلدان؛ فتبادر إلى إرسال المساعدات لإنقاذ الباقين على قيد الحياة، بعد فقدان محاصيلهم.

ومع أن جوانب مقياس الدلالة متعددة؛ فالتحليل السريع يؤدي إلى ملاحظتها بنسبة تكفي لتقرير ما إذا كان يجدر بنا نشر الحدث أم لا، والمغزى الذي يجب أن ننوّه به من خلال هذا الحدث. ولكن في بعض الأحيان يخفى مقياس المغزى ولا يظهر إلا بعد الفحص الدقيق، فعلى الصحفي أن يكون على استعداد دائم لمواجهة هذا الموقف. وقد لا يضطر سكرتير التحرير لمواجهة إلا مرة في اليوم أوفى الأسبوع، أما المندوب فقد لا يواجهه إلا مرة في السنة. ولكن في موقف كهذا تظهر حقيقة الصحفي الذي يجلّ نفسه عن الخطأ جهده، ولا نقول إنه لا يخطئ أبداً. ولكن على الصحفي أن يتمتع بدقة ملاحظة خارقة كما يقول الأستاذ 'جايار' ليتخيل "انضمامات الدولية التي ستنتج عن اغتيال أمير تمسواوي، في يوم ٢٨ حزيران عام ١٩١٤، في مدينة بنقانية. وينتظر من الصحفي أن يكون قادراً على القيام باكتشاف كهذا ويعني معاكس، قد نعطي لحدث

ما مغزى ليس له! كأن نعتقد بأن مظاهره شعبية كبيرة ستغير وجه التاريخ؛ في حين أنها ستندطفئ كإطفاء نار القش. والمخاطرة هنا أقل؛ لأن الحدث، في هذه الحالة، له على الأقل مغزى مباشر وهو جدير بأن يكذب عنه، ولو كان شأنه عابراً.

ومعرفة مغزى الحدث، تتطلب من الصحفي ثقافة واسعة، فالمعرفة والتفكير النقدي سلاحان يجب أن يمسحذا الحكم السريع. لأن الصحفي إذا لم يدرك مغزى الحدث قبل غد، أو قبل دقيقة من توقف المطبوعة، يكون قد فاته الوقت، ولا فائدة من الخبر، الأمر الذي لا يمكن التسامح فيه صحفياً.

ساساً: معيار الأهمية:

وينبغي قياس المادة الصحفية بحسب أهميتها النسبية، كما يحدث عندما يتزاحم خبران في الجريدة على مساحة معينة متاحة فيها، كذلك ينبغي قياس الخبر حسب أهميته الذاتية الأصلية حتى يستطاع تقرير المساحة التي تقرر له والموضوع الذي يبرز فيه. وقد تقاس أهمية الخبر بوطأته 'أي بمدى ما يحدث من تغيير واضطراب) وبسعته "أي عدد الأشخاص الذين يثر فيهم الخبر، كما أن ارتهان الخبر بقرب مكان وقوعه ووقته، إذا أخذ على أنه وصف للقيمة الإعلامية، يفيد بوجه خاص لا في قياس طبيعة الخبر بل في قياس أهمية نشره في جريدة معينة. وثمة قيمة إعلامية أخرى هي نتيجة الحادث أو عاقبته. وبهذه القيمة تقاس أهمية الخبر لا طبيعته الجوهرية.. ومع أن القيم الإعلامية لا تقرر في حد ذاتها أهمية الخبر بل تقرر طبيعته ليس إلا؛ فإن المشهود أنه كلما زادت القيمة الإعلامية لحادث ما، زاد اهتمام الناس به، وزادت بالتالي أهميته.

وفي قراءة السيد 'زيد' - مثلاً - للصحيفة يتضح أنه في بعض الأحيان يكتفي بمطالعة العنوان فقط وهو عنوان يقوم عادة على 5 أو 6 كلمات نعطي تلخيصاً موجزاً لمحتوى الخبر. هذا العنوان في الواقع له وظيفة هامة من حيث أنه قد يغري القارئ بقراءة تفاصيل الخبر أو يدفعه إلى الانصراف إلى مطالعة خبر آخر. فالقارئ يتخذ قرارات فورية بأن يقرأ الخبر كله أو يكتفي بمقدمته. أولاً يقرؤه على الإطلاق وينصرف عنه إلى خبر آخر. فلم يكن بهم هذا القارئ أن يقرأ تفاصيل أو حتى مقدمة خبر اضطراب

عمال المناجم في جنوب أفريقيا، في حين اكتفى من المثال الثاني بقراءة مقدمة الخبر، أما المثال الثالث فقد قرأه كله بنهم. ولم يكتف بما أوردته الصحيفة؛ لأنّ ظمأه لمعرفة المزيد من التفاصيل لم يكن قد ارتوى، وكان يتمنى لو أن الصحيفة استمرت في سرد المزيد من التفاصيل.

ويعيار الأهمية يرتبط بالحدث نفسه؛ وبوقف الجمهور منه، هذا الجمهور الذي من أجله يعمل الصحفي، فإذا أهملنا هذا المقياس، تصدر جميع صحف العالم ماثمالة في الشكل والمحتوى.. وأول مظهر من مظاهر مقياس الأهمية، هو المصلحة المباشرة والموضوعية، أي اهتمام الجمهور بخبر يدعوهم إلى التحرك؛ كإصلاح التشريع التجاري أو القوانين المدنية، أو التعبئة أو الإعلان عن مظاهرة. وفي جميع هذه الحالات تكون مصلحة الجمهور واضحة، عدا الحالات التي لا يمثل الخبر فيها إلا المصلحة الفكرية، حتى لا نقول إنه لا يبالي بها واقعياً.

وفي حال احترام الخبر مصلحة الجمهور يكون قد اتصف بالأهمية والحالية، وليتبعها يجب أن نضيف الصفة الدرامية للواقعة. كمكافئة الذين قاموا بها. وهي نتيجة عكسية لما نسميه المسافة السيكولوجية بين مكان الحدث وجمهور الخبر وهذه المسافة تتركز على قاعدة البعد الجغرافي؛ فحريق متجر في بروكسل يهم الجمهور الفرنسي أكثر مما يهمه حريق مخزن في مانيلا، ولكن هذه المسافة السيكولوجية تتأثر أيضاً عن معرفة الجمهور المثقف بمكان الحدث، وعن إلمامه بتاريخ بلد الحدث وأنيته. فجمهور جزيرة مدغشقر يهتم بانتصار رياضي فرنسي أكثر مما يهتم به الجمهور الإنجليزي لأن جمهور مدغشقر نظراً لثقافته وسياسة حكومته ولصداره الإعلامية، يتتبع بانتظام الأخبار الرياضية الفرنسية؛ وهذا ما لا يفعله المواطن الإنجليزي. كما أن الجمهور الكندي يهتم بالتغيير الوزاري في الهند، إذ كان رئيس وزرائها يقوم بزيارة كندا، أكثر من اهتمامه بالتغيير نفسه لو حصل بعد شهر من الزيارة^(١).

ومن هنا فإنّ التزام الصحفي بمعرفة جمهوره معرفة كاملة، أمر جوهري، يساعده في ذلك الاستطلاعات الدورية أو غير الدورية التي تقوم بها المؤسسات

(١) نفس المصدر ص ٤٠.

المتخصصة، كما تساعده رسائل القراء أو الاتصال الشخصي. وعلى الصحفي أن ينحيز من تقديره الخاص، وتقدير محيطه لأهمية الحدث، باستثناء الصحف الدورية التي يتوجه فيها التقنيون إلى التقنيين والدين تختلف مصلحتهم عن مصلحة الجمهور.

وعند وقوع أى حدث، يطلب من الصحفي أن يضع نفسه مكان القارئ، أو المستمع، ويسأل السؤال المزوج التالي: 'هل يهتم جمهورى بهذا الحدث؟' وعند الإجابة بنعم، يستطرد فى البحث عن العناصر التي تهمه أكثر من غيرها؟ وهذا لا يعنى أن يهبط الصحفي ليقرن مستواه بمستوى القارئ، ناسيا دور الصحافة التثقيفى.

وإذا نساءلنا: لماذا نقرأ الأخبار فى الوقت الذى نستطيع فيه أن نستبدل ذلك بشئ آخر؟ فإننا نجد أن السيد 'زيد' - كنموذج للقارئ - يخصص جانبا من وقته لقراءة صحيفته الصباحية وللإستماع إلى نشرات الأخبار فى الراديو لأنه يشعر بأن ذلك يعطيه نوعا من المكافأة النفسية. ولكنه من أجل الحصول على هذه المكافأة ينفق قدرا من الجهد وقَدرا من المال، فهو يدفع خمسين قرشا يوميا لشراء صحيفته، كما يتحتم عليه أن يقطع مسافة معينة على قدميه للحصول عليها، ومن ناحية أخرى فهو - يخصص جانبا من وقته لقراءة صحيفته على حساب بدائل أخرى يمكن أن تدخل إلى نفسه قدرا أكبر من السرور، مثل مشاهدة البرامج التلفزيونية الخفيفة أو الجلوس على المقهى أو زيارة الأصدقاء أو الأقارب، كما أن القارئ 'زيد' يحتاج إلى راديو ترانزستور وإلى أن يتابع نشرات الأخبار فى مواعيدها المعلومة، ويقتضى ذلك منه تنظيم وقته ليتمكن من تلبية هذه الاحتياجات جميعا.

لذلك فإن اتجاه القارئ 'زيد' أو 'عمرو'؛ لقراءة صحيفته أو للإستماع إلى نشرة الأخبار إنما يتحدد بما يسمى: عنصر الانتقاء Fraction of Selection يقول وينيون شرام:

'نستطيع أن نزيد من قيمة عنصر الانتقاء من خلال التقييم لدى الفائدة المرجوة التي تعود عليك من قراءة الصحيفة أو من الاستماع إلى نشرة الأخبار، ومن مدى الجهد الذى يتطلبه ذلك بالقياس إلى وسائل الاتصال الأخرى. من هنا يأتي دور المحرر الصحفي فهو يستطيع أن يقوم بدور معين لزيادة قيمة عنصر الانتقاء هذا لدى القراء، بمعنى أن يضمن أن المزيد من القراء سيقبلون على قراءة خبر أو موضوع صحفى يستمرون فى قراءته حتى النهاية.

على سبيل المثال يستطيع المحرر أن يزيد من العائد الذي يحصل عليه القارئ عن طريق تدعيم الأخبار ذات الصبغة العامة بأسماء شخصيات معروفة أو مشهورة مثل أسماء رؤساء الجمهوريات والشخصيات العامة ورجال الأعمال وكبار الأدباء والفنانين والفنانات وما إلى ذلك.

كذلك فإن الاهتمام بقراءة القصة الخيرية يزداد بتقديم جوانب من الحياة الشخصية والملاحم الإنسانية للأشخاص الذين ترد أسماؤهم في القصة. وتهتم الصحف الآن بنشر المزيد من هذه المادة والملاحم الشخصية أكثر مما كانت عليه الصحف في الماضي، وخصوصاً في مجال الأخبار الرياضية لأن الكثيرين من القراء يكونون قد شاهدوا المباراة الرياضية سواء في الملعب أو عن طريق التلفزيون قبل أن يقرأوا عنها في الصحف.

وتسرد الصحف أيضاً المزيد من المعلومات عن الشخصيات التي تتضمنها الأخبار الرسمية كأخبار الحكومة أو السياسة الدولية، ومن جهة أخرى فإن المحرر يستطيع القيام بدوره للإقلال من كمية الجهد المطلوب من القارئ، فمثلاً تستطيع الصحف أن تبرز في صفحتها الأولى إشارات أو تنقيصات عبارة عن سطرين يتضمنان العناوين أو بضعة أسطر تتضمن لبّ الخبر أو الموضوع الصحفي؛ مع إحالة إلى قراءة التفاصيل في صفحة من الصفحات الداخلية. لأن بعض القراء في هذه الحالة قد يهتمون بقراءة فقرتين فقط؛ وهنا يجدون الكفاية في الإشارة المنشورة بالصفحة الأولى. أما إذا كانوا أكثر اهتماماً فيمكنهم قراءة المزيد من التفاصيل في الصفحات الداخلية. وفي ذلك تقليل لجهد القارئ^(١).

ويقصد 'شرام' بالجهد الأقل ما يتضمنه الاصطلاح من معنى: وهو أن القارئ أو المشاهد أو المستمع يتخذ أقل الطرق مقاومة في سبيل اختياره لما يعرضه الإعلام. وقد ألف 'جورج زيف' الأستاذ بجامعة هارفارد كتاباً يثبت فيه ما أسماه 'مبدأ أقل الجهد' ومبدأ زيف. بتعبير بسيط. هو أنه عندما يقوم الشخص بحل مشكلاته المباشرة، ينظر إليها من خلال ما يعتقد أنها مشكلاته المستقبلية. وهو يحاول أن يقلل

(1) Shramm: The press and Effects of Mass Communication p. 19.

من العمل الذي يجب أن يعمله لكي يحل مشكلاته المباشرة ومشكلاته المستقبلية، ويعتقد زيبف أن مبدأ أقل الجهد أساسي لكل سلوك إنساني. ويرى 'شرام' في السلوك الاتصالي بضعة عوامل تؤدي إلى بذل أقل جهد:

والتواغر: هو أحد هذه العوامل، فعندما تتساوى كافة الظروف الأخرى يقوم المرء باستخدام وسيلة الإعلام التي تتوافر له. بحيث نصح في تناول يده، فالأسرة تكون أكثر ميلا لمشاهدة التلفزيون في غرفة معيشتها الخاصة عن اخراج السيارة من 'الجراج' وقيادتها إلى دار السينما، والبحث عن مكان لإيواء السيارات، وشراء التذاكر ثم مشاهدة الفيلم، وسوف تفضل تلك الأسرة نغسها برنامجا واضح الصورة بطبيعة الحال، على برنامج صورته مهزوزة أو باهتة. وبالإضافة إلى ذلك، فإن بعض أفراد الأسرة لا يهتمون اهتماما خاصا بالفيلم المعروض على الشاشة. وإنما يشاهدونه، لأن في مشاهدته جهدا أقل من مغادرة الحجرة.

والزمن عامل آخر يتصل بمبدأ أقل الجهد، فوقت الفراغ يأتي في فترات مختلفة بالنسبة لمختلف الأشخاص. فبعض الناس يجد أن الترام مكان مناسب لقراءة الصحف، والبعض الآخر يري في ركوب السيارة من العمل وإليه وقتا مناسبيا للاستماع إلى الراديو. كما أن ساعات النهار التي تكون الأسرة فيها خارج البيت وقت مناسب للكثير من رياات البيوت كي يستمعن إلى الراديو أو يشاهدن التلفزيون. ويعتبر جهاز التلفزيون جليسا إلكترونيا بالنسبة لكثير من الأسر، في الفترة التي تسبق وجبة العشاء.

ويذهب إلى أن الأدوار الاجتماعية، والعادات، والتقاليد، يمكن أن تؤثر أيضا في اختيار وسائل الإعلام، لأن الاستمرار في أنماط السلوك الاجتماعي، كما أن تختب مواد الإعلام ليس، في الحقيقة سوى مجرد فعل اجتماعي معتاد. ويفسر 'شرام' الفائدة المرجوة بأن الشخص يتخير من وسائل الإعلام المتاحة له، ما يعتقد أنه سوف يعود عليه بأكبر فائدة. ويصنف الفوائد إلى نوعين كبيرين: فوائد عاجلة وفوائد آجلة، وقد يخفف المضمون الذي يعطى فوائده فورا من التوتر، أو يساعد على حل المشاكل، وهو يشتمل عادة على القصص المتصلة بالحزبات والفساد والجريمة والكوارث وشؤون المجتمع والرياضة، وكلها تعطى إثارة تخيلية، دون التعرض لضغط المشاركة الفعلية. أما المضمون الذي يؤتى ثماره في المستقبل، فقد يعد بمعلومات نافعة من أجل الفعالية

الاجتماعية، وهو قد يزيد من التوتر، بدلا من تخفيفه ولكنه بعد المرء بأشباع حاجاته. وحل مشكلاته. وقد يشتمل ذلك على مواد حول الشؤون الاقتصادية والمسائل العامة والمشكلات الصحية والاجتماعية.

الصدق الإعلامي ومبدأ الإنصاف:

عجب الأستاذ الزيات رحمه الله، في "الرسالة" منذ أكثر من خمسين عاما، لابن آدم 'المخلوق الوحيد الذي يرى الشيء الواحد بعينه الاثنان أبيض تارة وأسود تارة أخرى على حسب الصبغ الذي يلونه به الهوى. وضرب لذلك أمثلة شتى، منها أن "راديو بارى" أذاع آنذاك، أن فريقا من الطلاب الهنود تظاهروا في 'مبای' فاعترضتهم فئة من الشرطة الإنجليز فتفرقوا في شوارع المدينة بعد أن أصيب نفر منهم بجروح، ثم عقب المذيع على هذا الخبر بأن الاعتداء على المتظاهرين بالضرب يخافى المدنية، ويجافى الخلق، ويصم الذين ارتكبهوه بالقسوة الوحشية والبربرية الأتيمة، ثم أعلن المذيع في هذه الإذاعة نفسها أن مليوناً من جنود المحور قد افتتحوا بالدبابات الثقيلة والطائرات المنقضة والسيارات المدرعة منازل ستالينجراد على الروس وفيهم النساء والأطفال والشيوخ والمرضى، فدكوا كل بناء وسحقوا كل حي، وركموا أشلاء القتلى في الحجرات والطرقات على صورة لم يرها الرايون ولم يروها الرايون، ثم أخذ هذا البوق البشرى يهذى بفضل هذا النصر على المدينة، وينوه بعظيم أثره في مستقبل الإنسانية، ويمكننا اليوم، أن تضيف آلاف الأمثلة في هذا المعنى، مما نسمع ونقرأ ونؤكد شقاء الإنسانية بين العقل والهوى.. وإنه - على حد تعبير الأستاذ العقاد رحمه الله^(١) - لشقاء باق لن يزول أبدا - ولن يزال الهوى يرينا الشيء شيئين واللون لونين ما دمنا نحس ونرى، وقد

أعبى الهوى كل نبي عقل فلست ترى

إلا صحيحا له حالات مجنون

وهنا نقص لا ريب فيه .. نتلمسه فيما نسمع وفيما نقرأ، في الإذاعات وفي الصحف، وفي صور الحياة اليومية التي لا يخلطها من يرقبها: "فهل هو نقص لا يوازنه جانب الجمال؟ وهل هي أفة لا عزاء فيها لبنى آدم؟ وهل تغير ما طبعنا عليه من هذه

(١) عصر العقاد؛ صفحات عطوية في تاريخ الصحافة المصرية؛ بالقاهرة؛ مؤسسة مختار.

الخليقة بما صنعته عليه سائر المخلوقات من توافق وتشابه حالات؟. إننا لا نستطيع للأسف لأن الإنسان - كما يقول العقاد^(١) - لا ينقص إلا من حيث يزيد، فهو يعرف الخطأ لأنه يعرف الصواب ويختل في هندسته من حيث ينقن النحل هندسته كل الإقنان، لأنه أعلم بالهندسة من النحل؛ لا لأنه أجهل منه بفنونها وأنواعها. فهو يشترى الخطأ بثمن؛ لأنه لا يشترى الصواب إلا مخلوطاً به مضافاً إليه. نحن نرى الشيء أشياء لأننا نرى.. كان العقاد يقول لبعضهم والألمان يدخلون باريس: إنهم سيهزمون وكان يقول بعضهم والألمان يتقدمون في الأراضي الروسية إنهم سيهزمون. فكانوا يقولون: ولكننا نرى أنهم سيبتصرون لأنهم منتصرون.. فيقول لهم: ما هذا برأي.. هذا لمس بالعين هذا ما تبصرونه كما تبصره كل عين حيوانية تفتح أعفانها، وإنما المرأى غير هذا المرأى ما يبصر بالانهزام وأنت تنظر إلى النصر المأموس فإن لم يفدنا المرأى هذه الفائدة فلا خير فيه.. وهكذا يبصر الإنسان وجوه المرأى لأنه لا يرى الشيء على حالة واحدة ولا يستوفيه كله في صورة حاضرة.. يقولون في الصعيد: إن نواتيا سمع مضغاً ثوباً في مخزن الخبز الجاف من سفينته فأشفق من نخاد المؤونة في الطريق وصاح مغضباً: من الذي يقضم في الخبز قضم الحمار؟ فقيل له: اينك حسن؟

قال: اسم الله عليه! هو الذي يقرش هكذا قرش غوير؟

والرجل قد صدق بعض الصدق فيما سمع من قضم حمار ومن قرش غوير، فإن أكل ابنه من الخبز يسره ولا يؤذيه. وإن انطلق الغريب عليه يؤذيه ولا يسره؛ ويبقى أن يسمع المسافر الذي لا يسمع حماراً ولا غويراً ولكنه يسمع الصوتين على حسب ما عنده من الزاد^(١).

ولا تختلف هذه الصورة كثيراً عن صورة الصحف، حين لا تتحرى الصدق والدقة والإنصاف في جمع الأخبار وتحريرها وعرضها عرضاً موضوعياً، وحين تعتمد على الشائعات، وتخلط الخبر بالرأى. إن على وسائل الإعلام افتقاء الجدير من الأخبار بالنتش، في إطار مبدأ الأنصاف.

(١) المرجع السابق ص ٣٢٤.

والصدق الإعلامي ومبدأ الإنصاف يقتضيان نقل الخبر نقلاً صحيحاً وتسجيل المعلومات المتصلة به تسجيلاً صحيحاً كذلك. وعنى عن البيان أن الخير أساس تصرفات الحكومات، والأفراد والهيئات، والشعوب، فضلاً عن أنه من أهم مصادر التاريخ في نهاية الأمر، وفي ذلك إلزام لوسائل الإعلام بتحرير الصدق والدقة في الحصول على الأخبار من مصادرها الموثوق بها ثم المحافظة على سرية هذه المصادر متى رأى أصحابها ذلك، ثم الأمانة الكاملة في نقل الخبر ذاته. ومعنى ذلك كما يقول الدكتور عبداللطيف حمزة رحمه الله . أنه ينبغي على الصحف حرصاً منها على ما يسمى بالسبق الصحفي ألا تستهين بهذه الأمانة أو تعبت بسرية الأخبار. وينبغي أن نحذر في وسائل الإعلام ، الشائعات التي تلبس ثوباً محترفاً من التكرار بحيث تبدو كالمعلومات وذلك من أجل جعل الخبر يبدو أكثر ثباتاً مما هو عليه بالفعل. وإذا ما سمع الشخص المعلومات المزعومة بوعي فإنه سيكتشف ضعفها الشديد في حالات كثيرة. وهكذا فإن الواقع يثبت أن الصحف لم تكسب شيئاً بالفعل من جراء اليأس الشائعة ثوباً يجعلها صالحة للنشر؛ فليس هنالك من صحيفة تحترم نفسها تذيب الشائعة وهي تعلم أنها مجرد شائعة، ويجب أن تقتصر المعلومات الإخبارية على مواد يكون لديها من الأسباب القوية ما يجعلها تؤمن بصدقها، في إطار من مبدأ : الصدق الإعلامي والإنصاف.

ويعنى هذا المبدأ الإعلامي، أن وسائل الإعلام مسؤولة عما تذيع أمام السامعين وجمهور القراء، حيث لا يتحدث الإعلاميون بأسمائهم الخاصة، وإنما يتحدثون باسم هيئة قومية، الأمر الذي يفرض أداء وظيفة الإعلام ، على النحو الذي لا يخل بمتطلبات الموضوعية والدالة وثقة السامعين.

الصدق الإعلامي بين خدام وخرافة:

فالخير في وسائل الإعلام، له قدسيته بمعنى أن تكون للحوادث فور وقوعها قدسية خاصة، وأن تعامل معاملة الحقائق التي لا تقبل التحوير والتزييف والتلوين والتغيير والتهديل، والإعلاميون أحرار بعد ذلك في تفسير هذه الحقائق بما يتفق مع السياسة التي يرونها أو الهدف الذي يسعون إليه، ولكن في أماكن أخرى، غير مكان الأخبار، تلك أن أهمية الصدق الإعلامي في الأخبار، لا يختلف عليها اثنان في القديم والحديث، نتيجة لنا تجربته الإنسانية من عواقب الصدق وعواقب الكذب.

فوسائل الإعلام ، يمكن أن تقايل لفظ "السفير" في القول العربي المأثور: 'إذا كذب السفير بطل التدبير' والسفير هو الرسول المصلح بين القوم أي إذا لم يصدق في البلاغ والإعلام بطل السعي، ويقال إن رئيس الولايات المتحدة الأسبق الرئيس روزفلت، عندما أعلنت أمريكا الحرب على ألمانيا وحلفائها؛ أوصى أهل الدعاية ألا يقولوا عن العدو غير الصدوق، وهو في ذلك كان يرى أن الصدوق أحسن آخر الأمر عاقبة، والإنجليز أقرب إلى هذا الرأي. ولكن وقائع الحياة في سنمها وحربها، كثيراً ما تكون أقوى من أن تثبت رجل عند نصيحة أو يصمد عند رأي، والمسألة عند الاثنيين - كما يذهب إلى ذلك الدكتور أحمد زكي^(١) - 'من أميركان وإنجليز لم تكن ولن تكون مسألة أخلاق، ولكن مسألة منفعة'. وهي أن يكسبوا ثقة سامعيهم من أهل الأرض، وهي في السياسة أمر عظيم، وهي في الإعلام أوجب لأنها تقوم في وظائفها على أساس من الحقيقة التاريخية والأخلاقية.

ونجد في أقوالنا العربية: لا يكذب الرائد أهله، أي الذي يرسله القوم في التماس النجعة، وهي الذهاب لطلاب الكلأ في مواضعه. وإذا كان "ماكلوهان" يذهب إلى أن وسائل الإعلام توسع من حواس الإنسان، وأنها تعمل كامتداد له، فإننا نجد أن هذا ليست كذلك فحسب، ولكنها تقوم في معنوياتها ووظائفها على أساس من الامتداد المعنوي والوظيفي في تاريخ الإنسانية، ويتضح ذلك من تراثنا الميثولوجي، فوسائل الإعلام - كالرائد لا تكذب أهلها، ولكنها كذلك تقوم بدور "جذام" زرقاء اليمامة المشهورة، حينما تتوخى الصدوق الإعلامي، وتقوم بدور "خرافة" حين تتوخى الكذب الدعائي، 'وحذام' هي التي زعم أنها كانت تبصر على مسافة ثلاثة أيام، وذكروا عنها أن حسان بن تبع الحميري أغار على قومها بني جدبس وأراد أن يفاجئهم من حيث لا يعلمون فحمل أشجاراً في وجه جيشه لئلا تبصرهم الزرقاء فتندّر قومها، وكان "الخبر" قد نسي إلى جدبس فصعدت الزرقاء إلى رأس حصن لهم ورأت الأشجار تسعي فقالت:

أقسم بالله لقد دبت الأشجار أو حمير قد أخذت شيئاً يُجز

فلم يصدقوها حتى طرقتهم حسان وفتك بهم فقيل البيت المشهور:

(١) مجلة العربي ١٠٩٤، ديسمبر ١٩٦٧.

إذا قالت حذام فصدقوها فإن القول ما قالت حذام

ودور "حذام" هذا في الإعلام هو ما تؤكد الدراسات الحديثة، وتقارير اللجان المعنية بدراسة أثر وسائل الإعلام في المجتمع، وتذكر منها ما ذهبت إليه لجنة حرية الصحافة من أن أولى وظائف هذه الوسائل في المجتمع المعاصر هي إعطاء "تقرير صادق وشامل ونكحى عن الأحداث اليومية في سياق يعطى لها معنى، ويجب أن تكون وسائل الإعلام دقيقة، تميز بين الوقائع والآراء وتفصل بينهما ما استطاعت إلى ذلك سبيلا. وتقول اللجنة إنه في المجتمعات البسيطة يستطيع الناس غالباً أن يقارنوا تقريراً ما عن الوقائع، بغيره من مصادر المعلومات ولكنهم اليوم لا يفعلون ذلك (لا بالقدر المحدود. ومن ثم فإنه لم يعد كافياً أن تروى الواقعة بصدق - كتقرير دقيق عن بيان أصدره سياسي مثلاً. فمن الضروري حالاً ذكر الحقائق حول هذه الواقعة - فنقتض مئلاً دوافع السياسي ومصالحه والموقف السياسي الذي أصدر فيه البيان".

إن مشكلات الغد لن تكون هي مشكلات اليوم، ولكن وسيلة الإعلاميين لنع ندعى المجتمع هي دائماً القيام بدور "حذام" العربية، التي ينبغي لها أن "تصدق" أهلها في تغطية الأخبار ذات الدلالة. وإذا أخفق الإعلام في ذلك فإنه سيتحمل قسطه من المسؤولية عن أية مأساة تحدث، كما فعل الإعلام المصري عام ١٩٦٧ حين أدى بجماهيره إلى حالة من "الذهول" لأن وسائل الإعلام لم تقم بدور "حذام" التي "تقول" فتصدق، وإنما بدور مناقض لهذا الدور ونعنى به دور "خرافة" الذي تشير إليه أساطيرنا، من أن رجلاً من بنى عذرة أو من بنى جهينة يقال له خرافة اختلفته الجن ثم رجع إلى قومه فكان يحدث بأحداث مما رأى يعجب الناس منها فكذبوه، ثم صاروا يسمون كل حديث كاذب "حديث خرافة". ومن أحداث خرافة، في وسائل الإعلام، يبين ما يسمونه بالكذب المباح، أو الكذب "الملون" إلى آخر تسمياتهم، في تبرير التبرير بالشعوب، كما كذب الحلفاء (الإنجليز ومن معهم) على رجال المحور (الألمان ومن معهم) بمثل ما كذب رجال المحور على الحلفاء. وتنتهى الحرب ونعلم أنها كان قرية حرب أذيعت لغاية! والألمان سمعوا بأن جماعة الإسكتلنديين نارلون إلى الميدان. وهم رجال يلبسون أشباه ما تلبس النساء جيبات أواسكرتات Skirts فزعم أهل الدعاية الألمان لجندهم أن هذا إنما كان للين فيهم يشبه أنوثة النساء، فلما النقوا بهم خاب ظنهم فيهم فقد أعطى الإسكتلنديون الألمان درساً قاسياً في قسوة القتال ذكروه طويلاً.

وحيث تتحرى الصحف الحقيقة فإنها تغدو من "الوسائل" التي يوثق بخبرها، ولا يقدح في صدقها، وتتجافى عن القول الزور، كما نتعلم من لغتنا العربية، التي لا نجد فيها هذه التأكيدات من باب المترادف، وإنما لإحساس أهلها بقيمة الصدق الإعلامي، وهذا هو المقصود بأن وسائل الإعلام تقوم بدور "حذام" العربية، حين لا تكذب أهلها.

على أن الكذب - حديث خرافة - لا نقول مأذون به في الدعاية ولكنه أمر واقع أو كما يقول الدكتور أحمد زكي . فإن الذي يمارسه كمن يمارس خلط طعام بسم، وهو قد يصنع الدعاية لأهله، فهو إن راد قتل، وكان المقتول من أهله، والصدق لا يتجزأ كما أن الكذب لا يتجزأ وإن اتخذ ألوانا زاهية أو نيجر زاهية، فهناك صدق إعلامي وكذب دعائي، والكذب الدعائي قد يتوسل بالحذف في الخبر وقد يكون أخطر ما فيه. وتساءل الداعي فيقسم لك بالله إنه لم يقل إلا صدقا؟ وقد صدق، ولكن أكثر الأمم تحاول أن يكون ما في دعائها من الصدق أكثر كثيرا مما فيها من تصوير وتزوير، وذلك إبقاء على قيمة الدعاية وقيمة مصدرها، وأن يبقى له احترامه، فقد نسوء الدعاية بالبعد عن الواقع، ولا سيما في الدعايات الداخلية حتى يصبح في الأمة من يقول: "لا يا أخي، هذا كلام جرائد، أو هذه كذا وكذا، والخير لك أن تنصت لإذاعة كذا فقبها الخبر اليقين.

وفي نظرية الإعلام المستفادة من الدعوة الإسلامية، يأمرنا الله - عز وجل - باستعمال الحق والصدق، ووصف نفسه بهما. فقال: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾ ١٢٤/النساء. وحدثنا ﴿ فذَلِكُمْ اللَّهُ رِزْقُكُمْ الْحَقُّ ﴾ ٣٢/يونس وقال: ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ ٢٣/الزمر و ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ ٨١/الإسراء.

ويذهب ابن وهب^(١) - إلى أنه " لو لم يكن في شرف الحق والصدق إلا أن جميع الأمم على كثرتها واختلاف طبائعها وهممها ومدحهما وسائر الناس إنما يقصدون بقولهم وفعلهم إصابتهم، فلا ترى أحدا إلا وهو يريد أن يصدق في قوله، وأن يصيب الحق في اعتقاده وفعله، حتى أن الكاذب إنما يكذب ليصدق على كذبه، فطلب الصدق قصده وينيله ويغيثه، والبهل إنما يقصد الحق فيخطئ في الوصول إليه وطلب الحق قصده، وإن

(١) البرهان في وجوه البهتان ص ٢٢٦ وما بعدها.

كان من الموهبين على الناس فإنما يزخرف لهم باطله حتى يقيمه مقام الحق الذي يقبل ويحمل به. وكفى بهذا فضيلة للحق والصدق ولأن عرف بهما ونسب إليهما، فإن الصادق الحق عظيم المنزلة عند الله. عز وجل وعند خلقه، والكاذب المبطل ساقط المحل عند الله - عز وجل - وعند خلقه فالعاقل حرى بلزوم شرف المنزلتين وطلب أعلى الدرجتين - إن شاء الله.

"ولما علم الله . سبحانه . أن الباطل والكذب قريبان مع طبائع كثير من عباده ، ملائمان لتشهواتهم، مطابقان لمداراتهم، وكان طول استماع الكذب ومعاشرة أهله مخوفين على أخلاق الناس، خليفين بأن يصيرا عادة لهم على طول الملاعبة، نهى الله . سبحانه . عن القعود مع الباطل، كما نهى عن الخوض في الباطل ونم مستمعي الكذب كما نم الكاذبين، فقال عز وجل: ﴿ وَهَذَا نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يَكْفُرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ قَدِيرٍ إِنكُمْ إِذَا مِثْلَهُمْ ﴾ ١٤٠ النساء، وقال في نم قوم: ﴿ سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكْأَبُونَ لَسْنَتُهُمْ ٤٢ / ماثدة.

وقال الشاعر:

فسامع القول كمن قاله ومطعم المأكول كالأكل

وإضا أمر الله - عز وجل - كما نصح الحكماء بذلك؛ لما قدمناه من الاحتياط على الناس لئلا يصير ذلك عادة لهم، ولأن استماع الكذب والصبر على معاشرة المبطلين على باطلهم رضى بذلك، ومن رضى بالباطل فهو مبطل، ومن قنع بالكذب فهو كاذب، ويهرب من استماع كذبيهم وباطلهم ما أمكنه ذلك، فإن اضطرتته ثقته إلى حضور ذلك أو استماعه؛ صدق عنه ولم يرعه سمعه وكان كالغائب عنه، فإن ذلك أولى به في اصطلاح أخلاقه وتأديب نفسه.

ويرتبط بمبدأ الصدق الإعلامي ما تسميه البلاغة العربية: بالحديث النافع، والنافع من الحديث ما كانت عواقب القول فيه والاستماع له والعمل عليه مفضية بسامعه إلى نفع عاجل أو آجل، وللضار ضد ذلك. فمن النافع طنب الحوائج ومنه الشكر للمنع، ومنه حفظ السر، ومنه معاقبة المذنب، ومنه التنصل من الذنب، ومنه السؤال ومنه الأخذ بشهود الحديث في حكايته، وتأسيسا على هذا الفهم ينهض العلماء إلى

تحديد آداب مهنة التحرير وصفات الكاتب. ومن ذلك ما ذكر القلقشندي من أن الكتابة صناعة روحية لا تتم إلا بألة مادية لتدل على معنى من المعاني امتلا به ذهن الكاتب. والمقصود بالروحية: الألفاظ التي يتخيلها الكاتب في وهمه، ويضم بعضها إلى بعض في ذهنه ليؤلف منها صورة باطنة تقويم في نفسه. والمقصود بالمادية هو الخط الذي يخطه الكاتب بقلمه، ويعيد به الصورة القائمة في ذهنه حتى تصبح صورة محسوسة ظاهرة بعد أن كانت صورة باطنة.

ويتحدث القلقشندي عن صفات خاصة في الكاتب أو المحرر. عد من هذه الصفات عشرة هي:

صفة الإسلام، وصفة الذكورة، وصفة الحرية، وصفة التكليف، وصفة الاستقامة، وصفة البلاغة، وصفة العقل، وصفة الهمة، وشرف النفس، وصفة العلم، وصفة الكفاءة؛ لأن غير الكفء من الرجال يضر بالملئكة ويوهن قوى الدولة.

هذا كله فضلا عن صفات أخرى، منها أن يكون الكاتب قوى النفس حاضر البديهة، جيد الحدس، حلو اللسان، جرى الجنان، ظاهر الأمانة عظيم النزاهة، كريم الخلق، مأمون الخائفة، مؤدب الخدم، ملبح الزى عطر الرائحة، تظهر عليه النعمة، ويصدق فيه وفي إخوانه قول الشاعر:

وشمول كأنما اعتصروها من معاني شمائل الكتاب

ويفيض القلقشندي في موسوعته 'صبح الأعشى في صناعة الإنشا' في ذكر آداب الكتابة والتحرير، فيرى أنها على ضربين:

الأول - حسن السيرة، بمعنى أن يتمنع الكتاب والمحررون بمجموعة من الأخلاق الكريمة وعلى رأسها تقوى الله في السر والعلن، وقصد الآخرة في كل ما يصدر عن الكاتب من رأى وعمل، ثم البعد عن مواطن الشبهات والريب، ولزوم العفة في كل ما يتصل بالدولة من أشغال ومهام، والاعتدال في طلب اللذة والاكتفاء منها بما يقيم الروءة، وذلك بالطرق المحمودة لا الطرق المذمومة، فإن هذه الأخيرة لا تناسب قدر الكاتب ومنزلته من السلطان أو منزلته من الرعية. ومن هنا أوجب القلقشندي على الكاتب أن يتحلى بصفة الإخلاص، وصفة النصح، لأن السلطان ائتمنه على نفسه وملكه، فلا

ينبغي أن يستر عنه دقيقا ولا جليلا من أحوال الرعية ومنها: كتمان السر، وصفة الشكر، وصفة الوفاء، وحسن اختيار الوقت الذي يصلح للعرض أو الطلب، وحسن الوساطة، فيقول ما معناه: "ينبغي للكاتب أن يتوسط لمرؤوسيه عند أميرهم أو سلطانهم، وعليه أن يتجنب القبح في أكفائه ونظرائه ليجوز ذلك داعبا إلى محبته والوثوق به وإسكات الألسنة عن الطعن فيه.

الثاني - حسن المعاشرة - يقول القلشندى إنها على خمسة أضرب وهي: معاشرة الملوك والعظماء - معاشرة الأكفاء والنظرء - معاشرة الأتباع والمرؤوسين - معاشرة الرعية على وجه العموم - معاشرة من يمت للكاتب بصلة أو بحرمة مهما كان نوعها.

وربما من أجل ذلك كنه تذهب البلاغة العربية إلى تقسيم الخبر إلى قسمين، يقين وتصديق^(١) فاليقين ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

"أحدها خبر الاستفاضة والتواتر: الذي يأتي على ألسن الجماعة المتباينة همهم وآراؤهم وبلدانهم، ولا يجوز أن يتلاقوا فيه ويتواطأوا عليه. فذلك يقين يلزم العقل الإقرار بصحته. وبهذا النوع من الأخبار ألزمنا الله - عز وجل - حجج الأنبياء . عليهم السلام . ونحن لم نشاهد ولم نر آياتهم ولم نسمع احتجاجهم على قولهم، وذلك من تسخير الله . عز وجل . الناس حتى تقوم الحجة، وإلا فكل أحد من الناس يجوز عليه الصدق والكذب، فإذا تواترت أخبارهم كان ذلك حقا كما قدمنا، وليس التواتر فعلهم فيجوز أن يفعلوا ضده وإنما هو شاهد لصدقهم، ودليل عليه والدليل غير المدلول عليه، فقولهم محتمل للصدق والكذب، لأنه فعلهم وهم ممكنون مختارون، والتواتر والاستفاضة معنى آخر ليس من فعلهم ولا اختيارهم، وهو دليل الصدق إن وجد، وليس هذا في أخبار العدول (المزكون المقبولو الشهادة) دون الفساق (أبي الذين لا تقبل شهادتهم لعصيانهم وخروجهم عن طريق الحق)، ولا المؤمنين نون الكفار، لكنه في أخبار الجماعة كلها، ولو كان لا يقبل من التواتر إلا ما أتى به أهل الإيمان لم يكن لأحد من المخالفين علوم ينقلونها، ولا أخبار يرثونها".

"والثاني - خبر الرسل - عليهم السلام - ومن جرى مجراهم من الأئمة الذين قد قامت البراهين والحجج من العقل عند نوب العقول على صدقهم وعصمتهم وظهور

(١) ابن وهب: البرهان في وجوه البيان ص ٨٨ وما بعدها.

المعجزات التي لا يجوز أن تكون بنوع من الحيز، وليس في طبع البشر الإتيان بمثلها على أيديهم، فدلّت من ليس علم العقول والنميين بين المتشابهات من شأنه، على أن هذه الأشياء إنما أُجريت على أيديهم ليعلم أنهم عن الله - عز وجل - نطقوا، وعليه في اختيارهم عنه قد صدقوا، فتعم الحجة الغافل والجاهل والمميز والعاقل، فلا تكون للناس على الله حجة بعد الرسل".

والثالث: ما تواترت به أخبار الخاصة به مما لم تشهد العامة، فإن تواترهم في ذلك نظير تواتر العامة وقد بين الله - تعالى لزوم ذلك ووجوب التصديق به فقال: ﴿أُولَئِكَ يَكْفُرُ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يُعَلِّمُهُ غُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ١٩٧ الشعراء، فجعل علم العلماء وهم الخاصة، به حجة على العامة.

وأما خبر التصديق فهو الذي يأتي به الرجل والرجلان والأكثر فيما لا يوصل إلى معرفته من القياس والتواتر، ولا أخبار المعصومين، ولا يعلم إلا من جهة الأحاد، وذلك مثل الفتيا في حوادث الدين التي ابتلى بها قوم دون آخرين فسألوا عنها فخبروا بالواجب فيها، فنقلوا ذلك ولم يعرفه غيرهم، وليس يقع ذلك في أصول الدين التي يتساوى الناس فيها وفي فرضها، والناس محتاجون إلى الأخذ في معاملاتهم ومآجراتهم ومكاتباتهم، فإن ذلك أجمع مما لا يقوم اليقين على صدق الخبر به من عقل ولا تواتر ولا خبر معصوم، وإنما يعمل في جميعه على خبر من حسن الظن به، ولم يعرف بفسق ولم يظهر منه كذب.

الإعلام وحلم تصحيح الخبر:

وفي النظرية الإعلامية تبين لنا قيمة الصدق الإعلامي؛ حين ننظر في تقويم الخبر والإنصاف في روايته، ويقول ابن وهب أيضا^(١)، إن الأشياء إذا بينت بدواتها للعقول، وترجمت معانيها وبواطنها للفتوب، صار إما ينكشف للمتدين من حقيقتها معرفة وعلمًا مركوزين في نفسه، وهذا البيان على ثلاثة أضراب:

- فمنه حق لا شبهة فيه، ومنه علم مشتبه يحتاج إلى تقويته بالاحتجاج فيه، ومنه باطل لا شك فيه.

(١) نفس المرجع ١٠١ وما بعدها.

"فأما الحق الذي لا شبهة فيه فهو علم اليقين، واليقين ما ظهر من مقدمات قطعية؛ كظهور الحرارة للمتطيب عند توقد اللوز، وسرعة النبض: أو عن مقدمات ظاهرة في العقل كظهور نساوي الأشياء إذا كانت مساوية لشيء واحد، وكظهور زيادة الكل على الجزء، أو عن مقدمات خلقية مسلمة بين جميع الناس كظهور قبح الظلم، وكل خبر أتى على التواتر من العامة، أو التواتر من الخاصة، أو سمع من الأنبياء والأئمة وكل هذا يوجب العلم، ومن شك في شيء منه كان آثماً.

"وأما المشتبه الذي يحتاج إلى التثبت فيه، وإقامة الحجة على صحته، فكل نتيجة ظهرت من مقدمات غير قطعية ولا ظاهرة للعقل بأنفسها ولا مسلمة عند جميع الناس، بل تكون مسلمة عند أكثرهم، أو يظهر للعقل تفسيرها وتغير الفحص عنها والاستدلال عليها. وأما الباطل الذي لا شبهة فيه، فما ظهر من مقدمات كاذبة مخالفة للطبيعة مضادة للعقل، أو جاء في أخبار الكاذبين الذين يخبرون بالمحال وما يخالف العرف والعادة، وذلك مثل اعتقاد السوفسطائية أنه لا حقيقة لشيء من الأشياء وأن الأمور كلها بالظن والحسبان.. فإنهم مبطلون في دعواهم.. ولما أن كان الله عز وجل قد أمرنا أن نعتقد الحق ونقول به، وأن لا نعتقد الباطل ولا ندين به، فقال عز وجل ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ ٢٩/الكهف.. وجب أن يحتاط العاقل لنفسه ودينه فلا يعتقد إلا حقا، ولا يكذب إلا بباطل ولا يفف (لا عند شبهة حتى لا يكون ممن شهد بما لم يعلم، أو كذب بما لم يحط بعلمه".

ويستهل ابن خلدون مقدمته بفصل تحت عنوان في "فضل علم التاريخ" يتحدث فيه عما يعرض للمؤرخين من المغالط والأوهام ويشكر شيئاً من أسبابها، وهي نفس الأسباب التي يعزى إليها الكذب في رواية الأخبار في وسائل الإعلام اليوم، حين نعتمد على النقل عننا أو سميناً؛ دون أن تقوم أخبارها بمقاييس الحكمة أو الوقوف على طبائع الكائنات أو مقارنتها بأشباهاها. ولقد أدرك ابن خلدون أن الكذب بطبيعته متطرق إلى الخبر نتيجة لما يلي:

١ - التسهيلات للأراء والمناهج؛ فإن النفس إذا كانت على حالة من الاعتدال في قبول الخبر أعطته حقه من التمحيص والنظر حتى تثبت صدقه من كذبه، وإذا خامرها تشييع لرأى أو نحلة قبلت ما يوافقها من الأخبار، وكان تلك الميل والتشييع غطاء على عين بصيرتها عن الانتقاد والتمحيص فتقع في قبول الكذب ونقله.

وكلام ابن خلدون يشير إلى النقص الذي يحبه جماعة من أصحاب المذاهب الاجتماعية ويفرضون بوامه ويحضون على الافتداء به في فهم التاريخ ونوجيه الإعلام، ومن هؤلاء الذين يقول العقاد فيهم إنهم يجعلون الهوى فرضاً لزاماً في معالجة كل حقيقة من حقائق الحياة، ويكتبون التاريخ فيذمّون من لا يستحقّ الذم، ويثنون على من لا يستحقّ الثناء، لأنهم يستوحون المصلحة المذهبية، ويعلنون أن الخروج من هوى المصلحة في تقدير الأمور مستحيل.

فأما أنه مستحيل فلا، كما يقول العقاد^(١)، لأن الإنسان يعرف الفرق بين صوابه وهواه، وإن أحب هواه وآثره على الصواب، فإذا كانت له قوة خلق تصحب المعرفة غلب الهوى بالجمع بين معرفته وقوة خلقه، وأصبحت مصلحته تابعة لما يلزمها من جادة قوية في الرأيين. ولكن أصحاب الدعاية في كل المذاهب الوضعية يغلبون هوى المصلحة، لأن الخروج منه مستحيل وإنها يغلبونه لأن تغلبه نافع لهم فيما يقدرونه ويفسرون به الأمور. وليس الشيوعيون وحدهم هم الذين يغلبون الهوى في تفسير التاريخ وتصوير الحقائق والوقائع في الإعلام فهذه خليفة شائعة بين جميع الناس ملحوظة بين أصحاب المذاهب فرضاً لا مفاض منه ولم يجعلونه عيباً يصححونه، ويخجلون من إعلانه، وهذا هو الفارق الكبير بين الرأيين.. فعلى أن نعترف بالهوى ولا نجعل صنيعه في الأمم والأفراد، ولكن علينا على الأقل في وسائل الإعلام. أن نغالبه ما استطعنا كلما عرفناه. واعتدنا عليه. وهذا هو الواجب في كل عيب من العيوب أيا كان سببه وأيا كان الناظر إليه.

٢ - الثقة بالناسقين وتمحيص الروايات، ويرجع إلى التعديل والتجريح^(٢). ولقد رأينا كيف أن وسائل الإعلام، لم يعد كافياً أن تروي الواقعة بصدق، حيث لم يعد في مقدور الإنسان أن يقارن تقارير الوقائع بغيرها من المصادر، كما كان في مقدوره في المجتمعات البسيطة، ومن هنا نستعمل اصطلاح "التعديل والتجريح" من علم "الحديث"، في تمحيص الخبر الذي نقدمه من خلال وسائل الإعلام التي أصبحت محل "الخبرة الأولية". وقد عنى نقاد كثيرون بعنصر الثقة في هذه الوسائل منهم "أبيروين" الذي قدم سنة

(١) فن المثال الصحفي في أدب العقاد؛ هيئة الكتاب.

(٢) ابن خلدون وتحقيق الدكتور علي عبدالواحد والي: المقدمة ج١ ص ٣٦٠.

١٩١١ في سلسلة من المقالات نموذجاً لما أتى بعد ذلك من نقد كثير للصحف وكان جوهر الإتهام: أنك لا تستطيع أن تصدق ما تقرؤه أو تسمعه لأن المعلنين وكبار رجل الأعمال والحكومات يسيطرون على الصحافة والإذاعة.

والأخبار تتأثر بنظم الحكم السائدة، وهي في هذا الأمر صنفان: صنف فيه الدعوة والدعاية والاعلام استثنائاً واحتكاراً وصنف فيه الدعوة حرة، ولكن يركبها من سباع الغاب ذئب وبشر، على حد تعبير الدكتور أحمد زكي. ولعل ذلك هو ما دفع بالكاتب الفرنسي جاك كايزر^(١) إلى أن ينعى صحافة اليوم في كتابه 'موت حرية' ذلك أن 'التوتر الدولي يزداد بسبب الإعلام الكاذب المشوه الذي يستغل لصالح جهات معينة. وهذا الإعلام الكاذب من شأنه أن يقضى على الثقة المتبادلة بين الشعوب وبين الحكومات ويثير الأحقاد، ويغذي القوى التي تعمل من أجل الحرب'.

فإذا كانت الأخبار لا بد أن تنصف بالجدة والصفاء وإثارة الاهتمام فإن علينا أن نحاطها فيه 'بتصحيح المقدمات التي أنتجته، وحراستها من المغالطة.. فإذا صحت ميزانها على كم وجه تقال ان كانت مما يقع فيه اللفظ على معان كثيرة، وينظر أى وجه منها هو مراد المتكلم في قوله. فإذا ميزنا ذلك استخراجنا فصولها التي تنفصل بها عن غيرها حتى يظهر الحد الذي يفرق بينها وبين ما يباينها. فإذا فعلنا ذلك صححنا التفسير والحققنا كل شيء بما يشبهه".." و'إن كان مما أتى من جهة الخبر عن الآحاد والجماعات القليلة العدد، احتبط في ذلك أولاً بعرضه على العقول، فإن باينها وضادها فهو باطل، وإن لم يباينها وكان مما يجوز في العقل وقوع مثله تثبت في أمر نقلها حتى لا تؤخذ إلا ممن ظهرت عدالته، ولم يتهم بكذب، ولا وهم في خبره ولم يكن فيما أخبر به جارا إلى نفسه ولا دافعا عنها، ولم يعارضه خبر مثل خبره يبطل ما أخبر به.

'وبجميع ما ذكرناه قد جاء القرآن وحجرت الأحكام، فقال الله عز وجل ﴿وَأَشْهِدُوا ذُوبِي عَدْلٍ مِّنْكُمْ﴾ ٢/المطلاق، وقال: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَدَبِّشُوا﴾ ٦/الحجرات.

التعديل والتجريح: وإذا كانت الثقة بالناقلين والرواة من أهم عوامل الكذب في رواية الأخبار كما يذهب إلى ذلك ابن خلدون، فإن العلاج كما يرى، يرجع إلى التعديل والتجريح، وهو مصطلح مستفاد من علم الحديث الشريف.

(1) Jacques Kayser: La Mort d'une Liberté, pp. 176-177.

وهذا العلم كما يعرف المطلعون من أنصح العلوم الإسلامية وأحكامها منهجا وأقواها علمية. لقد احتاط لفنهم وتشددوا في شروط الراوى والمروى عنه، ولم يكنفوا بالقواعد المحررة لتصحيح السند كما توهم بعض الباحثين المحدثين رحمه الله. بل عنوا . كما يقول الأستاذ سعيد الأفغانى . بنقد المتن عناية بالغة ووضعوا له من الضوابط والمعايير ما لم يسلم منها إلا كل حديث قوى يالغ الصحة، أما الأحاديث المكذوبة على رسول الله فقد رسموها بالوضع وألقوا فيها المؤلفات ليحذرها الناس.

إذا كان من منهج المحدث إذا وصل إليه الحديث الموضوع أن يطرحه أرضا ويمضى لطيبته، فإن مهمة الإعلامى الباحث عن الأخبار أن يبادر إلى هذا النهج والإفادة منه فى تسليط الأضواء الكاشفة حتى يهتدى إلى أجوبة عن أسئلته لكي تحقق وظائف الإعلام فى المجتمع على النحو السديد. والإذاعة مثلا تستقى أخبارها من المراسلين فى الخارج ومن المندوبين فى الداخل ومن المبعوثين الخاصين فضلا عما يرد على وكالات الأنباء القومية والأجنبية من أخبار وبرقيات وأنباء عاجلة أو خاصة، وقد تستقى الإذاعة بعض أنبائها من الإذاعات الأخرى. ويمكن الاعتماد على الصحف كمصادر لأنباء الإذاعة. وذلك فى حالة انفراد الجريدة بتصريحات خاصة، أو استقائها من مصدر مباشر. على أن هذه المصادر ينبغي أن تخضع أنبائها جميعا لمنهج التحرير والتعديل تحريا للأمانة والدقة والصدق، وإذا كان المحرر عند صياغته الخبر لا يذكر المصادر التى يعتمد عليها فى تحرير الخبر إلا إذا كان لديه من الأسباب الخاصة بما يدعوه إلى ذلك: كأن يرغب فى زيادة تأكيد الخبر بذكر المصدر الذى ورد فيه، وذلك فى حالة نسبة تصريحات لمسئول أمريكى مثلا إلى مراسل وكالة أمريكية فى واشنطن حتى يزيد المحرر من عامل الثقة لدى السامعين فى صحة الخبر، ومع ذلك فإن ذكر مصدر الخبر لا يعفى الإذاعة تماما من مسؤوليتها نحو الأخبار التى تذييعها الأمر الذى يجعل انتهاج منهج التعديل والتجريح، أمرا ضروريا فى الأخبار المذاعة، "إن ليس من المحتم فى كل الأخبار أن يحشر المحرر فى صلب الخبر أسماء بعض المصادر التى اعتمد عليها، توخيا ليسر الاستماع من جانب ولتجنب ما يوجبه التكرار من عدم صحة الخبر من جانب آخر"^(١).

(١) محمد إسماعيل محمد : الكلمة المذاعة من ٦٥، ٦٥ .

وتذهب معظم الإذاعات إلى ضرورة أن يرمز المراسلون والمندوبون للمصدر الذي استقى منه الخبر كمرجع للعودة إليه عند الحاجة.

فوسائل الإعلام حين تحرص على الدقة في الرواية الخبرية، تفيد كثيرا حين تستنضئ منهج التعديل والتجريح، كما تفيد من تشديد علماء المسلمين على ضرورة الأمانة والدقة في النقل، ففي مقدمة كتاب 'معجم البلدان' يقول لنا ياقوت إنه كان ينقل عن المصادر بكل دقة وأمانة، وسواء أكان المنقول حقا أو باطلا فإن الصدق في إيرادها، كما يقول ياقوت، له أهميته في البحث العلمي عند العلماء لأنه ييسر للطالب اطلاعه على آراء أهل الخبرة في ذلك العلم^(١). وللعالم أن يؤثر مصدرا على غيره من المصادر، وعندما تناقض ترجمة رجل ما في مؤلف ترجمة أخرى في مؤلف آخر، فإن المصدر الأخير يجب ألا يعتبر خطأ تاريخيا لا قيمة له، بل بالأحرى يجدر بالعالم أن يذكر الروايته^(٢).

أما النقل عن الذاكرة فلم يكن يعتبر نقلا دقيقا، وذلك ما يقول الصولي عن قيمة ذكرياته عن الخليفة الراضي: "... وما حكيت من الغاظة التي مرت وما أحكيه من كلامه بعد، فهو كما أحكيه أشبه أو مقارب، إذ كنت لا أقدر على أن أحفظ لفظه على حروفه وإنما أحفظ معناه"^(٣).

أما الروايات الشفوية التي كانت تدون فيما بعد التأليف، فبالرغم من أنها كانت لا تحتوي على جميع الكلمات التي وردت في الأصل، وبالرغم من أنها كانت تختلف قليلا عن أسلوب العبارة الأصلية، فإنها احتفظت بالمعنى المقصود بكل دقة وأمانة^(٤).

ويذكر روزنتال أن أصحاب الكتب التاريخية كانوا شديدي الحرص على ذكر المصادر التي يأخذون عنها، فإن السبكي الأب مثلا، كان ينصح المؤرخين بأن يذكروا المصدر كل مرة أتوا فيها على خبر تاريخي.

(١) ياقوت: معجم البلدان ج ١ ص ٩. دكتور فرانز ريزنتال: ترجمة الدكتور أنيس فريضة:

مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي ص ١٢٢.

(٢) ياقوت: (رشاد، ج ٥ ص ٢٦٥ ط مرجليوت، المرجع السابق ص ١٢٣).

(٣) عصر العقاد: ص ٢٢٦.

(٤) أبو حاتم الرازي: كتاب أعلام النبوة. في الرازي السابق ٢٦٦.

وعلى مر الزمن ازدادت المصادر الأدبية ازديادا عظيما، وكذلك بعدت شقة الزمن بين العالم وبين المصدر الذي يأخذ عنه، ولذا كان يشعر بأن الوسيلة الوحيدة لبقى نفسه من سهام المنتقدين تتمثل في أن يذكر المصدر الذي أخذ عنه بكل دقة وأمانة. وبهذه الأمانة العلمية (استطلاع السيوفلي) المتوفى سنة ١٥٠٥، أن يقول بكل انبياح إنه ليس في جميع مؤلفاته الكثيرة خبر أو رواية أو رأى لم يدعم بالاستشهاد. وكان المؤلفون الذين يحرصون على ذكر مصادرهم يشعرون بأنهم قاموا بما عليهم لأن العبرة في صحة الخبر أو كذبه إنما تقع الآن على كاهل صاحب المصدر.

ونخلص مما تقدم إلى أن وسائل الإعلام ينبغي عليها أن تروى الأخبار، وليس عليها أن تصنعها. وحذار من رواية نصف الحقيقة بون الحقيقة كلها، وإلا حق على المندوب قول القائل: "وما آفة الأخبار إلا روايتها". فالخبر لا بد أن يكون رواية صادقة كاملة دقيقة سليمة بعيدة عن الهوى لما وقع فعلا من أحداث شهدتها بعض الناس وصاروا بذلك رقياء على عمل المندوب. والخبر سواء أكان بسيطا مجردا أم طويلا مركبا، هو ما اجتمعت له عناصر الصدق والواقعية قبل أن تجتمع له مقوماته التي تقوم على الشقيقات الخمس. وتحتم علينا قواعد الإعلام في التصور الإسلامي؛ مراعاة الصدق والدقة الموضوعية والإنصاف في عرض وجهات النظر المتباينة وهي القواعد المستمدة من القرآن الكريم: «إنا جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين». والمستمدة أيضا من السنة النبوية، وأصول الحديث الشريف.

سياسة الصحافة:

وأخيرا نصل إلى عنصر هام من عناصر التقويم الصحفي. وهذا العنصر هو سياسة الوسائل الصحفية، فضلا عن طبيعة كل وسيلة منها، ويجب أن يتفق الخبر مع السياسة العامة للتحرير سواء من حيث الموضوع أو اللغة أو طريقة العرض، فالوسيلة الصحفية بالقياس إلى الجمهور تمثل شخصية اعتبارية، وهو يستشهد بها كما لو كانت شخصا من الأشخاص، ويسايرها ويقررها على رأيا أو يخالفها الرأى ويعنفها كما يفعل الصديق مع الصديق.

وأما ما يميزه الجمهور من ترابط ونطاق متسجمين في مظهر الوسيلة وفي اجراءتها في نشر الأخبار فينتج عما يسمى 'سياسة التحرير الصحفية' ويقصد بها.

على حد تعبير نوماس بيرى: الوجهة التي تختار الصحيفة اتباعها في إجابتها عن سؤالين بالغى الأهمية:

١ - ماذا ستُنشر؟

٢ - وكيف ستُنشر ما تُنشر؟

أما هذه الوجهة فقوامها الإجراءات والقواعد والمبادئ التي أقرتها وسائل الإعلام لتستهدى بها في عملها، وهكذا عُزِن سياسة التحرير الصحفية تهيمن على كل وجوه الوسيلة، من نوع الأخبار التي تنشرها إلى حجم الحروف التي تعتمدها في المطباعة، فسياسة التحرير في جريدة محافظة تحمل تلك الجريدة على أن ترفض موضوعا عن غراميات أحد الأشقياء، أما سياسة التحرير في صحيفة شعبية فإنها تدفع هذه الجريدة إلى تصدير الموضوع وإبرازه ضخما وقد تكون الصحيفة شيوعية أويسارية أو يمينية، فتعتمد في اختبار أخبارها على لونها السياسي فليس غريبا أن تكون أخبار الشيوعية وأحزابها في العالم أهم الموضوعات في الصحافة الشيوعية، في حين أن الموضوعات الدينية تظفر باهتمام الصحف الدينية^(١).

وهناك حالات كثيرة تؤثر في تكيف سياسة الوسيلة الإعلامية، ومع أن بعض هذه الحالات أكثر أهمية من غيره، إلا أن لكل منها تأثيرها في اختبار مواد النشر والإناعة وفي الطريقة التي تعرض بها هذه المواد. ومن هذه الحالات الأحوال المالية حيث يحتل الوضع المالي الصدارة في جميع الأحوال التي تؤثر في سياسة التحرير الإعلامية. وتفرض هذه الحالة إرضاء الجمهور من جميع المستويات، والسعى الدائب لتطعيم الوسيلة الإعلامية بعناصر جديدة من الاستهواء، وزيادة الجاذبية للاحتفاظ بالجمهور القديم واكتساب جمهور جديد.

وأما مسئوليات الإعلام، فإن سياسة التحرير تتأثر بهذا المفهوم تأثرا عميقا حيال المجتمع، والأفراد، والحكومة. فالوسائل الإعلامية تقباين عن غيرها في مفهومها لما يجب أن تنشره وتدعيه ولكيفية التي تنشره بها وذلك وفق فهمها لتلك المسئوليات.

(١) د. إبراهيم إمام: المرجع السابق ص ١١٨.

ولكل وسيلة طابعها الخاص، الذي تميز به لدى جمهورها، وهكذا فإن الصحيفة تصبح راديكالية أو يسارية، أو محافظة أو عميلة، أو مثزمتة. وقد تكون رفبعة المستوى، أو من الصحف التي تعتمد على الإثارة، الخ. على أن الطابع الخاص للوسيلة لا ينفصل عن الأحوال الأخرى التي تؤثر في سياسة التحرير الإعلامية بل إن هناك علاقة وثيقة بين الطابع الإعلامي ونظرة الوسيلة إلى مسئولياتها. ويتأثر صانع الوسيلة الإعلامية بنوع الأخبار التي تنشرها أو تذيبها، والطريقة التي تكتب بها تلك الأخبار، وطريقة معالجتها للموضوعات، ونوع إخراجها الفني. وليس في مقدور إنسان أن يغفل أثر متطلبات جمهور الوسائل الإعلامية في السياسة التحريرية، ولذلك تحاول الوسائل استقصاء رغبات القراء بعدد من الطرق، ومنها دراسة محتويات ومناهج أكثر الصحف أو الإذاعات نجاحاً الخ. ويؤثر الاجتهاد السياسي تأثيراً كبيراً في السياسة التحريرية، لأن كثيراً من القضايا الكبرى التي ترد في الأخبار تتأثر بالعمل السياسي، وبالتالي فإن جريدة ما حين تجد نفسها تعارض أو تؤيد فئة سياسية، تتخذ موقفاً من تلك القضايا على نحو ما نجد الصحف المستقلة والصحف الحزبية، أما الأسباب الوطنية فهي أقوى العوامل تأثيراً في سياسة التحرير الإعلامية، ولكن الدرجة التي تبدى بها وسيلة الإعلام ولاءها الوطني تتراوح بين التمييز المعتدل والتعبير الصارخ الصارم. فهناك صحف تسلك مسلك الوفاء والتحفظ في التعبير عن ولائها الوطني، تقابلها صحف ترفع ببارق ولائها على كل صفحة من صفحاتها، كما أن هناك فرقاً واضحاً بين ولاء جريدة ما في زمن الحرب وزمن السلم. ففي زمن الحرب يتبارى كل الصحف والوسائل الإعلامية في الحماس الوطني. وهكذا يتبين لنا كيف أن سياسة التحرير الصحفية - من أهم عوامل التقويم الصحفي، في اختيار الخبر ومقوماته فتفضل واحداً على غيره وتهمل الآخر أهملًا تاماً.

القابلية للنشر والإذاعة :

والقابلية للنشر والإذاعة مقياس من مقاييس التقويم الصحفي للخبر الجيد، والصحفي الناجح يدرك بحسه ومراسته أن خبراً عن الأخبار له أهمية وأولية على خبر آخر وينبغي قياس الأخبار بحسب أهميتها النسبية، وفقاً للجنس الإعلامي من جهة ومعيار الدلالة الإعلامية من جهة أخرى، كما يحدث عندما يتزاحم خبران في الجريدة

على مساحة معينة متاحة فيها، ومن العنصرين الكبيرين: الجنس الإعلامي والدلالة الإعلامية، يتكون ما يسمى، بالقيم الخيرية، فإن وجدت هذه القيم أو أنتفتت أمكن الحكم على ما للخبر من قيمة، وبالتالي على مدى ميل الجمهور إلى مطالعته أو الاستماع إليه: فهذه القيم الخيرية، كما يقول - جونسون وهاريس - نافعة في قياس أهمية الأحداث، فإن طبقت تطبيقا سليما أمكن معرفة هل هذا الحادث أو ذلك يدخل في عداد الأخبار أو لا يدخل في عدادها.

على أننا يجب أن ننظر عند تقويم الخبر، إلى وسائل الإعلام، كنظام للاتصال البشري، حيث تتخذ هذه الوسائل دلالة جديدة وكبيرة في عالم نحل فيه الاتصالات الثانوية كالصفحة المطبوعة والراديو والتلفزيون والقبلم، محل الخبرة الأولية، على حد قول سي. رايت ميلز وقد لعبت وسائل الإعلام دورا رئيسيا في تحويل النظام الاجتماعي إلى مجتمع جماهيري، وأكثر من ذلك يرى "ميلز" أن وسائل الإعلام أداة ذات أهمية متزايدة للسلطة في يد الصفوة بالولايات الحاكمة، وهي لا تقوم فقط 'بترشيع' خبرة الإنسان عن الواقع الخارجي، وإنما تساعد أيضا على تشكيل تلك الخبرة، فهي التي تقول: من هو، وماذا يريد أن يكون، وكيف يستطيع أن يظهر أمام الآخرين؟ وهي تعد برصيد ضخم من المعلومات عما يحدث في العالم، ولكنها تقدمها في لغة وصور من الأنشطة الجاهزة والرقبات، ولذلك فإنها نمالبا ما تحيط الفرد في محاولاته للربط بين حياته الخاصة وحقائق العالم الخارجي الأكبر، ويتربط على ذلك أنه كلما اعتمد الإنسان أكثر فأكثر على وسائل الإعلام، للحصول على المعلومات والنصائح، تعرض أكثر فأكثر لما تقوم به التنظيمات الاجتماعية من استغلاله وتسخييره.

وعلى مر السنين، أخذ النقاد يقدمون الأفكار الرئيسية التالية، في عبارات مختلفة^(١): تستخدم وسائل الإعلام قوتها الضخمة لخدمة مصالح ملاكها، الذين يروجون لوجهات نظرهم وخاصة في السياسة والاقتصاد، في حين يهملون وجهات النظر المعارضة، أو يقللون من شأنها. وسائل الإعلام أداة في يد المشروعات الاقتصادية الكبرى بوجه عام، ويتحكم المعلنون أحيانا في سياساتها ومضمونها. تقاوم وسائل الإعلام التغيير الاجتماعي، وتعمل على استمرار الوضع الراهن.. تهتم

(١) ريفرز وزملاءه: مرجع سبق من ٢٥٧ وما بعدها.

وسائل الإعلام، عموماً في تغطيتها للأحداث الجارية، بالأمور السطحية والمثيرة أكثر من اهتمامها بالأمور الهامة. وهي تقدم الترفيه في مادة تفتقر إلى المضمون، وتعرضها القيمة الفنية. وتهدد وسائل الإعلام الأخلاق العامة بالخطر.. تنتهك وسائل الإعلام، بلا مسوغ، حياة الأفراد الخاصة وتحمط من كرامتهم، وإيسته الصعوبة التي يلاقونها بعض المتهمين في الحصول على محاكمة عادلة بسبب النشر، سوى وجه واحد لهذه المشكلة.. يسيطر على وسائل الإعلام أفراد من طبقة اجتماعية واقتصادية واحدة، ويواجه القادمون الجدد صعوبة البدء في مشروعات إعلامية جديدة. ونتيجة لذلك، يتعرض سوق المعلومات المفتوحة والحرّة للخطر. ويقول 'أروين' أن الامتيازات التي طالب بها المعلنون كانت تصل أحياناً إلى حد التغيير الكامل في سياسة التحرير، ولكن الامتياز الغالب كان يتعلق بنشر مواد لصالح المعلن وأسرته وشركائه في العمل، وذمب النقاد الأوائل، إلى نتيجة رجح إليها العلماء بعد ذلك بعشرات السنين. وهي أن الكثير من عيوب الصحافة لا ينتج فقط عن التأثير الضار للإعلان، وإنما عن الطبيعة التجارية للنشر.

ومن النقاد الأوائل أبتون سنكلير الذي أصدر سنة ١٩١٩ كتاباً بعنوان 'الصك النحاسي' وهو عنوان يؤكد ما رآه من سلبيات صارخة في الصحافة، وكان سنكلير قد اشتهر من قبل كمصلح، وفي سنة ١٩٠٤ وبعد عامين من انضمامه للاشتراكيين، أصدر 'العابرة' وهي قصة طويلة تفضح أحوال مخازن شيكاغو وقد كتب الخلود لقصة 'الصك النحاسي' كما كتب الخلود لولغيا. ففي سنة ١٩٢٦ صدرت الطبعة التاسعة من الكتاب، وفي سنة ١٩٣٦ أعيد طبعه في نسخة منقحة. النصف الآخر عبارة عن أقوال شهود آخرين عن الإساءة إلى الصحافة الحرّة إساءة بالغة.

يقول سنكلير أن إمبراطورية رجال الأعمال تتحكم في الصحافة عن طريق أربع حيل: أما الحيلة الأولى التي تمثل أسلوباً مباشراً فهي ملكية الكثير من صحف الأمة. والحيلة الثانية، هي امتلاك أصحاب الصحف وهي وسيلة مهمة للغاية، فبالعب بأطماع الناشرين وبممارسة الضغط على أسرهم، وباشتراكهم في الأندية، ويعقد اتفاقيات ودية معهم، يستطيع كبار رجال الأعمال إحكام قبضتهم على الصحافة. والحيلة الثالثة التي يسيطر بها رجال الأعمال على الصحافة هي الإعانات الإعلانية، وهي وسيلة تجعل الناشرين مستعدين لجذب الأفكار العادية لصالح المعلنين، كحذف

الأخبار المخرجة لهم أو الضارة بهم. ويقول سنكلير إن رجال الأعمال يلجأون في النهاية إلى الرشوة الصريحة، من أجل الترويج لوجهات نظرهم، وفرض رقابة على الأفكار المعارضة لهم. ويتفق مع سنكلير في اعتقاده بأن المتأمرين يستغلون الصحافة في تحقيق أغراضهم؛ 'جورج سيلدرز' الذي يعتبر من أنشط نقاد الصحافة الأمريكية، وقد أرسى قواعد الفكرة الرئيسية التي بنى عليها انتقاداته التالية في كتابه 'حرية الصحافة' الصادر سنة ١٩٢٥، وشهد سيلدرز بنفسه قوى الفساد في مجالات المال والسياسة والاجتماع والإعلان وحاول إثباتها بالمستندات.

ويجد فريق من النقاد، ومن بينهم بعض الصحفيين قصورا في المعايير السائدة لتقويم الأخبار، وفي بعض الأساليب الفنية، لعرضها، ومن الانتقادات المألوفة والمتكررة على مر السنين، أن الصحف تبرز المواد المثيرة والسطحية والساذجة على حساب المواد الجادة، فهي تعطى قنرا من المساحة والاهتمام بحادث قتل فظيخ أو مشكلة زوجية أو مؤتمر للمرأة أو اغتصاب امرأة، أكبر مما تعطيه لدورة هامة للأمم المتحدة. وهناك اتهام شائع آخر وهو أن الأسلوب الفني لعرض الأخبار - كالعناوين، والبناء الهرمي المقلوب في صياغة الأخبار، والموضوعية الأسطورية - تمنع القارئ من رؤية صورة متسقة للأحداث الجارية.

وقد وجهت لجنة حرية الصحافة، في سنة ١٩٤٧، اتهاما للصحافة بأن المواطن محروم، إلى حد بعيد، من المعلومات والمناقشات الضرورية، لأن الصحافة مشغولة بتغطية أخبار النفاهاات والصراعات، وقد أدى اضطراب الصحافة إلى اجتذاب جمهور كبير إلى أنها أصبحت تبرز "الاستثناء بدلا من العادي، والمثير بدلا من الجاد".

وتكمن كثير من الأنظمة ذات الأهمية الاجتماعية القصوى، وراء ما ينظر إليها تقليديا على أنها أحداث قابلة للتغطية الاخبارية، مثل الزيادة في عدد الآلات المتحركة، والنقص في عدد الأشخاص الذين يراقبون الآلات وطول ساعات وقت الفراغ، وزيادة الخدمات المدرسية بالنسبة لكل طفل، وانخفاض حدة التزمت، والمفاوضات الناجحة حول عقود العمل، والنهضة الموسيقية في المدارس والارتفاع في مبيعات كتب التراجم والتاريخ.

وتقول اللجنة، إنه بدلا من أن تقوم الصحافة بتغطية أخبار هذه التطورات تغطية وافية، فإنها تهتم اهتماما غير مناسب بالشغب والإضراب والقتل.


وقبل ذلك بكثير، كان "والتر ليمان" قد شكك في القدرة الفنية للصحيفة على تغطية الظروف الاجتماعية الكافية وراء الأخبار الهامة، فيقول في كتابه "الرأي العام" إن الصحف لا تفعل أكثر من تعيين مندوبين لها في نقاط التسجيل . كمراكز الشرطة والمحاكم مثلا، حيث لا يلتقطون سوى الحالات الشاذة من الأحوال الاجتماعية، فقد يسترعى انتباه المندوب الصحفي رجل أعمال يعطن إفلاسه، مثلا ولكنه غير مؤهل لاكتشاف الظروف التي أدت إلى هذا الموقف، إلا بعد حدوثه فعلا، وفي رأي "ليمان" أن ذلك هو ما يحصل عليه القارئ من الصحيفة، عن الظروف الاجتماعية بصورة مشوهة وهي صورة تشبه كثيرا الكليشيه الضلّي الذي يصورّ خلال شبكة واسعة للغاية.

ويوجه بعض النقاد اتهاما للصحف بأنها قد أخفقت في إعطاء القارئ صورة متسقة للأخبار ففي سنة ١٩٣٩، ناشد "سبندي كوبر" الصحف أن تزيد من مقدار التغطية الإخبارية المتعمقة، قائلا: إن تغطيتها للأخبار السبارة محتاجة إلى مزيد من التطوير، فالمللوب هو محاولة ربط نتائج العلوم الاجتماعية المتطورة سريعا بالصحيفة، حتى يستطيع القارئ أن يفهم، لا الحدث السطحي فقط، وإنما ما يكمن وراءه أيضا. وقد اقتبس عن "ايروين ايرمان"، أحد الفلاسفة بجامعة كولومبيا ملاحظة يستصوبها، وفيها يصف الصحيفة بأنها: "أسوأ طريقة ممكنة للحصول على صورة متسقة للحياة في عصرنا.. فإنا أمكن تصوير عقل قارئ الصحيفة بأنها: "أسوأ طريقة ممكنة للحصول على صورة متسقة للحياة الصحفية بعد عشر دقائق من القراءة، فإن الصورة لن تكون خريطة وإنما تفجيرا".

ويقترح "هربرت براكر" لإعطاء القارئ صورة منظمة ومفهومة عن الحياة في عصرنا أن تعمل الصحف مزيدا من الاهتمام بالتفسير والمعلومات الخلفية، وأن يقوم محرروها بإعادة كتابة البرقيات الإخبارية من أجل اتساقها واستكمالها بالحقائق الإضافية المستمدة من إدارات البحوث التابعة لها، ويوصى بالإضافة إلى ذلك، بأن تعنى الصحف عناية كبيرة بتنظيم الأخبار لكي تكون مفهومة: فقد تخصص الصفحة الأولى بأكملها للخصات موجزة، ولكنها وأخبة، عن جميع الأحداث الكبرى، مصنفة بحسب الموضوع، وفي داخل الصحيفة تقدم تقارير أكثر إسهابا، تضم أحيانا بضعة أخبار مستقلة، وقد تقسم بحسب الموضوع، وهي طريقة تشبه إلى حد ما طريقة المجلات الإخبارية في تجميع أخبارها.

ويذهب بعض النقاد إلى أن العناوين المضلّة التي تكتب لاجتذاب القارئ العامي وللاء فراغ محدّد، تسهم في التصوير المشوّه للأحداث اليومية، ويشكو كثير من الصحفيين من أن مقدمة الخبر التي تختوى على الإجابات عن الأسئلة الخمسة المعروفة، ببناؤها الهرمي المفتوح، رغم فائدتها العملية: تجعل الأخبار مملّة ومكررة. وقد كتب "هربرت براكر" يقول: ربما أصبحت تلك الصيغة أكثر أهمية من الغاية المستهدفة أصلاً، وأن المرء لينسأل إذا ما كانت مزاياه في التطبيق تبرر نتائجها الغريبة في كتابة الأخبار. ويرى النقاد أن القارئ يُفاجأ بأهم الحقائق في أول جملة أو فقرة، فيختل الترتيب المنطقي للأحداث. ويرى الخبر على أجزاء في تكرار يضيع معه كل التشويق والإثارة.

والانتقاد الآخر الموجه للصحف هو تمسكها بالموضوعية وكأنها قيمة، ويوجه الاتهام للصحفيين بأنهم يخافون من التعليق في أعمدة الأخبار لدرجة أنهم يغشون القارئ، فهم إذ يقدمون الحقائق الموضوعية فقط بدلا من تفسيرها، يقدمون غالبا، أخبارا مشوهة وناقصة وغير مفهومة، وإن يحاولون عرض كافة وجهات النظر بالنسبة لموقف جدلي، فإنهم غالبا ما يمنحون الكاذب المعروف بكذبه نفس الثقة التي يمنحونها للصادق المعروف بصدقه. ولذلك فإن الموضوعية التي يعتزّون بها، ليست، في أغلب الأحوال من الموضوعية في شيء، وإنما هي نوع من التحريف، ويعترف النقاد بأن على الصحفي الذي يفسر الأخبار أن يسير في طريق ضيق بين الحقيقة والرأي، ولكنه يجب أن يسير في ذلك الطريق إذا أراد أن يضع الحقائق في السياق الذي يعطيها معناها.



الفصل الرابع والعشرون

بناء الرسالة وتحرير
الخبر الصحفي

يراعى المرء في قوله ثلاثة أشياء: أولها: وسائل الإقناع، وثانيها: الأسلوب أو اللغة التي يستعملها، وثالثها: ترتيب أجزاء القول^(١). وهكذا ينسب أرسطو إلى تبيان أنواع الحجج التي تنتج الإقناع^(٢)، ومقتضيات الأسلوب اللغوية وترتيب أجزاء الكلام. وقد عنى علم البلاغة الحديث بعملية الإقناع عنابة كبرى توفر لها ما لم يتوفر لأرسطو من حقائق علمية توصل إليها علم النفس الحديث عن السلوك الإنساني. وقد أجريت معظم التجارب السيكولوجية الخاصة بتغيير الاتجاهات خلال الربع الثاني من هذا القرن، ويرجع الفضل في إضافة قدر كبير من المعلومات إلى "هوفلاند" وزملائه وتلاميذه في جامعة 'ييل' الأمريكية، فقد ساعدته دراساته على بناء نظرية اتصال، وعلم بلاغة حديث، يقوم على أساس علمي^(٣).

وحيث نتحدث عن الأسس الإعلامية لتحرير الأخبار، فإننا نتحدث في الحقيقة عن مصطلح 'الرسالة الإعلامية' في نظرية الاتصال، مدركين أن الشكل التحريري لا ينفصل عن مضمون الرسالة بحال من الأحوال، الأمر الذي يحدد للمحرر الصحفي مثلاً: الأدلة التي يعتمد عليها والتي يستبعدنها، والحجج التي يفصل فيها القول وتلك التي يجب عليه استبعادها، ونوعية الاستمالات التي سوف يستخدمها ومدى قوتها، ذلك أن فن الخبر كرسالة إعلامية - إنما هو نتاج عديد من القرارات بالنسبة للشكل والمضمون على السواء، وأغلب تلك القرارات لا يمتثلها الهدف الإقناعي للرسالة الإعلامية - فحسب؛ وإنما تملها أيضاً خصائص الجمهور ومهارات المحرر وما إلى ذلك^(٤). إذ لا يكفي "أن يعرف ما ينبغي أن يقال، بل يجب أن يقوله كما ينبغي" - على حد تعبير أرسطو في "الخطابة".

ولكل كلام جزءان جوهريان هما: عرض الحالة ثم البرهنة عليها، ولا يمكن الاستغناء عن أحدهما بالآخر، ولا تقديم ثانيهما على أولهما، لأن البرهان لا يد أن يلي الحالة التي يراد أن يُبرهن عليها، وقد يزداد عليهما مقدمة في البدء وخاتمة في آخر الكلام، وبهذا تكون أجزاء القول عامة ثلاثة:

(١) أول الكتاب الثالث من الخطابة لأرسطو.

(٢) د. محمد عنيمة هلال: المدخل إلى النقد الأدبي الحديث ص ١١٧-١٢٨.

(3,4) Carl Hovland Communication and Persuasion: Psychological Studies of Opinion Changem 1963, Ch 3, pp. 56-98.

١ - المقدمة.

٢ - الغرض - ويقصد به ما يشمل عرض الحالة والبرهنة عليها.

٣ - ثم الخاتمة.

وتقتضى وحدة العمل الفني إدراك الموضوع، بما يتضمنه من أفكار، ثم تنظيم المعاني أو وحدات المضمون بحيث تكون مرتبة منسقة لتتنجلي وحدتها، وفيما يخص النثر مثلاً، فقد أدرك العرب إدراكاً عاماً هذا الترتيب، كما في الخطابة والرسائل.

إن الوحدات الأساسية في أي رسالة إعلامية تتمثل في المعلومات؛ والحقائق، والأفكار، وعناصر الأحداث، وما إلى ذلك مما يكون مادة الخبر ومضمونه، ثم تأتي المرحلة التالية لاستقاء الأخبار، وهي مرحلة صنها في الرموز اللغوية في قالب إعلامي يمثل شكل الرسالة التي يستقبلها القارئ، أو المستمع أو المشاهد.

ويمكن التعبير عن مادة الخبر بالفاظ ورموز مختلفة، وعن طريق استخدامات متنوعة تتبع للغة فعالية أكثر في تحقيق التأثير الإيجابي للرسالة الإعلامية، ولكن اللغة تظل مع ذلك أساساً من أسس التحرير الإعلامي، لأن الرسالة لا تقوم على اللغة وحدها وإنما تقوم كذلك على استخدام اللغة في قوالب فنية؛ وأشكال تحريرية تشمل: الأسلوب، والإقناع، وتنظيم أجزاء القول جميعاً في بنية الخبر الإعلامي ذاته.

وتشير نتائج الأبحاث إلى أن الإقناع يصبح أكثر فاعلية إذا حاولت الرسالة أن تذكر نتائجها أو أهدافها بوضوح؛ بدلاً من أن تترك للجمهور عبء استخلاص النتائج بنفسه. فقد وجد الباحثان "هوفلاند" و"ماندل" أن نسبة الأفراد الذين عدلوا عن اتجاهاتهم إلى الناحية التي ناصرتهم الرسالة، بلغت الضعف حينما قدم المتحدث نتائجها بشكل محدد، وذلك بالمقارنة إلى نسبة الذين غيروا اتجاهاتهم بعد أن تعرضوا لرسالة ترك المتحدث نتائجها ليستخلصها الجمهور. ولكن بعض الباحثين، يشيرون إلى أن نتائج "هوفلاند" و"ماندل" ترجع إلى الاختلافات في فهم الجمهور للرسالة.

ويذهب هؤلاء إلى أنه بالسيطرة على مستوى الفهم لم يحدث اختلاف في قدر تغيير الرأي الذي يسببه تقديم النتائج بشكل محدد؛ إذا قورن بتركها ضمنية، فقد أظهرت دراسات كثيرة أن الإعلام الذي يهدف إلى تغيير الاتجاهات ينجح حينما ينقل

الحقائق دون أن يحاول تغيير الاتجاهات التي كان المفروض أن تتغير بعد التعرض لتلك الحقائق. في هذه الحالة، فإن المعلومات الواضحة، والحقائق التي تذكر بوضوح، يتم نقلها بنجاح أكبر، في حين أن ترك هدف الرسالة ضمنى قد لا يحقق التأثير المرغوب. وقد وجد 'كاتز' و'لازارسفيد' أنه 'كلما كان المضمون الذي يقدمه الاتصال محدداً ازداد احتمال التأثير'.

تنظيم أجزاء الرسالة:

وما لا شك فيه أن المضمون الإعلامي وأساليب تقديمه، وتنظيم أجزاء الرسالة الإعلامية من أهم عوامل النجاح في التحرير الصحفي. ومن التساؤلات الهامة في هذا المجال: هل يجب أن يبدأ الفرد بالحجج المقوية أم يحتفظ بها حتى النهاية؟ وهل المضمون المحدد الهدف بوضوح، أكثر فاعلية من المضمون الذي يترك هدفاً ضمنياً ليستنتجه المتلقي؟

هناك في حقيقة الأمر عدد من الاعتبارات التي تكمن خلف اختيار هذا التنظيم أو ذلك، وهي تتصل بموقف الجمهور من الموضوع ودوافعه وأهتماماته.

وفي دراستنا للتقويم الصحفي، تبين أن اختيار الأنباء أو الموضوعات الصحفية؛ إنما يقوم على أساس معين؛ بمقتضاها يتم تحويل الحدث إلى خبر أو موضوع؛ ثم يحدد الصحفي مادة هذا الخبر أو الموضوع. والصحفي شاهد حي على الأحداث؛ ولكنه يقوم بعمل انتقائي في المحل الأول؛ إذ عليه أن يبحث عن العناصر التي لا تأتي من تلقاء نفسها. وانتقائي، لأنه يختار ما يهم الجمهور.

وبما أن الأمر يتعلق بترجمة حقيقة الحدث إلى كلمات، في أكبر قدر ممكن من الأمانة، لهذا وجدت قاعدة أقدم من الصحافة نفسها، تحدد بنية كل رسالة إعلامية، وهي سلسلة الأسئلة التي تعارفنا عليها منذ قرون: وهي: من، ماذا، أين، متى، كيف، ولماذا، فالإخبار هو الجواب عن هذه الأسئلة؛ وأهميتها النسبية تتغير وفقاً للخبر؛ ولكن في جميع الحالات يجيب الإعلام الأكثر تبسيطاً عن الأربعة أسئلة الأولى على الأقل، ولا يوجد إعلام متكامل دون الإجابة عن الأسئلة الستة.

إن البناء الموضوعي، الذي سنتعرف عليه فيما بعد، يمكن أن يتمّ بوسائل مختلفة، ولكنه يركّز دائماً على تجميع المواد المشتتة على الأجوبة عن الأسئلة الستة.

ولقد تطور فن الخبر في وسائل الإعلام مستجيباً لمتطلبات الحياة كما يجيها جمهور المتلقين يوماً، وأصبح يعتمد على عناصر الجودة والأسلوب المباشر والسريعة والتنوع، إلى أنه يسعى إلى نقل المعلومات بشكل يتفق تماماً مع سرعة عصرنا هذا، وأصبح يستهدف الإقضاء بالحقائق التي ينطوي عليها بسرعة ووضوح.

ويمكن تقسيم أجزاء الرسالة الإعلامية في عن الخبر إلى قسمين رئيسيين هما: المقدمة أو صدر الخبر ثم هيكل الخبر وصلبه العام. ويضاف إلى هذين القسمين قسم ثالث لا يقل عنهما أهمية في الخبر الصحفي ونعني به "عنوان الخبر". وتعني هذه العناصر جميعاً في الرسالة الإعلامية بتحقيق غرض عام، هو نشر الأخبار بدقة ووضوح لمساعدة القارئ أو المتلقي على الفهم. وفي جميع الأحوال، يعبر الصحفي عن الحقيقة الموضوعية، ويتعد تماماً عن الذاتية في اختيار الألفاظ أو في بناء الخبر والإجابة عن الأسئلة الستة المعروفة. وكانت الأخبار في القرن الماضي تروى بالطريقة الأدبية، فيسير الكاتب بالقصة رويداً رويداً نحو حل العقدة في نهاية الخبر، ولكن الخبر الإعلامي الحديث له قوالبه الجديدة، القائمة على السرد المباشر وإعطاء كل الحقائق في أقصر عبارات ممكنة، والابتداء بالعقدة، أو تقديم أهم عناصر الخبر في البداية مباشرة، وهذا ما يسمى بأسلوب الهرم المقلوب.

وقد جاء هذا الأسلوب العام في تنظيم أجزاء الرسالة الإعلامية متأثراً بعوامل تشكيل الهيكل الذي يتكون منه الخبر، وهي: شكل الخبر والوقت والمساحة المتوافران، لتسجيله، ومهارة المحرر.

الهرم المقلوب:

ويعتبر هذا الأسلوب من أقدم أشكال الأخبار وأكثرها ملاءمة وأعظمها نفعا وأقلها ضرراً. ويغضى هذا الأسلوب بأن نبدأ في تحرير الخبر بالعناصر المهمة أولاً، وهذه المرحلة تتطلب حاسة إعلامية نواقة وتدريباً ومراناً طويلين. ولا بد أن تحرك هذه البداية انتباه القارئ وأن تغير اهتمامه، والفرق بين المحرر الخاجع وغير الناجح أيضاً

يكن في هذا الاختيار الدقيق لقدمية الخبر، فقد يكون هناك تناقض في موقف إنسانى مؤثر كالرجل الذى يلقي القبض عليه لبله زفافه، أو العالم الذى يموت قبل استلامه جائزة الدولة التقديرية بعدة أيام، وهناك المقدمة التى تحتوى على نصريح مقتبس من رئيس الجمهورية أو رئيس الوزراء.

ويمكننا تصور هرمين، واحداً فى وضع طبيعى، والآخر مقلوباً. وهنا نجد أمامنا صورتين واضحتين للفروق الرئيسية بين رواية الخبر والقصة الخيالية أو الأدبية، فقاعدة الهرم المقلوب تمثل المفقرين الأولى والثانية من القصة الإخبارية، إذ المقدمة هى أهم جزء فى الخبر حيث تتركز عناصره.

وهذه الطريقة فى رواية الأنباء، قد جاءت نتيجة للتنافس على القراء ومحاوله لفت أنظارهم. وهناك ثلاث أسباب لاتباع أسلوب الهرم المقلوب فى تحرير الخبر الصحفى:

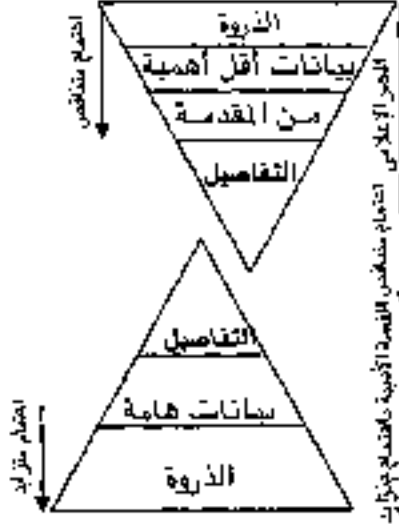
١ - الهدف الأول لوسيلة الإعلام صحيفة أو إذاعة الخ، هو تقديم الأنباء للرجال والنساء الذين ليس لديهم سوى وقت قليل لمعرفة الأحداث.

٢ - ويرى رؤساء التحرير - وهم على حق - أن المقدمة الخبرية تدفع القارئ إلى صلب الخبر، وهذا القارئ نفسه لا يهتم فى قليل أو كثير بالخبر إذا كانت المقدمة جافة لا حياة فيها.

٣ - والعامل الثالث هو ضيق المكان فى الصحيفة والحيز الزمانى فى الإذاعة والتلفزيون، فنظراً لكثرة المواد نجد أن كل موضوع يتعرض للاختصار طول رحلته؛ وهو ينتقل من مكتب إلى مكتب قبل أن ينزل إلى غرفة الجمع أو نشرة الأخبار وقد تضطر الحاجة إلى اختصاره فى الملاحظات الأخيرة، وفى هذه الحالات يمكن الاختصار من المؤخرة حتى لا تعاد كتابة الموضوع من جديد ويضيع بعض الوقت.

ومع ذلك فكثيراً ما ترى بعض الصحف تخرج على أسلوب الهرم المقلوب، ونجد المحرر يثير اهتمام القارئ ولا يشبع فضوله بمعرفة السر إلا فى الفقرة الأخيرة. ولكن هذه الطريقة كما يقول كارل وارن - تتطلب معرفة فائقة. ومع ذلك فإن ٩٠٪ من القصص الخبرية تتبع أسلوب الهرم المقلوب.

فالأسلوب الهرمي إذن، يختلف عن الأسلوب الأدبي في القصة والمسرحية مثلا، ذلك أن الأسلوب الأخير يبدأ بالتفاصيل، ويندرج في سرد تفاصيل القصة، أو تطورات المسرحية حسب حبكة القصة حتى يصل في النهاية إلى 'الذروة'؛ فالكاتب هنا يحاول



أن يستدرجك معه من التفاصيل الأقل أهمية منتقلا بك إلى التفاصيل المثيرة في اهتمام متزايد، ليترك في نفسك الرغبة في معرفة ما ستصل إليه 'الذروة' (١). أما الأسلوب الهرمي في الخبر الصحفي فالوضع 'مقلوب' كما رأينا. فنحن في المقدمة نحاول أن نقدم أهم ما في الخبر من معلومات في صورة مركزة، محددة بحيث تثير في القارئ الرغبة الشديدة في معرفة تفاصيل هذه الكلمات القليلة الهامة، ثم نحاول بعد ذلك أن نقدم للقارئ في هيكل الخبر تفاصيل ما أجمنا وأبرزنا في المقدمة الهامة؛ في اهتمام متناقص.

على أن العاملين حديثا في ميدان الصحافة والإعلام، وبصورة خاصة أولئك الذين يسعون إلى تحسين العمل في هذا الميدان، لا يكفون عن انتقاد أسلوب الهرم المقلوب، على أساس أنه يتضمن أخطاء في التسلسل الزمني لتاريخ الأحداث... ويقولون إن هذا الأسلوب يرغم المحرر على ذكر القصة الإعلامية ثلاث مرات، مرة في العنوان، وأخرى في المقدمة وثالثة في هيكل الخبر ذاته، وهم يصفون أسس هذا الأسلوب بأنه مضحك؛ لأنهم يعتقدون بأنه يعرقل رواية الخبر؛ طالما أن جوهره يأتي في المقدمة بدلا من أن يأتي قبيل النهاية. وهناك انتقاد آخر يوجه إلى أسلوب الهرم المقلوب هو أن هذا الأسلوب لا يتقيد بتاريخ ولا يضيره أن تكون القصة قد حدثت قبل أيام من تاريخ صدور الجريدة.

وعلى الرغم من وجهة هذه الانتقادات فإن أسلوب الهرم المقلوب الذي يقوم على أساس ترتيب الأحداث وفق أهميتها، ما زال يعتبر الأسلوب الوحيد القائم على الترتيب المنطقي، من الوجهة الإعلامية، ولهذا المصطلح فائدة في التفرقة بين ترتيب

(١) جلال الدين الخيامي: الشبوب الصحفي ص ٩٤.

الأحداث حسب وقوعها وفق الترتيب الزمني - وبين إعادة ترتيبها بمعرفة المندوب والمحرر ثم أن المصطلح - كما يقول جونسون وهاريس - يحمل في نضاعبفه معنى خافيا هو أن إعادة ترتيب الأحداث أمر لا يتم عشوائيا، بل يتم وفقا لخطة ومبدأ معقولين، والمبدأ الذي يتبع هو ترتيب الأهمية قياسا على ذوق الجمهور المتلقي. ولذلك فإن صدر الخبر أو مقدمته يمثل الواجهة الأساسية في هذا الأسلوب الهرمي، لأنه يشتمل على أهم ما يحتويه الخبر من مواد.

ويرتبط استعمال الأسلوب الهرمي عند مراسلي الصحف عموما باختراع التلغراف وهو الاختراع الذي فرض إرسال الأنباء بسرعة ودقة، ولقد أدرك المحررون منذ سنوات أسباب القصور في أسلوب الهرم المقلوب، الأمر الذي أدى خلال السنوات الأخيرة إلى اتباع أساليب جديدة في كتابة التحقيقات والأخبار المحللة، والحصلات الصحفية، والأخبار ذات الطابع الأقل أهمية، أو تلك التي تتميز بأهمية متوسطة. ولقد استعارت الصحف بعض الأساليب المتبعة في تحرير الخبر الإذاعي وكذلك الأخبار الأسبوعية والمجلات المصورة وغير ذلك من وسائل الإعلام، أما بالنسبة إلى هؤلاء الذين يريدون من الصحف أن تتخلى عن دورها الإعلامي كوسيلة لنقل الأخبار، تأسيساً على أن الراديو والتلفزيون أسرع من الصحف، فإن الدرس الذي تعلمناه في ربيع القرن الماضي، يدلنا على أن الجماهير ما تزال تريد قراءة كل ما تسمع أو تشاهد من أحداث، وليس هناك محرر يعتقد أن الجمهور يعرف كل شيء عن حادث معين لمجرد أن الحادث أذيع في الراديو أو التلفزيون لمدة دقائق قليلة، قبل صدور الصحيفة.

وهناك الكثير من أساليب تحرير الخبر يمكن أن نكتشف وفقاً لمتطلبات الجمهور، ولكن طبيعة الجنس الصحفي من بين أجناس الإعلام تحتم استخدام أسلوب الهرم المقلوب الذي يعتبر - حتى الآن - من أفضل الطرق لرواية الأخبار التي تتفق مع العنوان، في الجنس الصحفي والإعلام الكلاسيكي.

أولاً: تحرير المقدمة أو صدر الخبر.

ولقد رأينا كيف تتكون الرسالة الإعلامية من جزئين أساسيين. أولهما: المقدمة أو صدر الخبر، وثانيهما: الهيكل أو صلب الخبر.

والمقدمة في الخطابة بدء الكلام، وهي نظير المطلع في القصيدة، والمدخل في المسرحية، والاستهلال في الموسيقى.. وللملاحم كذلك مدخل مثل الأساة والمنهاة ويهدف هذا المدخل إلى التمهيد للموضوع، حتى لا تبقى عقول السامعين مغتقة دونه، وليتسنى لهم متابعة ما يعرض عليهم من براهين وأحداث. فهو ميروس يبدأ ملحمة "الإلياذة" هكذا: "تغنى يا آلهة الغناء بغضب البطل.. وهو ما يشعر بموضوع الإلياذة، وهو غضب أخيلوس. ويبدأ "الأوديسا" هكذا: "قضى على. أى إلهة الشعر من أخيل." وهو ما ينبئ عن أن موضوعها معرفة أخبار أوديسوس في عودته.

أما المقدمة الصحفية: فهي (صدر الخبر The Lead)، وهي تهدف إلى فتح شهية القارئ أولاً، ثم إلى تشجيعه على الاستمرار في القراءة ثانياً، ولا يخفى أن نجاح أية جريدة يقاس في بعض الأحيان بالوقت الذي يقضيه القارئ في قراءتها. لذلك يذهب علماء الصحافة إلى أن المقدمة والقدرة على كتابتها بهارة ودقة وجاذبية، هي مفتاح النجاح في تحرير الأخبار وبالتالي تحرير الموضوعات الإعلامية الكبيرة، ولهذا فإن المقدمة يجب أن تلقى عناية كبيرة في التمرن عليها من كل صحفى ناشئ يرغب رغبة صادقة في أن يتعلم التحرير على أصوله السليمة الصحيحة^(١).

ولنفرض أن جمعا من الناس قد احتشد حول حطام سيارة في إحدى زوايا شارع ما، خارج حديقة عامة، وجاء أحد المارة وأمسك بالسائق من ذراعه ووجه إليه السؤال التالي:

- مرحبا بك يا زيد.. ما الذى حدث ؟

- قتل صنفان .. قفزت السيارة من المنحى.

وحقيقة الأمر أن سائق السيارة في إجابته هذه قد قام بدور المحرر الذي يلخص الأخبار؛ فهو قد أجاب على السؤال الهام الذي يمكن أن يوجهه إلى أى شخص يعمل في

(١) جلال الدين الحمامصي: المرجع السابق ص ٥٨.

تحرير الأخبار. ويمكن تشبيهه بحقائق الخبر الصحفي بمحطة لسكة الحديد ملأى بعربات من جميع الأنواع. وال مندوب أو المحرر هو عامل التحويلة المنوط به مهمة ربط العربات في القطار فهو ينظر أمامه في المحطة ويختار منها قاطرات تجر العربات؛ وهذه القاطرة هي المقدمة، وهي أهم جزء في القطار، ثم يربط فيها بعد ذلك عربات الركاب والضاعة والمراقبة والسبينة.. التي هي صلب القصة.. وعندئذ يكون القطار معداً للمسير.

وإذا كانت مقومات الخبر واضحة فإن المندوب لا يجد صعوبة كبيرة في اختيار المقدمة ولا يحتاج الأمر إلى مهارة أو إلى خبر خاص لاكتشاف الخبر المشوق الذي يستهل به موضوعه. ولكن الأمر يختلف في المثال التالي:

"تصادمت سيارتان في طريق صلاح سالم .

"تهشمت السيارتان .

كان في السيارة الأولى السيد زيد إبراهيم وحرمه، وفي الثانية السيد عمرو عبدالباقي، وكلاهما من سكان مصر الجديدة.

'وما كادت سيارة زيد تسبق سيارة عمرو حتى انطلقت حصاة عن إحدى عجلاته وأصابته عمرواً في وجهه.

'فاضطرب عمرو، واضطربت عجلة القيادة في يده، وتصادمت السيارتان وتهشمتا وأصيب زيد وحرمه بجراح، وهما يرقدان الآن في المستشفى'. والآن نراقب أحد المندوبين وهو يستعرض أوراقه لاختيار أحسنها، وأمامه الحقائق التالية:

١ - تهشمت سيارتان على طريق صلاح سالم (مقدمة محتملة).

٢ - أصيب زيد وحرمه من مصر الجديدة بجراح (مقدمة أخرى).

٣ - زيد وحرمه في مستشفى هليوبوليس وقد انكسرت أذرعتهما (مقدمة ثالثة قد تكون أفضل من سابقتها).

٤ - حصاة أصابت عمرواً في وجهه فأفقدته سيطرته على السيارة (هذه هي المقدمة).

وهكذا يستهل المندوب موضوعه على الوجه التالي:

'حصة صغيرة انطلقت من عجلة سيارة مسرعة فأرسلت اليوم شخصين إلى المستشفى، وعندما أصابت الحصة سائق السيارة الثانية في وجهه أفقدته السيطرة على عجلة القيادة والمصابون هم"

إن المندوب في الواقع يحاول الإجابة على سؤال: ماذا حدث. لأن الإجابة على مثل هذا السؤال تتطلب إحصاءات وسجلات تجعل من لغة الخبر شيئا مزعجا. ومع ذلك فإنه في حادث من هذا النوع يتحتم على المحرر أن ينقل القارئ إلى مسرح الحادث، حتى يجعله يراه، ويلمس آثاره، كما فعل المندوب في المقدمة السابقة حيث نقل القارئ وجعله يتخيل ما حدث وكيف وقع الحادث، وكيف أنه يختلف عن حوادث الاصطدام الأخرى، فمقدمة من هذا النوع يمكن اعتبارها مقدمة خاصة لا عامة، لأنها استفذت عن الكثير من الأشياء غير الضرورية التي يمكن إيرادها في صلب الخبر حسبما يقتضى الأمر، فالمقدمة في الخبر الصحفي تقدم الحجج أو العناصر الرئيسية في البداية وما يليها في الأهمية بعد ذلك، فهي تتبع ترتيبا هرميا يقدم الحجج الرئيسية في البداية Primacy. وقد أظهرت بعض الدراسات أن الحجج التي تقدم في البداية تترك تأثيرا أكبر من تلك التي تؤجل لنهاية الرسالة الإعلامية، بينما أظهرت دراسات أخرى نتائج عكسية. ولكن ما الذي يجعل العناصر التي تقدم أولا في حالات النهاية أكثر فاعلية في حالات معينة؟ إن فعالية الرسالة الإعلامية تتوقف على قدرة المتلقيين على فهم المضمون وتذكره. وحينما لا يستوعب المتلقي أيا من العناصر المؤيدة أو يتذكرها، فالاعتقادات والتوقعات التي تشين عليها لن تتأثر بشكل عام، ولذلك تعنى الدراسات الإعلامية ببحث احتمال أن الفعالية المتنوعة لترتيب الذروة والترتيب الهرمي المناقض لها سوف يتوقف على أيهما يبسر إعلام المتلقيين.

وتأسيسا على هذا الفهم فإن علماء الإعلام، يذهبون إلى أن المقدمة لا بد أن تتصف بالكرونة الكافية بحيث تتشكل وفقا لنوع الحادث أو الخبر، مع الحذر من الحشو بالتفاصيل، وقد تكون المقدمة اقتباسية تحتوي على عبارة جرت على لسان مسئول كبير مثل 'قرارنا هو القتال'. وقد توجه المقدمة إلى القارئ نفسه مثل 'أنت الآن مطالب بضريبة جديدة' وهناك المقدمة التساؤلية مثل: 'هل تستأنف أميركا تجاربها الذرية؟' أما المقدمة الساخنة فهي تحتوي على معلومات مثيرة تخطف الأبصار وتجعل القارئ مشوقا إلى متابعة الخبر.

الشكيبات الخمس:

ويراعى في تحرير الخبر أن تشتمل المقدمة على الرواية كلها إن أمكن. فالسؤال الآن: ما الذى تتألف منه "الرواية كلها"؟ ما الذى يريد الناس معرفته عن حادث إخبارى، وكيف يتسنى للمرء معرفة إن كان قد عرض جميع المعلومات الرئيسية أولاً؟ فمثلاً: فى حادث سطو على بنك .. ألا توجد هناك وقائع جوهرية تزيد على الوقائع الجوهرية التى يشتمل عليها حادث اصطدام سيارة؟ وألا يختلف كل حادث عن غيره من الحوادث من حيث نوعية المعلومات التى تساق فى المقدمة الخبرية؟ إن الأحداث وإن اختلفت وتباينت من حيث فحواها فإن مقدمة الخبر مهمة محددة تؤديها. ومن حسن حظ المندوب والمحرر الصحفى أن العقل البشرى قادر على أن يوجه عدداً محدوداً من الأسئلة المختلفة، فليس لحب الاستطلاع - على حد تعبير جونسون وهاريس - إلا ستة أنياب أو مخالب يعض بها المجهول أو يمزق حجبها، وما تلك الأنياب الستة إلا أسئلة ستة موجزة منها خمس شقيقات هى: من؟ ماذا؟ متى؟ أين؟ لماذا؟، وأخذت سادسة غير شقيقة هى: "كيف؟". ولعل السبب فى اعتبار "كيف" اختراعاً غير شقيقة، يرجع إلى أن الإجابة عليها متضمنة فى حالات كثيرة فى إجابات الشقيقات الخمس الصريحة.

هذه الأسئلة الستة على طرافتها ووضوحها، تمثل العناصر البسيطة الواضحة من الناحية اللغوية: أى الموضوع والإسناد والخصائص والصفات وظروف الزمان وظروف المكان المتعلقة بالوقت والمكان والكيفية والسبب أو العلة. ويتبع ذلك أنه متى أمكن تقديم هذه العناصر جميعاً تقديمها سليماً بليغاً فى مقدمة الخبر، فإن هذه المقدمة تكون قد أدت مهمتها فى سرد الرواية كلها، سواء كانت تلك الرواية مطولة أو صغيرة. ويتبع ذلك أيضاً أن بقية الرواية قد لا تعدو أن تكون توسعاً فى حالة العوامل المقلبة، يتناسب طولها مع ما يقتضيه الحادث الخبرى المعين.

ولقد كانت الصحافة العالمية قبيل الجزء الأول من ١٨٦٥ م تكتب أخبارها بلغة أدبية ودون مراعاة لقواعد معينة أو دراسات علمية.. وفى إبريل ١٨٦٥ م قتل الرئيس الأمريكى إبراهيم لنكولن، وكان أول تقرير خبرى كتبه مندوب وكالة الأنباء الأمريكية الأسوشيتدبرس فى واشنطن هو:

أطلق الرصاص على الرئيس هذا مساء وهو في المسرح ومن المحتمل أن تكون الإصابة قاتلة".

هذا الخبر البسيط، القصير، اشتمل على أغلب العناصر التي يمكن أن يبادر القارئ بطلبها:

من هو الذي أصيب؟ الرئيس ابراهام لنكولن.

أين أصيب الرئيس الأمريكي؟ .. في المسرح.

متى أصيب لنكولن؟ .. مساء اليوم.

وطببعي أن القارئ يهمله أن يعرف بعد ذلك إجابة عن سؤال آخر هو:

ولماذا أطلق الرصاص على الرئيس الأمريكي؟

ومتى عرف القارئ السبب الذي دفع للمتهم إلى إطلاق النار فإنه يريد أن يعرف

أيضا إجابة أخرى عن سؤالين آخرين هما:

ماذا حدث بالتفصيل؟ وكيف حدث؟

وعندما تكتمل كل الإجابات المطلوبة يحس القارئ أنه قد ألم بكل التفاصيل

التي يهمله أن يعرفها، وما زاد على ذلك من بيانات إنما هو مزيد من التفاصيل التي لا يمكن لرواية إعلامية أن تكتمل بدونها، وهي في نفس الوقت التفاصيل التي تميز الصحفيين بعضهم من بعض، والتي تتوفر نتيجة ليقظة المتدرب الصحفي ومحاويلته جمع أكبر قدر من التفاصيل.

والشقيقات الخمس والأخت السادسة - كيف - مما يندرج تحت باب

"الاستفهام" وفي لغتنا العربية قد يكون - الاستفهام سؤالاً عما لا تعلمه لتعلمه، فيخص

باسم الاستفهام، ومنه ما يكون سؤالاً عما نعلمه ليقر لك به، فيسمى تقريراً".

وتهدف الأسئلة الستة إلى تحقيق الغرضين معاً، كما أنها ليست كل شيء في

"الموضوع الصحفي، ولكنها في حقيقة الأمر المفاتيح اللازمة لفتح الأبواب المؤدية إلى

كل التفاصيل - على حد تعبير الأستاذ الحماصي - وليس كل موضوع صحفي مما

تتوفر فيه الإجابة عن كل هذه الأسئلة فوراً، فقد يصادفك حادث وليس فيه إلا إجابة

واحدة على استقهاام واحد منها. وهنا تقود الأسئلة الأخرى إلى معرفة بقية التفصيلات التي تعطى للموضوع وحدة إعلامية.

ويتطلب هذا الأسلوب فى كتابة المقدمة الصحفية أن نجيب، عن الأسئلة التي تخطر على بال أى شخص عادى يكون فى موقف يحتم عليه إعلان حدث ما.

وسواء كان الخير مجرد خير عادى أو خيراً ضخماً الأهمية، فيجب أن تتضمن المقدمة: حقائق الرواية الجوهرية، ولقد ذكر أحد محررى الأنباء المحلية قواعد صناعة الأخبار من ألفها إلى يائها عندما صاح مجيباً عن سؤال مندوبه، قائلاً "أسرد الخبر كله فى الفقرة الأولى، وحافظ على التشويق طوال ما تبقى من العمود".

على أن أفضل المقدمات الصحفية لا تكتفى بمجرد إشباع الفضول الأولى للقارئ فحسب، ولكنها تفتح شهوته إلى الاستزادة، من القراءة كما نقدم. ويمكن القول إذن أن على المحرر الصحفى أن يتأكد من أن مقدمته التحريرية تؤدى الوظائف الخمس التالية:

١ - تعرض ملخصاً للموضوع الصحفى.

٢ - تكشف عن هوية الأشخاص والأماكن ذوى العلاقة بالموضوع.

٣ - تبرز الصلايح المميز للخبر.

٤ - تعطى آخر الأنباء عن الحدث.

٥ - تثير اهتمام القارئ (ذا أمكن لمتابعة قراءة الموضوع).

ويميل الاتجاه الحديث إلى تحقيق هذه الأمور كلها بأكثر ما يمكن من السرعة والإيجاز ومع أن رودولف فليش، أحد مستشارى وكالة الاسوشيندبرس فى "الإنقرائية" أو تيسير القراءة، يصر على أن المقدمة المبنية على أساس الإجابة عن الشقيقات الخمس، قد أصبحت قديمة العهد، فهناك كثير من التقاليد العظيمة والقديمة التي ما تزال حية، وعلى الرغم من ذلك فقد كان من شأن نشرات الأخبار المذاعة من الراديو والتلفزيون، ومن شأن المجلات الخيرية أن حفزت الصحف ونبهتها إلى ضرورة إدخال المزيد من الأساليب فى كتابتها وتيسير القراءة، وتظهر آثار ذلك الاتجاه السائد الآن نحو الاختصار للفقرة الاستهلالية فى المقدمة الخيرية.

ويذهب "يوند" إلى أن المقدمة العادية ينبغي ألا تزيد في مجموعها على الثلاثين كلمة، ويستطيع كتاب العناوين أن يرووا النبأ في عشر كلمات.

ويشير هذا الاتجاه الحديث في كتابة المقدمة إلى أهمية الخبر أو الموضوع الصحفي؛ ويعد ذهن القارئ للتفاصيل التي ستبج.

وعملية إعداد ذهن القارئ تتوقف بطبيعة الحال على الشقيقات الخمس، أيهن أقوى أثراً وإثارة في الحادث، فالذي لا شك فيه أن هذا الأثر يختلف باختلاف الأحداث وباختلاف أمزجة القراء. ومن هنا تبدأ النظرية الأولى في كتابة الخبر يسؤال هو: "أي الشقيقات أكثر أهمية كي نبدأ الإجابة عنه؟".

وتتوقف الإجابة عن هذا السؤال على عامل أساسي يتصل بواقعية الخبر ذاته، وما فيه من وقائع، وأخيراً يرضى ذوق الجمهور.

١ - الاسم - (من؟)

مثال ١ - "وجه الرئيس السادات أمس نداء عاجلاً إلى كافة أطراف الحرب الأهلية في لبنان" يطالبهم فيه بوقف هذه المناساة الدامية التي تنذر بأوخم العواقب، ليس فقط على أطراف الأزمة اللبنانية، بل على الأمة العربية بأسرها".

في هذا المثال نجد أن اسم الرئيس السادات جاء في بداية الخبر، ومعنى ذلك أن الإجابة جاءت عن السؤال: "من؟". ذلك أن الخبر حينما يتعلق بشخص أو مكان أو شيء مشهور فلا بد من تصديره في مقدمة الخبر، لأن الاسم كاف في حد ذاته لتهيئة ذهن وجذب الاهتمام.

وما لم يتفوق عنصر غير "من" على سائر العناصر وجب أن تكون الأولوية للاسم الكبير. وعلى نفس القياس يمكن الاستهلال "بما" إذا تعلق الخبر بمكان أو بشيء ذي أهمية قصوى.

مثال ٢ - "يرتفع علم مصر ابتداء من ظهر اليوم فوق حقول بترول أبو رديس التي يدخلها الخبراء المصريون في الساعة الثانية عشر ظهراً، ويوزر هذه الحقول بعد غد المهندس أحمد هلال وزير البترول الذي يحضر شحن أول دفعة من إنتاج هذه الحقول إلى معامل التكرير بالسويس نحو نصف مليون برميل تبلغ قيمتها ٥ ملايين دولار".

٢ - الشيء - (مأنا؟) :

مثال ٣ - اصطدم مقدم سيارتين في طريق صلاح سالم فأدى ذلك إلى نقل سائق السيارة السيد زيد العامل بشركة (...) إلى مستشفى الحسين الجامعي، وهو في حالة سبينة صباح اليوم.

يلاحظ أن خبر الحادث هو الذي تقدم على غيره من العناصر الأخرى في المقدمة، لأن المندوب شاهد الحادث بنفسه، أي أن الاستغياح (بمأنا؟) هنا أهم.

مثال ٤ - 'كشف جواهر وخطري' داخل مومياوات الفراعنة" .. فقد تضمن تقرير البعثة المصرية الأمريكية المشتركة الصور التي التقطت بالأشعة للمومياوات الملكية أنها قد كشفت عن جعران كبير في حجم الطبق وعلى شكل قلب، داخل مومياة الملكة نجمت (أي الجميلة) زوجة الملك حريشور في الأسرة الـ ٢١ بالإضافة إلى ٤ تماثيل صغيرة أخرى داخل بطنها لأولاد الإله حورس.

وهذا الخبر كذلك يبدأ بالإجابة عن 'مأنا اكتشف' في بداية الخبر، لأن خبر الإكتشاف أهم من الإجابة عن العناصر الأخرى في الاستهلال.

٣ - الزمان .. (متى؟) :

مثال ٥ - 'بعد خمس عشر دقيقة من وضع علامة "الخطر" بمعرفة شرطة المرور عند تقاطع المتديان مع مثيرو حلوان، أصيب السيد زيد السائق في النقل العام إصابة شديدة في حادث سيارة وقع عند ذلك التقاطع.

مثال ٦ - 'خلال ٦٠ يوما من لحظة وقف القتال تسحب أمريكا كل قواتها من فيتنام وتفرج هانوي عن كل الأسرى.. أذيعت أمس في كل من باريس وواشنطن وهانوي، نصوص اتفاقية 'إنهاء الحرب واستعادة السلام في فيتنام عند منتصف ليلة - السبت - الأحد'.

فإذا كان عنصر الزمان قلما تفوق أهميته غيره من العناصر، إلا أن هناك من الظروف كما تبين في المثالين السابقين، ما يجعل لعنصر الزمان شأننا كبيرا، فلعنصر الزمان أهمية واضحة في حادث المتديان، كما أن له أهمية تنصدر مقدمة الخبر

الثاني لتحديد موعد سحب أمريكا قواتها من فيتنام بعد حرب طال مداها، مما يسوغ وضع هذا العنصر في منزلة الصدارة على ما عداه.

٤ - المكان .. (أين) 1

مثال ٧ - 'من أعلى برج الجزيرة، وقف شاب يهدد بإلقاء نفسه إذا لم تتحقق رغبته في الحصول على وظيفة حكومية تقدم لها مع آخرين^(١).

فلو أن هذا الشاب وقف مثلا في نافذة الدور الثاني وهدد بإلقاء نفسه لما استحق تحديد المكان في بداية الخبر، ولكن وجوده في أعلى برج القاهرة . وقد يكون الحادث الأول من نوعه.. هذا السبب يفسح المجال للشقيفة 'أين' المكان الأول فعنصر المكان يتقدم غيره من العناصر بسبب اختيار 'مكان الانتحار' وذويوع شهرته.

٥ - السبب .. (لماذا؟) :

كثيرا ما يكون سبب الحادث أو الحافز عليه عنصراً من عناصر الخبر، فإذا عز على المندوب أن يتبين سبب الحادث أو علقه، فقد تضيع عليه فرصة استهلال خبره بعنصر مشوق.. ولتتمثيل على ذلك نورد المقدمة الاستهلالية التالية:

مثال ٨ - 'بسبب إسراع السائق ليكون إلى جوار فراش أمه المحتضرة أصيب إصابة خطيرة في حادث نقل على أثره إلى مستشفى الحسين الجامعي.. فقد اصطدمت مقدمة السيارة التي كان يقودها السيد زيد بسيارة أخرى واقفة عند تقاطع شارعي .. و...'. وهكذا يحرص المندوب على أن يبرز سبب الحادث في المقدمة الاستهلالية للخبر نظرا لأهمية التساؤل (لماذا؟) في هذا الحادث بالذات.

مثال ٩ - بأمر الجان .. نفذت سيدة حكم الإعدام في صديفة لها عمرها ١٩ سنة زاعمة أنها تنفذ أوامر الجان والغريب أن الفتاة استسلمت للقتل دون أى مقاومة وأن السبدة قامت بإبلاغ الشرطة بجريمتها.

مثل هذا الخبر كان من الممكن أن يبدأ بالطريقة التقليدية 'قتلت سيدة صديفة لها..'. ثم تبدأ بعد ذلك في رواية الأسباب .. ولكن من الواضح أن السبب قد تقدم غيره

(١) الحمامصي: المندوب الصحفي ص ٦١.

من العناصر، لأن السيدة المريضة توهمت أن الجان هم الذين أصدروا إليها حكم الإعدام في صديقتها فتفدته على الفور!

ويمكن تسمية هذا النوع السببي من أنواع المقدمات بمقدمة "الذافع" حيث نكتشف دائماً عن الدوافع والأسباب في حادث من الأحداث، تؤدي إلى نتائج معينة.

٦ - مقدمة الطريقة (كيف؟)!

والتساؤل "كيف" يصلح أحياناً في المقدمة الصحفية ليكتشف عن "الطريقة" أو كيفية حدوث الحادث، ومن أمثلة ذلك:

مثال ١٠ - اندفع السائق من نافذة السيارة عقب اصطدام مقدمتها بسيارة أخرى فنقل إلى المستشفى في حالة سيئة. وقد وقع الحادث للسيد زيد في طريق صلاح سالم.

وهنا يبرز المندوب "طريقة" وقوع الحادث للسائق، حين يقدم عنصر الإجابة عن "كيف" على سائر العناصر المكونة للخبر.

التجديد في تحرير

المقدمة الصحفية:

وفي تحرير المقدمات الصحفية؛ في صدر الخبر أو الموضوع الصحفي؛ وقنون العالم من: تحقيق؛ وحديث؛ وتقرير؛ ومقال؛ يستطيع المحرر استهلال الخبر أو الموضوع عن طريق عدة أشكال تعتبر في حد ذاتها نوعا خاصا من أنواع المقدمات الخبرية، لأنها لا تحرص على مراعاة استخدام العناصر الستة في صدر الخبر، ولعل المقصود من هذه الطرق الجديدة هو أن تكون وسيلة من الوسائل التي يراود بها إضفاء الوضوح والتميز على طابع الخبر، ويلاحظ أن معظم الطرق الجديدة من المقدمات الخبرية يعتمد على عنصر الترقب والانتظار اعتمادا كبيرا لإثارة اهتمام القارئ من هذه الزاوية، وربما "ورد في المقدمة عنصر من العناصر الاستفهامية الستة، غير أن بقية العناصر ترد عادة قبل أن يصل القارئ إلى نهاية الفقرة الثانية أو الثالثة من الخبر"^(١).

وقد أثبتت عدة أشكال من هذه الطرق صلاحيتها للقراءة وأصبحت بمثابة قواعد قياسية تقريبا في كتابة المقدمة، ولكنها لا تنفصل عن طبيعة المادة الخبرية بحال من الأحوال، ذلك أن هذه الطبيعة هي التي تملى على المحرر اختيار الطريقة الملائمة للمقدمة الخبرية.

١ - المقدمة الساخنة:

يقول "هوارتون": إذا استطاع المحرر أن يحتفظ في أسلوبه بعامل الإثارة الذي أودعه العبارة الأولى، لكان أحد طلبة الجامعة من الكتاب الأفتاد، فقد بدأ تلك الطالب قصته: "بحق الشيطان.. قالت الدوقة وهي تشعل سيجارتها.. الخ.

وتقوم المقدمة الساخنة على أساس من حشد جميع عناصر الإثارة في الجملة الأولى من الجمل التي يشتمل عليها الصدر وهي الجملة التي تقوم مقام العنوان في معظم الأحيان.

(١) د. حمزة: المرجع السابق ص ٩٧.

مثال ١ - رئيس جمعية منع المسكرات يدخل السجن بتهمة ضبطه سكرانا في الطريق.. قال له القاضي: لقد ارتكبت جريمة فادحة في حق الأخلاق.. الخ.

هذا النوع من المقدمات يثير الاهتمام، فهو يعطى القارئ من المعلومات ما يكفي لتحريك شهيته إلى المزيد منها، لا أكثر. وبعد المقدمة، تسرد القصة عادة حسب تنابع وقائعها الزمنية بحيث يحب القارئ أن يتابعها حتى النهاية. ليبلغ ذروتها. ويستعمل المحررون هذا النوع من المقدمات في الأخبار القصيرة بصفة رئيسية على أساس النظرية القائلة بأن استعماله في الموضوعات الطويلة يجعل القراء يحجمون عن الخوض فيها فقرة بعد فقرة.

مثال ٢ - "عاملان بالمطار يسرقان ملابس داخلية مصدرها للخارج من أجل استعمالها الشخصي.. فقد انتهز العاملان فرصة تكس صناديق وأكياس الملابس بمخازن المطار وقاما بسرقة مجموعة من فانات "جيل" المعدة للتصدير.. قام النقيب على فوزى بمباحث المطار بضبط المسروقات مخبأة داخل "الدواليب" الخاصة بالمتهمين وقد اعترفوا بالسرقة وقالوا إن الهدف من السرقة هو الاستعمال الشخصي وليس بقصد الكسب.. ومن المعروف أن هذا النوع من الفانات غير متوافر في السوق المحلي".

٢ - مقدمة الصورة:

من طرق التجديد في صدر الخبر أن تعتمد إلى رسم صورة حية للشخص الرئيسي في القصة الخيرية، حتى يمكن القارئ من تخيل القصة بسهولة، دع القارئ يرى الشخص كما تراه ويتخيل الحادث كما رأيته بنفسك.. وهذه المقدمة تفيد في تحرير فنون العالم؛ كما تستخدم في الخبر أيضا:

مثال ٣ - كانت عيناه نصف مغمضتين وكان وجهه لا يعبر عن شيء عندما ارتقى عمرو عبدالباقي على المقعد والنائب العام يصفه بأنه قاتل لا قلب له".

مثال ٤ - "خطوات متزنة مثل نغمات موسيقاه الهادئة الرائعة، والأنظار كلها مركزة عليه، تقدم الصفل (وهنا يذكر اسم الطفل) إلى المنصة الكبرى في قاعة الاحتفالات بجامعة القاهرة ليصافح نائب رئيس الجمهورية الذي جاء إلى الحفل ليقلد هذا النابغة الصغير نيشان الفنون تقديرا من الدولة لتبوعه.. لم يلتفت الطفل

بهينا أو يسارا.. لم يهزده دوى التصفيق الذي انبعث من كل ركن في القاعة الكبرى. نظرة واحدة هي التي جعلت الدموع تترقرق في عينيه. إنها نظرة أمه إليه التي كانت تجلس إلى جانب نائب رئيس الجمهورية. لقد تقدم منها وقبل أن يقدم يده لمصافحة نائب الرئيس انحنى على يدها وقبلها قبلة الوفاء.. واحتضنته أمه.. ودوت القاعة بالتصفيق الذي لم تشهد القاعة مثله من قبل.

هذا التصوير 'البسيط' في ألفاظه - كما يقول الأستاذ الحمامصي - والذي روعى فيه أن يكون كل لفظ فيه معبرا ببساطة لا تعقيد فيها، هو الذي يحرك مشاعر الجماهير المقارئة ويجعلها تحس أنها ترى ملامح "الصورة" الخاطفة التي مضت بين تقدم الطفل من مكانه إلى حيث طبع على يد أمه قبلة الوفاء..

٣ - المقدمة المقارنة :

من طرق التجديد كذلك: الاعتماد على المفارقات والتناقضات... وفي هذا النوع من المقدمات يقابل المحرر بين المفارقات والأضداد؛ كمقابلته بين الصغير والكبير والمهابة والمأساة، والماضي والحاضر:

مثال ٥ - " أقيم هنا احتفال عظيم من خمسين سنة .. فقد احتشد الناس جميعا لمشاهدة عملية إرساء الحجر الأساسي لأول مبنى ارتفاعه ستة طوابق يقام في المدينة. أما اليوم فلم يحفل بإرساء الحجر الأساسي لعمارة "هالي" التي سترتفع إلى خمسة عشر طابقا.

فالمقارنة بين الأضداد تجد طريقا سهلا إلى قلوب القراء ونفوسهم فإذا وقف عملاق في السبرك يضافح قزما فإن هذا المنظر يثير الجماهير أكثر مما يثيره منظر كل واحد منهم على حدة، ونفس الشيء ينطبق على فنون التحرير الصحفي.

مثال ٦ - "لقد كانت الوحوش الضاربة في الغاية حيوانات أليفة يلهو بها (فلان) وهو يصيد النمر في الأسبوع الماضي.. واليوم يرقد صاحبنا في المستشفى بسبب فأر وليم .."

مثال ٧ - "حصل عبد السميع إبراهيم أمس على جائزة مائة جنيه لأنه ساق سيارته التاكسي ٢٥ عاما دون أن يرتكب حادثة أو توقع عليه مخالفة مرور واحدة. وبعد

أن غادر مكان الحفل في طريق عودته إلى منزله ليحتفل مع أولاده بهذه الجائزة صدم طفلة صغيرة في الطريق فماتت لفورها وبات ليلته في السجن^(١).

٤ - المقدمة التساؤلية:

اختلف علماء الصحافة في هذه الطريقة فبعضهم يرى أن استهلال القصة الخيرية بسؤال فيه غموض على القارئ^(٢) ومعناه عدم نقل معلومات جديدة إليه، وإنه من واجب الصحفي أن ينقل الأنباء إلى القارئ لا أن يقدم إليه سؤالاً. ورغم وجهة الحجة، فإن بدء القصة بسؤال قد يكون بداية ناجحة في بعض الأحيان لإثارة اهتمام القارئ.

مثال ٨ - هل من حق الزوج أن يصفع زوجته إذا رفضت أن تغلق الباب؟ تلك هي المشكلة التي واجهت القاضي (وهنا يذكر اسمه) في محكمة الأحوال الشخصية. وقد قضى بالنفي^(٣).

وتعد الطريقة التساؤلية بعيدة الأثر متى كان قوام مشكلة من المشكلات التي يحز الاهتمام إلى علاج لها مثل:

مثال ٩ - كيف يمكن إنقاذ عدد ضحايا حوادث المرور؟

هذا سؤال بحثه اليوم ثلاثة من كبار المسؤولين في المدينة هم: المحافظ ومدير المرور ونقيب السائقين بعد أن تلقوا نبأ وفاة شخص سابع نتيجة لحوادث المرور في هذا الشهر^(٤).

وتستخدم المقدمة التساؤلية كذلك في الأخبار ذات الصلة بواجب الجمهور إزاء بعض الإجراءات الحكومية وغير الحكومية، مما يكسب الخبر نوعاً من الجدية والأهمية.. حتى ولو لم يكن فيه سوى التنبية فقط:

مثال ١٠ - هل دفعت الضرائب انطوية منك؟!

يذكر ابن وهب في "البرهان" أن أنواع البحث والسؤال التي يمكن الاستفادة منها في المقدمة التساؤلية، تسعة أنواع:

(١) الحمامصي: المرجع السابق ص ٨٠.

(٢) كارل وايزن: المرجع السابق ص ٦٠.

(٣) جوسون وهاريس: المرجع السابق ص ١٢٤.

أولها: البحث عن الوجود بـ "هل" نقول "هل كان كذا وكذا" فيقال .. "نعم" أو "لا" (وذلك فى الفقرة التالية للفقرة التساؤلية فى المقدمة بطبيعة الحال، كما رأينا فى الأمثلة المتقدمة).

والثانى: البحث عن أنواع الموجودات بـ "هل" كان كذا وكذا فيقال.. "نعم" أو "لا" (وذلك فى الفقرة التالية للفقرة التساؤلية فى المقدمة بطبيعة الحال، كما رأينا فى الأمثلة المتقدمة).

والثالث: البحث عن الفصل بين الموجودات بـ "أى" نقول: "أى الأشكال للربيع؟" فيقال: "هو الذى تحيط به أربعة خطوط".

والرابع: البحث عن أحوال الموجودات بـ "كيف" نقول: كيف الإنسان؟ فيقال: منتصب القامة.

والخامس: البحث عن عدد الموجودات بـ "كم؟".

والسادس: البحث عن زمن الموجودات بـ "متى" نقول: "متى كان هذا؟" فيقال "فى زمن الرشيد".

والسابع: البحث عن مكان الموجودات بـ "أين" نقول "أين زيد؟" فيقال: "فى الدار، وأمن" لا نستعمل إلا فى المسألة عمن يميز ويعقل.

والثامن: البحث عن اشخاص الموجودات بـ "من" نقول "من خرج؟" فيقال زيد.
والتاسع: البحث عن علل الموجودات بـ "لم".

٥ - المقدمة الإقتباسية :

وقد تسمى 'مقدمة الحديث المنقول'، ذلك أنه فى بعض الأحيان تبرر عبارة صغيرة أو جملة مقتضية فى تصريح أو حديث خاص، وتظل وحدها أهم نقطة فى الحديث كله، ومثل هذه العبارة جديرة بأن تنصدر المقدمة الصحفية، ولكن يجب على المحرر أن يشرح تلك العبارة فى صلب الخبر:

مثال ١١ - "استطيع أن أقتل أى واحد منكم بثلاثمائة دولار".

'هكذا أعلن رئيس البوليس (وهنا يذكر اسمه) على ثلاثمائة من أعضاء نادي (كذا) الذبح اجتمعوا أمس، ثم استطرد رئيس البوليس يقول: "لقد هبطت أسعار الغنلة المحترفين كثيرا في العام الأخير"^(١).

وفي معالجة الأختار السياسية وغير السياسية نادت الصلة بالجمهور والتي قد يكون فيها تحديد مصائر وسائل معينة، ينبغي أن تبدأ المقدمة بجملة مقتبسة أو عبارة قوية:

مثال ١٢ - 'قال وزير الخزانة إن قانون تعديل ضريبة كسب العمل سيصدر خلال أيام ..'^(٢).

فمن الأفضل أن تبرز في مقدمة الخبر كلاما 'منسويا' إلى مصدر مسئول.

مثال ١٣ - 'إن ثقتي كاملة في الوزير (وهنا يذكر اسمه) ولن يخرج من الوزارة.. بهذه الكلمات قال (وهنا يذكر اسم المسئول) كلمته الحاسمة في مؤتمره الصحفي الذي عقده أمس'^(٣).

وهنا يستشهد المحرر بقول هام موجز أفضى به صاحبه، والأغلب أن يكون شخصا مشهورا أو مشهورا أو ذا حيثية:

مثال ١٤ - 'السادات يعين: 'المصالحة الوطنية اللبنانية تمثل خطوة السلام القادمة' وذلك في الكلمة التي ألقاها الرئيس السادات في ختام أعمال المؤتمر الاستثنائي للنقمة العربية'.

٦ - المقدمة الوصفية:

وإذا كانت مقدمة 'الصورة' تعنى بالشخص أو الأشخاص الذين اشتركوا في صنع الخبر، فإن المقدمة الوصفية تعنى بالمنظر الذي وقع فيه الحادث، إذا كان أهم من الأشخاص، ويوسع المحرر في هذه المقدمة أن يعد المسرح لتمثيل قصته الصحفية، فيصف المشهد المعنى بالخبر أو الموضوع؛ وأكثر ما يكون ذلك في الحفلات والمهرجانات والمعارض العامة، والحداثق، والأماكن التي تصنع فيها الأحداث ونحو ذلك:

(١) كارل وارين . المرجع السابق ص ٦١ .

(٢) الصمامي : المرجع السابق ص ٨٢ .

(٣) الصمامي : المرجع السابق ص ٨٢ .

مثال ١٥ - "نقد منه الوقود، وليس عنده مظلة، ولكن الحظ حالفه، واستطاع طيار ذو أعصاب من حديد أن يهبط مضطراً ليلة أمس في عاصفة ثلجية بالقرب من مطار (...) دون أن يصاب بأذى إلا من خدشات بسيطة في جناح الطائرة.

مثال ١٦ - 'بريق أخضر يخطف الأبصار أضواء ليلة أمس نصف المحافظة عندما شاهد الناس طريقاً من نار يصل الأرض بالسماء ويسقط منه شهاب ملتهب في بحيرة راكدة بالقرب من (وهنا يذكر أسم المدينة) (١).

مثال ١٧ - تحولت معارك سيناء - التي بدأت صباح يوم الأربعاء - إلى أكبر صدام، بالدبابات في تاريخ الحروب في العالم يدور فيه قتال شرس وعنيد بمئات الدبابات ومئات العربات المدرعة ويطاريات المدفعية والصواريخ المضادة للدبابات وكذلك قوات الطيران والدفاع الجوي..

'وقد ذكر خبراء وزارة الدفاع الأمريكية الذين يتابعون المعركة مع كل الدوائر العسكرية في العواصم الكبرى - أن معركة الدبابات الحالية ربما تكون لها نتائج هامة في سير القتال كله، وأضاف الخبراء أن هذه المعركة الضخمة قد لا تنتهي قبل بضعة أيام أخرى."

٧ - المقدمة الإذاعية :

ومن طرق التجديد في صياغة صدر الخبر أو الموضوع الصحفي؛ أيضا الطريقة التي تسمى بالخطاب المباشر أي توجيه الخطاب إلى القراء مباشرة، غير أن هذه الطريقة أقرب للإذاعة وبها أشبه، ولذلك نسميها بالمقدمة الإذاعية الشخصية التي تستثير الاهتمام. فالمحرر يخاطب القارئ مباشرة أو ضمناً، باستعمال ضمير المخاطب "أنت" ومن شأنه أن يحمل القارئ على التضامن معه بالنسبة إلى القول الذي يتبع.. وغالبا ما يبدأ هذا الأسلوب بعبارات مثل: "لو أنك فكرت قط" أو "لو أنك شاهدت أو قرأت قط".

مثال ١٨ - إذا كنت تظن أنك تتحمل الكثير عندما تضطر إلى الاستماع إلى شقيقتك الصغرى وهي تثمرن على البيانو، فارت لجال (فلان) الذي كان عليه أن

(١) كارن وارين - المرجع السابق ص ٦٠.

————— الأساطير الخفية في التحرير الصحفي —————

يستمتع خلال الثلاثين سنة الماضية إلى ٢٠.٥٠٠ طفل وهم يعزفون على البيانو . ومع ذلك يحب عمله".

مثال ١٩ - لا تتوقع رحمة من خبير الأرصاد الجوية، لأنه يتكهن باستمرار موجة البرد.

وإذا كانت الأصالة تأتي النمطية التي نتعدى حدود القول العام، فإن طريق التجديد أمام المحررين الممارسين الذين يبتكرون كل يوم جديدا في كتابة صدر الخبر أو مقدمة الموضوع الصحفي؛ تقتضى من المحررين التفكير الدائب؛ ابتداء من جمع المعلومات عن خبر من الأخبار، وحتى لحظة كتابتها، لإيجاد مقدمة مناسبة؛ يختارها هذا العنصر أو ذلك؛ من العناصر؛ والذي يتقدم غيره في الأهمية، حتى يمكننا أن نذهب إلى أن الطريقة المثلى لاكتساب الخبرة التحريرية إنما هي في ممارسة تحرير المقدمات الصحفية.

ثانياً: حلقة الاتصال في الهيكل الصحفي

بعد الانتباه من كتابة المقدمة ووضعها في صيغتها النهائية تبدأ المهمة الثانية وهي سرد الموضوع، ويشبه "أرين" المقدمة بالرأس والأكتاف من الثمثال، والصلب بمثابة الجسم، وعلى المحرر أن يلائم بين هذين الجزئين ملاءمة تامة.

ذلك أن فنون التحرير الصحفي تعتمد على لغة الفنر، وهي فنون أقرب ما تكون إلى فن الترسيل في نرائخا، والترسل من : "ترسلت - أترسل - ترسل" وأنا مترسل كما يقال "توقفت بهم - وانتوقف - توقفا، وأنا متوقف ولا يقال ذلك إلا فيمن تكرر فعله في الرسائل... ويقال " أرسل - يرسل - إرسال - وهو مرسل، والاسم 'الرسالة' أو" راسل يرسل وهو مراسل، وذلك إذا كان ومن يرأسله قد اشتركا في المراسلة.. وأصل الاشتقاق في ذلك أنه كلام يرأسل به من بعيد، فاشتق له اسم الترسيل، والرسالة من ذلك.

فإذا كنا نتفق على أن المحرر يقوم بدور "المرسل" في نظرية الإعلام وأنه يقوم بتحرير "الرسالة" الإعلامية" وهي هنا فن الخبر أو الموضوع الصحفي، فإنه لابد كما يقول علماء البلاغة، أن يكون 'عارفاً بمواقع القول وأوقاته واحتمال المخاطبين به، فلا يستعمل الإيجاز في موضع الإطالة فيقصر عن بلوغ الإرادة، ولا الإطالة في موضع الإيجاز فيتجاوز في مقدار الحاجة إلى الإضجار والملالة'

ومن أجل ذلك عنى القدامى من الصحفيين بوضع قواعد يستطيع المحرر المبتدئ، إتباعها، فلا بد بعد كتابة المقدمة أن يعثر المحرر على جسر يربطها دون افتعال أو التواء ببقية الخبر، وغالباً ما يكون هذا الجسر جملة أو جملتين على الأكثر:

مثال ١ - "وصف (تيزن) مدير إدارة الحدائق الاقتراح بأنه سخيخ وليس فيه نوع من الاقتصار، ورفض مشروعاً لبناء حديقة حيوانات صغيرة تكلف ٢٥ ألف دولار في الجزء الشمالي من حدائق جرين ميدلز".

"وقد ناقش جرين المشروع مع أعضاء جمعية الحيوان في المدينة أثناء مأدبة أقيمت في فندق شيراتون".

"وكيف نحصل أولاً على مبلغ ٢٥ ألف دولار؟ تساهل جرين... وهكذا جاءت الفقرة الثانية جملة واحدة تربط بين المقدمة والموضوع وغالباً ما تكون هذه الفقرة جواباً عن أحد الأسئلة الستة، وعادة ما تكون جواباً عن سؤال: أين.. ولماذا؟

ومع أن الخبر قد لا يتطلب حلقة الاتصال هذه؛ إلا أنها في الواقع كما يذهب إلى ذلك الأستاذ الحامصي، تخدم واحدا من الأغراض الأتية:

(أ) أنها 'تكمل' بعض البيانات الأساسية التي قد لا يكون لها مكان في المقدمة خشية أن تسبب ارتجاسا بها.

(ب) أنها توفر المكان لبراز واقعة أو أكثر أهمية من وقائع المقدمة.

(ج) إنها قد تفسح المجال أمام تسجيل تصريح منسوب إلى شخصية رسمية وهذا التسجيل يعطى قيمة للخبر، وفي نفس الوقت يدعم ما جاء في المقدمة.

(د) تفسر واحدة من الشقيقات الخمس، وهي في الغالب "لماذا".

(هـ) تلخص ما سبق حدوثه في فترة سابقة - إذا ما كان الموضوع الصحفي تكلمة لموضوع سبق نشره في اليوم السابق أو منذ فترة زمنية غير محددة.

ويذهب بعض العلماء إلى أن الجهد المستمر لتقصير الجمل إنما يكون في الغالب على حساب الوضوح، ولذلك يجب على محرر الأخبار أن يكون أثناء معالجته لمادة خبرية، هادئا متجربا موضوعيا، في معالجة الحقائق التي قد يكون جمعها بنفسه أو تلقاها من مصادر أخرى، وعلى أية حال عليه أن يختار أهم حقيقة في مجموعة الحقائق المعروضة أمامه ليضع منها المقدمة، ويأتي بعد ذلك دور تحرير هيكل الخبر وهنا عليه أن يشرح المقدمة، وأثناء هذه العملية كلها عليه أن يتذكر ضرورة استعمال الجمل القصيرة نسبيا، والمرتبة في فقرات قصيرة، ومكتوبة بألفاظ مألوفة وكثيرة التداول، وبلغة واضحة قوية، كما يجب أن يكون الخبر في مجموعه قصيرا.

والإصرار على ذكر مصدر الخبر - شخصا أو مؤسسة أو جماعة - يسبب للمحرر غير الخبر الوقوع في حيرة تؤدي إلى تشويش مقدمته، وليس من الضروري أن تذكر أسماء المصادر أو ألقابهم أو أماكن عقد المؤتمرات الصحفية في المقدمة، ذلك أنها ستجد مكانها الطبيعي في حلقة الاتصال التي تمثل الفقرة الثانية في أغلب الأحوال.

وعلى الرغم مما يتمتع به الفن الصحفي من حرية في نقل المعلومات، إلا أنه لا يجوز لأي محرر أن يضمن وجهة نظره الخاصة في خبر ما، وإنما يحتفظ بها ليكتبها في

مقال أو تعليق، ولذلك يبقى مبدأ فصل أعمدة الأخبار عن أعمدة المقالات الافتتاحية تأييدا عاما من جميع الأوساط الصحفية المسؤولة. وإن لم توجد هناك اتفاقية عامة حول أين تبدأ منه وأين تنتهي تلك، فالهدف واضح على أقل تقدير، وعندما يوضع موضع التنفيذ يصبح موضع معالجة خاصة^(١).

ويرتبط اصطلاح 'التنويح اللطيف' بحلقة الاتصال، وهيكل الخبر أو الموضوع الصحفي؛ بوجه عام اتصالا وتبعًا، ويعنى به علاج الرتابة في تحرير الأخبار والفنون الصحفية الأخرى، فمثلا كثيرا ما يلاحظ في نشرات وكالات الأنباء أن كلمة "قال" استعملت في كل فقرة من فقرات الخبر، ولما كانت كلمة "قال" هي الكلمة الصحيحة، وتمنح 'التنويح اللطيف' فليس هنالك من سبب يحول دون استعمالها مرة بعد أخرى ولكننا يمكن أن نستخدم كلمات مثل "صرح" و"أعلن" و"أكد" الخ وفقا لطبيعة المعلومات المتضمنة في الخبر بطبيعة الحال.

ويقوم تحرير الخبر على مبدأ وضع فكرة واحدة في كل جملة، كوسيلة لتوضيح كتابة الأخبار، ومن المؤكد أنه لا توجد قاعدة سواء أكانت مكتوبة أو متفقا علينا، تجبر محرر الأخبار والموضوعات الصحفية على تكديس كل المعلومات في المقدمة، ولذلك فإن حلقة الاتصال تقوم بدور أساسي في تحقيق هذا المبدأ، بحيث تظل أقوى المقدمات تأثيرا هي التي تفقد اهتمام القارئ إلى هيكل الخبر أو الموضوع الصحفي.

وعالما ما يكون اختصار فقرات الأخبار من العضلات بالنسبة إلى محرر الأخبار عديم الخبرة، ولعله يكون قد اعتاد على الجمل الطويلة التي يبدأ المبتدأ فيها في أول الصفحة، ولا يأتي الخبر إلا في آخرها، ولذا فإنه يشعر بأنه من الصعب عليه فهم معنى الفقرة في دنيا الصحافة، ولا يمكن أن يدرك بسرعة أن المقصود بالفقرة هو خلق انتباه عند القارئ.

وعندما يكتب الخبر بطريقة الفقرة الكاملة فإن كل فقرة باستثناء الأولى يمكن فصلها عن الأخرى، ويقصد من هذه الطريقة إتاحة الفرصة لاختصار الخبر من نهايته، ولو

(١) نفس المرجع ص ٩٤، ٩٢.

افترضنا أن المحرر المسئول عن الإخراج لم يكن منقبا وقطع فقرة من آخر الخبر فإن ذلك لا يسبب إلا مشكلة ضئيلة.. وأنه لتقليد متبع أن تحرر الأخبار بصيغة الماضي للصحف، والعناوين بصيغة الحاضر في معظم الأحيان، وذلك بهدف تحقيق صفة الفورية الإعلامية على صفحات الصحف.

وإذا كان النقاد يذهبون إلى أن أسلوب الهرم المقلوب يرغم المحرر على ذكر القصة الخبرية ثلاث مرات أو أربع، مرة في العنوان وثانية في المقدمة، وثالثة في حلقة الاتصال ورابعة في صنب الخبر ذاته.. فإن هذا التكرار ليس عبئا في الأسلوب الصحفي في التحرير؛ كما يذهب إلى ذلك هؤلاء النقاد.

ونذكر هنا ما تذهب إليه البلاغة العربية من أن الإطالة مسنحية في مخاطبة العوام، ومن ليس من ذوى الإقحام ومن لا يكتفى من القول ببسيره، ولا يتفتق ذهنه إلا بتكريره، وإيضاح تفسيره.. والمعروف أن جمهور الصحافة جمهور عام وليس جمهورا خاصا.. بقول ابن وهب: "ولهذا استعمل الله عز وجل - في مواضع من كتابه تكثير القصص، وتصريف القول، ليفهم من يبعد فهمه، ويعلم من قصر علمه، واستعمل في مواضع أخرى الإيجاز والاختصار لذوى العقول والأبصار

ويقول: إن الإطالة "تحسن وسط الكلام في تفسير الجمل، وتكرار الوعظ، وإفهام العامة، ويليق ذلك بالأئمة والرؤساء ومن يقتدى به، ويؤخذ عنه".

ثالثا: الأنماط التحريرية في بناء الهرم

وشكل الهرم المقلوب الذي توجد قاعدته إلى أعلى يصبح أسلوبا خبريا عاما، يقوم على مبدأ أساسى هو مبدأ "الأهمية والدلالة الخبرية" ولذلك تتضمن المقدمة "أهم" حادث أو حقيقة، ثم يستمر بناء الهرم قائما على ما يلي ذلك أهمية، سواء أكان حادثا أم حقيقة أم تفصيلا من التفصيلات، ثم الأقل أهمية، فالأقل، وهكذا..

على أن هذا الأسلوب الهرمى في تحرير الخبر يمكن أن يتضمن في ثناياه، ثلاثة أنواع من الأنماط التحريرية، نقوم في منطقتها وصلبها على طبيعة المادة الخبرية ذاتها، فالخبر الذى يقوم فى جوهره على الوقائع أو الحقائق يصلح له: النمط السردى، والخبر الذى يقوم فى طبيعته على "العمل" أو "الحركة" يصلح له نمط "القصة الخبرية"

وأما الخبر الذي يتعلق بتصريحات أو أقوال منسوبة لأشخاص أو "حديث منقول" فيصالح له: "النمط الاقتباسي".

على أن هذه الأنماط التحريرية ليست قوالب جامدة تصعب على التجديد، ففي مقدور المحرر المتمرس أن يتبع نمطا جديدا يتفق وشخصيته، وطابع الخبر أو الموضوع الصحفي ذاته.

١ - النمط السردى:

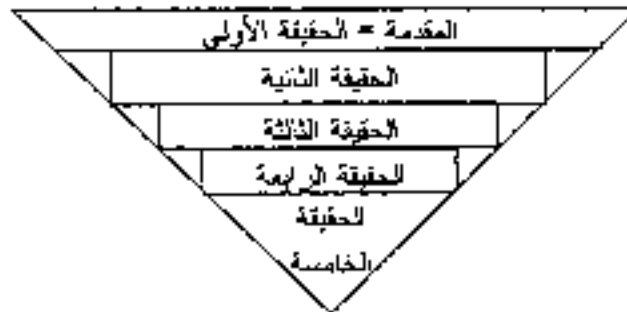
ويقوم هذا النمط السردى في تحرير الخبر، على أساس من طبيعة الخبر كما تقدم. وهي هنا تقوم على "الوقائع" أو "الحقائق" المرتبطة برباط وثيق. ويتطلب هذا النمط التحريري^(١):

(أ) التوفيق في اختيار المقدمة وتطبيق ما درسناه حولها.

(ب) ترتيب الوقائع بعد ذلك حسب أهميتها - (وهذا هو الأهم).

(ج) الربط بين هذه الوقائع أو الحقائق - ربطا متجانسا بحيث يخرج الخبر مستكملا في نهاية الأمر؛ لكل الاعتبارات الفنية.

وهكذا نجد أن الأسلوب الهرمي في هذا النمط السردى، يتكون على النحو التالي:



فالأجزاء التي يتكون منها النمط السردى، هي المقدمة والتي تتضمن الحقيقة الأولى التي تمثل الأهمية الأكبر بين زميلاتها، ثم تليها الحقيقة الثانية وهي التي تمثل بعدها مكانا مهما، وهنا تتوسع في سرد الحقائق.

(١) الحمادى: المرجع السابق ص ٥٩.

مثال ١:

المقدمة - الحقيقة الأولى:

"مصر تشهد اليوم أول انتخابات من نوعها لاختيار مجلس الشعب الجديد.. يتوجه اليوم ٩.٥ مليون ناخب وناخبة إلى ١٥ ألف لجنة انتخابية في أول انتخابات من نوعها لمجلس الشعب يتم إجراؤها في إطار الترتيبات السياسية الجديدة.

الحقيقة الثانية:

'وقد بلغ عدد المرشحين في هذه الانتخابات ١٦٦٠ مرشحا يجرى التنافس بينهم لاختيار ٣٤٦ عضوا للمجلس الجديد الذي حدد يوم الخميس ١١ نوفمبر موعدا لعقد جلسته الافتتاحية.

الحقيقة الثالثة:

'ومن هذا العدد من المرشحين: ١٧١ من تنظيم الأحرار الاشتراكيين (اليمن) و ٥٢٧ من تنظيم مصر العزيم الاشتراكي (الوسط) و ٦٥ من تنظيم التجمع الوطني التقدمي الوحدوي (اليسار)، و ٨٩٧ مرشحا، الخ.

وهكذا لا نجد صعوبة في تركيب النمط السردي القائم على الحقائق أو الوقائع، ومفتاح التنظيم الصحيح في هذا النمط التحريري هو تقدير قيمة المعلومات التي تم جمعها حسب ترتيب أهميتها، في فقرات مختصرة مركزة يزيد الارتباط بينها من قوة الخبر وتسلسله، بحيث ينتقل الخبر من الحقيقة الأولى إلى الثانية إلى الثالثة وهكذا.

٢ - نمط القصة الخيرية:

القصص في اللغة هو تتبع الأثر لمعرفة المكان الذي نزل به أصحابه وسلوكه، والمعنى اللغوي أقرب إلى الدلالة الصحفية للقصة كما سنرى، ومن هنا - كما يقول الأستاذان العقاد، رحمه الله، للحكاية عن القوم أنها قصة، لأن من يحكى عنهم يتبع أثرهم ليعرف خبرهم فهو يقص سيرتهم في الزمان كما تقص السير في المواقع والجهات.

وقد وردت الكلمة في القرآن الكريم بالمعنيين في سورة واحدة، فجاء في سورة الكهف: "فارتدا على أثارهما قصصا" بمعنى تتبع الأثر لمعرفة الطريق، وجاء فيها: "نحن نقص عليك نبأهم بالحق (إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى) بمعنى تتبع الخبر في التاريخ.

ويذهب العقاد^(٢١) إلى أن كلمة القصص في القرآن الكريم تنصرف على عمومها إلى معنى الهداية إلى الأخبار والآثار الباقية من سير القرون الخابرة، وهي تساق في الكتاب لمقاصد كثيرة تجمعها كلها هذه المقاصد الثلاثة:

فهى تساق للعبارة والموعظة، أو تساق للقوة وتثبيت العزيمة أو تساق للتعليم والهداية.

وتتلى قصص العبرة والموعظة في القرآن الكريم لتذكير الأحياء بمصائر الغابرين من الأمم الأولى، وكانت توصف بأنها أساطير الأولين من الكلام السطور أى المكتوب، وقد تكون الكلمة إحدى الألفاظ التى تعربت عن اليونانية لأن، 'الاستوريا' عندهم بمعنى الخير المسجل أو المعروف، ولا يبعد أن يكون اليونان قد أخذوها عن العرب، لأنهم أخذوا الكتابة عن الأمم السامية، وسبقهم عرب الشمال وعرب الجنوب إلى رسم الحروف، ولا تزال أسماء 'الألفا والبيتا والجاما' عندهم منقولة من الألف والباء والجميم، بل يرجع أن كلمة 'كلموس' اليونانية أى 'القلم' منقولة عن العربية، لأن القلامة أصيلة فيها ومن مادتها 'القصم والقضم والقضم والقحم والقرم' وكلها تفيد القطع كما يفيد التقليم، وكذلك السطر والسطر بمعنى الخط أو القط فى العربية، يقال سطره وسطره وخطه وقطه بمعنى واحد، فليس من البعيد أن تنتقل هذه الكلمات مصاحبة للكتابة التى لا شكل فى انتقالها من الأمم السامية إلى اليونان.

وقد تردت فى القرآن الكريم أخبار الأولين على سبيل العبرة والموعظة وكان مدارها جميعا على تحذير الأمم الباقية من الاعتزاز بالمتعة. كما اغترت بها الأمم الخالية، وكانت هذه العظات - كما يقول العقاد كذلك^(٢٢) - ألزم العبر لتلك الأمم التى أمنت بالأوثان والأرباب ولم تؤمن بالوحدانية، فإنها إذا علمت أن أربابها لن تحميها من الكوارث، ولا تقدر على إصابتها بها، ذهب إيمانها بتلك الأرباب، ووجب عندها أن تبحث عن قوة إلهية تملك القدرة التى عجزت عنها معبوداتها.

وفى القرآن غير القصص التى تدعو إلى العبرة بمصير الكافرين أنباء تروى عن الأنبياء الذين أرسلوا إلى الأمم الغابرة فكذبتهم وتنكرت لهم، ثم ظهرت دعوتهم، وحاققت النعمة بمن كذبوهم وأنكروهم، وبقيت قدرتهم لينتفع بها من يعمل عملهم،

(٢١) فى المقال الصحفي فى أدب العقاد، القاهرة، هيئة الكتاب ص ٢٦٢.

ويقفوا أثرهم، ويلقى من قومه مثل ما كانوا يلقونه من أقوامهم.. 'وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك' كما جاء في سورة هود.. وهذا على الجملة حكمة المقصص، والتي جاءت في الكتاب عن جهاد الرسل ومقاومة الصبر على الدعوة، تنبيهاً للأنفذة وتبشيراً للدعاة والمصلحين بمقاومة الصبر على الجهاد.

والقصة الخبرية، لا تخرج في دالاتها الحديثة، عن محاولة قصّ الفبا بالحق، ومن هنا كان الفرق كبيراً بينها وبين القصة الأدبية الخالصة، فالقصة الأدبية ليست مقيدة بقصر الحقيقة، لأن مجال الخيال أمامها طلق فسيح، والوصف فيها أدبي من حيث الحياة والأشخاص ومجال الأحداث، وصراع الأشخاص النفسي، ولذلك كانت القصة الأدبية حديثة النشأة، تختلط فيها الحقائق الإنسانية بالأمور الخيالية فتبعد كثيراً عن حقيقة الواقع، لما يتميز به الأدب من نائية يسبقها التحرير الصحفي الموضوعي من خصائصه.

وليست القصة الأدبية الحديثة تقريراً عن التجربة، كما نجد في القصة الصحفية، ولكن الأدبية تصوير حي للتجربة، يوحى بمعان تعتمد على خيال الكاتب وتتراعى من خلال موقفه الخاص فضلاً عن الموضوعية التي تتميز بها القصة الصحفية، فإن هناك اختلافاً في البناء الفني بين النوعين الفصصيين، فالنوع الأدبي يقوم على التسلسل من البداية حتى الوسط والنزوة، في النهاية، أو كما يذهب أ.م فورستر في كتابه عن "القصة" عانها تقدم على السرد المجرد لعنصر أساسي وبدائي، وهو يسميه الإغراء الواقع تحت باب "ثم". وهو يتقدم سواه على أنه الجوهرى الوحيد بينها، لأنه سيبقى دائماً هو الجوهر في رواية القصص والخيال الذي يربط بين مراحل السرد. فقد تحاشيت شهرزاد بلوغ المصير الذي بلغت القنات لأنها عرفت كيف تحسن استعمال هذا السلاح. سلاح التشويق الذي هو كما يشير إليه "فورستر" مرة أخرى، الأداة الأدبية الوحيدة التي لها أثرها في الطخاة والمتوحشين.. فهي لم تعش إلا لأنها عرفت كيف تجعل الملك شهریار حائراً بالاستمرار فيما سيحدث بعد ذلك..

وكانت تتوقف كلما بدركها الصباح، في منتصف جملة ما وتتركه فاعرها فاه.
فتسكت شهرزاد عن الكلام المباح.

وإذا كانت الصحافة يجب أن تفيد من هذا العنصر، فإن عليها أن تطوعه لطبيعتها وخصائصها وأسلوبها المتميز ونعنى به أسلوب الهرم المقلوب، حيث تبدأ

القصة الخبرية بالذروة في بداية اليرم، على النقيض مما تفعل القصة الأدبية التي ترجى الذروة إلى أن يدرك شيرزاد الصباح.

فالقصة الصحفية تنشر الفكرة الأساسية أولاً، ثم جسم الخبر أو التفاصيل بعد ذلك، بمعنى أنها تورد أحدث تطورات الخبر في المقدمة أو الصدر، ثم تتبعه بسرد بسيط يلتزم فيه المحرر جانب التتابع الزمني بعد ذلك، والصحيفة حين تستعمل كلمة "القصة" كلفظ عام يشمل المواد الخبرية، فإنما تستخدمها بمعنى مختلف عن المعنى الأدبي للقصة، حيث تلتزم الصحيفة بالوقائع الحية التي تحدث بالفعل، فهي تحكى عن المجتمع متبعية "أثر" كل "عمل" أو "حركة" تتميز بها الأحداث، وهي تقص "سيرة" الأشخاص والشهود وبيانات أخرى تفصيلية من الواقع اليومي المعاش. فهي إذن تجد مثلها الأعلى في الدلالة القرآنية لقص "الغيا" بالحق، وتبغ الخبر والآثار تسوقها للعبارة والموعظة، والمقدرة، على تثبيت العزيمة، وللتعليم والهداية، أو هكذا ننصير رسالة القصة الصحفية فيما ينبغي أن تكون.

والقصة الخبرية على هذا النحو هي التي تروى "الأخبار" المتعلقة "بعمل" أو "حركة" إلا أن طبيعتها تشتمل في الغالب على الوقائع والأحداث ووصف الأشخاص، وشهادة الشهود والمذكرات وما إلى ذلك، مما يقص بالحركة والحيوية في واقع الحياة اليومية.

وفي بناء هذا النمط الخبري لا ينبغي على المحرر أن يصوغها على أساس من النمطين السابقين، فيكتفى بكتابة المقدمة أو صدر الخبر، ثم يتقل إلى سرد الموضوع بترتيب الحوادث دون اعتبار للمعلومات الهامة التي قد تتضمنها القصة أو تفسير تلك الحوادث وتصويرها، ولكن حرصاً على ألا تفقد القصة أهميتها - بحسب أن يحرص على أن يكون هناك رباط وثيق بين وحداتها المختلفة؛ حتى وإن كان على حساب تطور الحوادث في بعض الأحيان.

وهنا ينهض سؤال هام هو: كيف يستطيع المحرر أن يصوغ قصته متناسقة قوية الأسلوب ويبقى في الوقت ذاته على الحقائق بارزة في ذهن القارئ؟

والجواب: أنه يمكن بلوغ هذا الهدف بسرد ملخص كامل للقصة في المقدمة، أي يضع المحرر فيها كل النقاط الهامة، ثم يتبع ذلك بملخص أوسع، وفي النهاية يعرض،

التفاصيل، وكل جزء من هذا التصميم الثلاثي يمكن تشبيهه بمنثنت يضيق من أسفل تدريجياً، ولكن في نطاق الأسلوب الهرمي الذي يتميز به تحرير الأخبار:

الفقرة الأولى: مقدمة تمثل ملخصاً كاملاً للقصة.

الفقرة الثانية: تفاصيل جديدة.

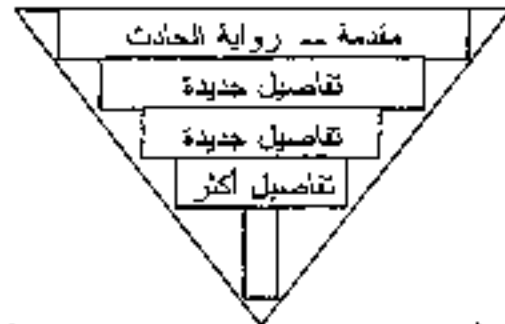
الفقرة الثالثة: تفصيل أكثر.

وهكذا تمضي الفقرات موضحة التفاصيل الجديدة الواحدة تلو الأخرى.

المقدمة ١ - رواية الحادث.

فوجئ العالم أمس بنبأ اغتيال الملك فيصل بن عبد العزيز على يد ابن أخيه الأمير فيصل بن مساعد والذي وصفه البيان الرسمي السعودي بأنه "مختل العقل والشعور".

ومن الواضح أن هذه المقدمة على الرغم من إيجازها الشديد، قد وضحت ماذا حدث؟ ومن الذي اغتيل؟ ومن الذي اغتاله؟ وما هي صفته؟ وفي الإمكان بطبيعة الحال أن تتسع المقدمة لتشمل بيانات أكثر من ذلك.



ولكن - كما يقول الأستاذ الصامسي - ليس من المصلحة أن نزيد فيما تتضمنه المقدمة من معلومات، مادامت قد اشتملت على الأهم، ذلك لأن رواية الوقائع الأخرى بعد ذلك قد تتطلب التوقف عن المضي في السرد المسلسل، لأن ما جاء في المقدمة نفسها يحتاج إلى مزيد من التفصيلات.

والصعوبة التي يواجهها المحرر بعد كتابة المقدمة هي كيف ينتقل منها إلى الفقرة الثانية إلى الثالثة وهكذا، ولكي يتغلب على هذه الصعوبة فإن عليه أن يجعل الفقرة الثانية مخصصة لتفاصيل جديدة تلي المقدمة في الأهمية، فمثلاً السؤال الذي يتبادر إلى الذهن بعد قراءة المقدمة هو:

'كيف تم اغتيال الملك؟ ولماذا سُمح للقائل "المختل الشعور" باقتحام مجلس الملك؟' وهنا يجب أن نحدد ما نكتبه في الفقرة الثانية:

٢ - تفاصيل جديدة.

'وقد جرى حادث الاغتيال أثناء وجود الملك فيصل في مجلسه الذي تعود أن يحضره صباح كل يوم ويستقبل فيه أفراد أسرته في قصره بالرياض.

وكان الأمير القاتل أحد الذين حضروا هذا المجلس أمس وقد تقدم إلى الملك الذي كان يتصدر قاعة المجلس فتظاهر بالسلام عليه. ولكن ما أن اقترب منه حتى أخرج مسدسا أطلق منه الرصاص على الملك عدة طلقات، وقد نقل الملك على الفور إلى مستشفى الرياض في محاولة مستميتة. لانقائه إلا أنه لفظ أنفاسه هناك.'

وهنا نجد أن هناك إعادة لرواية بعض ما جاء في المقدمة. ولكن في شيء من التفصيل. وخاصة في الإجابة عن السؤالين الخاصين بكيفية الاغتيال ودخول القاتل إلى مجلس الملك، وكان من المفروض أن تأتي على سرد أسباب ارتكاب هذه الجريمة، ولكن صحيفة (الأهرام) التي نشرت هذا الحادث في صفحتها الأولى تذكر في الفقرة الثالثة:

٣ - تفاصيل أكثر

'ورغم أن الحادث كما ذكر أول بيان سعودي قد وقع في الصباح فإن راديو الرياض الذي كان المصدر الوحيد للخبر الذي صدم الأمة العربية ومختلف العواصم لم ينشر إليه إلا في الساعة الثانية عشر ظهرا..

ولم ينشر البيان الأول إلى موت الملك ولكنه أشار فقط إلى حادث الاغتيال ونقل الملك إلى المستشفى للعلاج؛ وأوضح أن البيان قد أكد على عدة نقاط أراد إبرازها هي:

- أن الحادث وقع أثناء وجود الملك فيصل في مجلسه أي بحضور كل الذين تعودوا أن يحضروا هذا المجلس.

- أن مرتكب الحادث مختل الشعور

- أنه قام بما قام به منفردا.

- أنه "لبس لأحد علاقة بما أقدم عليه".

ونلاحظ هنا أن الصحيفة قد أعادت رواية بعض ما جاء ذكره في المقدمة، ولكن مع شيء من التوثيق والتفصيل، وخاصة حول علامات الاستفهام التي تدور في الأذهان عند قراءة مقدمة وعنوان القصة الصحفية.

وينفس الطريقة التي ينبغي فيها تحديد الوقائع التي وردت في المقدمة فإن على المحرر أن يختار منها الواقعة التي تلي ما سبق في الأهمية ويزيدها تفصيلاً، لتتضمنها الفقرة التالية وهكذا، إلى نهاية القصة الخبرية.

وهكذا نلاحظ أننا لا نمضي في تسجيل الوقائع كما حدث، بل نقدم ونؤخر ما نشاء لنجعل القارئ على بينة من الظروف التي أحاطت بهذا الحادث، ونحن بونه الطريقة - كما يقول الأستاذ الحماصي - لا نسب له ارتياكاً، أو ننقله من واد إلى واد آخر، لأن كافة البيانات الهامة قد سجلت في المقدمة، وهو بعد أن يقرأ قصة يرى في تكوين هيكلها أن توافر البيانات التي تجعله يعيش في الجو الكامل للحادث وما أحاط به من ملاحظات قد يرجع تاريخ بعضها إلى أسابيع وإلى شهور مضت. ومع المضي بعد ذلك في سرد ما تجمع لدى المحرر من بيانات تكمل القصة على أساس مراعاة الدقة في جمع المعلومات.

فالمندوب - المحترف حين يستقى الأنباء المتعلقة بعمل أو حركة مثل الحوادث المفاجئة - الصدام - الحريق... الخ. يعرف أن مهمته هي جمع الحقائق واضحة بارزة، حقائق واضحة ملموسة. وعندما يذهب إلى مكان الحادث يلقي ضجيجاً واختلاطاً وهستيرياً وإشاعات. ولكنه يتخطى تلك العقبات كما يقول وارن. إذ أن عليه أن يحتفظ بتوازن تفكيره وأن يسأل كثيراً وينحى المبالغات والتحسينات جانباً، وأن يميز بين الحقيقة والكذب، ويجب أن يصل إلى الأشخاص الذين يستطيعون ذكر الحقيقة وأن ينقل أخباره إلى الصحيفة دون إبطاء، حتى يكون قد 'قص الأنباء بالحق'.

٣ - النمط الاقتباسي في تحرير الخبر:

وطبيعة هذا النمط الاقتباسي في تحرير الخبر أو الموضوع الصحفي، تقوم على الخطب والبيانات والرسائل وإلى حد ما الأحاديث الخاصة والصحفية، والتي تعتمد جميعها على تسجيل المعلومات التي تداع مكتوبة أو شفوية ويوثقها المندوب في

ملحوظات صغيرة. وهذه الأبناء جميعا يمكن وصفها بأنها تعتمد اعتمادا كلياً على أقوال مقتبسة^(١). والافتباس هنا ينصب على ما تضمنته البيانات أو الخطاب أو النصريحات، أو ما يرد في الأحاديث الصحفية.

وقد برز هذا النمط الاقتباسي في تحرير الخبر قبل اختراع الراديو، لأن الصحف كانت وحدها هي الأداة التي تنقل إلى الناس الخطاب العامة. وحتى الراديو كما يذهب إلى ذلك وارن. لم يستطع أن يقلل من اعتماد الجمهور على الصحف في هذه الناحية. لأن الصحف تلخص الخطاب وتركزه، فيقبل القارئ عليه.

وتعامل جميع الخطاب على هذا النحو سواء أكانت رسمية، ألقيت في مناسبات خاصة أم ملاحظات مرتجلة قُبلت في اجتماع عادي.

وهناك ثلاثة عناصر لا بد من مراعاتها عند تحرير النمط الاقتباسي:

١ - المتكلم.

٢ - السامعون.

٣ - الخطبة أو البيان.

وهناك اعتبار رابع هو ما قد يحتاج إليه أي من العناصر الثلاثة من تفسير أو شرح. أما نسبة كل من هذه العناصر الثلاثة في الخبر الاقتباسي، فإنها تتوقف على الأهمية النسبية لكل منها، ولكن لا تكمل الخطبة أو البيان ما لم يتوافر لها العناصر الثلاثة جميعاً.

والأغلب أن تكون الخطبة أو البيان أهم هذه العناصر الثلاثة، فطبيعي أن يكون السؤال الأول الذي يعرض للمحرر عند الاستفسار عن اجتماع ما؛ هو:

'ماذا قال المتكلم؟ فإذا كان لكلامه أهمية، استحق النشر، ولم يكتف بإيراد خير موجز عن عقد الاجتماع، وكثيراً ما يكون خبر الاجتماع ذريعة. كما يقول جونسون وهاريس - أو سبباً لنشر الخطبة أو البيان.

(١) الحماصي: المرجع السابق ص ١٠٥.

والخطب العامة والمحاضرات والأحاديث والعظات والبيانات التي تذاع بالراديو تعتبر مادة للصحافة لا تنضب ويعتمد عليها المحررون كثيرا. وقد أصبحت الخطب والمناظرات تلعب دورا هاما في حياة الناس، ويستطيع الصحفي أن يجد فيها مادة لصحيفته، ولا بد للصحيفة أن تختار أحسنها مثبتة بذلك نظرية داروين التي تقول إن البقاء للأصلح^(١).

وتتمثل هذه المهمة من المندوب مقدرة على تدوين النقاط والملاحظات وجمع الحقائق الأخرى. فإن لم تكن لديه نسخة من الخطاب أو البيان تلقاها مسبقا وجب عليه أن يدون البيانات العامة ونقط التحول في الموضوع وأن يلخص الحجج التي يسوقها المتكلم، مقتبسا أقواله حرفيا في بعض الأحيان. يعتمد المندوبون الأذكى على حديث خاص مع المتكلم بعد انتهاء حديثه، وقد يطلب منه معلومات أو إحصائيات لمساعدة القراء على تكوين فكرة أوضح عن الموضوع.

ويعد ترتيب المواد المتعلقة بخطاب أو بيان أو حديث الخ، بتعين على المندوب أن يبحث عن موضوع الحديث وعن أقسامه المنطقية وعن الأقوال المثيرة أو الغريبة الواردة فيه، لأن الحديث قد يشتمل على عنصر هام واحد أو أكثر من عنصر شأنه في ذلك شأن بقية أنماط التحرير الصحفي.. والأحاديث الجيدة تدور عادة - كما يقول جونسون وهاريس - حول موضوع رئيسي ويشتمل على الحجج التي تؤيد هذا الموضوع، غير أنه ليس من عمل المندوب أن ينقل الخطاب أو الحديث كله، فمسئولته أمام القراء تقتصر على كتابة خبر صحيح دقيق ذي أهمية خبرية. وقد يبرز المحرر في صدر الخبر ما يراه باعثا على اهتمام القراء، وقد لا ينقل منه إلا الأجزاء التي يرى أنها تستحق النشر. على أن هناك اعتبارات كثيرة تحدد أهمية أي خطاب أو حديث هام؛ أولها: شخصية المتحدث، فكل كلمة يقولها رئيس الجمهورية تعتبر خبرا، بينما يصعب صبي المدرسة بأعلى صوته طوال النهار، وصباحه لا يهتم الناس في قليل أو كثير. فإذا قال الصبي: "يجب زيادة الذباب من الشوارع جميعا" قلن يهتم أحد بهذا القول، أما إذا قال هذا الكلام وزير الصحة مثلا فإن الصحف تنشر هذا التصريح - وحين يقول رئيس الجمهورية: "ليس أمامنا سوى التضامن والعمل الجماعي" فإن هذا القول يجب أن يتصدر الصفحة الأولى.

(١) كارل وأرين: المرجع السابق ص ١٠٠.

هذا هو الاعتبار الأول.. أما الاعتبار الثاني فيتعلق بمدى اختصاص المتحدث في الموضوع فحديث الشيخ الشعراوي عن الإسلام، وعالم الفلك عن الكواكب أو المشهب، وعضو البرلمان عن السياسة، ومغنى الأوبرا عن الصوت، ورجل الأعمال عن المنافسة التجارية.. كل ذلك يكون مادة للقراءة.

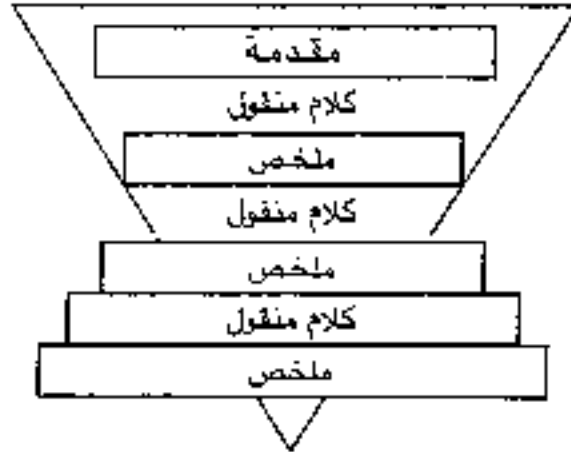
والاعتبار الثالث هو عامل التوقيت، فإذا أصاب البلاد وباء الانفلونزا فإن بياناً لوزير الصحة عن طريق الوقاية والاحتياطات التي اتخذتها الدولة قد ينشر في الصفحات الأولى، أما إذا تحدث في نفس الوقت عن الطاعون الميغري فينشر حديثه في سطور قليلة في ذيل إحدى الصفحات الداخلية.

والاعتبار الرابع هو الأثر الذي يتركه الحديث، فإذا وقف زعيم حزب اليمين بهاجم أو يسخر من زعيم حزب اليسار، وأثار هذا التصريح موجة من المناقشات كان لدينا موضوع هام. ولكن يجب على المنسوب أن يتوخى الدقة والحذر في مثل هذه المناسبات حتى لا يخرج بالموضوع عن غرضه الحقيقي. وآخر هذه الاعتبارات أن يطمئن المنسوب أن الخطاب أو البيان الذي ينقله جديد إذ الملاحظ كما يقول وارين - أن بعض رجال السياسة خاصة يرددون خطباً قالوها من قبل في أماكن أخرى.

وقبل أن نبدأ في كتابة موضوع للصحيفة عن بيان أو حديث أو خطاب؛ نذكر ما سبق من قبل عن ربط عريات القطار، إذ ينطبق المثل على هذه الناحية. وأحسن الوسائل - وأقربها إلى قلوب القراء - هي ألا نقدم هذه التصريحات كما يوزعها أصحابها، بل وفقاً للشكل الهرمي، فكثيراً ما نقرأ في الصحف:

“أذاعت وزارة التعمير البيان التالي، وفيما يلي نص البيان، ثم تنشر الصحف البيان بعد ذلك كنه كما وزعته الوزارة بلا تدخل من جانبها؛ يودف إلى “إراحة القارئ” عن طريق غريلة ما جاء في هذا البيان، وتقديم الفقرات الهامة على الأقل أهمية مدعمة بما جاء في بيان الوزارة من أقوال مقتبسة.. إن القارئ في الحالة الأولى يحس في ذلك إهمالاً من الجريدة وعدم تقديره، فالذي لا شك فيه أن المحرر في مثل هذه الحالة لم يفكر في أن يقرأ البيان إلا لكي يشتق منه سطرًا أو أكثر للعنوان، أو ربما قرأه ولكنه لم يفكر في تقديمه للقارئ بالصورة التي تيسر له طواعية القراءة وتجعله يضع عينيه مباشرة على ما يهمه في هذا البيان.

والنمط الاقتباسي هو أصلح الأنماط التحريرية للخبر القائم على الحديث المنقول: تصريحاً أو خطبة، أو بياناً، ويقوم هذا النمط على شكل مستطيلات كثيرة وصغيرة، ويمكن تبويبها غي: 'ملخص - وكلام منقول - وملخص - وكلام منقول .. وهكذا' أي عبارات منقولة رأساً عن المتحدث تربطها فقرات تفسيرية.



ومن أمثلة ذلك ما نشرته صحيفة "الأهرام"^(١).

المقدمة - ملخص:

أعلن الرئيس السادات أن نتائج مؤتمر القمة السادس في الرياض والتي جاءت عميقة ومدروسة وعلى مستوى المرحلة سوف تنعكس على القضايا العربية الرئيسية وسوف تنقل القضية العربية بالتأكيد إلى مرحلة جديدة.

وقد أدلى الرئيس السادات بهذه التصريحات قبل أن يغادر الرياض في طريق عودته إلى أرض الوطن، حيث وصل إلى القاهرة بعد ظهر أمس يرافقه أعضاء الوفد المصري، وكان في استقباله لدى وصوله إلى مطار القاهرة السيد حسنى مبارك نائب الجمهورية وكبار رجال الدولة والمسؤولين.

(١) ٢٠ أكتوبر ١٩٧٦.

عبارة منقولة:

وقال الرئيس في تصريحاته التي أدلى بها لوكالة الأنباء السعودية: "إن ما حدث في اليومين الماضيين خلال اجتماع الزعماء العرب كفيل بالرد على كل من تصور أن الخلافات بين الأشقاء العرب قد عصفت بالاجماع العربي، وماحدث في الأيام القليلة الماضية هنا في الرياض، أمر لابد أن يلتفت له كل من حاول أن يرسم للعرب صورة غير صحيحة، وأظن أن الذي حدث في اليومين الماضيين على المستوى العربي والمستوى العالمي كفيل بالرد على كل من تصور أن النضال العربي قد انتهى".

ملخص:

وأكد الرئيس في تصريحاته أن ما أسفر عنه مؤتمر الرياض لن يظهر أثره فقط على الأمة العربية أمام العالم الخارجي، بل سينعكس أيضا على قضايانا الأساسية في العالم وهي قضية النزاع العربي الإسرائيلي.

عبارة منقولة:

وأضاف الرئيس أن "بقية القضايا الأخرى الخاصة بنا، وهي وجود بعض الخلافات بين بعض الأخوة والأشقاء، لابد أن تنتهي، كما انتهت في الرياض في اليومين الماضيين خلافات كثيرة. واتفقنا على بناء كبير وأسس كبيرة، ستعود بغير شك على لبنان وشعبه وعلى الفلسطينيين بالخير. بمعنى أننا سنخرج من هذه المحنة الأليمة التي تعرض لها اللبنانيون والفلسطينيون خلال السبعة عشر شهرا الماضية وكان المفروض أن تخرج هذه القرارات في هذا الوقت بالذات لكي يعرف العالم من هم العرب..".

ملخص:

وأكد الرئيس أنه كان في قمة السعادة لأن القيادة العرب في الرياض، واجهوا العالم كله بحقيقة فهمهم للمسئولية سواء على مستوى الأمة العربية أو على مستوى العالم الذي نعيش فيه.

عبارة منقولة.

ثم قال الرئيس: "إنه بعد حرب أكتوبر أصبح العرب القوة السادسة في العالم، ولكن البعض تصور أنه بالخلافات التي تحدث بيننا أننا فقد مركزنا، ولكنه قد ثبت اليوم أننا القوة السادسة وفي سبيلنا أن نتقدم لتكون أقرب من ذلك كقوة خامسة. كما نثبت لهم أنه مهما حدث ومهما كان فإننا عندما نجتمع كأخوة، فكل شيء يذوب ونعود أخوة متضامنين.

ملخص.

وكان الرئيس السادات قد غادر الرياض ظهر أمس، حيث كان على رأس مودعيه الملك خالد بن عبد العزيز والأمير فهد بن عبد العزيز النائب الأول لرئيس مجلس الوزراء وكبار رجال الدولة.

وهكذا يحس القارئ أن المحرر قد بذل جهداً في تحرير التصريحات، واستخلاص النقاط الأساسية التي يهيمه الاطلاع عليها، ثم إبرازها وتدعيمها بالأفاد وجمل مستخلصة من واقع البيان، نلك لأن الجمهور كما يقول الاستاذ الحماصي. كلما رأى هذا الذي ترويه الصحيفة مدعماً بكلام رسمي وجمل مختارة كلما ارتاح إلى ذلك، ولأن القارئ يهيمه أيضاً أن يحكم بنفسه وأن يقرأ الكلام الرسمي ويقسمه ويحلته، فالصحفي هنا يحلل البيان ويختار بياناته، ويقدمه للقارئ مجزئاً، ثم يدعمه بالكلام الرسمي، فيعطي للقارئ ما يريحه، وفي نفس الوقت يقدم له ما يمكنه من الاطلاع على البيانات والأقوال الرسمية ليفسرها تفسيره الشخصي. ولهذا السبب فإن بعض الصحف لا تكفي فقط بتقديم هذا الهيكل الهرمي للبيان، وإنما تورد نص البيان بعد الانتهاء من وضع البيانات الهامة في صورة الهيكل الهرمي، وعلى هذا الأساس فهناك حالتان:

الأولى: أن، نقدم الهيكل الهرمي من غير نص البيان، وفي هذا الحالة يتحتم أن يكون الهيكل متكاملًا، كما رأينا في النموذج المتقدم.

والثانية: أن نقدم البيان مع الهيكل الهرمي، وعندئذ فإن تقديم الهيكل الهرمي يكون ملخصاً ومركزاً منعاً للاطالة والتكرار، كما نجد في النموذج التالي:

قرار من مؤتمر الرياض

بوقف القتال فوراً في لبنان

٩ قرارات هامة يصدرها مؤتمر القمة السناسي

- قوة أمن عربية رابعة من ٣٠ ألف جندي تتولى تنفيذ القرار تحت اشراف الرئيس سركيس .

- وقف القتال تماما اعتبارا من بعد الخميس.

- لجنة من السعودية ومصر وسوريا والكويت لتنفيذ اتفاقية القاهرة في ٩٠ يوما .

- رفض تقسيم لبنان واجراء حوار للمصالحة الوطنية.

- جدول زمني لاعادة الحياة الطبيعية إلى لبنان.

أصدر مؤتمر القمة قرارا بوقف اطلاق النار فوراً وانهاء القتال بصورة نهائية في لبنان. وطالب المؤتمر كافة الأطراف بالالتزام بوقف القتال التزاما كاملا، كما قرر المؤتمر تعزيز قوات الأمن العربية ليصل عدده إلى ٣٠ ألف جندي ولتصبح قوة رده تعمل داخل لبنان تحت إمرة الرئيس اللبناني الباس سركيس شخصيا.

وأجمع المؤتمر في بيان رسمي صدر مساء أمس - بعد اجتماع ختامي عقده الملوك والرؤساء للتوقيع على القرارات التي اتخذها رؤساء الدول الست - على رفض تقسيم لبنان تحت أي صورة والحفاظ على وحدته، وعدم التدخل في شئونه الداخلية، كما دعا البيان إلى اجراء حوار سياسي، يهدف إلى تحقيق المصالحة الوطنية الداخلية في لبنان، وتم الاتفاق على تنفيذ اتفاقية القاهرة وملحقاتها التي أعلن رئيس منظمة التحرير الفلسطينية السيد ياسر عرفات التزامه الكامل بها.

وتقرر - تدعيما لذلك - تأليف لجنة تضم ممثلين من مصر وسوريا والكويت والسعودية، تقوى بالتنسيق مع الرئيس اللبناني، كل ما يتعلق بتنفيذ بنود اتفاقية القاهرة، وذلك لمدة ٩٠ يوما تبدأ من تاريخ إعلان وقف إطلاق النار، كما جددت الدول العربية المجتمععة التزامها بقرارات مؤتمر القمة في الجزائر والرباط، بدعم المقاومة واحترام حق شعب فلسطين في الكفاح.

وكان المؤتمر قد بدأ اجتماعه الأخير في الساعة السابعة والنصف مساء أمس، للنظر في البيان والقرارات التي أعدها وزراء الخارجية العرب، وأنهى المؤتمر الذي عقد حول مائدة مستديرة بقصر الضيافة بالرياض أعماله في الساعة الحادية عشرة والنصف وشهده الملك خالد بن عبد العزيز والوفد السعودي، والرئيس أنور السادات وأعضاء الوفد المصري، والرئيس حافظ الأسد والوفد السوري، والرئيس اللبناني الياس سركيس والوفد اللبناني، والسيد ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية وأعضاء الوفد الفلسطيني.

نص البيان الرسمي

وفيما يلي نص البيان الصادر عن مؤتمر القمة السادس في ختام جلسته التي عقدها مساء اليوم، بناء على مبادرة من المملكة العربية السعودية ودولة الكويت.

اجتمع في الرياض، في الفترة من ١٦ إلى ١٨ أكتوبر، كل من الرئيس محمد أنور السادات رئيس جمهورية مصر العربية، والرئيس حافظ الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية، والرئيس الياس سركيس رئيس الجمهورية اللبنانية والسيد ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية، وصاحب السمو الشيخ صباح السالم الصباح أمير دولة الكويت وصاحب الجلالة الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية في مؤتمر سداسي لبحث الأزمة في لبنان ودراسة وسائل حلها والاتفاق على الخطوات اللازمة لوقف نزيف الدم في لبنان، واللجوء إلى الحوار بدلاً من القتال، والحفاظ على أمن لبنان وسلامته واستقلاله وسيادته، وحماية المقاومة الفلسطينية، ممثلة في منظمة التحرير الفلسطينية.

وقف إطلاق النار

وانطلاقاً من موقع الالتزام بالمسئولية القومية والتاريخية، يوجب تعزيز الدور العربي الجماعي، بما يكفل حسم الموقف في لبنان - والحيولة دون تفجره في المستقبل، وانطلاقاً من الحرص على تجاوز سلبيات الماضي ورؤاياه، وضرورة التحرك إلى المستقبل بروح المصالحة والسلام والبناء والتعمير، وتوفير الضمانات اللازمة لاستقرار الحياة الطبيعية في لبنان والحفاظ على مؤسساته السياسية والاقتصادية

وبغيرها وصيانة السيادة اللبنانية واستمرار الصمود الفلسطيني، درس المؤتمر الموضوع في لبنان والخطوات والاجراءات اللازمة لاعادة الحياة في اطار الحفاظ على سيادته واستقلاله ونضامين الشعبين اللبناني والفلسطيني والضمان العربي الجماعي لكل ذلك.

وقرر اعلان وقف اطلاق النار وانهاء القتال بصورة نهائية والالتزام به التزاما كاملا من كافة الأطراف، كما قرر تعزيز قوات الأمن العربية الحالية لتصبح قوة ردع تعمل داخل لبنان تحت إمرة رئيس الجمهورية اللبنانية شخصيا.

تنفيذ اتفاقية القاهرة

وقد اجمع المؤتمر على رفض تفسيب لبنان تحت اي صورة وبأي شكل قانونيا أوواقعا، صراحة أو ضمنا، وعلى تأكيد الالتزام بالحفاظ على وحدة لبنان الوطنية وسلامته الإقليمية وعدم المساس بوحدة أراضيه أو التدخل في شؤونه الداخلية بأي صورة.

ودعا المؤتمر كافة الأطراف اللبنانية لإجراء حوار سياسي يهدف إلى تحقيق المصالحة الوطنية وتثبيت دعائم الوحدة بين أبناء الشعب اللبناني ويتم الاتفاق على تنفيذ اتفاقية القاهرة وملحقاتها التي أعلن رئيس منظمة التحرير الفلسطينية التزامه الكامل بها، وفي هذا الصدد قرر تأليف لجنة تضم ممثلين عن المملكة العربية السعودية، وجمهورية مصر العربية، والجمهورية العربية السورية ودولة الكويت، تقوم بالتنسيق مع رئيس الجمهورية اللبنانية فيما يتعلق بتنفيذ اتفاقية القاهرة، وتكون مدتها تسعين يوما من تاريخ إعلان وقف إطلاق النار

الالتزام بقرارات الرباط والجزائر

وقد أكد المؤتمر التزامه بمقررات مؤتمر القمة العربي السابع في الرباط باعتماد منظمة التحرير الفلسطينية ممثلا شرعيا وحيدا لشعب فلسطين.

٤ - النمط المركب

والنمط المركب هو النمط التحريري الذي يتناول وقائع متعددة، وليقد تناولنا فيما تقدم الأخبار التي تتعلق بحادث واحد فقط، سواء كان واقعة من الوقائع أو قصة صحفية تقوم على حركة أو عمل، أو خطبة أو نصريحا أو بيانا من البيانات، على أن

مهمة المندوب أو المحرر ليست دائما على هذا النحو البسيط، فقد يقف أمام خبر نتحدد فيه الحوادث الهامة أو الزوايا التي نتمسوى في أهميتها الظاهرة .. كيف يتسنى له أن يعالج الخبر المتعدد العناصر؟

إن النمط المركب في تحرير الخبر هو الحل لهذه المعادلة الصعبة.

فهو يحتاج إلى تنسيق وقائع كثيرة، ويتضمن وحدات كثيرة كلها أخبار جديدة وقائع كثيرة، وقد يتناول بعضها المستقبل، بضرب كارل وارين، مثلا على ذلك:

- مات أربعة سكان: إحدى المدن الكبرى بالأنفلونزا في أربع وعشرين ساعة وقد فهم المحرر المسئول أن هذا المرض منتشر، فيكلف أحد المندوبين بمقابلة وزير الصحة، ويعلم المحرر المسئول أن هناك خمسين إصابة بالأنفلونزا وفي ذات الوقت يتقرر إغلاق مدرسة وعزل فندق ويجتمع المسئولون في وزارة الصحة لبحث التدابير الوقائية.

- وفي يوم آخر تشتعل ستة حرائق في حي من أحياء هذه المدينة نشبت أربعة منها بسبب خرق بالية مجلثة بالكبروسين، ويعلم المندوب الصحفي أن البوليس قد عثر على قنابل حارقة يشتبه في أمرها، وبينما كانت وابورات الإطفاء في طريقها إلى أماكن الحريق انقلبت إحداها وأصيب سائقها وبعض من فيها.

وكل واحدة من هذه الحقائق - على الرغم من أنها تصل إلى مكتب المحرر المسئول بطرق مختلفة ومن مصادر مختلفة - تعتبر جزءا من موضوع واحد، وتشر كل منها على حدة ينتج عنه تكرار لا مبرر له وضياح لوقت القارئ، وشغل حيز أكثر من الورق، وقضاء على الموضوع فاهتمام القارئ لا ينصب على الحوادث في ذاتها، بل على الربط بينها. وكثير من الصحف تضع عناوين ثابتة للأخبار المركبة التي تحدث بين وقت وآخر، فجميع حوادث السيارات تحت عنوان السرعة، والأخبار السياسية تحت عنوان السياسة، وأخبار البوليس تحت عنوان الجريمة، وأخبار التعليم تحت عنوان المدارس، وهكذا.

واليك مثل عن خبر مركب^(١):

تعرضت مدينة، والمناطق المحيطة بها لأمطار غزيرة لا تنقطع منذ يومين، وقد بلغ اسمه ليلة أمس، وفاضت مياه الفيض وكلف أحد المندوبين بكتابة خبر تحت عنوان الفيضان.

(١) نفس المرجع ص ١٢٨.

وعندما زار هذا المندوب منطقة الرياح وجد أن عشرات البيوت قد غرقت وأن مائة وخمسين شخصاً قد خرجوا من بيوتهم إلى العراء. وعلم أن رجلاً فقيراً كان ينام على حافة النهر قد غرق وهو يسبح طلباً للنجاة وأن سبارة ثقل بعض السياح قد أشرفوا على الموت ولكنهم أنقذوا في آخر لحظة.

ويوجد المندوب أن خمسة وسبعين شخصاً من اللاجئين يقيمون الآن في المساجد ومراكز الشرطة وأن الهلال الأحمر يتولى العناية بهم، وعلم أيضاً أن البوليس أقام دوريات تطوف أثناء الليل بالأحياء الغارقة وأن جثة الخريق قد وجدت وعرف صاحبها.

وتلقى أحد المراجعين بالصحيفة بالتليفون أن رجال الأعمال بدأوا حملة الاكتتاب بعشرة آلاف دولار لمساعدة الضحايا. وينتقى مراجع آخر من مصلحة الأرصاد أن الطقس غداً سوف يكون صحواً وأن الأمطار سوف تتوقف، بينما تصل أنباء من المدن الواقعة عند أعلى النهر تقول إن المياه أخذت في الارتفاع وأن ذروة الفيضان سوف تصل تلك المدينة ظهر غد.

وعندما يصل المندوب إلى مكتبه يتلقى المعلومات التي جمعها الآخرون ويجد رسائل تلقتها الصحيفة من مدن أخرى وقصاصات مما نشر في الصحف المسائية. وعليه يعد ذلك أن يعرف المساحة المخصصة للموضوع ليبدأ في صياغة قصة شاملة مركبة.

وكتابة الخبر المركب، لا تختلف عن كتابة الأنشطة التحريرية الأخرى من حيث عنايتها بالمقدمة والهيكل الخيري، ولكن كيف يتسنى للمحرر أن يكتب المقدمة من مجموعة مختلفة من الزوايا؟

هناك ثلاثة أنواع لمقدمات هذا النوع من الأخبار:

أولاً: تركيز جميع النقاط الهامة في فقرة واحدة شاملة.

ثانياً: اختيار أهم نقطة للبداية بها.

ثالثاً: الربط بين الصريقتين الأولى والثانية، وتخلص منهما إلى مقدمة متكاملة.

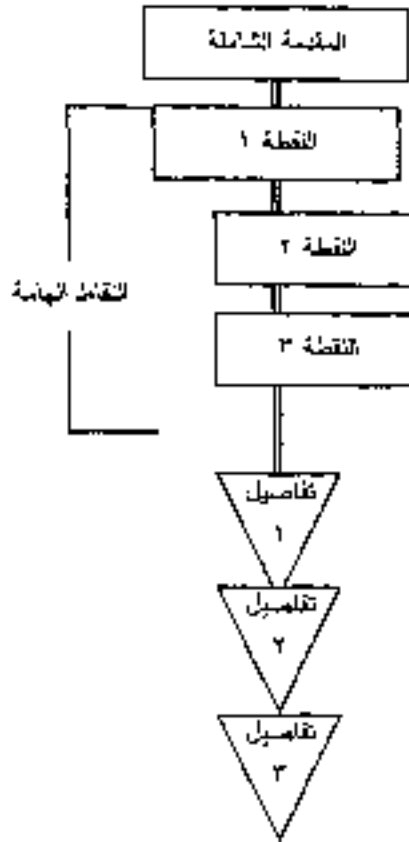
والمقدمة الشاملة: هي أكثر المقدمات شيوعاً، تستعمل عادةً عندما تتسارى الأهمية بين جميع النقاط، كما يذهب إلى ذلك 'وارين' مثلاً:

"قتل شخصان وأصيب أربعة بجراح في سلسلة من حوادث المرور وقعت أمس عندما خرجت آلاف السيارات إلى الحدائق تقل الناس الذين جذبهم شمس الشتاء الدافئة".

وهكذا نلاحظ أن المقدمة قد اتسعت، ولم تركز على حادث واحد، بل إنها ربطت بين الحوادث جميعاً، وتركزت حول الزاوية العامة؛ وهي حوادث المرور، وأوضحت النتائج الإجمالية؛ ثم تركت التفاصيل لهيكل الموضوع الصحفي نفسه. أما عن هيكل الخبر الصحفي فيجب - كما يقول الأسناد الحماصي - أن يراعى في كتابته الانتقال من المقدمة إلى إبراز النقاط الهامة التي جاءت في المقدمة نقطة نقطة، ثم يعود إلى إبراز التفاصيل الكامل لكل نقطة من هذه النقاط.

وهناك بعض المصاعب التي يواجهها المحرر المبتدئ تحرير الخبر المركب على هذا النحو: في هيكل الخبر تبسيط في شرح النقاط التي وردت في المقدمة، وقد يعمد المبتدئ بعد أن يهتدي إلى العناصر التي لها جاذبية في المقدمة، إلى التخلى عن بعض تلك العناصر تماماً فلا يشير إليها بعد ذلك في هيكل الخبر، أولعله لا يعود إلى الإشارة إليها إلا في موضع من الرواية سحيق. ويحذر "جونسون وهاريس" من ذلك لأنه يخل بالغرض المقصود من الهيكل الخبري، وهو الإسهاب في شرح عناصر المقدمة، كما أنه يخلّ بمبدأ الترتيب المنطقي.

وإذا كانت لعنصر ما قدرة على استمالة القراء سوغبت تقديمه في المقدمة وإبرازه في صدر الخبر، فلا ريب في أن ذلك العنصر يستحق أن يكون له موضع في هيكل الخبر، وأن يكون الموضع ظاهراً "فلا بدفن تحت أطلاب من الوقائع التي تقل عن هذا العنصر شأناً وأهمية".



ويقول جونسون وهاريس كذلك: إن جسم الخبر أو هيكله مجال لإضافة عناصر ثانوية وللتوسع في إبرادها، وهي عناصر لم ترد مجملة في المقدمة. ولتحقيق هذا الغرض يتعين على المندوب أن يكون قادراً على التفرقة بين تفاصيل العناصر التي ترد في المقدمة من ناحية، والعناصر الثانوية الأخرى من ناحية أخرى. وحتى تتضح هذه التفرقة بجلاء، نجد أن القاعدة الثابتة في هذا الشأن فحواها: أنه إذا كانت العناصر الهامة تلخص في المقدمة قبل الاستطراد في ذكر تفصيلاتها، فإن جميع العناصر الثانوية ينبغي تلخيصها عند تقديمها إلى القراء قبل الاستطراد في عرض تفاصيلها. بعبارة أخرى، إن المقدمة ليست الموضوع الوحيد الذي تلخص فيه عناصر الخبر، وأنه يجب تلخيص تلك العناصر في موضعها المنطقي من هيكل الخبر قبل الاستطراد إلى ذكر التفاصيل.

أما المقدمة الثانية: فهي التي تقوم على اختيار أهم نقطة أو عنصر للبدء بها، وهنا يمكن إبراد العناصر الثانوية الأخرى ملخصة في الفقرة الثانية، حيث لا يقتصر

الأمر في هذا النوع على جملة استهلالية واحدة، أو اعتبارها 'كتلة استهلالية' على تعبير "جونسون.. وهاريس".. ومتى أورد الخبر الفقرة المشتملة على تلخيص للعناصر الثانوية، عاد إلى العنصر الهام البارز فساق جميع التفاصيل المتعلقة به. ويراعى الترتيب المنطقي عند تناول كل من العناصر الثانوية والعنصر الهام البارز والمثال التالي يوضح هذا المنهج^(١).

أكد الملوك والرؤساء العرب في البيان الذي صدر أمس في ختام أعمال المؤتمر الاستثنائي للقمة العربية، التزامهم بالعمل على توفير الضمانات اللازمة لتثبيت وقف إطلاق النار في لبنان والحفاظ على المقاومة الفلسطينية. كما أعلن الملوك والرؤساء رفضهم تقسيم لبنان تحت أي صورة وأكدوا الالتزام بعدم التدخل في شؤونه الداخلية.

وقد جاء بيان الملوك والرؤساء العرب متضمناً قرارات محددة في ثلاث من القضايا العربية المصرية وصفها الرئيس السادات في خطابه في ختام المؤتمر بأنها تشكل خطوة هامة ورئيسية على طريق التحرير واستعادة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني. والقضايا الثلاث التي تناولتها القرارات بالعلاج هي القضية اللبنانية، وقضية التضامن العربي، وقضية حماية المقاومة الفلسطينية.

أولاً :- القضية اللبنانية:

١ - الترحيب بأعمال مؤتمر القمة السادس في تفاصيل العنصر الهام البارز

الرياض، والمصادقة على قراراته.

٢ - التزام الملوك والرؤساء العرب بالعمل على توفير الضمانات اللازمة لتثبيت وقف إطلاق النار، واستعادة الحياة الطبيعية.. كما أكدوا على تعزيز قوات الأمن العربية ودعمها لتصبح قوة ردة تعمل تحت إمرة رئيس الجمهورية اللبنانية شخصياً.

٣ - رفض تقسيم لبنان، تحت أي صورة وبأي شكل، قانوناً أو صراحة، أو ضمناً، وتأكيد الالتزام بالحفاظ على وحدة لبنان وعدم التدخل في شؤونه الداخلية.

٤ - درس الملوك والرؤساء الوضع في الجنوب اللبناني وأعربوا عن قلقهم البالغ إزاء الاعتداءات الإسرائيلية.

(١) جريدة الأهرام في ٢٧/١٠/١٩٧٦.

- ٥ - التأكيد على تنفيذ اتفاقية القاهرة التي تنظم العلاقة بين المقاومة الفلسطينية والسلطة اللبنانية، والتي أعلن رئيس منظمة التحرير الفلسطينية التزامه الكامل بها.
- ٦ - تشكيل لجنة تضم ممثلين عن المملكة السعودية وجمهورية مصر العربية والجمهورية العربية السورية، ودولة الكويت تقوم بالتنسيق مع رئيس الجمهورية اللبنانية فيما يتعلق بتنفيذ اتفاقية القاهرة وتكون مدتها ٩٠ يوماً من تاريخ إعلان وقف إطلاق النار
- ٧ - مساهمة الدول العربية في إعادة تعمير لبنان وإزالة آثار النزاع المسلح والأضرار التي حلت بالشعبين اللبناني والفلسطيني.
- ٨ - إقرار إنشاء صندوق خاص للإنفاق على قوات الأمن العربية الرادعة على أن تساهم كل دولة من الدول العربية فيه حسب طاقتها.
- ويشرف رئيس الجمهورية اللبنانية على الصندوق، ويضع - بالتشاور مع الأمانة العامة لجامعة الدول العربية والدول المساهمة بنسبة ١٠٪ على الأقل، نظاماً عاماً للصندوق يوضح طريقة الإنفاق منه وتصفيته عند انتهاء مدته. ويعمل بالنظام الحالي لقوات الأمن العربية إلى أن يتم وضع نظام جديد لها.
- وقد تقرر تحديد مدة الصندوق بفترة ستة شهور قابلة للتجديد بقرار من رئيس مجلس الجامعة الذي يتعقد بطلب من رئيس الجمهورية اللبنانية.
- (علم مندوب الأهرام أن نفقات قوات الأمن تبلغ ١٥ مليون دولار شهرياً وقد أعلنت السعودية إسهامها بـ ٤٠٪ من النفقات والكويت بـ ٢٠٪ والإمارات بـ ١٥٪ وقطر ١٠٪. وعلم المندوب أن مصر أعلنت مساهمتها بمليون دولار كما أعلنت موريتانيا مساهمتها بمبلغ ٢٥ ألف دولار).
- ثانياً، القضية الفلسطينية:

تفاصيل العنصر الأول
من العناصر الأخرى

- ١ - أكد الملوك والرؤساء العرب الالتزام بقرارات مؤتمر الرباط باعتماد منظمة التحرير الفلسطينية مثلاً شرعياً وحيداً لشعب فلسطين.

٢

- ٢ - مطالبة دول العالم وشعوبه بإدانة العدوان الإسرائيلي

المستمر في الأراضي المحتلة، وأعمال الإرهاب والتشريد ومصادرة الأراضي وانتهاك حرمة المقدسات الدينية وخاصة الحرم الإبراهيمي.

ثالثاً: التضامن العربي:

١ - دعم التضامن العربي بوصفه قاعدة أساسية لنجاح العمل العربي المشترك.
تفاصيل العنصر الثاني من العناصر الأخرى



٢ - الالتزام الكامل بأحكام وقرارات مؤتمر القمة.

٣ - الالتزام بميثاق التضامن العربي الصادر في قمة الدار البيضاء ووضعه موضع التنفيذ.

بيان المؤتمر ووثيقته

فيما يلي نص البيان: تفاصيل العنصر الثالث

إن ملوك ورؤساء دول الجامعة العربية، في اجتماعهم بالقاهرة بمقر جامعة الدول العربية يومي ٢٠٣ من ذي القعدة لعام ١٣٩٦هـ الموافق ٢٥، ٢٦ من أكتوبر (تشرين الأول) لعام ١٩٧٦م.



وبعد أن تدارسوا الوضع الراهن في لبنان، ونتائج أعمال مؤتمر القمة العربي السادس بالرياض، الصادر في ١٨/١٠/١٩٧٦، وأهمية دعم التضامن العربي يقربون ما يأتي:

أولاً: الوضع الراهن في لبنان :

١ - المصادقة على البيان والقرارات ومحققاتها الصادرة عن مؤتمر القمة العربي السادس بالرياض في يوم ١٨/١٠/١٩٧٦، والموافقة بهذا (لم يوافق وفد الجمهورية العراقية على هذه الفقرة).

٢ - أن تساهم الدول العربية، كل حسب إمكانياتها، في إعادة تعمير لبنان وتقديم الاحتياجات المادية المطلوبة لإزالة آثار النزاع المسلح والأضرار التي حلت بالشعبين اللبناني والفلسطيني، وأن تبادر الدول العربية بتقديم العون العاجل للحكومة اللبنانية ومنظمة التحرير الفلسطينية.

ثانياً: دعم التضامن العربي :

تأكيد التزام المفوك والرؤساء العرب بأحكام قرارات مؤتمرات القمة ومجلس الجامعة في هذا الشأن، وخاصة ميثاق التضامن العربي الصادر في قمة الدار البيضاء في ١٥/٩/١٩٦٥، والعمل لوضعها جميعاً موضع التنفيذ التام الفوري.

ثالثاً: تمويل قوة الأمن العربية:

توفيراً للموارد المالية اللازمة للإنفاق على قوات الأمن العربية في لبنان، والنصوص عليها في القرار الثاني من مقررات مؤتمر قمة الرياض..

وبعد الإطلاع على تقرير الأمانة العسكرية لجامعة الدول العربية في هذا الشأن..

يقرر مؤتمر القمة ما يأتي:

١ - إنشاء صندوق خاص للإنفاق على متطلبات قوات الأمن العربية في لبنان.

٢ - تساهم كل دولة من الدول الأعضاء في الجامعة العربية في الصندوق بنسبة مئوية تحددها كل دولة حسب طاقتها.

٣ - يشرف رئيس الجمهورية اللبنانية على الصندوق ويضع، بالتشاور مع الأمانة العامة لجامعة الدول العربية والدول المساهمة بنسبة ١٠٪ على الأقل نظاماً عاماً للصندوق، بوضع طريقة الإنفاق منه وتصفيته عند انتهاء مدته، ويعمل بالنظام الحال لقوات الأمن العربية إلى أن يتم وضع نظام جديد لها.

٤ - تحدد مدة الصندوق بفترة ستة شهور قابلة للتجديد بقرار من مجلس الجامعة التي يتخذ بطلب من رئيس الجمهورية اللبنانية.

السادات يعلن:

تفاصيل العنصر الهام البارز

المصالحة الوطنية اللبنانية

تمثل خطوة السلام القادمة

١

وفي الكلمة التي القاها الرئيس السادات في ختام أعمال المؤتمر أكد الرئيس:

عنى الحقائق التالية:

- أن التقارير التي صدرت عن المؤتمر يوقف نزيه الدم في لبنان والحفاظ على المقاومة إنما تمثل خطوة هامة ورئيسية على طريق التحرير واسترداد حقوق شعب فلسطين الوطنية.

- أن الدعوة للمصالحة الوطنية اللبنانية إنما تمثل الخطوة التالية المنطوقية في مسيرة تحقيق السلام في ربوع لبنان.

- أن قوة الردع العربي المقدمة إلى لبنان للمساعدة في إقرار السلام فيه ودعم العلاقات اللبنانية الفلسطينية في إطار اتفاقية القاهرة إنما هي دليل آخر على فعالية العمل العربي الجماعي في مساعدة قطر عربي على النهوض من كبوته والحفاظ على المقاومة الفلسطينية.

- العدوان الإسرائيلي المستمر على جنوب لبنان يشكل تهديدا خطيرا للأمة العربية، وإن نسمح مطلقا للعريفة الاسرائيلية بأن تنطلق من جديد مهددة حياة أبنائنا وحقوق شعبينا وسلامة أراضينا.

نشاط واسع

تفاصيل العنصر مهام الهرز

لرؤساء في سلسلة

المشاورات فحقيقية

٩

وقد سبق الجلسة الختامية اجتماع عقده في السادسة والنصف مساء ملوك ورؤساء سبع دول عربية هي مصر والسعودية والكويت وسوريا ودولة الامارات العربية والبحرين وقطر

وعقد الاجتماع في جناح الملك خالد بفندق هيلتون وذلك إطار سلسلة الاجتماعات والمشاورات الجانبية بين الملوك والرؤساء العرب، وكان الرئيس السادات قد اجتمع أمس في إطار هذه المشاورات مع كل من الشيخ صباح السالم الصباح امير دولة الكويت والرئيس السوداني جعفر نميري والرئيس اللبناني الياس سركيس والرئيس الصومالي محمد سياد بري، والشيخ خليفة بن حمد أمير دولة قطر والشيخ عيسى بن سليمان حاكم البحرين والدكتور سعدون حماني وزير خارجية العراق ورئيس وفدها في اجتماع القمة، وحضر المقابلات جميعها السيد حسني مبارك نائب رئيس الجمهورية.

كما اجتمع الملك خالد بن عبد العزيز ملك السعودية مع الرئيس جعفر نفيري وحضر الاجتماع الأمير سلطان بن عبدالعزيز وزير الدفاع واجتمع الملك حسين ملك الأردن مع كل من الشيخ خليفة بن حمد أمير قطر كلا من الملك خالد ثم السيد سالم ربيع رئيس اليمن الديمقراطية. كما قام الشيخ خليفة بزيارة الملك حسين والرئيس حافظ الأسد.

جميع الفقرات الأخرى

٤ اجتماعات لوزراء الخارجية
لاعداد مشروع البيان والقرارات

وقد جاءت قرارات الملوك والرؤساء بعد ٣ اجتماعات لوزراء الخارجية العرب كان أطولها اجتماع أمس الذي وضع فيه اجماع كل المشتركين على التمسك بمقررات قمة الرياض وميثاق التضامن العربي كقاعدة للعمل العربي المشترك. كذلك استعرض وزراء الخارجية في اجتماع امس الصباحى ورقة عمل قوات الردع العربية من حيث تشكيلها وتمويلها واستغرق موضوع التمويل وقتا طويلا طرحت خلال ٣ اقتراحات.. اقتراح اول بأن تساهم كل دولة عربية في تمويل القوات بقدر مساهمتها في ميزانية الجامعة العربية. وكان معنى ذلك أن تتحمل مصر العبء الأكبر باعتبار حصتها في تمويل ميزانية الجامعة.. ثم اقتراح بإنشاء صندوق تساهم فيه كل دول عربية حسب قدرتها المالية، ثم اقتراح من الكويت بإقامة صندوق تساهم فيه أساسا كل من الكويت والسعودية بنسبة ٢٠٪ باعتبارهما الدولتين الداعيتين إلى مؤتمر القمة المحدود. على أن تساهم الدول العربية الأخرى القادرة بالنسبة الياقية، وأسفرت المناقشات عن اقتراح وافق عليه الجميع بإنشاء صندوق تساهم فيه كل دولة عربية حسب طاقتها حيث لا تقل المساهمة عن ١٠ في المائة.

كما طرحت منظمة التحرير الفلسطينية وجهة نظرها في نقطتين أساسيتين هما:

١ - ألا يزيد تمثيل أية دولة في قوات الأمن العربية عن الثلث.

٢ - أن تشمل قوات الردع قوات من أية دولة عربية راعية في المشاركة، في حين أعلن وفد لبنان أن قوة الردع طبقا لقرارات الرياض لا نتيج أية هيئة أو دولة معينة وأنها تخضع للرئاسة الكاملة والمباشرة للرئيس سركيس ومن ثم فإن سلطات الرئيس اللبناني في إدارة شئون هذه القوات تعطيه الحق في قبول أو رفض مشاركة أية قوات^(١).

(١) الأهرام في ١٣/١٠/١٩٧٧.

وأحيانا تكون العناصر الثانوية أقل شأنًا من بعض التفاصيل المتعلقة بالموضوع الهام البارز. وللمحرر في هذه الحال أن يرجح! أيراد الفقرة المشتملة على تلخيص العناصر الثانوية ريثما يورد التفاصيل الخاصة بالعنصر البارز ما دامته تستحق التقديم.

أما المقدمة الثالثة وهي المزج بين التبيان الشامل والحادث المعين، فإنها تستعمل عندما تبرز أهمية حادث واحد، ولكن أهميته لا تبرر إغفال الوقائع الأخرى، ويذهب الأستاذ الصمامصي، إلى أن هذا النوع يحتم على المحرر المكلف بكتابته وكتابة الموضوع الصحفي كله؛ ألا يزحم المقدمة بالشرح، ذلك لأن الأصل في هذه المقدمة، أنها يجب أن تكون قوية، جامعة، متماسكة، مرتبطة، مجردة من كل شيء إلا المواجهة التي سنقدم بها القصة الكبيرة التي ستنتشر؛ بعد المقدمة.

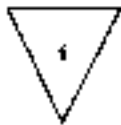
الرسم التوضيحي

المقدمة = ملخص لعنصرين وليس

للعناصر جميعا



ملخص لعنصرين آخرين



وفي القاهرة أعلن السيد إسماعيل فهمي نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية أن الرئيس السادات تلقى في الساعات الأخيرة رسالة عاجلة من ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية يشرح فيها أبعاد الهجوم السوري الشامل.

وقال السيد إسماعيل فهمي، إن السادات، أمضى

يوم أمس في متابعة أنباء الغزو السوري الذي يستهدف وضع مؤتمر القمة العربي الموسع المقرر عقده في القاهرة يوم ١٨ الحالي أمام الأمر الواقع.

وأعلن إسماعيل فهمي، أن مصر تدين الغزو السوري إدانة كاملة، وأنها ترى أن التصرف السوري ينطوي على تحدٍ سافر لملوك والرؤساء العرب.

وفيما يلي تفاصيل الموقف في لبنان وردود أفعال في القاهرة والعواصم العربية الأخرى:

تفاصيل العنصرين

الأول والثاني

في المقدمة

المقاومة: محادثات شتورا

عنت لعبة تمثيلية



بيروت في ١٢ - وكالات الأنباء - تحركت صباح اليوم القوات السورية التي تعززها الدبابات المتمركزة في الجبال جنوب شرقي بيروت، نحو ميناء صيدا (في الجنوب) لشن هجوم كبير على الميناء، بعد أقل من ٢٤ ساعة من التوصل إلى اتفاق مبدئي لإنهاء الحرب الأهلية في لبنان، وبعد مرور ١٢ ساعة على ما أعلنه الدكتور حسن صبري الخولي المستشار السياسي للأمين العام للجامعة العربية، من أن وقف إطلاق النار على مشروع الاتفاق، الذي أرسل إلى الرئيس إلياس سركيس، والرئيس حافظ الأسد، وياسر عرفات للموافقة عليه .

وأعلن متحدث باسم منظمة التحرير الفلسطينية أن وقوع هذا الهجوم بعد التوصل إلى اتفاق في شتورا لإنهاء اليقنال، يؤكد شكوك الفلسطينيين من أن محادثات شتورا بالنسبة للسوريين مجرد "لعبة تمثيلية".

وقد عقدت قيادة المقاومة الفلسطينية اجتماعا اليوم برئاسة ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، وذلك في أعقاب الهجوم، وذكرت المصادر الوطنية ان عرفات قد طلب عقد اجتماع طارئ لوزراء الخارجية العرب لبحث الموقف المتفائم في لبنان في أعقاب الهجوم الجديد على جنوب لبنان. وذكرت المصادر أن قيادة المقاومة قد أجرت اتصالات بعد ظهر اليوم بحسن صبري الخولي ممثل جامعة الدول العربية في لبنان وطلبت منه التوجه إلى القاهرة للاعداد لعقد الاجتماع الطارئ.

وقد غادر الخولي بيروت اليوم متوجها إلى دمشق حيث من المتوقع أن ينتقل منها إلى القاهرة، وأعلن مصدر فلسطيني أنه قد تم الاجتماع الثلاثي اللبناني السوري الفلسطيني الذي كان من المقرر عقده في شتورا غدا الأربعاء وذلك بسبب الهجوم الذي شنته القوات السورية على جنوب لبنان.

وقد انجالت مئات القذائف الثقيلة على هذه المواقع، ولكن القوات المشتركة التي تدافع عنها، قتلت بشراسة ضد قوات المشاة السورية المقدمة.

تفاصيل العنصرين الثالث والرابع

جنبلاط: مقترحات مصرية
أمام القمة لوقف الغزو



علم مندوب 'الأهرام' الدبلوماسي أن الرئيس السادات قد أمضى يوم أمس في بحث الموقف المتدهور في لبنان بالاشتراك مع عدد من مساعديه وقد اضطر السيد اسماعيل فهمي نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية إلى إلغاء كل مقابلاته ليكون على اتصال دائم بالرئيس.

وكان الرئيس السادات قد استقبل أمس السيد كمال جنبلاط زعيم القوى الوطنية اللبنانية، وأعلن جنبلاط في نهاية المقابلة أن الرئيس السادات يتابع أولاً بأول أبناء الغزو السوري، وأنه بحث مع الرئيس السادات المقترحات التي يمكن أن يناقشها مؤتمر القمة العربي لوقف الغزو السوري.

وقال جنبلاط، إن الرئيس السادات أبدى اهتماماً كبيراً بضرورة العمل على عودة المهجرين اللبنانيين إلى مناطقهم في إطار حل للمشكلة اللبنانية.

ومن المقرر أن يغادر كمال جنبلاط القاهرة اليوم إلى السعودية على طائرة خاصة لاجراء محادثات عاجلة مع المسؤولين السعوديين، وسوف يطير جنبلاط من السعودية إلى عدد من دول الخليج لمحادثات مماثلة تتعلق بتدهور الأوضاع في لبنان نتيجة تجدد الغزو السوري ثم يعود إلى القاهرة للالتقاء بالملوك والرؤساء العرب خلال مؤتمر القمة للتباحث معهم بشأن القضية اللبنانية.

ومن ناحية أخرى أبدت الدوائر المسؤولة في القاهرة دهشتها الكامنة من التصريح الذي أعلنه حسن صبري الخولي ممثل الجامعة العربية في لبنان والذي أعلن فيه أنه يتوقع تقدماً في محادثات شتورا بالرغم من الغزو السوري. وأكدت هذه الدوائر، أن المعلومات والوثائق التي نلقتها القاهرة - وتلقتها في نفس الوقت عواصم

عربية أخرى - كانت تؤكد أن الغزو السوري سيقع قبل ٤٨ ساعة من اجتماع وزراء الخارجية العرب، وقبل أيام محدودة من اجتماع مؤتمر القمة.

وفي الكويت حذر ممثل منظمة فتح من التفاؤل الذي أبداه ممثل الجامعة العربية في بيروت، ذلك أن سوريا لن تلتزم بهذا الاتفاق الذي تم خرقه بالفعل، وأشار ممثل فتح بالدور الذي يقوم به الرئيس السادات لدعم نضال الثورة الفلسطينية ووقف المذابح في لبنان.

وقد يجد المحرر المتدني صعوبة في صياغة الموضوع يجد أمامه عناصر كثيرة، إنه يعرف أن هناك حقيقة واحدة ذات أهمية كبيرة، ولكنه يضع معها حقيقتين أخريين أو ثلاثا لا يستطیع إغفالها فكيف يربط بينها؟ يذكر العلماء طريقة واحدة لعالجة تلك المشكلة وهي تحليل مائة الموضوع قبل الكتابة. ويستطيع المحرر أن يدون على ورقة أمامه أهم العناصر في الموضوع ويدرسها ويوازن بينها. ثم ينظم المعلومات حسب قراره في أهمية كل واحدة منها ويحرر الموضوع وفقا للقواعد العلمية المدروسة.

٥ - النمط التتابعى.

ويقصد بهذا النمط الأنباء التى تعيش فترة طويلة وتتوقعها الصحف مرة ومرات، وتنقسم هذه الأنباء إلى ثلاثة أقسام^(١):

١ - الخبر القادم.

٢ - خبر اليوم.

٣ - الخبر التتابعى المستمر.

أما الخبر القادم فهو الذى تتوقع الصحيفة حدوثه فى موعد معين. وخبر اليوم يعالج حادثه جديدة غير متوقعة. أما الخبر التتابعى المستمر فهو الذى نوالى الصحف معالجته فترة طويلة من الزمن.

وإذا كانت المهمة الأولى للصحافة هى إعلام القارئ بما سوف يحدث، فإنها بذلك تؤدى خدمة جليلة للجمهور، وأبلغ مثل على ذلك؛ تحديد مواعيد الجولات الانتخابية التى يقوم بها المرشحون وبرنامجهم ووعودهم، ولولا "الصحيفة لذهب الناخبون إلى صندوق الاقتراع وهم لا يعلمون شيئاً عن الشخص الذى سوف ينتخبونه، ولا عن برنامجه وسياسة الحزب الذى ينتمى إليه سواء أكان اليمن أو الوسط أم اليمن، والذى يحدث أن الصحيفة تستمر قبل موعد الاقتراع بأسابيع فى نشر كل شىء عن المعركة الانتخابية؛ وقد يذهب البعض إلى التنبؤ بنتيجة المعركة^(٢). ولقد وجدنا جريدة "الأهرام" يوم ٢٨ أكتوبر ١٩٧٦، أى يوم اجراء الاقتراع، تتوقع "إجراء الاعادة فى دوائر كثيرة" وأن "عددا كبيرا من المرشحين لن يحصل على الأغلبية المطلقة اللازمة للنجاح فى انتخابات اليوم بسبب كثرة عددهم فى معظم الدوائر يوم الخميس القادم". وقد صح تنبؤ هذه الصحيفة فظهرت النتائج مؤكدة لى الصحافة التنبؤى الذى لا يقتصر على المعارك الانتخابية؛ وإنما يشمل مجالات كثيرة كالرياضة. وفى كل صحيفة عدد من الخدوين الذين تخصصوا فى معرفة اتجاه النتائج الرياضية. واتجاهات التنسب والقبول بالجامعات وهناك أخبار أخرى من هذا النوع ولكنها - أقل أهمية لتذكير القراء بما سيقع من أحداث فى بلادهم كأن يقول لهم مثلا إن غدا هو عيد السويس أو أن الجامعات ستفتتح يوم ٢٢

(١) كارل وارن : المرجع السابق ص ٩٤ .

أكتوبر أو إن نقول لهم أن احتفالاً معيناً سيقام يوم كذا أو(إن مسرحية لشوقي مثلاً سوف تقدم على المسرح القومي يوم كذا).

ويجب أن يدرك المذنبون أنه لا يوجد شيء مؤكد في هذا العالم، ولذلك يجب عليهم ألا يلدسوا ثياب العرافين، فإذا كلفوا بمهمة استقصاء ما سوف يقع من أحداث؛ فعليهم التزام الحرص، وخاصة إذا كان الحادث يتناول أسماء وأرقاماً وفي بعض الأحيان يلجأ الصحفيون الذين يكلفون بمهمة من هذا النوع إلى اقتباس قول شخص مسئول عن حادث سوف يقع، ثم يردفون ذلك القول بتحفظ لانتقاد الصحيفة إذا لم يتحقق ما قاله المسئول.

أما الخبر القتابي المستمر فهو يبدأ عادة بحادث جديد. وعلى المذنب الذي روى الحادث مرة أن يوالى الكتابة عنه، فإذا حدث انفجار في مدينة مثلاً، وروى التفاصيل على النحو المعروف، وعليه أن يجيب عن عدة أسئلة: كيف دخل الديناميت إلى المدينة؟ لماذا انفجر؟ كيف حال ضحايا الانفجار؟ .. وعليه أن يتتبع حالة كل ضحية في المستشفى وتطور صحته إلى أن يخرج من المستشفى. ويضرب "وارين"، مثلاً لقصة جريمة من الجرائم؛ وتطورتها:

٢٥ مايو لص يطلق النار على صاحب متجر ثم يفر.

٢٦ مايو يموت صاحب المتجر ويبدأ البوليس في البحث عن اللص.

٢٧ مايو البوليس يقبض على المتهم.

٢ يونيو النيابة تحقق مع المتهم وتعد صيغة الاتهام.

١٧ يوليو تبدأ المحاكم أمام القضاء.

١٨ يوليو الشهود يدلون بأقوالهم وينسحب القضاء للمداولة.

١٩ يوليو يعلن القضاء قرارهم ويصدر الحكم.

١٠ أغسطس يقدم المتهم استئنافاً.

٣١ أغسطس محكمة الاستئناف تؤيد الحكم.

٢ سبتمبر تنفيذ العقوبة على الجاني.

وعلى المندوب أن يرجع بين وقت وآخر إلى الأرشيف كلما عاود الكتابة عن الموضوع؛ حتى لا يخطئ في سرد المعلومات. وقد يضطر في بعض الأحيان إلى أن يعيد بعض وقائع القصة التي نشرت من قبل، وعندما يريد أن يضيف إليها معلومات جديدة لابد من أن يحكم على علم بالقصة وأن يضع في اعتباره أن من القراء وأن بعضاً آخر لم يقرأها بالمرّة. وهذا يتطلب أن يتضمن الجزء الجديد من الخبر التقابلي المستمر ملخصاً قصيراً لما سبق سرده من حوادث هامة؛ في الخبر وفي بعض الحالات يضطر المندوب الصحفي إلى رواية معلومات غير جديدة، في أكثر من فقرة.

ويتكون - على ذلك - النمط الخبري التقابلي المستمر، على النحو المبين بالشكل.

على أن الصحفي المبتدئ قد يجد صعوبة في تحرير الأخبار المتتابعة بسبب التعقيدات التي تنشأ عن الحاجة إلى ربط المعلومات القديمة بالحديثة، وقد يحاول بعض هؤلاء أن يحشد أكبر عدد ممكن من المعلومات القديمة بالحديثة، وقد يحاول بعض هؤلاء أن يحشد أكبر عدد ممكن من المعلومات في فقرات الربط، وهذا يعوق تطور الحوادث، وما عليه إلا أن يسرد الحقائق عارية مجردة من العبارات الطنانة والبالغات، ثم ينتقل إلى التطورات الجديدة في بساطة طبيعية^(١).

وحيثما يجد الصحفي نفسه في مأزق بين ضغوط مواد لا حصر لها حتى في الأخبار البسيطة نسبياً وبين حدود ثابتة لحيز الصحيفة، فلا سبيل له إلى دفع هذا الضغط أو الافلات من تلك الحدود والقيود. وليس أمامه إلا سبيل التركيز والاقتصار على المعلومات الجوهرية الهامة وتحريرها وفق القواعد العلمية التي تنظم له أساليب التفكير وتجنّب مزالق الوقوع فريسة للسطحية الموقوتة.



(١) العماصي المرجع السابق ص ١٢٤.

الفصل الخامس

فن الحديث الحسن

في كثير من مجالات العمل الصحفي؛ تمثل المهارة في فن المقابلة أمراً لاغنى عنه. ذلك أن الصحفي شأنه شأن أي إنسان - يقابل الناس ويستقبل غيره من الناس. على أن الصحفي بالضرورة يجب أن يذمى مهارته في هذه الوسيلة التي يمكن بها الحصول على كثير من المعلومات ووضع الكثير من خطط أعماله الصحفية. ذلك أن اكتشاف الحقيقة هو جوهر العمل الصحفي؛ والأحاديث الصحفية. ومقابلة الناس والتحاوُر معهم هي الوسائل التي تتيج للمندوب أن يعرف ما قد حدث، وما قد يحدث. ولذلك يذهب علماء الصحافة إلى أن 'كل حوار صحفي يجيء إنما بالتفاصيل التي تجعل الموضوعات جديدة بالثقة'.

وتعتبر المقابلة من صميم التقرير الصحفي؛ ذلك أن كل تقرير يتضمن - في الغالب - مقابلات مع أشخاص مطلعين وأحاديث مع اختصاصيين؛ لكن دون نكر أسمائهم. وفي المقابلة التي تعتبر نوعاً قائماً بذاته، يعطى الكلام للشخصية، وينحصر دور الصحفي في حمل الشخصية على الكلام، والحديث معها بما يهم الجمهور.

والمندوب الصحفي لكي يحقق النجاح في عمله اليومي؛ عليه أن يعرف كيف يُجرى الأحاديث مع الناس. فالمقدرة على الاستجواب؛ كما يقول علماء الصحافة؛ أمر ضروري "السبب واضح بسيط هو أن معظم الأنباء تُستقى مباشرة من الاتصال الشخصي. ذلك أن جميع الأخبار، بداية من المؤتمر الصحفي الرسمي في المقصر الجمهوري، ونهاية بالحديث مع عابر السبيل الذي شهد حادثة سيارة، هو إلى حد كبير استجواب لأناس من مختلف الأنواع وفي مختلف الأحوال. ونظراً إلى أهمية الاستجواب القصوى في جمع الأخبار؛ فإن المندوب الصحفي يجتهد باستمرار من أجل تنمية قدرته في هذا الضمار"^(١).

وحين نتساءل: 'لماذا ينبغي أن تصبح صحفياً يجري مقابلات جيدة؟'.. نقول مع شيرلي بياجى: 'إن الموضوعات الصحفية الحافلة بالمعلومات والتي تشد القارئ إنما تنبع من مقابلات صحفية يجري الإعداد لها جيداً، ويتم تنفيذها أيضاً بصورة جيدة. ومن النادر أن يدرك قارئ الصحيفة أو مشاهد التلفزيون كم من المقابلات، وكم

من الأبحاث ومن الوقت يضيئه الصحفيون وراء كل قصة صحفية. إن جميع الموضوعات الصحفية والبرامج التلفزيونية والإذاعية تنتج عن أنواع مختلفة من توجيه الأسئلة^(١).

والتميز في إجراء المقابلات الصحفية من أهم أسس العمل الصحفي الناجح، وهو كذلك بالنسبة للكتابة الصحفية أيضاً؛ يقول "كريس جيلجر" الصحفي بجريدة "تايمز بيكابون": "إنني أعتقد أن معظم الصحفيين على قدر من الكفاءة يكفي لإجراء مقابلة صحفية، ولكن المشكلة تكمن في المعلومات الناقصة في المقابلة؛ إما لأن الصحفي سبق أن حذق في ذهنه ما الذي يريد من المقابلة، فينهيها قبل أن نتاح الفرصة للمتحدث لأن يدلي برأيه، أو لأن الصحفي ينقصه التعاطف وحس الاستطلاع للحصول على ما هو أكثر من الحقائق الأساسية في القصة - مثل الموصف والتفاصيل، أو ما نسميه بلغة الصحافة: "لماذا وأين وكيف ومتى"^(٢).

من "المقابلة إلى الحديث":

والعمل الصحفي يقوم في جوهره على جمع المعلومات الكاملة؛ الدقيقة؛ الموضوعية؛ ولذلك فإن الصحفي الذي يجري مقابلات جيدة؛ إنما يبحث باستمرار عن شيء جديد؛ أو عن معلومات متعمقة؛ أو فكرة أو وجهة نظر تثير الاهتمام في القصة؛ وتكون جديدة بالاستماع إليها ويحيث لا تكون شائعة أو معروفة من قبل.

وتعتبر "المقابلة الصحفية" مثل المحادثة؛ "نوعاً من تبادل المعلومات، والآراء، والتجارب، بين شخص وآخر، وفي أثناء المحادثة فإن السيطرة على المناقشة تنتقل من شخص لآخر مرات عديدة، ولكن في المقابلة الصحفية فإن الصحفي هو الذي يتحكم في سير المناقشة، ويحدد اتجاه الأسئلة"^(٣).

وحين يحرص الصحفي على "القول المصيب"؛ على نحو ما نجد في التراث العربي؛ استلهاماً لقول الله عز وجل: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا

(١) شيرلي بياجى: المقابلة الصحفية، فن، نكيل عملي للصحفي، ترجمة كمال عبدالرؤف؛ ص ١٥.

(٢) نفس المرجع ص ١٧.

(٣) نفس المرجع ص ٢٢.

من أذن له الرَّحْمَنُ وقال صواباً] [الفن/٢٨]؛ فسيجد عوناً من البيان العربي الذي يقول: ومن الصواب أن نعرف أوقات الكلام، وأوقات السكوت، وأقدار الألفاظ، وأقدار المعاني، ومراتب القول، ومراتب المستمعين له، وحقوق المجالس، وحقوق المخاطبات فيها، فنعطي كل شيء من ذلك حقه، وضمه إلى شكله، ونأنيه في وقته وبحسب ما يوجبه الرأي لنا، فإنه متى أتى الإنسان بالكلام في وقته أنجحت طلبته، وغطمت في الصواب منزلته، ولذلك ترى من له الحاجة إلى الرئيس رقب لها وقتاً يراه فيه نشيطاً فيكلمه في حاجته، فيكون يسير القول منه في تلك القول منجحاً، ومتى عجل وكلمه وهو ضيق الصدر أو مشغول ببعض الأمر، كان ذلك سبب حرمانه وتعذر قضاء حاجته. وارتقاب الأوقات التي تصلح للقول وانتهاز الفرصة فيها إذا أمكنت من أكثر أسباب الصواب وأوضح طرقه. ثم متى سكت عن الكلام في الأوقات التي يجب أن يتكلم، لحقه من الضرر بترك انتهاز الفرصة مثل ما يلحقه من ضرر الكلام في غير وقته، ولذلك قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام "انتهزوا الفرص فإنها تمرُّ كمرِّ السحاب".

وحيث تذهب 'ساندرا تومسون' الصحفية في جريدة 'سانت بيترسبرج تايمز' إلى أن "المقابلة الصحفية ليست نوعاً من الحادثة؛ وإنما تشير إلى تجنب وجوه الحادثة المرفوضة في الهزل؛ والقيح؛ والخطأ؛ ولذلك تنصح الصحفي بأن يكتب "أى نوع من حب الظهور عنده تماماً، وفي نفس الوقت يسيطر على الموقف بطريقة خفية" وهذا أمر صعب - كما تقول: "فأنت تراقب كل شيء يقال؛ وفي نفس الوقت تحاول أن تخلق جوّاً ودياً يدعو إلى الاسترخاء وعدم الشعور بالخطر من جانب المصدر وفي الواقع فإن داخل عقل الصحفي جهاز 'تيكرز' يدق طوول المقابلة، وهو يتساءل: ترى مانا سيكون سؤالى التالي، وما الذى تدلّ عليه حركات أيدى المتحدث، وماذا تشير إليه نبرة صوته؟

إن الذى يجرى المقابلة الصحفية عليه أن يصغى للمتحدث؛ ويراقب، ويتحرى، ويستجيب ويسجل كل ما يجرى فى وقت واحد. وللسكوت: أوقات هو فيها أمثل من الكلام وأصوب، فمنها السكوت عن جواب الأحمق الهازل والمتعنت. وفى تلك يقول الشاعر:

[من الوافر]

وأصنّت عن جوابِ الجهلِ جُهْدِي

وبعضُ الصُّمْتِ أبلغُ فى الجوابِ

وقال بعضهم: "رُبَّ سَكُوتٍ أْبْلَغُ مِنْ مَنْطِقٍ".

وقال آخر: [من الطويل]

وقد أسمعُ القولَ الذي كادَ كلما
إذا ذكرته النفسُ، قلبي يُصدعُ
فأبديَ لِنَ أيَّامٍ منى بشاشة
ولاني مسرورٍ بما منه أسمعُ
وما ذاك من عُجبٍ به غير أننى
أرى أن تترك الشرَّ للشرِّ أقطعُ

يقول "تيد كويل" التليفزيونى فى محطة "A. P. C." : "هى بعض الأحيان أنتحول إلى محقق؛ وفى أحيان أخرى أنتحول إلى فراشة تطير حول المصدر وترعجه. فى أحيان أحاول أن أوضح وأفسره. وفى أحيان أخرى أتعهد أن أكون متغابياً. أما كيف تنجح فى مقابلاتك الصحفية فهذا يتوقف على مقدرتك فى أن تؤدى هذا الدور الصحفى".

وقد مدح الله - عز وجل - الحلم، فقال: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤] وسمى نفسه الحليم. وقال الشاعر: [من الطويل]

ولم أزل مثلَ الحلمِ زيناً لصاحبِ
ولا صاحباً لثمره شراً من الجهلِ

وقال الله - عز وجل - فى وصف المؤمنين وتترهم عن مقابلة الجاهلين: ﴿وَإِذَا حَاطَبْتَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾^(٢)، وقال: عز وجل^(١): ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾^(٥)، وقال: ﴿وَأَعْرَضُوا عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾^(٦)، وقال الشاعر: [من الموافق]

مشاركة اللئيم بلا جواب : أشدُّ على اللئيم من الجوابِ

ومما يستحسنه الأدباء، ويراه صواباً كثير من العلماء: الحلم عن الضئير ممن هو دون الضئير، لأنه يبين عن فضل الإنسان فى نفسه ويرفعه عن مقابلة من جهل عليه ويوضح نفسه لأذيته. وقد قيل: "من عاجل نفع الحلم، كثرة أعوان الحليم على الجاهل".

يقول ابن وهب:

'وأما أقدار الألفاظ وأقدار المعاني، فهو أن يأتي بالمعنى فيما يليق به من اللفظ. وأما مراتب القول ومراتب المستمعين له، فهو حسن التلطف فيه والإتيان به على تقدير وتمير لسامعه، وحسن حيلة في إيراد ما يقبل عليه، وتجنبيه ما ينكره. وأن لا يهجم منه عليه بما يفضيه، أو لا يحتمله قلبه، ولا يسعه صدره، ولا يليق به قبوله. ثم يزيده شيئاً بعد شيء حتى يبلغ به أقصى مراده منه فيكون في ذلك مثل المريء للصبى؛ فإنه متى هجم عليه بالغذاء من أول مرة قتله، ولكنه يسقيه اللبن ثم ينقله في الغذاء من حال لطيفة إلى ما هو فوقها حتى يكمل تربيته، أو كالطبيب الحاذق الذي إذا رأى العليل يكره الدواء، ويمتنع من أخذه لطف له واحتال في إقامة شيء مكان شيء، وخلط ما يستبشع طعمه بما يذهب بشاعته، والتدبير لذلك حتى يسهل عليه أخذه، ويبلغ مراده من نفعه، ولذلك بدأ الرسول - عليه السلام - في أول المنارة بالدعاء إلى التوحيد بشهادة الإخلاص، فنظر ثم لم يزل يزيدهم فريضة بعد فريضة، وأمرأ بعد أمر، إلى أن أكمل لهم الدين وانتهى في ذلك. ولو هجم به عليهم في أول وهلة، لاستنقلوه، ورفضوه، وخالفوه ولم يقبلوه. فينتهي للعاقل أن يكون بصيراً بترتيب قوله، عالماً بمراتب المستمعين له في قبوله، فلا يأتيهم منه بما ينافر طبائعهم، ويكون سبباً إلى إعراضهم، ثم لا يزال يلطف لهم في ذلك ويوفيههم من حال إلى حال فيه حتى يبلغ بهم مقصده، فإن ذلك أصوب في الرأي وأولى بالقبول. وقد أوصى بعض حكماء العرب بنحو ما قلناه فقال: اعلم أنه لا يتهيأ لك نقل رجل عن طريقته بالمناقضة والكابرة، لاسيما إذا كان ذا سلطان أو ذا نخوة، ولكنك تغدر أن تعينه على رأيه وتنبهه على إحسانه وتقريه من قلبه، فإنك إذا قربت منه المحاسن كانت هي التي تكفيك المساوي، وإذا استحكمت منه ناحية من الصواب كان ذلك الصواب هو الذي يبصره الخطأ بالطف من تبصرك، وأعدل من قصتك، لأن الصواب يؤيد بعضه بعضاً، ويدعو بعضه إلى بعض. وأما حقوق المجالس وحقوق القول فيها. فإن مجالس السلطان مخالفة لمجالس الرعية ومجالس العلماء مخالفة لمجالس الجهال، ومجالس الجد مخالفة لمجالس الهزل، فحق العاقل أن يعظم مجالس السلطان والعلماء، فلا يأتي فيهما بشيء من الخناء، ولا الهزل، ولا اللهو، إلا أن يشاء السلطان ذلك منه، فيأتي ما يأتي من ذلك

عن إذنه وطلاعة لأمره، وبحسب ما يحتمله نشاطه من غير زيادة على ما يخرج به عن حد الخلاف عليه والعصيان لأمره، ولا يملى لنفسه مع ذلك في الاسترسال والجرى على عادة النفس في الإهمال، وأن يكون في مجلس السلطان بين ثلاثة أحوال: إما أن يكون مُنصتاً، أو معظماً لحقه عن الابتداء بالكلام في مجلسه، أو مُجيباً عما يسأل عنه من غير دخول في جواب مسألة لغيره، أو مُنهباً نصيحةً إليه فيما أصلح ملكه ورعيته من غير أن يشوب النصيح بالسعاية به، أو يخلط المشورة بالتميمة والتحميل على الرعية، فالتوقير للرؤساء والأئمة مما قد أمر الله - سبحانه - به حيث يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالِكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَعْضُونَ أَسْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝﴾^(١).

والنصيحة للأمة واجبة، فقد روى جرير أنه بايع رسول الله - (ﷺ) - على السمع والطاعة والنصيحة. وروى عن رسول الله - (ﷺ) - : «إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ لِلَّهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ»^(٢).

والسعاية والتميمة وتحميل السلطان على الرعية مذمومان عند الحكماء، وقد روى أن أفلاطون أعرض عن أرسطاطاليس لشيء بلغه عنه، فسأله عن سبب إعراضه فقال: «شئ بلغنييه الثقة عنك». فقال: «الثقة لا يكون تماماً». وروى أن رجلاً سعى إلى الاسكندر ببعض أصحابه فقال: «إِنَّ أَرَبْتَ أَنْ أَقْبَلَ قَوْلَهُ فَبِكَ، فَعَلْتِ، وَإِلَّا فَدَعِ الشَّرَّ يَدْعُكَ».

وأن يكون في مجلس العلماء في أحد ثلاثة أحوال: إما سائلٌ متعلم، أو منصتٌ متفهم، أو مذاكرٌ بالعلم للمتعلم، فقد روى: «كُنْ عَالِماً أَوْ مَتَعَلِماً، أَوْ مُنصِتاً، وَلَا تَكُنِ الرَّابِعَ فَتَهْلِكُ».

وأن توقر العلماء، فقد روى في بعض الحديث: «لَيْسَ الْمَلَقُ فِي أَخْلَاقِ الْمُؤْمِنِ إِلَّا فِي طَلَبِ الْعِلْمِ». وروى عن أمير المؤمنين - عليه السلام: «حَقُّ الْعَالَمِ أَنْ لَا تُكْبَرَ عَلَيْهِ السُّؤَالُ حَتَّى تُضْجِرَهُ، وَأَنْ لَا تَأْخُذَ بِشُؤْبِهِ».

(١) سورة الحرات. الآيتان ٢، ٣.

(٢) في النهاية ج ٤ ص ٣٥٨: ليس من خلق المؤمن الملق، والملق - بالتحريك - الزيادة في التودد والدماء والتضرع فوق ما ينبغي.

وإذا تخلفت على قوم فسلم عليهم جميعاً، وخصه بالتحية واجلس بين يديه، ولا تغمز بعينك ولا تُشبر بيدك إلى مجلسه، ولا تكثر من القول: 'قال فلان، وقال فلان'، خلافاً عليه، ولا تضجر بصحبته.

وأن يكون في مجلس الجد جاداً في منطقه وقوله، غير مهجن بكلامه ونفسه باستعمال الهزل والإفاضة فيه، فقد قيل: 'لا يخطئ الجد بالهزل فيسقطه، ولا يخطئ الهزل بالجد فيكدره'. وإن اضطرتته حال إلى حال فجالس السفهاء وأهل الهزل فليكن بينهم متملساً^(١)، وعن جملتهم خارجاً، ولما هم فيه ماقتاً، وعنه بسمة معرضاً، وليكن في استعمال ما لا يتم فيه من المزح والهزل، وما لا يسقط مروءة، ولا يتلم ديناً ولا جاهاً قاصداً إلى ترويح قلبه وإجمامه لعاودة ما فيه نفعه، فقد روي أن في حكمة إلى داود: 'على العاقل ما لم يكن مغلوباً على أمره أن يجعل نهاره أربع ساعات: ساعة يناجي بها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يُفضى بها إلى إخوانه الذين ينصحون له ويصدقونه عن عيوبه، وساعة يخلى فيها: يخلى بين نفسه وبين شهواته ولذاته فيما يحل ويجمل، فإن في هذه الساعة له عوناً على هذه الساعات'.

من هذا النص التراثي، يتضح لنا أن لفن الحديث؛ الذي يضرب بجذوره في التاريخ الإنساني أصولاً وقواعد يجب أن تُرعى؛ وأن تستهدى بها الأجيال على النحو الذي يؤدي بنا إلى القول بأن فهم الطبيعة الإنسانية؛ هو الأساس الذي يبنى عليه فن الحديث الصحفي الفعّال؛ في صورته المعاصرة.

الحديث الصحفي وحوافز السلوك الإنساني:

والأسباب التي تكمن وراء بعض أساليب السلوك الإنساني؛ أكثر ما تكون وضوحاً للمتخيلين بالصحافة، إذ يعتمد العمل الصحفي في جوهره على فهم هذا السلوك. ولذلك يذهب الدارسون إلى أن إجراء الحديث الصحفي مهمة صعبة، وبخاصة في هذا العصر الذي يميل فيه الأفراد إلى أن يكونوا شديدي الشك والارتياب حيث

(١) يقول الدكتور مصطفى جواد: 'لعل الأصل (متملساً)، يقال: تلمس من الأمر؛ اقلت وتخص كما في معجمات اللغة. وتلمس الرجل من غيره: خرج من عهده، كما في كتب الأدب'. الترهان في وجوه البيان ص ٢٥٨.

يظهرون إلى كل شيء يشك بما في ذلك الصحافة. ومن ثم يجب أن يكون المتحاور مرناً مع. وبعض المواقف التي تحتاج إلى الجرأة والشجاعة؛ والبعض الآخر الذي يحتاج إلى التسامح. وهناك عنصران متصارعان ينحرك المتحاور في إطارهما: أولاً: من حق الناس أن يعرفوا كل الحقائق، وأنت أحق المسؤولين عن تقديم هذه المعرفة لهم؛ ثانياً: لا أحد ملزم قانوناً بالتحدث معك، ومن ثم على الإنسان أن يلجأ إلى فهم السلوك الإنساني وطبيعته.

والحوافز اللاشعورية عامة تكون بصورة أقوى مما نتصور عن محاولتنا لفهم الناس؛ فإننا في الأغلب نعلم إلى البحث عن أسباب سيكولوجية عميقة الجذور مرتبطة بأفعالنا وحياتنا الوجدانية. و"الدوافع قوى انفعالية. والأفعال التي تسيطر عليها هذه الدوافع لها أصلها الراسخ في الوجدان أكثر منه في العقل" على حد تعبير أنيث جاريت^(١) التي تشير لنا إلى الجوانب الذاتية والموضوعية في كل موقف. وأن المران والمهارة يؤديان إلى إدراك مدى الارتباط بين الناحيتين الموضوعية والذاتية. كما أن معرفة العوامل الذاتية قد تكون ضرورة ليمكن بعدها تصميم الخطط الموضوعية في الحديث الصحفي. ولذلك يذهب علماء الصحافة إلى أن ترتيب لقاء صحفي أشبه بعملية فك قنبلة. فأى إنسان في موقع القوة. ويمتلك الكثير من المال - وهم أكثر الناس حبطة ومعارضة للحديث معك - يكون في الغالب محاطاً بمجموعة كبيرة من مديري المكاتب والسكرتيرية ورجال العلاقات العامة. وفي أوقات أخرى ستتعامل مع نوعيات عانت الكثير من الإساءة والحرمان؛ لدرجة أنهم أصبحوا يتشككون في أى مخلوق يسأل أى سؤال.

وفيما يلي بعض الأساليب والطرق التي تمكنت من مواجهة هذه المواقف:^(١)

الاتصال المباشر: أرفع سماعة التليفون وأطلب الشخص الذي تريده. وأخبره بما تريد: "ألو، أنا السيد فلان من صحيفة كذا، وأود التحدث معك بشأن الفواكه المصنوعة من البلاستيك".

الوسيلة المتاحة: في مكاتب الحكومة والمصالح تسعى السكرتيرية دائماً لصرفك بفظاظة من المكتب يرغم أن رئيسهم يريد الحديث معك (إنها مجرد عادة لا أكثر).

(١) مدخل في الصحافة السابق ص ١٤٤.

فاجعل من هذا السكرتير - أو من يحمي الرئيس - صديقاً وحليفاً لك، وأخبره أن الأمر بالغ الأهمية، ويجب أن نتحدث إلى السيد فلان للأهمية القصوى، فإذا عطّلك بعض الوقت، فعدّ وذكّرهم مرة أخرى أن الأمر في منتهى الخطورة، لكن إياك والمعواء والعويل.

لا مفر من المواجهة، إذا تكرر فشلك في الاتصال بشخص ما تليفونياً أو إذا كان هذا الشخص محظوظاً ولا يملك تليفوناً، قم على الفور باقتحام مخبئه وقدم العديد من الاعتذارات والأسف والندم لفعلتك هذه، ثم ادخل في الموضوع مباشرة.

المكوث لفترة طويلة، إذا كنت بالفعل تريد لقاء شخص ما، وحاول السكرتير أو من يحميه إقناعك بأنه مشغول جداً جداً اليوم، ولن يتمكن من لقائك فقل لهم بهدوء: إنه لا مانع لديك من الانتظار ولا مانع أيضاً من إحضار وجبة الغداء معك، ليعرف الجميع مدى إصرارك على البقاء.

الهجوم، إذا حدث أن نحت الشخص الذي تريد التفاوض معه - وهو يرفض - فاندفع نحوه في إصرار وقل له، لقد توافرت لدينا معلومات يمكن أن تدينك، فهل ترغب في إضافة شيء؟

ولكن... كن لطيفاً، فإن الناس الذين اعتمدوا على الظروف تأسرهم الرقة كثيراً، وقل إننا نعرف أن هناك وجهين لكل قصة، ونحن نوافق لسماع القصة منك.

شارك وجدانها؛ لا شيء يجدي مثل المشاركة الوجدانية، وقد يفرض على المندوبين أن يحاوروا مع نجوا من المآسى، ولكي تنجح معهم أبداً بالتعبير عن عدم ارتياحك شخصياً لعملية توجيه أي أسئلة وأنت جد أسف على هذا، ولكن من فضلك، نرجو أن تخبرنا ما هو شكل (زيد)، وهل عندك صورة له؟

غالباً ما ينجح الأسلوب المباشر في إنجاز المهمة، حتى الناس الذين لا يقرأون الصحف يتأثرون جداً لفكرة أن هناك من يريد أن يسمع ما يقولون. كثير من الناس سيوافقون على الأقل على إجراء الحوار معهم، ولكن هذا لا يعنى أبداً أنهم سيتحدثون معك فور وصولك.

من المفيد جداً أن تعرف الكثير عن الموضوع الذي كلفت به قبل ذهابك إلى لقاء الصحفي، وقد يسكتك بعض المسئولين بقوله، "لقد تحدثت في هذا آلاف المرات" أو "لقد

سبق أن أوضحت مرقفي من قبل بخصوص هذا الموضوع، إن عملية البحث في مكتبة الصحيفة تمكنك من معرفة وتقييم الشخص المراد التحاور معه. هل هو في العادة شخص مكفهر ونكد دائماً؟ هل يحب الثرثرة؟ مثل هذه المعلومات تساعدك في تحديد هل أنت مقبل على حوار عصيب أم على حوار مسل.

التخطيط السليم يجعل هروب المتحاور صعباً: إن "ليونارد راي تيل"، خبير في تغطية أخبار السجون ومحاور ذى اعتاد أن يحتفظ بقائمة بأسماء نزلاء السجون ويأوراقهم الدالة عليهم في السجون. هذه المعلومات تحولت إلى أداة لها قيمتها فاماً حين ذهب يوماً لعمل لقاء صحفي مع مأمور السجن حول ما أشيع عن وجود مخبأ للأسلحة المصنعة داخل السجن والمخبأ داخل بعض الزنزانات بسجن أطلنطا. ولما كان مساعد المأمور معروفاً بعدائه للصحفيين، فقد أخبر تيل المأمور أنه غير موجود. فرد عليه يهدوء إنه لا مانع لديه من انتظاره. لكن مساعد المأمور عاد وقال إن المأمور في مكان ما يتعذر الوصول إليه في السجن. فرد "تيل" بأن الكوث طويلاً لن يضايقه وأخرج له حقيبة بنية اللون وأخبره أنه قد أحضر معه نغداه تحسباً لهذا، فأصر مساعد المأمور على موقفه. وعلى الفور قال له "تيل" حسناً ما دمت سامكت هنا ولدة طويلاً فأرجو لقاء المسجون فلان رقم كذا وأخرج ورقة من جيبه وكتب عليها الاسم ونظر لمساعد المأمور عادة يقدم الصحفي طلبه للقاء أى سجين قبل الموعد بأربع وعشرين ساعة. وبما أن "تيل" يعلم القوانين جيداً فقد كان يرجوا استثناء من القاعدة. وبعد أن أسقط في يد مساعد المأمور ذهب على مضض ليهنأ السجين إن كان يرغب في التحدث إلى "تيل". ثم عاد وأخبر تيل أنه قد رفض، وعلى الفور كتب "تيل" اسم سجين آخر ورقمه وأعطاه للمساعد. وفي غضب ذهب إلى الزنزانة المغلقة وعاد ليخبر "تيل" برفض السجين الثاني أيضاً. فأعطاه "تيل" اسماً ورقماً آخر وطلباً رسمياً كتبه على ورقة منزوعة من مفكرته. واستمرت هذه المحاولات على مدى ساعة كاملة إلى أن شعر "تيل" بالفعل بمقدم المأمور نحوه. في الحقيقة كان المأمور بالفعل داخل مكتبه القريب من ذلك المكان وخرج لتوه للذهاب إلى الحمام. واقتنص "تيل" الفرصة والمأمور معاً. وحتى لا يشعر المأمور بالحرج أمام تيل فقد رحب كثيراً بإجراء الحوار معه وفي مكتبه. وخرج "تيل" بجديت صحفي بالغ الأهمية مزود بمجموعة من صور الضناجر التي تم صنعها داخل السجن.

إن الإلحاح في حد ذاته قد لا يجدي دائماً، ولكنه على الأقل أفضل من عدمه. فيعد حوار تفلبدى حزين مع والدى فتاة صغيرة فنلت، علم "رون تبلور" أن الشرطة قد قبضت على أحد أعمام الفتاة ورفضوا ذكر اسمه، فى الحقيقة لم يكن "تيلور" هو صاحب فكرة الخطوة التالية وإنما أحد المخبرين السريين واسمه "باد سكينز" وكان صديقاً للمصور وكان لهذه الخطوة أهميتها البالغة للموضوع. قال الرجل إن الأسرة ناتها لن تتردد أبداً فى التصريح باسم العم، فذهبا إلى بيت الأسرة، ولم يحصلوا على الاسم فقط، وإنما استطاع "تيلور" والمصور التقاط صور بالغة التأثير فى لحظات الغضب وجيشان المشاعر صرخت إحدى العمات تقول "لقد جلس إلى مائدتنا وأكل من طعامنا"، وهدد أحد أبناء العموم بأنه سيقتل العم فى أول فرصة تسنح، وهكذا انتشق هذا الموضوع المعبر عن مأساة إنسانية من داخل أسرة تسعى للانتقام بعد أن فجعت بحقيقة أن مرتكب هذه الجريمة البشعة هو أحد أعضائها.

فى مثل هذه القضايا جرى العرف أن ننطلق الأسرة التى مسها الكرب فى الكلام دون ضابط ما بامتد قد سنحيت لها هذه الفرصة، وكأنهم يسعون للتعبير عن مشاعر غضبهم لأى غريب.. مثل هذا الاتجاه المفاجئ، وغير المتوقع يستطيع أن يحول مسار أى مهمة صعبة. ذات مرة ذهب أحد مندوبى المهام العامة فى أطلنطا لإجراء حديث مع والدى أحد ضحايا سفاح فى "هيوسطن". كان حزن الأبوين بالغاً لأن البوليس قد أرشدهم إلى جثة غير جثة ابنهم. وبدلاً من رفضهم لقاء المندوب الصحفى تحدث الوالدان إليه طويلاً وكانهما يعبران عن ارتياحهما لوجود شخص يشاركهما فى لوعة القلب ومرارة الغضب.

وهذا ما حدث حين ذهب أحد الطلبة المتدربين فى "ميامى هيرالد" إلى إحدى المزارع للتحاوير مع أسرة أحد عمال المزارع والمتهم بقتل فتاة فى العاشرة من عمرها. كان عليه أولاً العثور على البيت المنقل وسط المزارع المتوامية الأطراف. فاستغرق البحث قرابة الساعة. طرقت الباب وأخبر السيدة التى ردت عليه أنه مندوب صحفى يريد أن يسمع منها الجانب الأخر من القصة. رفضت السيدة الحديث وأغلقت الباب فى وجهه، لكن بلطف، فعاد إلى سيارته واعتقد أن الموضوع قد انتهى عند هذا الحد. وجلس يفكر فيما ينبغي عمله إلى أن لح شخصاً بالبيت يشير إليه ليعود. فعرف أن

أسرة المتهم قد دار بينها حوار انتهى بقرارهم بضرورة عرض الجانب الآخر من القصة. كان المتهم معروفاً بأنه جليس هذه الفتاة الطيبة. فضل المندوب يسمع على مدى ساعة كاملة. بعد ذلك قاد سيارته - وقد ثارت مشاعره - بحثاً عن أول تليفون يصادفه على الطريق الرئيسي ليتحدث إلى مكتب الصحيفة. وبفضل هذا الحديث الصحفي تم تعيين هذا المندوب تحت الاختبار في وظيفة ثابتة بالجريدة فور تخرجه في الجامعة. لقد مهد له نجاحه في هذه المهمة طريق الاحتراف.

وإذا كانت الأخبار في أبسط صورها هي خروج عن التأليف؛ فإن دقة الملاحظة لا تقل أهمية عن أي وسائل تدريبية أخرى بالنسبة للمتحاور. وأما المندوب فيجب أن تكون عيناه كعيني الصقر حين يلمح بسرعة حدثاً عاجزاً وسط الزحام ويركز عليه تماماً. وهذا ما يؤكد المندوبون المكلفون بكتابة موضوعات مختلفة الألوان^(١).

من هذا النص المعاصر يتضح لنا أن فن الحديث الصحفي؛ يتواصل مع أصوله في التاريخ الإنساني؛ الأمر الذي يقتضى على فهم حوافز السلوك البشري وطبيعته.

كيفية القيام بالمقابلة وإدارة الحديث الصحفي:

على الرغم من أن المقابلة المثالية في مظهرها تبدو مجرد أخذ ورد هادئ بين المندوب الصحفي ومحدثه؛ فإن المهارة الصحفية لا تكتسب إلا بعد دراسة عميقة ومراحل متتالية من التدريب..

وعلى القائم بالمقابلة أن يكون دقيقاً حتى لا تفوته الهنات المختلفة قبل أن يتشبع بها في استجاباته التلقائية، فهو في مبدأ الأمر يعرفها. ولكنها بعد مدة تصبح جزءاً من مهارته بحيث يستطيع استعمالها استعمالاً طبيعياً في كل خطوة من خطواته دون بذل أي مجهود. فنحن نسمع كثيراً عن القائم بالمقابلة اللبق الذي يستشف الحقائق ويعرفها، ولكن تتبع وراء هذه المهارة دراسة عميقة للعمليات المختلفة والعلاقات المتشابهة في المقابلة. فالمتزحلق على الجليد الماهر لا يلقى بالأ إلى الحركات الكثيرة المتكاملة التي يؤديها في فقراته الرائعة، ولكنه قد تأير على تعلمها قبل ذلك واحدة تلو أخرى ثم تعلم كيف يربطها معاً كوحدة متوافقة متنسجمة^(٢).

(١) نفس المرجع ص ١٤٧.

(٢) أُنيت جاريت : فن المقابلة ص ٥٨.

يقول صاحب المدخل إلى الصحافة: "إذا أردت أن تعلم شخصاً ما كيف يدير الحديث الصحفي فعلمه كيف يتحدث. كلنا نقوم بنفس العمل ولكن بصور مختلفة. فبعض الناس عدائيون وصريحون بالفطرة، وهذا له فائدته ولا يعنى هذا أن الرجل شئ معوق. فبعض الناس يرتاحون لإقضاء أسرارهم للشخص الخجول.

عليك أن تواظب على توجيه الأسئلة دائماً حتى ولو ضايق هذا المتحاور مع بعض الشيء. فإذا لم تكن بالطبيعة فضولياً ومحداً للاستطلاع فإن مهنة الصحافة لا تناسبك. وطرح الأسئلة هو نصف المهنة فقط لأن هدفك في النهاية هو الحصول على الأجوبة. ومع ذلك فالأمر كله نسبي تماماً. فالصحفيون يسخرون ما يرون من الأساليب المناسبة حسب مقتضيات الظروف والمواقف. فالأساليب والمواقف تختلف دائماً.

إدارة اللقاءات الصحفية إذن، مثل ترتيبها، أنواع: فالمحرر الخبير يستطيع أن يقيم الشخص ذا الأهمية في ثوان معدودة. هل هذا الشخص غريب الأطوار؟ هل هو أمين؟ فم يخادع؟ ما الذي يحاول إخفاؤه؟ هل يجعلك تحصل على الإجابة منه بصعوبة؟ إن ما تقرؤه في عيون الناس وفي سلوكياتهم هو المفتاح الذي يرشدك إلى كيفية إدارة الحوار.

والتجهيز المسبق مفيد جداً: ومن الاقتراحات المفيدة للمندوب الصحفي المبتدئ أن يقوم بتجهيز عشرة أسئلة. وهي فكرة لا بأس بها. لكن ضع في اعتبارك جيداً أن أي لقاء صحفي لا يسير في الغالب طبقاً لما هو مخطط له. ففي الأحاديث التليفزيونية المتعجئة.. سنكتشف أن الأسئلة التي خططت لها قد انحرفت الموضوع بعيداً عنها بما يقدمه المتحاور معه من عناصر جديدة أثناء الحديث. ومع ذلك دع الحديث يأخذ مجراه الطبيعي. وفوق كل الاعتبارات أنصت جيداً. قد تجرى حديثاً يؤدي بالمتحاور إلى السجن إن حاول الإجابة عن أسئلتك الاستفزازية برغم أن لديه دليل براءته. لا تدع سعيك لقصة صحفية كبيرة يؤدي بك إلى تجاهل الحقائق التي يغضون بها إليك. وسيمر عليك وقت تكتشف فيه أن لديك أفكاراً شاحبة عما تبحث عنه. وهذا يحدث فعلاً عندما تتناول الموضوعات ذات الملامح العريضة. ولا تحش من الاعترافات بأنك متخبط في بحثك. في مثل هذه الأحوال قم بسرعة بعمل تخطيط مختصر لموضوعك الرئيسي ولا تتردد في التساؤل بسادجة: 'هل لديك أي شئ تخبرني به يفيدني في مهمتي؟'. وستدهش كثيراً

حين تكتشف أن مثل هذا السؤال يزودك بتفاصيل هامة جداً، وسر أو اثنين يمكن أن يضعاك على الطريق الصحيح الذي تتبعه في بحثك.

وإذا كان فن الحوار يعتمد كثيراً على الفطرة، فإن الفطرة تحتاج دائماً للعون والدعم. لذا يقدم العلماء إليك عشر تلميحات عن عملية الحوار وإجراء الحديث الصحفي:

أولاً: حاول أن تصل في الموعد المحدد: ستدهش حين تعرف أن كثيراً من الرجال المهمين لا عمل لديهم طول اليوم إلا الحديث إليك، إلا أنهم سيحاولون إيهامك بأن مسئولياتهم رهيبه. ومع ذلك فهم يريدون تبرمهم الشديد إن تأخرت عليهم.

ثانياً: أوجد مبررات مسبقه لوجودك هناك: ثم قم بإظهار الطرف بأخر تطورات الموضوع وبما تريد أن تعرفه بالتحديد. إلا إذا كان الموضوع حرجاً وحساساً إلى الدرجة التي تمنع إفتشاء أى معلومات عنه، فإذا كان لديك معلومات لا يستهان بها حول الموضوع فالأجدر أن تخطر بهما - ما استطعت - تجنباً للتكرار

ثالثاً: يفضل أن تبدأ بسؤال كبير متشعب: وهذا طبعاً ليس أمراً مطلقاً وبخاصة إذا لم يكن لديك الوقت الكافي. ولكن مثل هذا الاتجاه يحقق غرضين:

١ - يهن لك فسحة من الوقت لتقييم الإنسان أمامك وتنظيم تفكيرك.

٢ - يمنحك فرصة جيدة لتلقى معلومات لم تكن تتوقعها، وأن تستعد لأي اتجاه تفرضه المحادثة.

رابعاً: لا تقاطع المتحدث أبداً: إلى أن تشعر أنه يريد أن يلتقط أنفاسه. فإن تحولت المحادثة من بداياتها إلى شيء غير مريح، تفقد قيمتها على الفور إلا إذا كان المتحاور يهوى المشاكسة، وتكون أنت قد حصلت على المعلومة التي تريدها فعلاً. لكن بشكل عام حين يشعر المتحدث بالارتياح إليك... يصبح أكثر نفعاً.

خامساً: القزم بالموضوع. يعتبر السماح للشخص بالتحدث عن أبنائه أو عن المجتمع مقبولاً إلى حد ما، ويساعد على خلق جو من الألفة. ولكن قد تكون هذه الثثرة أيضاً خدعة لتجنب الموضوع. فإذا شعرت أن المتحدث قد حاد بك عن جوهر الموضوع، تخلص برفق وبسرعة: وقل له "بمناسبة الحديث عن حديقه زوجتك.. ما هو الجديد بشأن مذبحه الأشجار التي تتعرض لها.

سادساً: عليك أن تبتسم من حين لآخر: فلا يحب أى إنسان أن يشعر أن حديثه متجاهل. أن تتظاهر بتدوين أشياء لا قيمة لها أو معلومات تافهة أمر له فائدته أيضاً. فهؤلاء الذين يتوهمون أنهم يدلون بمعلومات هامة وخطيرة يفضلون أن يتخيلوا أنه يتم تسجيل كل شيء.

سابعاً: عليك بالسيطرة على مشاعرك: لأنك ستتحاور مع أناس قد تبغض أفكارهم. وبرغم أن هذا قد لا يضيف الكثير إلى شهرتك كصحفى موضوعي إلا أنه سيفيد في إتمام الموضوع.

ثامناً: أنصت.. أنصت.. أنصت: تلك أن الاتصالات لن يجعل المتحدث يشعر بأنه على جانب من الأهمية والحكمة فحسب، بل يساعدك أيضاً على السيطرة على الحوار. فالتحدث قد ينحرف عن نقطة ترى أنت أنها بالغة الأهمية وقد ينحرف إلى الثثرة. فلو كنت تجيد الإنصات استطعت أن تعيده (إلى الموضوع فيما بعد بأن تقول له: "بالمناسبة لقد قلت شيئاً من قبل عن الأيام التى قضيتها فى السجن، متى كان هذا على وجه التحديد؟".

تاسعاً: لا تنصرف قبل أن تتأكد أنك حصلت على الأساسيات: كيف يتهدى الشخص اسمه أو اسمها. ما هو اللقب المسمى الذى ينادونه به؟ كم عمره؟ لا نفترض أنك تعرف كل هذه الأشياء مسبقاً. ومن الأفضل بشكل عام أن تبدأ حديثك معه بطرح مثل هذه الأسئلة فربما انصرف الشخص قبل أن تتمكن من سؤاله.

عاشرأ: كن متفهماً: فلا أحد يحب تيلد المشاعر حتى اللصوص الذين تساعد فى إرسالهم للسجن لن ينسوا تعاطفك معهم.

ضع فى اعتبارك دائماً أن المتحاور معه يكون أكثر حدة وعصبية منك. حول الخطيئة أو المأساة التى حدثت تحاوره بشأنها. والشخص الذى لم يسبق له الإدلاء بحديث صحفى يصبح أكثر توتراً، فساعده أنت على الهدوء والاسترخاء. ولا يتأنى هذا إلا إذا كنت أنت شخصياً هادئاً ومستريحاً، ولا يترقى ثماره إلا إذا كنت طبيعياً. فإن شعرت بعقلك فجأة قد توقف عن العمل وسط المحادثة، فلا تجلس فجأة تضرب أخماساً فى أسداس، فأنت فى النهاية بشر وعليك أن تقول ببساطة "معدرة لقد نسيت أين كنا ونسيت السؤال الذى كنت سأوجهه لك"^(١).

(١) مستل إلى الصحافة ص ١٥٦.

مراحل إعداد الحديث الصحفي :

يقول 'كلابنوف': 'إن على المندوب أن يكون له صفات الجائع، فهو مضطر إلى أن يذيب شخصيته في شخصية محدثه، وتلك صفة ضرورية لا يقصد بها إلا الإقناع فقط، ولكنها الزعم ما تكون في الحقيقة لا يجاد المشاركة الوجدانية بينه وبين المتحدث، ونحن نعلم أن الطبيعة البشرية تجعل الناس يميلون إلى التبسط في الحديث بحرية وصراحة مع أولئك الذين يشاركونهم عواطفهم ومذاهبهم، أكثر من أولئك الذين يعارضونهم معارضة ما في كل ذلك، أو يقيمون من أنفسهم أوصياء على فكرة معينة، أو رأي معين.'

وهنا يتعين على المندوب الصحفي أن يقف على أكبر قدر ممكن من المعلومات الخاصة من الأسئلة التي تلم بأطراف موضوع الحديث.

وقد نشرت مجلة الهلال مقالاً للأستاذ كريم ثابت بعنوان :

تهنئة أجاوت العظماء

مهنة الصحفي وما فيها من تبعات ومفاجآت

قدمت له بقولها:

'بندر أن يكون في مصر أمير أو وزير أو زعيم أو كبير لم يحادثه الأستاذ كريم ثابت غير مرة وهذا علاوة على العظماء الأجانب الذين حادتهم كملوك العرب وأمرائهم والسنيور موسولينى وغاندى والرئيس ماساريك رئيس جمهورية تشيكوسلوفاكيا والدكتور سترزمان وزير خارجية ألمانيا المتوفى والدكتور بينش والكونت ابونى السياسى المجرى الكبير والكولونيل هاوس صديق الدكتور ولسن ومستشاره الأمين والملكة ماري الرومانية والمسبو موتا الوزير السويسرى الشهير والمسبو هيمانس وزير خارجية البلجيك والرئيس الأول لجمعية الأمم المتحدة والملكة ثريا وغيرهم، وهو هنا يشرح لقراء "الهلال" الطريقة التى يفوز بها بأحاديثه وما يتخلل مهنة الصحفي من المفاجآت'

يقول كريم ثابت تحت عنوان : كيف تعد الأحاديث ؟ :

"يتاح للصحفى، بحكم الصناعة التى يزاولها، أن يجتمع بأشخاص كثيرين فى أثناء اشتغاله بالصحافة، وخصوصاً إذا كان من الذين يقضى عليهم نوع عملهم

الصحفي بنشيان الدوائر والمجتمعات، وقد أتبع لي في السنوات الثمان الماضية، وفي مناسبات شتى، أن أجمع بعدد ليس بيسير من الزعماء والعظماء ومشاهير الرجال، إما في مصر أو في الخارج، وقزت منهم بأحاديث متنوعة نشر بعضها في المصنف اليومية وأدرج البعض الآخر في "الهلل" والمجلات التي ندرعت من دار الهلال.

والسؤال الذي ما يرح عارفي بوجهونه إلى عقب نشر أي حديث أعقده مع أحد العظماء هو السؤال التالي:

"كيف تحصل على أحاديثك؟"

وهم يريدون بذلك أن يسألوني "كيف أعد أحاديثي أو كيف أهيتها؟"

والواقع أن الرد على هذا السؤال لا يخلو من صعوبة لأنني لا أذكر أن الظروف التي أحاطت بحديث ما كانت مماثلة للظروف التي أحاطت بحديث آخر
عدم تدوين أقوال المحدث:

"ولكن هناك مبدأ عاماً أستطيع أن أقول إنني أطلبه على جميع الأحاديث التي أعقدها، وهو أنني لا أدون شيئاً من أقوال محدثي في أثناء كلامه معي.

ولذلك سببان، الأول أنني لاحظت أن أشخاصاً كثيرين ينزعجون من رؤية صحفي جالس أمامهم يسجل عندهم كل كلمة تصدر عنهم، فإما أن يتجنبوا الكلام قصارى طاقهم - وهذا ليس في مصلحة الصحفي - أو أن انصرفهم إلى اختيار الألفاظ ونسب العبارات يلهيهم عن لب الحديث نفسه فيضيع جانب كبير من طلاوته.

أما السبب الثاني فهو أنني لو عكفت على تدوين أقوال محدثي لما تيسر لي التفكير في أقواله لانشغالي بالكتابة ولما اتسع لي الوقت في ذهني لأعداد سؤال أطرحه عند انتهائه من التكلم في "النقطة" التي يكون الكلام دائراً عليها.

على أن تدوين الملاحظات جزء لا يتجزء من عملية إجراء الحديث الصحفي. ومرة أخرى نعود ونقول: إن الأسلوب هنا يخضع للشخصية. بعض المندوبين - لا يركون التافهة ولا الجادة، يكتبون أي كلام ينطقه المتحدث. وكثيراً ما وجدوا في دفاترهم الكثير من العبارات العميقة جداً جداً مثل: "قليل من الوقت ينقذ نسهه" و "لا

يهم أن نخسر أو تفوز" و "لا خوف إلا من الخوف ذاته"^(١). ربما حظى بعض الصحفيين بشهرتهم في كتابة مثل هذه العبارات بالاسترشاد بما يسمونه من المتحاورين معهم. خلاصة القول كما يقول صاحب المدخل إلى الصحافة^(٢): إنك ستوفر على نفسك مشقة محاولة فهم ما كتبت إذا التزمت بتدوين الكلام الذي له صلة بالموضوع فقط. وهذا ليس متيسراً دائماً، وذلك لسببين:

١ - الناس يتوقفون أحياناً عن الكلام تلقائياً عندما يتوقف عن الكتابة.

٢ - أنت لا تعرف دائماً الكلام وثيق الصلة بالموضوع إلا إذا كتبتة كله وراجعتة بعد ذلك. إن تدوين قدر كبير من الملاحظات سوف يوفر عليك مشقة مكالمات تليفونية زائدة للتأكد من شيء كان من المفروض تدوينه في اللقاء الأول. كما أنها تتيح لك فرصة لمراجعة الحديث الصحفي فيما بعد، بعد الاختصارات التي قد تبدو غير مفهومة. ومع ذلك يفضل بعض المتدوينين تدوين القليل، معتمدين على تذكركم لكل ما سمعوه. قبل أن تفعل ذلك تأكد أولاً أن لك ذاكرة قوية جداً. أما أن تدعى أنك تتذكر عبارات معينة ثم تخطئ في كتابتها فهذا معناه أنك أصبحت في مأزق مهني حرج. أما فيما يتعلق بصياغة الموضوعات الإخبارية التي تحتم تسجيل كل وقائعها فور حدوثها فيلزم أن تدون كل الملاحظات إذ أن عواقب القذف جدّ وخيمة.

وتدوين الملاحظات لأي موضوع مسألة تعتمد على الحس الغريزي. فأحياناً تدون ملاحظات أكثر من المعتاد لأنك تسعى للوصول إلى فهم اللهجة أو التلميحات الذكية وراء عبارات المتحاور معه. وأحياناً أخرى تجد أنك لم تدون أي ملاحظات على الإطلاق، إذ قد يتركز الموضوع حول المزاج العام أو الموقع أو مدى إدراكك لموقف معين. من الصعب فعلاً أن تفقد ما تحسن به. ورغم أن تدوين ملاحظات عن لون الثوب أو نقوش على شاهد قبر لن تضر (برغم أنها قد تفقد فيما بعد أكثر من قدرتك على استيعاب الملاحظة ذاتها في حينها).

(١) راي نيل: مدخل إلى الصحافة، جولة في قاعة التحرير، ترجمة كمال عبدالرؤف ص ١٥٣.

(٢) نفس المرجع السابق ص ١٥٣.

تعددت أدوات وأساليب تدوين الملاحظات بحلول عالم الإنترنت وورقائق الكمبيوتر. فالمندوب الذي اعتاد على الورق المكتوب بالاختزال أو القلم الرصاص بوسعه الآن أن يجلس ويرفع سماعة الهاتف ويدون ملاحظاته بسرعة فائقة على آلة كتابة كهربائية أو بسرعة على جهاز عرض فيديو على بعد، وذلك عمجبة من عجائب عالم الكمبيوتر في تخزين المعلومات لاستخدامها فيما بعد. (واحد أيضاً فقد يفتري الكمبيوتر كل البيانات التي تقدمها له إذا حدث أي خلل في نظامه الإلكتروني). وقد يحتاج المندوب لاستعمال سبائته ولا للكتابة على الآلة الكاتبة، وإنما ليضغط على زر المسجل الذي يقوم بتسجيل الملاحظات نيابة عنه.

ومع ذلك فالمندوب غالباً ما يُميز بالقلم بين أصابعه ودفتر الكتابة المطبوع فوقه، 'دفتر خاص بالمندوبين الصحفيين'. وذلك ليأخذ الشكل الرسمي!

وفيما يلي بعض النقاط الهامة التي تفيد في تدوين الملاحظات بهذا القلم وفي دفتر الحرر كما لخصها 'راي تيل' و'رون تيلور':

أولاً: اكتب بأسرع وأفضل ما تستطيع؛ قليل من المندوبين يجيدون الاختزال وكبدل عن هذا قم بالتدريب على الكتابة بسرعة بطريقة مميزة بما في ذلك التدريب على الاستخدام المكثف للاختصارات والرموز مثل # بمعنى رقم و α بمعنى (و). وعموماً استخدم الرموز التي تفيد منها.

ثانياً: استخدم عقلك ويدك. فإن كان الشخص يقول ما لا قيمة له لا تكتبه. وأنصت جيداً لداخل الجمل أو لمفاتيح الكلام الهامة. وفي أثناء الحديث يرفع المتحدث صوته أو يبطئ من سرعة الكلام حين يشعر - أو تشعر - أن الملاحظات التي يقولها أصبحت لها أهميتها.

ثالثاً: أحياناً نفوتك تماماً بعض العبارات الهامة؛ لأنك لا تستطيع أحياناً كتابة كل شيء. فنبغي أن يكون دفتر المندوب مجرد تجميع لمفاتيح الكلمات والعبارات أكثر منه للجمل. فمن هذه الكلمات والعبارات يستطيع المندوب أن يكون جملاً دقيقة. ستفتل أحياناً لكن يجب أن تبذل قصارى جهتك.

وأخيراً: ضع عناويناً للملاحظاتك: اكتب على الأقل الاسم الأخير للشخص الذي تحاورت معه فوق الجزء الخاص به في الدفتر، وإلا واجهتك مصاعب جمة فيما بعد إذا حاولت معرفة من قال ماذا، وبعض المندوبين يكتبون تاريخ اليوم الذي تمت فيه المقابلة.

خامساً: قم بترتيب ما لم يسعك الوقت لهجائه: فقد يبدو من الصعب جداً الربط بين الاسم والأقوال وبخاصة عندما تتحاور مع عدد كبير من الناس في وقت واحد، ولكي تقوم بتدريب ممتاز: قم بكتابة اسم كل شخص عند بداية الكلام، وحدد لكل اسم رقماً. وبهذه الكيفية يمكن تحديد ما إذا كان المتحدث هو رقم واحد أو اثنين أو ثلاثة. بعد ذلك اربط الرقم بالاسم عند مراجعة دفترك في وقت لاحق.

سادساً: لا تفقد دفترك أبداً. فمن الصعب استعادة المعلومات التي تفقدتها. قم بكتابة اسمك ورقم تليفونك على غلاف الدفتر حتى يتمكن أى إنسان يعثر عليه من إعادته إليك مرة أخرى.

أجهزة التسجيل أصعب في فقدها من الدفاتر، وربما كان هنا سبب تفضيل المندوبين لاستعمالها، إن صندوق الترتيب هذا والذي أصبح متوافراً الآن في أحجام صغيرة يمكن حملها قد أحرز التفوق على "دفتر المندوب الصحفي" وقلمه للأسباب التالية:

- المسجلات تقدم لك العبارات حرفياً: وهذا له قيمة إذا كنت تتناول موضوعاً له حساسيته وبخاصة إذا حدث أن تراجع المتحاور معه في كل ما قاله. وفي المقالات الخاصة يسهم المسجل في التقاط اللهجات غير العادية التي تعطي للمقال مذاقاً خاصاً. كما أنه يفيد في حالة تحدث الشخص بسرعة أكبر من قدرة المندوب على تدوينها في دفتره.

- يتيح لك المسجل فرصة مراجعة الحديث بدقة.

- أصبح استعمال المسجل أمراً تقتضيه الضرورة العملية في الموضوعات التي تعتمد على الأسئلة والأجوبة. حيث ينبغي كتابة أسئلتك وإجابة المتحدث بدقة. ولهذا السبب كان من الناس أن يكتب المندوبون الأسئلة التي يوجهونها^(١).

(١) نفس المرجع ص ١٥٥.

"ومع ذلك فالمسجل له عيوبه أيضاً. دفتر المندوب لا تنفذ بطاريته ولا ينتهي الشريط أيضاً كما يحدث أحياناً في المسجلات. ولضمان تجنب مثل هذه العيوب يحسن أن تدون أيضاً في دفترك جنباً إلى جنب مع عملية التسجيل. ومن بين أكبر عيوب جهاز التسجيل: إغراقك بالفواصل الممتدة. فإذا كان التسجيل نقياً ونظيفاً فذلك يغريك بحشر كل هذه المعلومات في الموضوع الذي تكتبه ويكون لديك أيضاً ميل لإعادة العبارات. لا بد من عملية "تركيز الموضوع" في أثناء النسخ، بأن تنزع منه الكلمات التي يشوبها الغموض، وذلك بدلاً من أن تقوم بعملية أصعب كثيراً وهي الشرح والتفسير. وعملية النسخ هذه في حد ذاتها مشكلة عويصة. فأحياناً يمكنك كتابة ثلاثة موضوعات في نفس الوقت الذي تستغرقه عملية تفرغ أو نسخ حديث صحفي واحد على شريط تسجيل.

ولذلك لا يؤيد 'راي نيل تيلور' عملية المسجلات هذه، إلا في الموضوعات التي تعتمد على التحاور والأسئلة والأجوبة، أو في الموضوعات النادرة التي يلزم نقل كل تعبير حرفياً على المسجل لخدمة الأجيال القادمة. وينهتان إلى أن دفتر المندوب أداة عظيمة تجبر المندوب على حسن الإصغاء، فلا يمكن أبداً أن تكتب ما لا تسمع. ومع ذلك فإن الاتجاه العام يميل نحو المسجلات وبخاصة الحديث منها:

'إن أحد العناصر الهامة في تدوين الأحاديث هو أن تعرف متى لا تدون الحديث. ذلك أن الهدف الرئيسي من الحوار الصحفي هو الحصول على الإجابات. فإذا شعرت أن منظر الدفتر أو المسجل قد أسكت المتحدث، فأبعدهما عن نظره. غالباً ما تكون المعلومة التي تحصل عليها (على الأقل تلك التي تتذكرها جيداً) أهم من أي تحد يمكن أن يواجه منهجك في المهنة. قد يشعر بعض من لم يألّف الحوار الصحفي بالقلق لرؤيتك تدون ما يقولون برغم موافقتهم المسبقة على هذا. إن المسجل يبدو معوقاً لانسبابية الحوار، وهذا أحد عيوبه أيضاً. أضف إلى هذا أن ذلك الصندوق المسحري قد ينقل المتحدث إلى حالة من الآلية أو يجعله يشعر بأنه مراقب.

ومن الممكن طبعاً أن يخفى المندوب أو المندوبة المسجل عن الضيف الفزع، ولكن لا يجوز أخلاقياً. ومنذ وقت قريب أقدمت مندوبة الشؤون التعليمية على هذه الفعلة في أثناء التحاور مع رئيس إحدى الجامعات الأمريكية، الذي رحب جداً بإجراء الحوار

الصحفي معها، ولكنه كان يسقط في حوة الصمت لجرده رؤيته لأي مسجل، ف جاءت النتيجة مشوشة. استطاع المسجل تسجيل بعض الفقرات الهامة، إلا أن بعض الفقرات الأخرى لم تكن واضحة تماماً لبعد المسافة بين الضيف وحقيبة يد المندوبة التي بها المسجل وفي وسط الحوار سمعت المندوبة الصوت الدال على انتهاء شريط التسجيل. ولكن من حسن حظها أنها كانت أيضاً تدون الحديث في دفترها^(١).

فيتضح من حديث كريم ثابت عن العظماء الذين قابلتهم؛ حين يقول :

هذه خلاصة التجارب في الأحاديث الصحفية؛ في نهاية القرن العشرين؛ إما عن هذا الفن في النصف الأول من القرن والعظماء الذين أتيج لي مقابلتهم مصريون وأجانب، ولا مشاحة أن مقابلة المصريين منهم أسهل من مقابلة الأجانب لأن جميع الذين حادثتهم أو أحادثهم من المصريين هيات لي صناعتى فرصة معرفتهم والاجتماع بهم غير مرة، فأصبحت ملماً بأخلاقهم عارفاً بميولهم، فصار من السهل على أن أكيف تصرفاتى معهم بما يطابق أمزجتهم ويلائم طباعهم فأحصل منهم على التصريحات والبيانات التي أرومها بدون مشقة كبيرة، وتهون مهمتى كثيراً عندما أتوجه لمقابلة شخص سبق لي أن عقدت أحاديث معه أوردته بعد ذلك بأمانة في الصحف التي اكتب فيها لأن هذه الأمانة في النقل والتصوير تكون قد ولدت فيه ثقة هي أشن عدة يقتنيها الصحفي.

حديث ضريح سعد

ومما انكره على سبيل الاستشهاد أنه لما اشتد الجدل على نوع الطراز الذي يبني به ضريح الخفور له سعد زغلول باشا وهل يكون فرعونياً أو عربياً، كنت جالساً يوماً مع سعادة عثمان محرم باشا وزير الأشغال السابق، فسألته لماذا يرى أن يكون الضريح فرعونياً لا عربياً فبسط لي وجهة نظره في هذا الموضوع بسطاً ضافياً رأيت أنه يحسن نشره لكي يطلع الجمهور عليه، فنشرت كلامه بشكل حديث في مجلة "كل شيء" بدون أن اعرضه عليه لعلمي أن عثمان باشا ليس من الأشخاص الذين لا يأنسون في أنفسهم الشجاعة الأدبية اللازمة للتمسك بوجهة نظرهم إذا أثارَت ضجة حولها. فلما نشر الحديث اطلع عليه حضرة الزميل الأستاذ عبد القادر حمزة صاحب "البلاغ"

(١) نفس المرجع ص ١٥٦.

فارتاح إليه واستصوب نقله في جريدته الغراء فخاطب عثمان باشا بالتلفون وقال له إنه اطلع على حديث له في 'كل شيء' عن ضريح سعد باشا وأنه يجب نشره مرة أخرى في 'البلاغ' إذا كان ليس عند سعادته مانع. فقال له عثمان باشا : 'ارسل لي الحديث أولاً لكي أطلع عليه' فأرسله إليه، وبعد قليل خاطبه سعادته بالتلفون أيضاً ووافق على ايراد الحديث في 'البلاغ' كاملاً.

في مقابلة أمير جليل

ومن الحوادث المتقدم يتعين للقارئ مبلغ التبعة التي يأخذها الصحفي على عاتقه أحياناً. ومما أرويه بهذه المناسبة أيضاً أنه في سنة ١٩٢٩ سافرت إلى الإسكندرية وتشرفت بمقابلة سمو الأمير الجليل عمر طوسن لأعقد معه حديثاً 'لللهلال' فنلطف سموه وقابلني برفقه وبشاشته اللتين اشتهر بهما فأوضحت له الغرض من زيارتي فأظهر استعداداً للرد على أسئلتى فأخذت اطرحها عليه الواحد تلو الآخر إلى أن اجتمع عندي 'محصول' يكفيني لمقال كبير فأنصرفت شاكرًا داعياً. وبعد أيام ظهر الحديث في 'اللهلال' فأرسلت عدداً من المجلة إلى سمو الأمير فلم أثبت أن تلبت منه كتابياً رقيباً ضمنه موافقته على الحديث... وفي الصيف الماضي تشرفت بزيارة سموه في الإسكندرية فابتدرني بقوله باسمي : "ياك أن يكون حديثاً كالحديث الأول".

وهنا قد يتساءل القارئ لماذا لم أعرض الحديث على سموه قبل نشره إراحة لبالى، والجواب عن ذلك أن المقال كان يتضمن عبارات إعجاب وإعلاء لسموه في أكثر من موضع واحد، فكنت أخشى إذا اطلع عليها سموه أن يدفعه تياضحه إلى حذفها، فأثرت تحمل تبعة الحديث كله على حذف ما أعتقد أنني قلته في سموه حقاً.

محمد محمود باشا وذكرياتة

ثم انه يجب على الصحفي الذي يود أن يظفر بحديث من كبير أن يتحين الفرصة الملائمة لذلك، فقد يفضى إليك هذا الكبير في ساعة افتراح وارتياح بأضعاف أضعاف ما قد يفضى به إليك في ساعة انزعاج أو توقع مزاج، بل إنه قد يعتذر في هذه الحالة عن إجابتك إلى طلبك فلا يفيدك إلحاح ولا الحاف في الإلحاح. أنكر أنه لما كان دولة محمد محمود باشا رئيساً لمجلس الوزراء خاطبني سكرتيره الخاص يوماً

بالتأليف وقال لي إن دولته يوم مقابلتي في داره في الساعة الخامسة بعد الظهر فقلت له: "وما عسى أن يكون موضوع هذه المقابلة؟" فقال: "لا أستطيع أن أقول لك ذلك الآن". ... وقيل الساعة الخامسة بقليل دخلت حديقة دار الرئيس فاستقبلني أحد أفراد أسرته وأبلغني أن دولته 'غير موجود' ولكنه أوصى قبل انصرافه بأن أنتظره إلى أن يعود، ولم يدم انتظاري طويلاً، فإنه بعد دقائق أقبل محمد باشا ودخل تَوّاً إلى الحجرة التي كنت جالساً فيها فصافحني ودعاني إلى الجلوس، ثم قال لي: "إنني عائد من السراي وقد تشرفت بمقابلة جلالة الملك لأبلغه أن جامعة أكسفورد انعمت عليّ بلقب دكتور فخرى ولأستاذته في السفر إلى إنجلترا قريباً لكي أتسلم البراءة في الاحتفال الرسمي المعتاد' فهنأت دولته بهذا التقدير الجليل من أشهر جامعة في العالم. وفي هذه اللحظة شعرت أن دولته منشرح الصدر وأنه مستعد للكلام فقلت في نفسي هذه فرصة من الصعب خلقها كل يوم، فرجوت من دولته فوراً أن يحدثني عن أيامه في أكسفورد وعن ذكرياته فيها، فطفق يحدثني عن ذلك كله بإفاضة على منوال لم ألفه منه مع أنني كنت أقابله كل يوم تقريباً أثناء رئاسته للوزراء.

النحاس باشا ودخوله الوفد

ومن الحوادث التي أسوق ذكرها هنا للدلالة على أهمية "اختيار الفرصة" الملائمة أنه على أثر انتخاب دولة النحاس باشا رئيساً للوفد المصري أخذت أتردد على بيت الأمة لعل اضطر "ببيع ساعة" من الرئيس فأخجلني به وأسأله أن يحدثني عن الظروف التي انتظم فيها في سلك الوفد المصري وعن غير ذلك من الذكريات التي يتوق الجمهور إلى الاطلاع عليها. وذهبت إلى بيت الأمة لهذا الغرض غير مرة بدون أن أتمكن من تحقيق أمنيته لأنني كنت أجد المكان غاصاً بالزوار في كل مرة، وأخيراً صممت على التوجه إلى بيت الأمة ليلاً، وفعلاً توجهت إليه يوماً في الساعة السابعة مساء فلم أجد الرئيس، ولكنه حضر بعد قليل واطلع على بعض الأوراق المستعجلة التي عرضت عليه، ولما لم يكن هناك زوار في تلك الليلة هم دولته بالانصراف فدنوت منه وحييته ورجوت منه أن يعطيني 'دقيقتين غقط' من وقته فأجابني إلى طلبى بوداعته المعروفة، ودخل حجرة السكرتيرية وجلس على المقعد الذي في صدرها تحت صورة كبيرة للمفطور له سعد باشا، ودعاني إلى الجلوس إلى يساره ودعا الأستاذ عبد الرحمن الجديلي إلى

الجلوس إلى يمينه، وطلق بحدثنا عما استفسرت منه عنه، وكان الأستاذ الجديد يصغى إلى حديث دولته بانتباه شديد مقلت له: 'يا أستاذ جديدى هذه المعلومات لي ولا يحق لك أن تنشرها قبلى'. فابتسم الرئيس وقال: "هذا حق" ومضى فى حديثه ولما انتهى منه ونهض منصرفاً شكرته على ما تفضل به على، فنظر إلى ساعته فإذا 'بالدقيقتين' قد أصبحنا نصف ساعة وأكثر قليلاً فابتسم دولته وصافحنا وركب سيارته إلى داره.

كيف تحمله على الكلام

وغى أواخر صيف سنة ١٩٢٨ خطر لدار 'الهلل' أن تعد عدداً خاصاً من كل شئ' بمناسبة ذكرى ١٢ نوفمبر وتقرر أن يصدر هذا العدد بمقابلة كبيرة عن الظروف التى تألف فيها الوفد المصرى، وطلب إلى أن أعد منه المقالة فكان لا بد لي من جمع موادها من مصادر مختلفة، وكان يحضرة صاحب العزة أحمد لطفى السيد بك وزير المعارف إن ناك ومدير الجامعة المصرية المستقيل أحد تلك المصادر، وكنت أعرف حضرته معرفة يسيرة، فأخذت أفكر فى الطريقة التى أدبر بها فرصة ملائمة للحصول على المعلومات والبيانات التى أريدها منه، وكانت الوزارة لا تزال فى الإسكندرية يومئذ فسافرت إليها، وفى المساء ذهبت إلى فندق 'سان استفانو'، حيث كان دولة محمد محمود باشا وأحمد لطفى السيد بك نازلين؛ وسألت عن موضع المائدة التى يجلس إليها محمد باشا فى العشاء كما سألت عن موضع المائدة التى يجلس إليها أحمد بك لطفى السيد ولما عرفتهما طلبت من كبير الخدم أن يحجز لى مائدة للعشاء على مقربة من مائدة محمد محمود باشا ففعل، وكانت خطتى تتلخص فى أنى بعد العشاء أنتهض للسلام على محمد باشا؛ وأسأله عن ذكرياته الخاصة بقاليف الوفد المصرى لما كان له من أثر فى تأليفه وبينما دولته يقص على ذكرياته فى هذا الصدد يقبل علينا أحمد بك لطفى السيد ويجلس مع الرئيس فينضم بحكم الحال إلى الحديث وقد كان ذلك، فإن حضرته أقبل علينا وأنا أصغى إلى بيانات محمد باشا ثم لم يلبث دولته أن طلب من أحمد بك أن يذكره بحادث من الحوادث فتذكره له ومضى فى سرد الظروف الملائمة له فكان ذلك فاتحة الحديث معه.

في حديقة جروبي

وكما أن هناك 'ظروفاً' ملائمة يجب على الصحفي إعداد الجولها، كذلك هناك 'ظروف ملائمة' تحين من تلقاء نفسها فلا يطلب من الصحفي أكثر من أن يقطن إليها ولا يدعها تغلت منه. ومن ذلك أنه لما كان حضرة الأستاذ محمود فهمي النقراشي وزيراً للمواصلات كنت أقابله كل يوم تقريباً. وطالما حاولت الفوز بحديث منه فلم أفلح، حتى أنه اتفق مرة أن يحدثني حضرته حديثاً طريفاً عن الطيران فنشرته ونسبته إليه فلما قابلته بعد ذلك عاتبني وقال لي أنه كان يجب علي أن أطلع عليه قبل نشره فقلت: 'لو فعلت ذلك لما وافقتم علي نشره بشكل حديث' فابتسم، غير أنه حدث في مساء أحد الأيام أن التقيت بحضرته في حديقة محل جروبي الجديد، وكان قد ذهب إليها لمشاهدة السينما في الهواء الطلق فتلطف ودعاني إلى الجلوس معه، ثم ابتدأت السينما فكان بين المناظر التي شاهدناها منظر يمثل حياة النفي، فقال الأستاذ النقراشي: 'إن هذا المشريط يذكرني بأيام الاعتقال والنفي في أثناء الثورة..'. وهنا أخذ حضرته يحدثني عن بعض ذكرياته الخاصة بتلك الأيام، إلى أن اجتمعت عندي معلومات تكفي لمقال طريف، فاستأذنته في نشر حديثه، فابتسم وقال: 'برده؟' وأذن لي في نشره.

مع صدقي باشا في القطار

وفي شهر أكتوبر الماضي كنت بين الذين رافقوا دولة إسماعيل صدقي باشا رئيس مجلس الوزراء في رحلته (إلى وأحة سيوه). وبينما كان القطار ينهب الأرض نهياً بين الإسكندرية ومرسى مطروح جلس الرئيس يحادث مرافقيه عن بعض الأمور التي تزعمه. فقال في سياق حديثه إنه في مقدمة الأمور التي تزعمه، أن يزويد شخص ليرجو منه أن يزيد مرتب موظف انتظم في سلك الحكومة حديثاً، وهنا ذكر دولته أنه دخل خدمة الحكومة بمرتب لا يزيد على سبعة جنيهات في الشهر، فانتهرت هذه الفرصة لاسأله عن الظروف التي التحق فيها بالحكومة وعن كيفية ترقيته بعد ذلك، فحدثني عن ذلك حديثاً مسهباً هو في الواقع ترجمة طريفة لحياته..

وصفوة القول أن هناك فرصاً كثيرة تعرض للصحفي، فيجب عليه أن يعرف كيف ينتهزها ويستفيد منها إذ أن بعضها لا يعرض أحياناً إلا بعد صعوبات جمة.

العلاقات الطيبة وتغذيتها

وأهم عامل يسهل للصحفي مهمته علاقاته الطيبة مع عظماء البلاد وأقطابها وكبار رجال حكومتها، ولذلك ينبغي له تغذية هذه العلاقات وتعهدها على الدوام؛ ولو أدى ذلك إلى بعض التضحيات الصحفية، كأن 'يلف' خبراً عزاه إليهم أو 'يصحح' حديثاً فاز به من أحدهم بشرط أن يتم ذلك بطريقة لا يكون فيها مساس بكرامته.

حدث مرة أن كان سعادة عثمان محرم باشا وزيراً للأشغال، فافضى إلى حديث لنشره في 'المقطم' عن تعليقه خزان أسوان وبعض مشروعات الري الكبرى، ولما انتهى من الإقضاء ببياناته؛ حملتها إلى المكتب وصغتها ثم أرسلتها إلى المطبعة، وفي الساعة الثانية إلا خمس دقائق خاطبني سكرتير الوزير بالهاتفون وقال لي إن عثمان باشا ينتظرنى في ديوانه لأمر هام ومستعجل فوافقت في الحال فقال: "إننى أريد أن أعطيك حديثاً جديداً بدلاً من الحديث الأول، فقلت: إن الحديث الأول أعد في المطبعة وأن آلة المقطم تشرع في الطبع الساعة الثانية وربعاً فلا سبيل إلى حذف الحديث أو بداله بغيره" فقال: إن المصلحة تقضى بعدم نشر بعض البيانات التى وردت فيه لأسباب قد تعرفها فيما بعد. فقلت إننى أحب أن اخدم سعادتكم، وخصوصاً إذا كانت المصلحة تقضى بذلك ولكن المقطم كما قلت لكم يطبع الساعة الثانية والربع، وليس فى استطاعتى انتزاع الحديث من المكان الذى وضع فيه لأن العمل انتهى، غير أن هناك شيئاً واحداً أستطيع عمله وهو أن أحذف عبارة 'حديث مع وزير الأشغال' واضع مكانها 'حديث مع موظف كبير فى وزارة الأشغال' فى كل موضع ورد فيه ذكر وزير الأشغال فى الحديث ثم أضيف إليه فى النهاية ثلاثة أسطر أقول فيها أننا سننشر هذا حديثاً هاماً لوزير الأشغال فى هذا الموضوع، فسر سعادته بهذه الفكرة وحل الإشكال على هذا المتوال.

مقابلة عظماء الأجانب

وقد ذكرت فى مستهل هذا المقال أن مهمة عقد أحاديث مع عظماء المصريين أسهل من مهمة عقد أحاديث مع عظماء الأجانب.

لماذا؟

لأن عظماء الأجناب الذين أعقد أحاديث معهم لا تكون بينى وبينهم معرفة سابقة، بل إن السواد الأعظم لا تكون عينى قد وقعت عليهم قبل اجتماعى بهم ساعة الحديث. ثم إنه ينجم عن عدم 'المعرفة السابقة' إن المقابلة نضل محاطة بالتقاليد والقيود الرسمية، ويقضى بعضها بالأزيد المقلبة على دقائق معدودة.

ففى خلال هذه المدة القصيرة يجب على الصحفى أن يكتسب عطف العظيم، وأن يفتن إلى الطريقة التى ينبغى أن يوجه بها أسئلته إليه وأن يستوعب الأقوال التى تقال له. أما اكتساب 'عطف العظيم' فأمر مهم جداً لأنه إذا فاز الصحفى بتحقيق ذلك أمكنه أن يستخرج من محدثه أضعاف ما كان يتوقع استخراجه منه، وكذلك أمكنه أن يطبل مدة المقابلة إلى أقصى حد مستطاع.

ولاكتساب عطف العظيم وسائل شتى، كان تقول له مثلاً: إنك قرأت عنه عدة كتب ومقالات فأعجبت بمشروعه الفلانى إعجاباً خاصاً، وقدرت أهمية مشروعه الفلانى الأخر، لما سيكون له من نتائج سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية... وصفوة القول إنه ينبغى عليك "أن تضرب على الوتر الحساس" كما يقول بعضهم، إذ لكل عظيم "وتر حساس" مهما عظم شأنه وبمكثك أن تعرف ما هو "الوتر الحساس" من سؤال بعض أصدقائه وعارفيه أو من سؤال بعض معاونيه ومساعديه.

ومما لا ريب فيه أن الاطلاع على سير العظماء قبل مقابلتهم تفيد فائدة كبيرة، أولاً لأنك: تظهر لهم عندئذ بمظهر المهتم بهم حقيقة، وثانياً: لأن اطلاعك على سيرهم يفتح أمامك أبواباً كثيرة تستطيع بطرقها أن تحصل على بيانات طلبية وكثيرة.

مهمة تسقط الأخبار

أما مهمة تسقط الأخبار واستقاء المعلومات، فتختلف عن مهمة الحصول على الأحاديث اختلافاً تاماً. وهى تقتضى قيل أى شىء أن يكون لك أصدقاء ومعارف فى جميع الدوائر تستطيع أن تقابلهم بسهولة؛ وأن تسألهم فى أى وقت كان؛ عن الخبر الذى تريده أو عن البيانات التى أنت فى حاجة إليها، وغنى عن البيان أن الأشخاص الذين تطرق أبوابهم لهذا الغرض قد لا يفضون إليك بما عندهم إلا إذا كانوا واثقين من أنك تعرف كيف تكتم اسم المصدر الذى استقيت منه خبرك؛ وهذه الثقة فىك لا تتولد بين عشية وضحاها.

ثم إنك تجد دائماً في كل وزارة وفي كل هيئة أشخاصاً يتكلمون بسهولة أكثر من غيرهم؛ فهؤلاء الأشخاص يجب أن تعرفهم وأن تعرف الطريقة التي نعلمهم على الكلام دون أن تجعلهم يشعرون بأنك تسجل عليهم ما يقولون. أذكر أنه لما كانت المفاوضات دائرة بين الحكومة المصرية والحكومة الإيطالية على مسألة جغوب والحدود الغربية؛ كان بين أعضاء اللجنة المصرية والحكومة الإيطالية على مسألة جغوب ولإيطاليين، فكنا نذهب إليه ونستطلع أعمال اللجنة فيعتبر عن الإجابة على أسئلتنا؛ لأن أعمال اللجنة سرية" فنخلق إشاعة ليست في مصلحة مصر، ونقول له إن الإيطاليين يشيعونها فينفعوننا فينفعوننا ويقول إنهم يكذبون؛ والحقيقة كيت وكيت وهنا يندفع في الكلام، ندعه يسترسل فيه إلى أن نفوز بطائفة من المعلومات السرية ثم يودعنا وهو يقول: "لا تؤاخذوني فإنني لا أستطيع أن أصرح لكم بشيء لأن أعمال اللجنة ومداواتها سرية".

الاستفادة من المناهضة

ولا أخالني أذيع سراً إننا قلت إنه في كل دائرة من الدوائر وفي كل مصلحة من المصالح تجد أشخاصاً يتنافسون على السلطة؛ أو يدعون كل عمل لأنفسهم، فهؤلاء الأشخاص ينبغي أن تعرفهم؛ وأن تكسب صداقتهم؛ لأنك تستطيع أن تعلم من فريق منهم ما يعمله الفريق الآخر.

حدث في عهد وزارة محمد محمود باشا أن اجتمع مجلس الوزراء يوماً ووافق على البرنامج الذي وضعه وزير الأشغال يومئذ، وكان إبراهيم فهمي كريم باشا، لمشروعات الري الكبرى في السنوات العشر المقبلة وبينها مشروع إنشاء خزان جبل أولياء بعد تعبئة خزان اسوان، وفي اليوم التالي زرت أحد أعضاء الوزارة فسرد لي البرنامج كله من أوله إلى آخره فنشرته في اليوم عينه.

أهمية "الحظ" في مهمة الصحفي

ثم إن "الحظ" يخدم الصحفي الذي يتنصم الأخبار ويتسقمها أجل خدمة، فكم من مرة يذهب الصحفي إلى دائرة من الدوائر فلا يكاد يراها حتى يقال له: "لقد جئت في وقتك فهناك المسألة الغلانية..." وكم من مرة يكون الصحفي جالساً في

مجلس دون أى غرض كان فيسمع خبراً هاماً أو يقف على معلومات تنفعه فى استطلاع بعض البيانات الخطيرة، وكم من مرة يكون الصحفي فى زيارة كبير؛ فيسأله هذا الكبير سؤالاً عن مسألة لا علم له بها فيتنبه لها ويعيرها اهتمامه، ولو شئت أن أحصى للقراء عدد المرات التى خدمنى "الحظ" فيها خدمة جليلة لصاقت بها هذه الصفحات، ولما أتيت عليها كلها ولكن مما لا ريب فيه أن "الحظ" من أكبر عوامل النجاح فى مهمة الصحفي.

غير أنه ينبغي للصحفى ألا يعتمد على "الحظ" وحده بل لابد له من "شم" الأخبار كما يقول الأوربيون، ومثكة "شم الأخبار" تنمو فى الصحفي بالتجارب وعلى مر الأيام. ويشعر الصحفي أحياناً بدافع خفى يدفعه إلى زيارة الجهة الفلانية أو الدائرة الفلانية الأخرى، وعندى أنه يحسن به دائماً أن يصغى إلى هذا الدافع فإنه لا يندم عليه فى معظم الأحيان. ومن أعجب ما أقصه على القراء من هذا القبيل أنه لما زارت جلالة الملكة ماري ملكة رومانيا القاهرة قيل إنها لا تقابل الصحفيين ولا تحادثهم لأن بعض الصحفيين اليونانيين عزوا إليها عند مرورها باليونان أقوالاً لم تغه بها، فلم أحاول بعد ذلك طلب التشرف بمقابلة جلالته، غير أنه فى صباح يوم من الأيام شعرت بذلك الدافع الخفى يحثنى على التوجه إلى دار المفوضية الرومانية فتوجهت إليها ولما وصلت إليها استقبلنى وزير رومانيا المفوض وابتدئنى بقوله: "أنا عارف أنك مستاء لانك لم تقابل الملكة، ولكن من حسن حظك أن جلالته ستتغدى هنا اليوم فإذا جئت الساعة الثانية أمكننى أن أقدمك لها"... وتم ذلك فعلاً وما كان ليتم لو لم أذهب إلى المفوضية... فهلا أو من بالحظ بعد ذلك؟"

من هذا النص فى تاريخ الصحافة المصرية؛ يتضح لنا أن فن الحديث الصحفي؛ إنما يتواصل مع : أصوله فى التاريخ الإنسانى، كما يتواصل مع نتائج الدراسة الحديثة فى الفن الصحفي وأنه - كما يقول أستاذنا د. حمزة رحمه الله :

'ليس صحيحاً ما يقال إن فن الحديث الصحفي من ابتكارات القرن العشرين، وابتداع هذا القرن وحده، فالذى نعرفه من تاريخ الصحافة فى إنجلترا - على سبيل المثال - أن الصحفي الإنجليزى المشهور ديفو Defoe استطاع فى القرن الثامن عشر أن يحصل على حديث صحفي من قاطع طريق اسمه جاك شبرد J. Shepherd وكان هذا قبيل تنفيذ الحكم عليه بالإعدام شنقاً بوضع دقائيق.

بل إن الأستاذ وكزلى في كتابه *Expriing Journalism* يرى أن حوار أفلاطون يعتبر نوعاً من الأحاديث. ذلك أن الأسئلة التي وجهت إلى سقراط حيناً، وإلى غيره من أصدقاء أفلاطون وتلاميذه حيناً آخر، كانت تحمل في طياتها صفات الحديث الصحفي. ومثل ذلك كثير من أخبار الأدب العربي في قصور الخلفاء والأمراء حيث كان الحوار يدور بينهم في مسائل شتى.

بين "الحديث" و"الحوار":

وفي بيان أهمية الحديث الصحفي يقول "اميل لودفيج": يعتبر الحديث الصحفي من المع الفنون الصحفية في الوقت الحاضر، ومن أكثرها استهواء للقارئ، وقد تظن أن الحديث الصحفي لا يزيد عن كونه مجرد تسجيل لمناقشة، أو حوار دار بين طرفين، غير أن حقيقة الأمر هي أن الحديث الصحفي أهم من ذلك، لأنه يتطلب قدراً كبيراً من المهارة والتفنن، ويحتاج إلى توافر صفات من نوع خاص في المدرب الصحفي.

والأستاذ إميل لودفيج كاتب ألماني شهير قال ذلك في مقالة له في مجلة "ريفي دي باري" عدد ديسمبر ١٩٤٦ - عن فن الأحاديث الصحفية وهو يرى أن هذا الفن من أمتع الوسائل الصحفية، وأنه ليس مجرد نقل حديث كما قبل حرفياً، بل إنه يحتاج إلى فن وأسلوب أكثر مما يعتقد القارئ العادي.

وأول خطوة في هذا الفن هي إظهار البساطة، وذلك ما يمتاز به الصحفيون الأمريكيون. فإن مشاهير الرجال يؤثرون بأحاديثهم الصحفي البسيط على الرجل المتعلم الذي يناقشهم القول.

وذكر الكاتب أمثلة من حياته عندما كان صحفياً مبتدئاً أثناء الحرب العالمية الأولى، إذ عهد إليه التحدث إلى عدد كبير من الأمراء والقواد ورجال السياسة، وكان قليل العلم بأمور السياسة، فكان يوجه إليهم في بساطة أسئلة يتحاشاها عادة العالم بالأمور، كأن يسأل أحدهم - لماذا تصرف أمس مثل هذا التصرف، فكان يمثل هذه الأسئلة البسيطة يفتح له القائد أو السياسي قلبه.

ويقول "لودفيج" إن من الواجب على الصحفي أن يدرس أخلاق العظيم الذي يريد أن يتحدث إليه بكل الوسائل الممكنة. والصور الفوتوغرافية هي ضرورة أساسية، ففيها

تظهر خصائص الرجل على وجهه بالرغم من إرادته، ومن الواجب على الصحفي أن يجذب إليه اهتمام المستمع، فلا يفتح بمجرد السؤال والجواب، إذ من الخير في هذه الحالة أن نفضل الأسطوانة الحالية، فليس الغرض أن يذكر التكلم آراءه، بل الغرض الحقيقي هو طريقة الحديث وحالته العقلية عند الإفضاء بالحديث. فقد لا يهتمنا سؤال ماركوني مثلاً: ما هي عواطفك عند اكتشافك التلغراف اللاسلكي؟ بقدر ما يهتمنا سؤاله: كيف حدث أن قضيت أنت وغيرك من العلماء سبباً عديدة إلى جانب هذا الاختراع؟

وذكر لودفيج أنه استطاع أن يمضي عدة أيام في حديث مع 'اديسون' المخترع الشهير، وأخذ منه أجمل الإجابات، وذلك لأنه لم يحب قط الجانب الفني. وقد وجد فيه رجلاً ذا شعور حساس، تكفى مجرد الإشارة ليفتح كنوز عقله، ففي ذات مرة كان يتحدث إليه بما كان من أمر 'فاوست'. وعلى حين فجأة أمسك بيد امرأته التي كانت جالسة إلى جانبه وقال ضاحكاً: "وهذه هي مرجريت!" ويجب ألا يتحدث الصحفي إلى الثرى الكبير في أمر قيمة النقود، بل يدفعه إلى الكلام في هذا الأمر بوسيلة أخرى. وروى لودفيج أنه دفع روكفلر مرة إلى هذا الحديث بأن قص مرة إلى مليون الثرى الصموت وصاحب البنوك العديدة ولقيه في أثناء الحديث بتاجر البندقية، فكانه فك بذلك عقدة لسانه وسمع منه أروع القصص عن بواخره وثروته.

فالواجب إذن على الصحفي المتحدث أن يظهر شيئاً من البساطة. وقد حدث للودفيج ذات مرة أن دفع هنري فورد القليل الكلام إلى النطق بعبارة تسترعي النظر، فقد كانا سائرين في الطريق، فرأى لودفيج سيارة صغيرة فأخذ يمتدحها، ولكنه سأل سؤال المتجاهل: أظن هذه السيارة أكبر بعض الشيء من النموذج الذي تخرجه مصانعك...؟ فاستولى على "فورد" شعور الأم التي ترى نجاهل أبنائها فتحركت عيناه حركة خاصة، وقال: "إنها إحدى سياراتي.. لقد أخرجت ١٤ مليون مثلها" وفي هذه العبارة القصيرة وصف حياة جد طويلة تدل على خيال واسع.

ولعل الصحفي الذي خبر التأليف للمسرح والإذاعة يكون في يده سلاح قوي، فالكثابة للمسرح تقتضي إدارة الحوار في مهارة وبطريقة نفسانية، وإن كان المتحدث لا يذكر الحوادث الماضية كما يفعل المؤلف المسرحي. فقد ذهب لودفيج ذات مرة إلى لندن خاصة لبحادث "لورد جراي" وزير الخارجية البريطانية عندما أعلنت الحرب

١٩١٤ على ألمانيا، واجتمع به في حفلة بخذاء، ودار الحديث على جلسة مجلس العموم في اليوم السابق. وقد جاء فيه ذكر خلاف برز بين الوزراء، وأخذ "لورد جراي" بشرع الموقف، فقال لودفيج وكأنه يتحدث لنفسه: "هذا شبيه بموقف يوليو سنة ١٩١٤" وقال: هذه العبارة في صوت خفيض ولكنه مسموع، وإذا باللورد بعد الغداء ينتحى به ناحية ويتكلم في إسهاب ليسوع موقفه في تلك الفترة الخطيرة، وكيف أنه لم يكن يستطيع منع سير الحوادث إلى الحرب. ولو أن "لودفيج" ذكر هذا الخلاف رأساً "للورد" على صورة سؤال لتلقى رداً قصيراً فائراً، ولما استرسل اللورد في الحديث..

وكثيراً ما تكون العبارة القصيرة التي تلقى إلقاءً أبلغ أثراً من الأسئلة الطويلة في اجتذاب الحديث. ولذلك ربما كان الصحفي الصوت القوي الملاحظة أنفع من الصحفي المدرب اللسان الذي لا يلاحظ الظروف، والواقع إن الأذن تخطئ أكثر من العين..

وتزداد أهمية الحديث الصحفي تبعاً لأهمية صاحبه، ومدى شهرته، وليس معنى ذلك أن الحديث الصحفي لا يجري إلا مع المشهورين البارزين في المجتمع وحدهم، فقد تكون الأحداث المثيرة التي تقع لبعض المغموين من الناس سبباً في الاهتمام الشديد بأحاديثهم وتصريحاتهم، وخاصة حين تكون مادة الحديث متصلة أشد الاتصال بموضوع من موضوعات الساعة.

والحوار في الحديث الصحفي؛ هو أداة هذا الفن؛ كما أنه أداة المسرحية حين يعرض الحوادث؛ ويصور الأشخاص؛ ويقدم النص من مبدئه إلى ختامه.. ويذهب أستاذنا "الحكيم" رحمه الله؛ إلى أن الصفة الضرورية في الحوار هي: "التركيز والإيجاز؛ والإشارة التي تفصح عن الطبائع، واللمحة التي توضح المواقف؛ وهذه الصفة لا تناسب كل الناس؛ ولا تلاصق كل الأدباء (والصحفيين أيضاً) فمنهم من خلق للإفاضة والتحليل والإسهاب، فإذا طلبت إليه أن يوجز أحسن الضيق، وشعر كأنك حبسته أو حبست قلبه الفياض؛ وكتمت بيانه المسترسل؛ وخطت بينه وبين سليفته الميالة إلى العرض والسرد؛

"على عكس ذلك الأديب المسرحي (والمحاور الصحفي أيضاً)؛ فكلاهما يضيق بالإفاضة والوصف؛ والاسترسال؛ وحبب إصابة الهدف بكلمة، أو رسم الشخصية في إجابة أو الإحاطة بالمعنى في عبارة".

هذه الصلة بين الأديب المسرحي؛ والمحاوِر الصحفي؛ نهتت في الآداب القديمة؛ وتمثل الصحفي وظيفتها في وسائل الإعلام الحديثة؛ امتداداً لها؛ وتكبيراً لأعراضها؛ فالحوار "باعتباره أداة المسرحية؛ ثم الحديث الصحفي تقع عليه أعباء كثيرة؛ بل عليه وحده تقع كل الأعباء..

فمنه تعرف قصة المسرحية أو قضية الحديث الصحفي، وما انطوت عليه من حوادث ومواقف، وهو لا يقصّها علينا حكاية وقعت في الماضي، ولكنه يقبمها أمام أعيننا في الحاضر حيّة نابضة تنحرك!..

"فالحوار هو الحاضر؛ هو ما يحدث في اللحظة التي نحن فيها. حاضر أبدي لا يمكن أن يكون ماضياً أبدياً"^(١).

مهمة الحوار (ذن) - كما يقول حكيم الأدب العربي - ليست أن يروي ما حدث لأشخاص؛ ولكن مهمته "أن يجعلهم يعيشون حوادثهم؛ أمامنا مباشرة، دون وسيط أو ترجمان؛ فإذا قام الحوار بهذه المهمة فإن واجبه لم ينته بعد؛ فنحن لا يكفينا منه في المسرحية أن يكشف لنا عن حوادث ومواقف، بل عليه - فوق ذلك - أن يلوّن لنا هذه الحوادث وهذه المواقف، باللون الموافق لنوع المسرحية؛ فإن كانت مأساة نخبّر من الألفاظ ما يثير في نفوسنا الرهبة والجزع والجلال والخشوع، وإن كانت ملهاة انتقى من العبارات ما يشبع في قلوبنا روح الفكاهة والمرح والسخرية والمعبرة!..

وفي الحديث الصحفي؛ بعد مرحلة المواجهة؛ ينتقل المحرّر إلى مرحلة "التحرير؛ وفي هذه المرحلة يستلهم المحرّر مقومات الحوار؛ التي تتيج له أن يقدم نصّاً متميزاً؛ لا نقف مهمته عند رسم الحوادث، وتصوير المواقف، بل يضع نُصب عينه أن يؤدي وظائف الحديث الصحفي؛ وهذه الوظائف هي التي تحدّد:

أنواع الحديث الصحفي:

ذلك أن الحديث يتنوع؛ بتنوع وظائف الاتصال الصحفي، تأسيساً على أن الاتصال هو عملية بثّ المعاني بين الأفراد، ولذلك رأينا أن "الحديث" يضرب بجذوره

(١) توفيق الحكيم: فن الأدب؛ ص ١٤٩.

في التراث الأدبي القديم؛ استجابة للحاجة الإنسانية المؤسسة على قدرة الإنسان على نقل نواياه ورغباته واحساساته ومعرفته وخبرته؛ من شخص لآخر.

وإذا كانت التطورات التكنولوجية الحديثة في وسائل الإعلام؛ قد يسرت شكلا جديدا من أشكال الاتصال الإنساني؛ فإن الفنون التحريرية؛ ومنها الحديث الصحفي في هذه الوسائل أيضا، إنما جاءت استجابة لوظائف هذا الاتصال؛ وهي الوظائف التي يحصرها "الازويل" في:

أولاً: رصد البيئة ومراقبتها.

ثانياً: إيضاح العلاقة المتبادلة المتلازمة بين أجزاء المجتمع في رد الفعل نحو البيئة.

ثالثاً: نقل التراث الاجتماعي من جيل إلى جيل، ويضيف إليها علماء الاتصال:

رابعاً: الترفيه.

وتأسيساً على هذا الفهم؛ فإن أنواع الحديث الصحفي تكاد أن تنحصر في

الأنواع التالية:

١ - حديث الخبر (أو الحقائق) Information Interview.

٢ - حديث الرأي Opinion Interview.

٣ - حديث المعلومات والتسلية والإمتاع Feature Interview.

٤ - حديث الجماعات Group Interview.

٥ - حديث المؤتمرات الصحفية Press Conference Interview.

وفي كل نوع من الأنواع الخمسة المتقدمة لابد من مراعاة الشروط التي روعيت

في تقويم الخبر الصحفي من حيث هو وهذه الشروط أو الخصائص المطلوبة هي^(١):

١ - الجدة من حيث الزمان Timeliness.

٢ - القرب من حيث المكان Proximity.

٣ - الضخامة (وهي اتصال الحادث بأكبر عدد من الناس).

(١) د. عبداللطيف حمزة: المرجع السابق ص ٢٢٢.

٤ - قوة الدلالة Significance.

٥ - سياسة الصحيفة Policy.

ومعنى ذلك أن على المحرر الصحفي أن يحقق هذه الشروط الخمسة عندما يشرع في كتابة الحديث الخاص^(١).

أولاً: حديث الخبر، أو البحث عن الوقائع؛

وهو النوع الذي يعتمد عليه في جمع الأنباء والمعلومات حول حادث معين، ويرجع فيه المندوب إلى "شهود العيان" أو المشاركين في الحديث. وفي هذا يقول الصحفيون الإنجليز "إن القصد من هذا النوع من الحديث هو الحصول على ما يعبر عنه بينهم بهذه العبارة: "News not View" فكأن الهدف من هذا النوع هو الوصول إلى أوثق الأنباء، ومن الواجب على الصحفي في الحالات المعتمدة على شاهد عيان ألا يعتمد على شهادة واحد فقط، اللهم إلا إذا كان هو وحده الذي شهد الواقعة، ويتوسل المندوب بهذا النوع من الأحاديث كذلك في المتابعة الإخبارية، وفي المطارات والموانئ، والنواحي السياسية الهامة، وعودة المسؤولين من الخارج.. الخ.

وهذا النوع الخيري من أنواع الحديث؛ إنما جاء استجابة للوظيفة الإعلامية في الرصد والمراقبة وجمع المعلومات التي تتعلق بالأحداث في البيئة داخل نطاق المجتمع وخارجه. فحديث الخبر أو البحث عن الوقائع؛ معنى^٢ - إلى حد كبير - بخدمة الأخبار؛ وأداء الوظيفة الأساسية التي تقوم عليها الصحافة؛ من أجل إخبار الناس بكل ما يقع من أحداث هامة داخلياً أو خارجياً، في جميع ميادين الحياة؛ من سياسية أو اقتصادية أو ثقافية؛ حتى يكونوا على علم 'بمجرييات الأمور، ويتابعوا المسائل العامة ويتعرفوا على كل شيء يتعلق بوطنهم وبالعالم الخارجي' من حوله أيضاً؛ وبذلك يشعرون أنهم يعيشون في عصرهم حقاً^(٢).

والمندوب الصحفي - على حد تعبير 'جايار' إنما هو 'شاهد' أو محقق؛ إنه يشهد الأحداث المتوقعة ويجهد نفسه بملاحقة توالي وقائع حدث طارئ؛ ولكنه شاهد مهني، أو

(١) نفس المرجع السابق ص ٢٢٣.

(٢) د. حسين عبدالقادر: الصحافة كمصدر للتاريخ ص ٧.

محقق يؤدي حساباً للجمهور، وليس لأية إدارة أو مصلحة. وهذا يرتب عليه واجبات معينة ومنهجية في العمل خاصة. على الرغم من ضغط الوقت في هذا النوع الخبرى من أنواع الحديث الصحفي؛ الأمر الذي لا يتيح له الفرصة لإعداد أسئلته.

ومهما يكن من أمر؛ فإن هذا النوع الخبرى لا يشكل أوسع حقول الحديث الصحفي لأنه يمثل الجانب الأكبر من المواد المنشورة. ومع أن كثيراً من المقابلات قد يتم بواسطة مندوبين خارجيين (الوكالات البرقية، وكالات الأخبار والمقالات الصحفية والكتاب غير القديين بجريدة معينة) فإن الموضوعات الإخبارية تنطوي أكثر مما تنطوي عليه أى نوع آخر من المواد المنشورة على أحاديث ومقابلات يجريها محررو الجريدة الأصليين. ويكون المندوب الذى يعالج موضوعاً إخبارياً محكوماً، على العموم، بضغط الوقت الضيق كما تقدم، لأن معظم المادة التى يعالجها من الأخبار الوامضة ذات المدى الزمنى القصير. ذلك أن الأخبار تنتشر بسرعة. وعليه أن ينجز المقابلة بسرعة. وعليه كذلك أن يعمل فى جو من المنافسة الحامية مع مندوبى الصحف الأخرى ليقدّم الخبر قبل الموعد المقرب بسرعة لعمل التحرير. ويرتّب على ذلك أنه غالباً ما يضطر إلى القيام بالمقابلة، وهو يتفقد الساعة تفقداً حثيثاً من أجل أن يؤمّن فرصة النشر لمادته.

أما لماذا لا يتبع الحديث الصحفي - فى حالة الخبر الصرف - للمخبر أو المندوب إلا أقل علم مسبق؛ فإن ذلك يرجع إلى طبيعة الخبر ذاته. فثمة شطرك كبير من الأخبار كما نعلم، لا يتكشف عن تذيير مسبق بأنه سيذيع وينتشر، وبالتالي فقد يجد المندوب نفسه يستجوب عدة أشخاص فور الانصال بهم. ومن الأمثلة على هذه الحالات المقابلات مع ضحايا أحد المحتالين، والمقابلة مع موظفى البلدية الذين أقيلوا فجأة، وشهود العيان لحادث من الحوادث^(١).

وتعبير "شاهد عيان" - كما يقول الاستاذ الحماصي^(٢) - تعبیر يتكرر كثيراً فى الصحف: قال (شاهد عيان). ويقصد به: أن المندوب الصحفي كان غائباً فى لحظة وقوع الحادث؛ ولهذا يستعين على بدء قصته الصحفية بأقوال من شهد بدايتها، أو بأقوال من يعرفون "كيف وقع الحادث". ومن الواجب على الصحفي فى هذه الحالة

(١) الصحافة اليوم ص ١٤٦.

(٢) جلال الدين الحماصي: المندوب الصحفي؛ السابق؛ ص ٦٦٨.

الا يعتمد على شهادة واحدة فقط؛ اللهم إلا إذا كان هو وحده الذى شهد الواقعة. ذلك أن الشهود كثيرا ما يدلون بأقوال يلعب فيها التناقض نورا كبيرا. ولهذا فإن الوظيفة الإعلامية تقتضى أن يسأل الصحفي أكثر من شاهد ضمانا للوصول إلى الحقيقة المجردة من خيال بعض الشهود.

تحرير الحديث الخبرى:

وتحرير الحديث الصحفي يقوم على مراعاة القيم الخبرية العامة: الجدة الزمنية - القرب المكانى - الضخامة - الدلالة - سياسة الصحفية، من جهة، ويتسم بالدقة والأمانة والصدق الإعلامى من جهة أخرى.

وفى تحرير حديث الخبر أو البحث عن الوقائع، نفيد من الأنماط الخبرية فى التحرير الصحفي والنمط الاقتباسى خاصة، والذى فصلنا فيه الحديث. فى الفصل الخاص بالخبر الصحفي؛ وكذلك النمط التحريرى الخاص بالقصة الخبرية.

حيث يمكن صياغة "مقدمة للحديث" Lead؛ بحيث تحتوى على أهم النقاط الخبرية المثارة، مع تصوير جذاب لشخصية المتحدث. وفى "صلب Body" الحديث تصاغ الأسئلة والإجابات بطريق مباشر جينا، وبأسلوب غير مباشر جينا آخر.

ويغيب المحرر كثيرا من الوصف فى صلب الحديث حتى يتسنى للمحرر توضيح وجهة نظر المتحدث، والقاء الأضواء على شخص محدثه.

ثانيا: حديث الرأى أو البحث عن الآراء:

وهذا النوع من الأحاديث الصحفية يغطى جانبا كبيرا من التواحي التى تبحث عن الحقائق التى تقابل من الجمهور برعاية وإهتمام، لأنه كما يقول استاذنا جلال الدين الحمامى رحمه الله - يجد فيه غذاء قويا ومتعة تجعله يحس أنه يشترك فى معركة من معارك الرأى. وهذا النوع من الأحاديث يمكن اجراؤه مثلا: عندما تسند وظيفة كبيرة إلى شخص ما فى الحكومة أو المؤسسات العامة، أو فى أى عمل آخر له صلة بالجمهور، وكذلك الشخص الذى يترك منصبه، والتعليق الذى يحصل عليه الصحفي من متخصص حول موضوع مثار ثم الأحاديث التى يجريها الصحفي حول رأى معين فى قضية أدبية أو فنية أو علمية أو سياسية.. الخ مع التخصصين من كبار الشخصيات.

وهذا النوع من أنواع الحديث الصحفي؛ يؤدي إلى جانب الوظيفة الإعلامية؛ وظائف الشرح والتفسير؛ والتوجيه. وهي الوظائف التي أجملتها د. محمود عزمي للصحافة في قوله: إنها "توجيه الرأي العام عن طريق نشر الأخبار والأفكار + News + Views الخبرة الناضجة معممة ومتساية إلى مشاعر القراء خلال صحف دورية".

وحديث الرأي أو البحث عن الآراء والأفكار؛ إذن؛ يسهم في توضيح العلاقة المتبادلة بين أجزاء المجتمع في رد الفعل نحو البيئة. وهذه الوظيفة فيما يرى "تشارلز رايت"؛ تتضمن تفسير المعلومات المتعلقة بالمجتمع وترشيده، وتنويره بالآراء والأفكار إزاء الأحداث. ذلك أن الوظيفة الرئيسية للتفسير والترشيد هي أن تجنب الناس النتائج غير المرغوب فيها المترتبة على إذاعة الأخبار مثل تلك الإنذارات بالأخطار التي لا يفسرها صاحب الرسالة؛ والتي قد تؤدي إلى إحداث الدرع لدى الجمهور، وما زال المثال الذي يردده الباحثون عن إناعة "أورسون ويلز" عن غزو أهل المريخ لكوكب الأرض؛ يؤكد ذلك، فاعتقاد الناس بأن "رواية" أورسون ويلز؛ كانت تقريراً خبيراً واقعياً أدى إلى الدرع الشديد لدى الناس^(١).

ومن النتائج المرغوب فيها؛ في تحليل "رايت"؛ أنباء الأخطار في المجتمع؛ ذلك أنها بدلاً من أن تؤدي وظيفة الإنذار يمكن أن تزيد من القلق في نفوس الناس، والحرب النفسية مثال على ذلك. وكذلك الكثرة الزائدة من الأنباء قد تؤدي إلى التوقع من جانب التلقي؛ أو الشعور بالسلبية واللامبالاة. وقد يتوهم أن المواطن المطلع؛ هو نفسه المواطن النشط. وهذه الوظيفة العكسية أطلق عليها "لا زار سفيلد" و"ميرتون" صفة الإدمان.

وحين يؤدي حديث الرأي أو البحث عن الآراء؛ جانباً من جوانب الوظيفة التفسيرية في الاتصال الصحفي؛ فإنه بذلك يسهم في تجنّب القراء النتائج غير المرغوب فيها. ذلك أن الاختبار؛ والتفسير للأخبار؛ من الأمور التي يحرص عليها القارئ حرصه على الأخبار نفسها.

(١) نكف أن الممثل السينمائي أورسون ويلز؛ كان قد أذاع برنامجاً خيالياً بالراديو تصوّر فيه أن كوكب المريخ مسكون. وأن سكانه قاموا بغزوة لكوكب الأرض. فلما أذيع البرنامج في الراديو ظنّه الناس برنامجاً "إخبارياً" واقعياً. واستبد بهم الهلع فهجروا بيوتهم وخرجوا لا يلبون على شيء واعتصم بعضهم بالجبال. وعندما تبين لهم حقيقة الأمر أحرقوا محطة الإذاعة، محمد فصحى، ترجمة: المنظور الاجتماعي للاتصال الجماهيري شارلز رايت ص ٥٥.

ثالثاً: الأحاديث المتصلة بالشخصيات:

وهي الأحاديث التي تستحدث تقديم الشخصيات التي تسلط عليها الأضواء، وقد يكون الحديث الواحد مجموعة من الأحاديث مع المحيطين بالشخصية بهدف إلقاء المزيد من الضوء عليها، مثل: وزراء جدد يدخلون الوزارة لأول مرة - رجل مشهور - الزوار المعروفون القادمون من الخارج - رجال كبار السن ويقومون بأعمال طريفة مثلاً - شخصيات صنعها الأنياء، مثل: رجال الفضاء؛ أو الحصول على جائزة عالمية أو محلية .. الخ

وهذا النوع من الأحاديث يؤدي جانبا مهما من وظائف التثقيف؛ والتثنية الاجتماعية؛ من خلال تقديم "نماذج القدوة" للأجيال؛ وبت الثقافة من جيل لجيل؛ أو مايسميه "رايت" تنمية الروح الاجتماعية، ثم الإمتاع والمؤانسة، وي طرح التحليل الوظيفي لهذا النوع من الأحاديث عددا من التساؤلات: إلى أي حد يؤدي مضمون الحديث الصحفي إلى توحيد المجتمع بما يهيئ له من قاعدة عريضة للمقيم؛ وأنشطة القدوة؛ والتجربة الشاملة المشتركة عند الأفراد جميعها؟

أو إلى أي حد يكون فقدان التنوع الثقافي ناتجا عن بث فكر ثقافي موحد؟

تحرير أحاديث الشخصيات :

يقوم تحرير هذا النوع من الأحاديث الصحفية في جوهره على ارتباط الشخصيات بحركة الأحداث؛ في سياق عناصر التقويم الصحفي؛ كما تقدم ويعتمد في بنائه على تصوير الشخصية تصويراً فنياً، وحتى لقد يجد دارسو الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي في هذه الشخصيات التي تجرى معها الأحاديث الصحفية إجابة موضوعية عن التساؤلات التي يطرحها التحليل الوظيفي لوسائل الإعلام .

والأساس الأول لتصوير الشخصية في الحديث الصحفي ألا تفقد هذه الشخصية صلتها بحركة الأحداث في المجتمع؛ وبالعالم الناس، والأساس الثاني: وحدة الشخصية في عمقها؛ هذا هو التعبير الحديث كما سماه أرسطو من قبل: التكافؤ المنطقي. وهذه الوحدة هي التي تسمح بأنواع من الاختلاف مع طبيعة الشخصية في مجرى الحديث، فمواجهة قضية تنقصها في مجرى الحوار الصحفي؛ خير تجسيم لفكرة 'هيجل' وللزرعة الديالكتيكية بعامتها' لتوليد قضية جديدة تترامى من وراء تصارع الآراء. ولهذا يغدو الحديث الفردي Monologue معيباً إذا طال في المقال الحديث.

وللمحرر في طريقة تقديم الشخصية؛ أن بصورها من خلال حركتها ومواقفها في الحوار الذي يجريه معه، والحديث الصحفي في هذه الحالة ذو طابع مسرحي؛ لأن أبطاله (وهم هنا المتحاورون)؛ يصورون أنفسهم في حركتهم؛ ويرنسمون أمامنا وهم يتحاورون؛ ويهم يكتسب الحديث الصحفي طابعا دراميا؛ إن جاز التعبير، وهو الطابع الذي نبه 'أرسطو' أي قيمته في الملحمة من قبل؛ ومدح 'هومبروس' من أجله^(١).

وقد يلجأ المحرر في تحرير حديثه إلى عنصر قصصي في حكايته؛ تم إلى وصف المجال الذي يتحرك فيه محدثه؛ فهو نفسير بعض ما يقوم به من أفعال، وقد يعتمد المحرر في شيء من ذلك على التقديم الدرامي - كما تقدم؛ ولكنه يستقل بالحديث عنه خارج هذا التقديم.

ومنذ الواقعيين والطبيين أصبح المؤلف القصصي يقوم بهذا الوصف والتفسير الذي يقوم به المحاور الصحفي، دون أن يظهر ظهوراً مباشراً.. فهو يذكر الحقائق والآراء من غير طابع وجداني؛ وبحيث تظهر كأنها صادرة عن قاض محايد مصاحب للشخصيات، وقد تتطابق آراء المحاور مع الشخصية التي يحاورها في الحديث الصحفي؛ ولكن دون أن يظهر ظهوراً مباشراً، فعليه أن يسجل الآراء في السياق الذي يجعلها تبدو موضوعية خالصة.

ويستحسن في تحرير الحديث الصحفي؛ ألا يتدخل المحرر تدخلاً سافراً بالشرح أو التعليق مستقلاً في ذلك عن الحوار، وينبغي أن يكون تدخله في أضيق الحدود. كأن يقصد في تدخله إلى الغوص في أعماق الشخصية في إجمال دون تفصيل.

والبنية القصصية في فن الحديث الصحفي؛ تقوم على تصوير الشخصيات؛ التي تثير كثيراً من المشاعر؛ وألوانا من العطف والتقدير؛ وتولد الفكرة إثر الفكرة، والرأي إثر الرأي. ومن هنا كانت أهمية التشخيص القصصي Charaterization في الحديث الصحفي، ولكي يستطيع المحرر أن يجعل القارئ متعاطفاً وجدانياً مع الشخصية التي يجري معها الحوار؛ يجب أن تكون هذه الشخصية كما هي في سياق التقويم الصحفي.. شخصية متحركة في التعبير والحوار؛ فالقارئ يريد أن يراها وهي تتحرك؛ وأن يسمعها وهي تتكلم، يريد أن يتمكن من رؤيتها رأي العين.

(١) د. محمد غنيمي هلال: السابق ص ١٤٤-١٤٥.

وكما يميز النقاد في أنواع القصة؛ بين ما يعرف بقصة "الحادثة" وبين "قصة الشخصية"^(١). فإن التحرير الصحفي يميز بين ما يعرف بحديث القصة الخبرية الذي يقوم على الحركة؛ وبين حديث الشخصيات؛ فالأولى تمثل الوقائع؛ والأخرى تمثل المواقف. ففي الأولى يكون الاهتمام بالحادثة أولاً، ثم نختار الشخصيات المناسبة وفي الأخرى يكون العكس.

رابعاً: حديث الإمتاع والمؤانسة:

ويهتم المندوب الصحفي في هذا النوع من الحديث بشخصية المتحدث، وفلسفته في الحياة أكثر مما يهتم بنوع اختصاصه، بهدف تقديم المعلومات والتسلية واللقاء الضوء على الجوانب الخفية من حياة الشخصيات مثلاً، على النحو الذي يؤدي وظيفة الإمتاع والمؤانسة في الاتصال الصحفي.

وقد أظهرت الدراسات؛ أن الراشدين من قراء الصحف؛ يلتفتون إلى الموضوعات الخفيفة والأشرطة المتناجعة والرسوم أكثر من التفاتهم إلى المعلومات حول المسائل العامة أو الاعلانات. ومع أن المجلات قد أخذت تزيد من جديتها؛ منذ مقدم التليفزيون؛ فإن بعضها لا يزال يقدم التسلية أساساً، وبعض أجزاء المجلات الجادة ترفيحية صريحة.

على أن الترفيه ليس عنصراً سلبياً - كما يُظن.. لذلك يجب أن ننظر في آثاره الإيجابية من منظور الإمتاع والمؤانسة "في الاتصال الصحفي". ومن القلائل الذين استطاعوا الدفاع عن الترفيه بأسلوب أكثر وضوحاً "تشارلين براون" من جامعة "ستانفورد" حين يقول: "إن الترفيه ضروري لمنح الراحة التي تمكن البشر من مواجهة متطلبات الحياة الحديثة - أو حتى متطلبات الحياة في عمومها فقط - وليس لنا جميعاً نفس الأحاسيس. وصفوة المثقفين يفضلون أن يتخذ الترفيه عندهم أشكالاً مختلفة عن الأشكال التي يقبلها ذوو الثقافة المتواضعة؛ ومع ذلك فهو ترفيه مهما يكن أسلوبه الغنى أو مضمونه الخقل بالمعاني والناس بحاجة إلى الاسترخاء وتضييف إلى ذلك الصحبة والمؤانسة أيضاً.

(١) د. عز الدين إسماعيل: الأدب وفنونه؛ ص ١٨٠.

وليس معنى ذلك أن الصحف تهمل المضمون الجاد الذي يقدم بطريقة جادة؛ فمن المؤكد أنها تقوم بعملها في هذا المجال؛ بطريقة أفضل مما كانت تفعله من قبل. ومع ذلك فمن الصحيح أن الصحف لابد أن تراعى القارئ دائماً، عندما تقدم مناقشة جادة، أو معلومات. ونظراً لطبيعة عدم التجانس بين القراء، فلا ينبغي للصحفيين أن يترجموا الموضوعات والقضايا المعقدة إلى عبارات مفهومة لدى القراء فحسب، بل عليهم أن يفعلوا ذلك بطريقة أيضاً. فالهدف الأساسي للتحرير الصحفي، قبل كل شيء، هو أن يجعل ما يقدمه مقروءاً ويستهدف المحرر المراجع جذب الانتباه بالعنوان.. فإذا ما كانت طريقة معالجة الموضوع وعنوانه يجتذبان القارئ إلى المادة الجادة؛ فإن ذلك له ما يسوغه في حد ذاته" على حد تعبير "ريفرز" الذي يذهب إلى أن إيجاد جمهور كبير والمحافظة عليه، أحياناً وخاصة في مجال المجلات ذات التوزيع المرتفع؛ كان من نتائج الدمج بين وظيفة الترفيه ووظيفة التنوير. ومذ الحرب العالمية الثانية قامت كثير من المجلات بتقصير موضوعاتها غير القصصية؛ على افتراضات أن القراء لم يعودوا يطبقون الموضوعات الطويلة؛ وإن كان هناك بعض المجلات التي تخصص بعض أعمدها لموضوعات أطول وأكثر جدية. ومع أن بعض المجلات قد وجد أشكالاً قيمة بديلة عن المقال التقليدي؛ فإن الكثير من الكتاب لا يزال يطور مقالانه، وموضوعاته، لا عن طريق العرض المباشر، وإنما عن طريق تقديم بعض العموميات؛ أو الحوار؛ وأيضاً كل منها بالعديد من الحكايات والأحداث المسرحية.

وغالباً ما تكون النتيجة قليلاً من المعلومات مغلقة في كثير من الترفيه، وعندما اكتشفت بعض المجلات أن القراء يهتمون بالناس أكثر من اهتمامهم بالأفكار أخذت تستخدم الشخصيات كمسجيب تعلق عليه ما تقدمه من موضوعات عامة.

ويذهب "جوزيف شند كلايار" في دراسته لأثار وسائل الإعلام؛ إلى أن الناس يستخدمون الترفيه أحياناً للهروب من الشعور بعدم الإطمئنان؛ وذلك يتقمص الشخصيات الناجحة في القصص والمقالات والأحداث والأفلام والإذاعات. وإن يسر التقمص المشاركة الخيالية في حياة الآخرين الطيبة؛ وانتصاراتهم؛ فإنه يمنع الإحساس بالهيبة؛ ويذهب "كلايار" إلى أن ذلك لا ضرر منه في أسوأ الأحوال، كما أنه مفيد في أحسن الأحوال.

وتأسيساً على هذا الفهم؛ فإن الملم في هذا النوع من أنواع الحديث الصحفي ليس 'ما يقال' ولكن 'كيف يقال'؟

ولذلك فإن المتحدث هنا - كما يقول د. حمزة - هو 'محور الحديث'. إذ الغرض الأساسي في الواقع هو تصوير هذه الشخصية الإنسانية بما فيها من طراقة أو غرابة أو تعقيد أو بساطة.. ولذلك يعنى المحرر الصحفي بنبرات الصوت، وحركات المحدث، وتعبيرات الوجه، ولون الملابس، وطريقة الجلوس وما إلى ذلك كله.

وباختصار . يهتم المخبر الصحفي في هذا النوع من الحديث؛ بشخصية المتحدث، وفلسفته في الحياة أكثر مما يهتم بنوع اختصاصه أو بنوع تجاربه وخبراته. وإذا عرض لشيء من ذلك فإنما يكون من أجل تصوير شخصيته أكثر من الاهتمام بما يصدر عنها من رأي^(١).

وإذا كان على المدون أو المحرر أن يصنع ذلك في مرحلة الإعداد للحديث؛ فإن مرحلة قيادة الحديث تتخذ خطوات أخرى هي: استهلال الحديث، توجيه الأسئلة، للحصول على إجابات شافية - خطوة المراجعة.

تحرير الحديث الصحفي :

وتحرير الحديث الصحفي يقوم على مراعاة القيم الخيرية العامة: الجدة الزمنية - القرب المكاني - الضخامة - الدلالة - سياسة الصحيفة - من جهة، ويتسم بالدقة والأمانة والصدق من جهة أخرى.

وإذا كانت الصحافة الحديثة قد عدلت عن طريقة نشر الأسئلة والإجابات نشرًا حرفيًا، فإنها اتخذت من النمط التحريري الخاص 'بالقصة الخيرية' شطًا قنياً لصياغة الحديث، وهو النمط الذي تحدثنا عنه في كتاب 'فن التحرير الإعلامي' بالتفصيل حيث يمكن صياغة 'صدر Lead' الحديث بحيث يحتوى على أهم نقاطه المثارة مع تصوير جذاب لشخصية المتحدث 'صلب Body' الحديث تصاغ الأسئلة والإجابات بطريقة مباشر حيفا، وبأسلوب غير مباشر حيناً آخر ويفيد المحرر كثيراً من

(١) د. عبداللطيف جيرة: السابق ص ٢٢٧.

الوصف في صلب الحديث حتى يتسنى للمحرر توضيح وجهة نظر المتحدث، والفاء الأضواء على شخص محدثه.

وفي حديث الخبراء والبحث عن الوقائع، نفيد من الأضاط الخيرية في التحرير والنمط الاقتباسي خاصة، وكذلك في حديث الرأي - حيث نركز على الرأي الذي خرج به المتحدث في المقدمة (النمط الاقتباسي خاصة).

والعناية بنحريز مقدمة الحديث نعتضى الإفادة من أنواع تحرير المقدمات التقليدي منها والجديد، وهي التي نحدثنا عنها تفصيلا في الفصل السابقة من هذا الكتاب: الشقيقات الخمس - التجديد في المقدمة: المقدمة الساخنة - مقدمة الصورة - المقدمة المقارنة - المقدمة التساولية - المقدمة الاقتباسية - المقدمة الوصفية - المقدمة الإناعية.

نصوص للدراسة

أولاً: نماذج للحوار في الأدب العربي القديم

والحوار ضربٌ من الأدب عُرف منذ الجاهلية في خطب المفاخرات والمناظرات ولكنه مُنذُ الإسلام أخذ هذا الاسم لما في التسمية الأولى من ظاهري المخالفة للدين الذي نهى عن تفاخر الجاهلية وتناظرها، القائم على عصبيتها وتُعرّتها، والدعاء - عن جهلٍ وسفهٍ بدعوتها.

ولقد بقي لنا مكانة وشرف طوال القرنين الأولين من الهجرة تقريباً، وكانت قريش أحضر العرب فيه بديهة، وأسرعها عند السؤال جواباً، وقد أسألت أوديته الخلافات السياسية والمذهبية، وبخاصة في عهد معاوية الذي فتح بابَه على مصراعيه لقيام سياسته على التفاضل عن القول والتحلم إزاء التزُّيد فيه.

وفيما يلي نماذج في العصر الأموي والصدر العباسي تتبين منها كيف كانت قوة الحوار وكيف تمثل رافداً من روافد تأصيل الحوار والحديث الصحفي في العصر الحديث:

بين معاوية وعقيل بن أبي طالب.

لما اعتزل عقيلُ بنُ أبي طالب أخاه علياً كرم الله وجهه، إلى معاوية يطلب عنده الدنيا، قال له معاوية : أنا خير لك من أخيك علي، فقال عقيل : صدقت، إن أخي آثر دينه على دنياه، وأنت قد آثرت دنياك على دينك، فانت خير لي من أخي، وأخي خير لنفسه منك.

ما فضل لأبيك، وكان أبوك كذلك لأبي، ولكن من هنا أباك بإخاء أبي أكثر ممن هنا أبي بإخاء أبيك، نصر أبي أباك في الجاهلية، وحقق دمه في الإسلام^(١)، وأما استعمالُ عليَ لإيادته فتنفسه دون هواه، وقد استعملت أنت رجلاً لهواك لا لنفسك : منهم ابن الحضرمي على البصرة فقتل، وبسر بنُ أرملة على اليمن فخان، وحبيب بن مرة على الحجاز فرد، والضحك بن قيس الفهري على الكوفة فحُصِب، ولو طلبت ما عندنا وقبنا أعراضنا، وليس الذي يبلغك عنا بأعظم من الذي يبلغنا عنك، ولو وُضِع

(١) يشير إلى ما كان من خروج العباس مع أبي سفيان يوم بدر، ثم إلى ما كان من شفاعته له يوم فتح مكة عند رسول الله (ﷺ).

أصغر ذنوبكم إلينا على مائة حسنة أحققها، ولو وضع أدنى عُذْرنا إليكم على مائة سيئة لحسنها، وأما حَدُّنا عثمانَ فلو لزمنا نصره لنصرناه^(١)، وأما قتلنا أنصاره يوم الجمل فعلى خروجهم مما دخلوا فيه، وأما حربنا أباك بصفين فعلى تركك الحقِّ وادِّعائك الجائل، وأما إغراؤك إيانا بتيِّمٍ وعِدَى فلو أزدنا ما غلبونا عليها^(٢) وسكت^(٣).

بين معاوية وعبدالله بن الزبير

دخل الحسينُ بنُ علي رضي الله عنهما يوماً على معاوية وعنده جماعة من قريش فيهم ابنُ الزبير فرحبَ به وأجلسه على سريرهِ وقال: ترى هذا القاعد - وأشار إلى ابن الزبير - فإنه ليدركه الحسدُ لبني عبد مناف^(٤) فقال ابنُ الزبير لمعاوية: قد عرفنا فضل الحسين وقربته من رسول الله (ﷺ)، لكن إن شئت أعلمتُك فضل الزبير على أبيك أبي سفيان فعلت، فقال معاوية:

قاتلك الله يا ابن الزبير ما أغنيك وأبغاك^(٥)؛ أتفخرُ بين يئسِ أمير المؤمنين وأبي عبد الله^(٦)؟ إنك أنت المُنْعَدِي لِطُورِكَ، الذي لا تعرف قَدْرَكَ، ففيسَ شُبْرَكَ بِعَيْتِكَ^(٧)، ثم تُعرِّفُ كيف تقعُ بين عَرَائِينَ بنِي عبد مناف^(٨)، أما والله لئن دَفَعْتُ في بحورِ بني هاشمِ وبني عبد شمس لَتَقَطَعْتُكَ بأمواجها، ثم لَتُوهِبَنَّ بك في أجاجها^(٩)، فما بقاؤك

(١) يعرض بمعاوية إذ كان أولي من بني هاشم بخصرة عثمان لأنهما أمويان.

(٢) الضمير للخلافة.

(٣) في هذه المعاصرة يقول ابن أبي لهب:

كان ابن حريق عظيم القدر في الناس : حتى رماه بما فيه ابن عباس
ما زال يُهبطه طورا ويصعد : حتى استفاد وما يالحق من جاس
لم يترك خيلة مما يذلل : إلا كواه بها في فريفة الراس

(٤) عبد مناف الجد الذي يجمع بين بني هاشم وبني أمية فهاشم ابن عبد مناف وأمية ابن عبد شمس بن عبد مناف، أما آل الزبير فمن عبد العزى أخت عبد مناف بنى قصي.

(٥) ما أعياك : ما أعجزك.

(٦) كنية الحسين.

(٧) الشبر: ما بين طرفي الإبهام والخنصر والغتر: ما بين الإبهام والسبابة.

(٨) العرنيين في الأصل الأتق أو ما صلب من عظمه وهو هذا الحميد الشريف.

(٩) أوجاه : أسقطه والأجاج : الملح المر.

في البحور إذا غمرتك، وفي الأمواج إذا بهزتك^(١)؟ هنالك تعرف نفسك وتندم على ما كان من جرأتك، وتمنى^(٢) ما أصبحت فيه من أمان، وقد حيل بين العير والنزوان^(٣).

فأطرق ابن الزبير ملياً ثم ربح رأسه فالنفت إلى من حوله وقال :

اسألکم باللہ، اتعلمون أن ابی حواری رسول اللہ (ﷺ)^(٤). وأن أباد أبی سفیان حارب رسول اللہ (ﷺ)، وأن أمی أسماء بنتُ أبی بکر الصديق وأمه هند آكلة الأكباد^(٥) وجدی الصديق وجدہ المشدوخ بيدر ورأس الكفر^(٦)، وعمتی خديجة ذات الخطر والحسب وعمته أم جميل حمالة الحطب^(٧)، وزوج عمتی خير ولد آدم محمد (ﷺ) وزوج عمته شر ولد آدم أبولهب، ﴿سنبصلي نارا ذات لهيب﴾ وخالتي عائشة أم المؤمنين وخالته أشقى الأشقيين، وأنا عبد الله وهو معاوية.

فقال معاوية:

وتحلك يا بن الزبير؟ كيف تصف نفسك بما وصفتها، والله ما لك في القديم من رئاسة. ولا في الحديث من سياسة، ولقد قدناك وسدناك قديماً وحديثاً، لا تستطيع لذلك إنكاراً، ولا عنه فراراً، وإن هؤلاء الحضور ليُعتمون أن قريشاً قد اجتمعت يوم الفجار^(٨) على رئاسة حرب بن أمية، وأن أباك وأسرتك تحت رايته راضون بإمارته غير منكرين لفضله ولا طامعين في عزله، إن أمر اطاعوا وإن قال أنصتوا، فأنزل الله فينا القيادة وعرى المولاية، حتى بعث عز وجل محمداً (ﷺ)، فانتخبه بين خير خلقه، من أسرته لا أسرتك، وبنى أبى لابنى أيبك، فخذته قريش أشد الجحود، وأنكرته أشد الإنكار، وجاهدته أشد الجهاد، إلا من عصم الله من قريش، فما ساد قريشاً وقادهم إلا أبو سفيان ابن حرب، فكانت الفئتان تكتفیان ورئيس الهدى منا، ورئيس الضلالة منا،

(١) يهزه بهراً كفتح : غلبه.

(٢) أصله تمنى، ويروى وتسمى بمعنى تودع.

(٣) العير: الضمار وغلب على الوحش، ونزوانه : وثوبه، وهو مثل يضرب للقوى تخور قواه.

(٤) الحواري : الناصر أو ناصر الأنبياء.

(٥) يشير إلى ما فعلته هند يوم أحد.

(٦) المشدوخ المقتول وهو يعنى عتبة بن ربيعة جد معاوية لأمه.

(٧) هي زوج أبى لهب وفيهما نزلت السورة.

(٨) هي حرب هاجت بين قريش وكنانة، وبين حوازن.

فهدبكم تحت راية مهدينا، وضالكم تحت راية ضالنا، فنحن الأرياب وأنتم الأذئاب، حتى خلص الله أبا سفيان بن حرب بفضل من عظيم شركه، وعصمه بالإسلام من عبادة الأصنام، فكان في الجاهلية عظيما شأنه، وفي الإسلام معروفا مكانه، ولقد أعطى يوم الفتح ما لم يعط أحد من أبائك، وإن منادى رسول الله (ﷺ) نادى "من دخل المسجد فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن" فكانت داره حرما لا دارك ولا دار أبيك. وأما هند فكانت امرأة من قريش في الجاهلية عظيمة الخطر، وفي الإسلام كريمة الخير، وأما جدك الصديق فتصديق عند مناف سمي صديقا، لا بتصديق عبد العزى، وأما ما ذكرت من جنى المشدوخ بيدر، فلعمري لقد دعا إلى المبارزة هو وأخوه وابنه فلو برزت إليه أنت وأبوك ما بارزوكم ولا رأوكم لهم أكفاء، كما طلب ذلك بمركم فلم يقبلوهم، حتى برز إليهم أكفأوهم من بنى أبيهم، فقضى الله مضاياهم بأيديهم، فنحن قتلنا ونحن قتلنا، وما أنت وذلك؟ وأما عمك أم المؤمنين فبنا شرفت وسميت أم المؤمنين، وخالتك عائشة مثل ذلك، وأما صغية فهي التي أدنتك من الظل، ولولا هي لكنت صاحبيا^(١). وأما قولك أنا عبد الله وهو معاوية، فقد علمت قريش أننا أجود في الإزم^(٢)، وأحزم في القدم^(٣)، وأمخ للحرم، لا والله ما أراك منتهيا حتى تروم من بنى عبد مناف ما رام أبوك، فقد طالعهم الذ حول، وقدم إليهم الخيول، وخدعتم أم المؤمنين ولم تراقبوا رسول الله (ﷺ)، إذ مددتم على نساءكم السجوف^(٤)، وأبرزتم زوجه للحتوف، ومقارعة السيوف، فلما التقى الجمعان، نكص أبوك هاربا فلم يذجه ذلك أن طلحه أبو الحسين بكليله طلحن المحصيد بأيدي العبيد^(٥). وأما أنت فأقلت بعد أن خمنتك برائيته^(٦). ونالتك مخالبيه، وأيم الله ليقومنك بنو عبد مناف بثقافها^(٧).

(١) يشير إلى أن شرف آل الزبير جاءهم من مصاهرة أبيهم لعبد المطلب في ابنته صغية.

(٢) كعنب جمع أزيمة وهي الشدة والفحل.

(٣) القدم بعقبتين : السابغة في الأمر.

(٤) القدم بفتحتين : السابغة في الأمر.

(٥) جمع سجف بالفتح ويكسر وهو السن.

(٦) كل ما يحدد من زرع، وقد كان الطحن يوكل أكثر ما يوكل إلى العبيد.

(٧) الثقاف : حديده تسوى بها الرماح.

أولئحينَ مَنياً صباحَ أبيكِ بوادي السَّباعِ^(١). وما كان أبوك المأهَّنَ خذَه^(٢). ولكنه كما قال الشاعر:

تناول سرحانَ فريسةً ضيغَمَ : ففضضَظنه بالكفتِ منه وخطما

بين عبد الملك بن مروان ورجل من آل صُوحان^(٣)

خطب عبد الملك بن مروان يوماً فلما بلغ الغلظة قام إليه رجل من آل صُوحان فقال: بهلاً يا بني مروان، تأمرون ولا تأتمررون، ونهون ولا تنتهون، وتعظون ولا تتعظون، أفنقتدي بسيرتكم في أنفسكم، أم تطيع أمركم بالسنتكم، فإن قلتم اقتدوا بسيرتنا، فأنى وكيف، وما الحجة، وما المصير من الله؟ أنقندي بسيرة الظالمة الفسقة الجورة الخونة، الذين أخذوا مال الله ذولاً^(٤)، وعبيده حولاً^(٥). وإن قلتم اسمعوا نصيحتنا وأطيعوا أمرنا، فكيف ينصح لغيره من يعش نفسه؟ أم كيف تجب الطاعة لمن لم تثبت عند الله عدالته؟ وإن قلتم خذوا الحكمة من حيث وجدتموها، واقبلوا العظة ممن سمعتموها، فعلام وأبناكم أمرنا، وحكمناكم في دماننا وأموالنا؟ أمّا علمتم أن فينا من هو أنطق منكم باللغات، وأفصح بالعظات، فتخلوا عنها وأطلقوا عقابها^(٦). وخلقوا سبيلها، ينتدب إليها^(٧). آل رسول الله (ﷺ) الذين شررتموهم في الميلاد، ومرقتموهم في كل واحد، بل تثبت في أيديكم لانقضاء المدة، ويلوؤ المهلة، وعظم المحنة.

(١) اسم موضع وهو المكان الذي قتل فيه ابن جرير الزبير بن العوام وهو قاتل من وقعة الجمل.

(٢) الحد: البأس، والمدن: المشوش يريد أن يقول إن الزبير كان ذا شجاعة ولكنه طمع في بني عبد مناف وهم أشجع منه.

(٣) هم آل بيت عرقوا على شجاعتهم وجودهم بالفصاحة واللسن؛ قال معاوية لعقيل بن أبي طالب يوماً: عجز لي أصحابك على وأبدأ بك صوحان فإنهم مخارق الكلام فقال: أما صعصعة فعظيم الشأن؛ قائد فرسان، قاتل أقران، يرمق ما غنق، ويتفق ما رنق، قليل النظر، وأما زيد وعبد الله فإنهما تهران جاريان، يصب فيهما الخلجان، ويغاث بهما البلدان، رجلا جد لا لعب معه، وأما بغيرهم فكما قال الشاعر

إنما نزل العدو فإن عني أسوداً تخس الأسد النفوسا

(٤) جمع بؤنة بالضم أي تناولوه بينهم دون غيرهم.

(٥) ما حولك الله وأعطاك من العبيد والإماء، وسائر الخدم.

(٦) الضمير للخلافة.

(٧) انتداب إلى الأمر؛ أسرع إليه.

إن لكل قائم قدرا لا يحدوه، ويوما لا يخلوه، وكتابا بعده يتلوه، ﴿ لا يُعَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ﴾ ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾.

بين خالد بن يزيد وعبد الملك بن مروان

جاء عبد الله بن يزيد بن معاوية إلى أخيه خالد في أيام عبد الملك فقال: لقد هممت اليوم يا أخى أن أفكك بالوليد بن عبد الملك، فقال له خالد: بئس والله ما هممت به في ابن أمير المؤمنين وولي عهد المسلمين، فما ذلك؟

قال: إن خيلى مرت به فغبت بها وأصغرتى، فقال له خالد: أنا أكفيك، فدخل على عبد الملك والوليد عنده فقال: يا أمير المؤمنين إن الوليد ابن أمير المؤمنين وولي عهد المسلمين، مرت به خيلى ابن عمه عبد الله بن يزيد فعبث بها وأصغره، وكان عبد الملك مطرقا، فرفع رأسه وقال: ﴿ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا نَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَافَ أَهْلِهَا أَذَلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ فقال خالد: ﴿ وَإِنَّا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾ فقال عبد الملك: أفي عبد الله تكلمتى؟ والله لقد دخل أمس على، فما أقام لسانه لحناء، فقال خالد: أفعلى الوليد تغول يا أمير المؤمنين؟

قال عبد الملك: إن كان الوليد يلحن فإن أخاه سليمان، فقال خالد: وإن كان عبد الله يلحن فإن أخاه خالد، فالتفت الوليد إلى خالد وقال له: اسكت يا خالد فوالله ما تُعَدُّ فى العير ولا فى النفير، فقال خالد: اسمع يا أمير المؤمنين، ثم التفت إلى الوليد فقال له: ويحك فمن صاحب العير والنفير غير جدى أبو سفيان صاحب العير، وجدى عذبة صاحب النفير^(١)؟ ولكن لو قلت غنيمات وحبيبات، والطائف، ورحم الله عثمان، لقلنا صدقت^(٢).

(١) العير: الإبل تحمل الحيرة، والمراد هنا عير قريش التي كان يلوذها أبو سفيان، وترصدها رسول الله، فساحل بها أبو سفيان وترك بدرًا يسارا، والنفير: القوم ينفرون للحرب، وهم هنا مشركو مكة الذين خرجوا يستنقذون العير تحت رياسة عذبة بن ربيعة جد معاوية لأنه لم يتخلف إلا بنو زهرة، فقبل فيهم المثل لا فى العير ولا فى النفير.

(٢) يشير إلى ما كان من طرد رسول الله (ﷺ) الحكم من العاصم جد عبد الملك بن مروان بن الحكم إلى الطائف وإقامته هناك طريقا يأوى إلى حبيبات أى كرمات يستظل بها ويرعى غنيمات يشرب لبنها إلى أن آلت الخلافة إلى عثمان فربه للرحم بينهما، وقيل بأمر كان قد حصل عليه من رسول الله لو آلت إليه الخلافة.

بين عبد الملك وخالد بن عبد الله بن أسيد

جلس عبد الملك بن مروان يوماً وعند رأسه خالد بن عبد الله بن أسيد بن أبي العاص بن أمية وعند رجله أمية أخت خالد، وأدخلت عليه الأموال التي جاءت من قبل الحجاج فوضعت بين يديه فقال :

« هذا والله التوفيز وهذه الأمانة، لا ما فعل هذا وأشار إلى خالد، استعملته على العراق فاستعمل كل مَلِيطٍ فاسقٍ^(١)، فأدوا إليه العشرة واحداً وأدى إلى من العشرة واحداً، واستعملت هذا على خراسان وأشار إلى أمية فأهدى إلى بَزْدَوْنِيْنِ حَطْمِيْنِ^(٢)، فإن استعملتكم ضيعتكم، وإن عزلتكم قلتم استخف بنا وقطع أرحامنا. فقال خالد:

استعملتني على العراق وأهله رجلاً، سامع مطيع مناصح، وعدو مدغضٍ مُكاشِحٍ^(٣)، فأما السامع المطيع المناصح فإننا جزيناه نيزاداً ودأ إلى وبه، وأما المدغض المكاشح فإننا داريناه ضيغته، وسئلنا حقه، وكثرتنا لك المونة في صدور رعيبتك، وإن هذا^(٤) جنى الأموال، ويزغ لك المغضاء في قلوب الرجال فيوشك أن تثبت المغضاء فلا أموال ولا رجال.

فلما خرج ابن الأشعث على عبد الملك قال عبد الملك : هذا والله ما قال خالد.

بين عبد الملك وأحد عماله

بلغ عبد الملك أن عاملاً من عماله قبِل هدية فأمر بإشخاصه إليه، فلما دخل عليه قال : أقبِلت هدية منذ وليتك؟ قال يا أمير المؤمنين، بلأدك عامرة، وخراجك موفور، ورعيبتك على أفضل حال، قال، أجب فيما سألتك عنه، أقبِلت هدية منذ وليتك؟ قال: نعم فقال له:

لَبْنُ كُنْت قَبِلْت ولم تعوض، إُدْك للثيم، ولئن أتلت عهدك لا من مالك أو استكفيتته ما لم يكن يُستكفاد، إنك لجائر خائن، ولئن كان مذهبك أن تعوض المهدي

(١) لظ حقه والطه جصده.

(٢) يقاتل فارس حنم كفرج : إذا هزل وأسن قضعف وتهدم.

(٣) المكاشح : الذي يضمرك العباوة بين كشحيه ومثله الكاشح.

(٤) يعنى الحجاج.

إليك من مالك وقبليت ما اتيمكت به عند من استكفالك وبسط لسان عائبك وأطمع فيك أهل عملك، إنك لجاهل، وما هيمن أتي أمراً لم يخل فيه من دناءة أو خيانة أو جهل مُصطَلح، ثم نصاه عن عمله.

بين عبد الملك والعجاج الراجز

دخل العجاج بن ربيعة على عبد الملك بن مروان فقال عبد الملك، يا عجاج بلغني أنك لا تقدر على الهجاء، فقال: يا أمير المؤمنين: من قدر على تشييد الأبنية أمكنه إخراج الأخبية. قال: فما يمنعك من ذلك؟ قال: إن لنا عمراً يمنعنا من أن نُظلم، وإن لنا حلماً يمنعنا من أن نُظلم، فعلام الهجاء؟ فقال: لكلماتك أشعر من شعرك، فأتى لك عز يمنعك من أن تُظلم؟ قال: الأدب البارع، والفهم الناصح، قال: فما الحلم الذي يمنعك من أن تُظلم؟ قال الأدب المستطرف، والطبع القلند. قال: يا عجاج اقد أصبحت حكيمًا. قال: وما يمنعني وأنا نجى أمير المؤمنين؟

بين الحجاج وكعب الأشقرى

لما هزم المهلب بن صفره الأزارقة وقتل خليفتهم عبد ربه الصغير أوفد بذلك إلى الحجاج كعب بن معدان الأشقرى، فلما دخل عليه قال له الحجاج: أخبرني عن بني المهلب، فقال: الخيرة فارسهم وسيدهم، نار ذاكبة، وصعدة عالية^(١)، وكفى ببيزيد فارساً شجاعاً، ليث نجاب، وبحر جَمّ نجاب، وجودهم وسخيتهم قبيصة، ليث المغار^(٢)، وحامى الدمار، ولا يستحيى الشجاع أن يفر من عدوك، وكيف لا يفر من الموت الحاضر والأسد الخادس، وعبد الملك سمّ نافع، وسيف قاطع، وحبيب الموت الزعاف^(٣)، إنما هو طود شامخ، وفخر بازخ، وأبو غيبنة البطل الهمام، والسيف الحسام^(٤)، وكفك بالفضل نجدة، ليث هذان وبحر موار^(٥)، ومحمد ليث غاب، وحسام ضرباب. قال: فكيف كانوا فيكم؟ قال: كانوا حُمة السرح نهاراً فإذا أَلِيلُوا غفروسان البيئات^(٦). فقال: فأبهم كان

(١) الصعدة: القنطرة نحتت مستوية متقعة.

(٢) المغار: مصدر ميمي أى الإنارة.

(٣) الزعاف ويأذي أيضاً: السم القاتل لسامته.

(٤) الحسام القاطع: من حسم الشيء قطعه.

(٥) الموار: المضطرب بأواجه.

(٦) السرح: السائمة تسرح المرعى، وألبوا: دخلوا في الليل.

أنجد، قال: كانوا كالحلقة المفرغة لا يدري أين طرفاها، قال: فكيف كان لكم المهلب وكنتم له! قال: كان لنا منه شفقة الوالد، وله مناجر، قال: فكيف كان جماعة الناس؟ قال: على أحسن حال؛ أدركوا مارجوا، وأمينوا مما خافوا، وأرضاهم العذل، وأنغناهم النفل^(١)، قال: فكيف كنتم أنتم وعدوكم؟ قال: كنا إذا أخذنا عقونا، وإذا أخذوا يتسنا منهم، وإذا اجتهدوا واجتهدنا طمعنا فيهم، فقال الحجاج: إن العاقبة للمتقين، كيف أفلتكم قطري^(٢)؟ قال: كذناه ببعض ما كادنا به فصرنا منه إلى الذي نحب، قال: فهلا اتبعتموه! قال: كان الحد عندنا أثر من الفل^(٣)، قال: أكنت أعددت لي بعض هذا الجواب؟ قال: لا يعلم الغيب إلا الله، فقال الحجاج: هكذا تكون والله الرجال، المهلب كان أعلم بك حيث وجهك، وأمر له بعشرة آلاف درهم، وحمله على فرس، وأوفده إلى عبد الملك، فأمر له بعشرة آلاف أخرى.

بين الحجاج وسليك بن سنكة

دخل على الحجاج سليك بن سنكة فقال:

أصلح الله الأمير أعزني سمعك، وانغضض عنى بصرك، واكفف عنى عزبك^(٤)، فإن سمعت خطأ أو زلا فدونك والعقوبة، قال: قل، فقال: عصى عاص من عرض العشيرة، فخلق على اسمي^(٥)، وهدمت داري، وحزمت عطائي، فقال: هيهات أما سمعت قول الشاعر:

جائيك من بجنى عليك وربما : : تغنى الصبح مبارك الجرب
ولرب مأخوذ بئيب عشيرة : : ونجا المقارفا صاحب الذنب

قال أصلح الله الأمير ولكني سمعت الله قال غير هذا، قال: وما ذلك؟ قال: قال
إنا أيها العزيز إن له أبا شبيها كبيرا فخذ أخذنا مكانه إننا نراك من المحسبين * قال
مغان الله أن تأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إننا إذا لظالمون قال الحجاج: على

(١) يفتح فسكون الغنمة والهيئة.

(٢) يزيد قطري بن الفجاءة وكان خارجيا كعبد ربه ولكنه فر من وجه المهلب وثبت عيديه.

(٣) الحد: الحديد. والفل: المفلول المكسور بمعنى بالأول عبد ربه والثاني قطريا.

(٤) غرب السيف: حذ.

(٥) أدبر عليه بخلقة من المدار ليعبد من ديوان العطاء.

يزيد بن أبي مسلم^(١)، فأسى به فمئل بين يديه فقال له: أفكك ليدا عن اسنه واصكك له بعطائه^(٢)، وابن له منزله، ومر مناديا ينادى في الناس: صدق الله وكذب الساعدي.

بين سليمان بن عبد الملك ويزيد بن أبي مسلم

ودخل يزيد بن أبي مسلم على سليمان بن عبد الملك وكان دميما، فلما رآه قال: قبح الله رجلا أجزك رسنه^(٣)، وأشركك في أمانته، فقال له يزيد: يا أمير المؤمنين رأيتني والأمر لك وهو عسى مُذِير، ولو رأيتني والأمر على مقبل لاستكذبت مني ما استصغرت، واستعظمت مني ما استحققت، قال: أتري الحجاج استقر في قناه جهنم بعد؟ قال: يا أمير المؤمنين لا ثقل ناك فإن الحجاج وطأ لكم المناير، وأذل لكم الجبابير، وهو يحيى يوم القيامة عن يمين أبيك وعن يسار أخيك فحيث كانا كان.

بين خالد بن صفوان وهشام ومسلمة ابني عبد الملك

قال هشام بن عبد الملك لخالد بن صفوان بن الأشتم وعنده جرير والفردق والأخطل وهو يومئذ أمير: صفهم لنا يا بن الأشتم فقال:

أما أعظمتهم فخراً، وأبعدهم ذكراً، وأحسنهم عُذراً، وأسيرهم منلاً، وأقلهم عزلاً، وأحلاهم عللاً، الطامي إذا زخر، والحامي إذا زار، والسامي إذا خطر، الذي إن هدر قال، وإن خطر هال، الفصيح اللسان، الطويل العنان، فالفرزدق؛ وأما أحسنهم نعتاً، وأمدحهم بيتاً، وأقلهم قوتاً، الذي إن هجا وضع، وإن مدح رفع، فالأخطل؛ وأما أعزهم بحراً، وأرقهم شعراً، وأهتكمهم لعدوه سبوا، الأعر الأيثق، الذي إن طالب لم يسبق، وإن طلب لم يلحق، فجرير، وكلهم ذكي الفؤاد، رفيع العماد، واري الزناد.

فقال له مسلمة: ما سمعنا بذلك يا خالد في الأولين ولا رأينا في الآخرين، وأشهد أنك أحسنهم وصفاً، وألينهم عطفاً، وأعفيم مغالاً، وأكرمهم فعلاً، فقال خالد: أتم الله عليكم نعمه، وأجزل لديكم قسمته، وأنس بكم العربة، وفرج بكم الكربة، وأنت

(١) يزيد بن أبي مسلم كان كاتب الحجاج وكان كلاباً مبعثاً إلى سليمان بن عبد الله كما سيوضح من الحوار الآتي.

(٢) اكتب له صكاً به.

(٣) الرسر: بحركة الحبل وما كان من زمام على الأنف، وأجره إياه: أي سلمه له ليقويه والرجل المقصود هنا الحجاج وكان يزيد كاتبه كما تقدم.

والله ما علمت أيها الأمير كريم الخراس، عالم بالناس، جواد في الخُل، بسام في البذل، حليم عند الطيش، في ذروة قريش، ولياب عيد شمس، ويومك خير من أمس، فضحك هشام وقال، ما رأيت كتخلصك يا بن صفوان في مدح هؤلاء، ووصفهم حتى أرضيتهم جميعاً وسلمت منهم.

بين خالد بن صفوان وأخوال السفاح

دخل خالد بن صفوان على أبي العباس السفاح وعنده أخواله من بني الحارث ابن كعب فقال: يا خالد ما تقول في أخوالي؟ قال: هم هامة الشرف، وعزّين الكرم، وغرس الجود، إن فيهم خصالاً ما اجتمعت في غيرهم من قومهم، لأنهم أطولهم لمماً^(١)، وأكرمهم شيعاً، وأطيبهم طعماً، وأوفاهم ذمماً، وأبعدهم همماً، الجيرة في الحرب، والرقة^(٢) في الجذب، والرأس في كل خطب، وغيرهم بمنزلة العجب^(٣) فقال: وصفت أبا صفوان فأحسنت، فزاد أخواله في الفخر، فغضب لأعمامه^(٤) فقال: افخر يا خالد على أخوال أمير المؤمنين وأنت من أعمامه فقال خالد:

وكيف أفخر قوماً بين ناسج يُزّد، ودايخ جلد، وسائس قرد، وراكب غرذ^(٥)؟ دلّ عليهم هذهد^(٦)، وغرقهم جرذ^(٧)، وملكتهم امرأة^(٨)، غاشرق وجه أبي العباس.

بين خالد بن صفوان ورجل من بني عبد الدار

فأخر خالد بن صفوان رجلاً من بني عبد الدار^(٩) فقال له الغبيري: من أنت؟ قال: أنا خالد بن صفوان، فقال: أنت خالد؟ كمن هو خالد في النار؟ وأنت ابن صفوان

(١) جمع لمة بالكسر وهي الشعر المجاوز لشحمة الأذن.

(٢) الرقة: بالكسر العطاء والصفة.

(٣) أصل الذنب ومؤخر كل شيء.

(٤) من مضى، وأخواله من قحطان.

(٥) العرد: الحمار وكانت تكثر باليمن الأحمر وبسائر الجزيرة الخيل.

(٦) يشير إلى حديث الهدد مع سليمان.

(٧) يشير إلى ما يزعمه المؤرخون من أن سيب سبل العرم كان قرض جرذ لسد ما رب.

(٨) هي بلقيس ملكة سبأ.

(٩) عبد الدار أحد أبناء قصي قبل إنه نشأ مضعفاً بون إخوته فأعطاه أبود دار الندوة ومفتاح الكعبة ليصرف بهما.

﴿ كمثل صفوان عليه ثراب ﴾ وأنت ابن الأثم والصحيح خير من الأثم^(١)، فقال له خالد : يا أخا بني عبد الدار أئنكلم وقد هشمتك هاشم، وأمتك أمية، وخزمتك مخزوم، وجصحتك جصج^(٢)؟ فأنت عبد دارهم تفتح لنا بخلوا، وتخلق إذا خرجوا، فقام العبدري محمومًا.

بين المنصور وجعفر الصادق

لما حجَّ المنصورُ مرَّ بالمدينة فقال للربيع الحاجب: غلى جعفر بن محمد، قتلنى الله إن لم أقتله، فلما كشف الستر بينه وبينه، تقرب جعفر وسلم فقال المنصور: لا سلم الله عليك يا عدو الله، تعجل على الغوائل فى ملكي، قتلنى الله إن لم أقتلك، قال يا أمير المؤمنين إن سليمان صلى الله على محمد وعليه أعطى فشكره وإن أيوب ابتلى فصبر، وإن يوسف ظنم فغفر، وأنت على إرث منهم، وأحق من تأسى بهم، فنكس أبو جعفر رأسه مئياً ثم رفعه وقال لجعفر: إلى أبا عبد الله فانت القريب القرابة وذو الرجم الواشجة^(٣)، المستيم الناحية، القليل الغائلة، ثم صافحه بيمينه وعانقه بئسالة وأجلسه معه على فراشه، وانحرف له عن بعضه، وأقبل عليه بوجهه يحادثه ويسأله، ثم قال : يا ربيع عجل لأبي عبد الله كسوته وجائزته وإذنه.

بين المنصور والربيع بن يونس

دعا المنصورُ بالربيع بن يونس حاجبه ووزيره فقال له : سلنى ما تريد فقد سكت حتى أتلقت، وخففت حتى ثقلت، وقللت حتى أكثرت، فقال : والله يا أمير المؤمنين ما أرهبُ يُحكلك، ولا أستقصر عمرك، ولا أستصغر فضلك، ولا أغتقم مالك، وإن يومى بفضلك على أحسن من أمسى، وغذك فى تأملى أحسن من يومى، ولو جاز أن يشرك مثلى بغير الخدمة والناصحة لما سبقنى لذلك أحد، قال : صدقت، علمى بهذا منك أحلك هذا المحل، فسئنى ما شئت، قال : أسألك أن تقرب عبدك الفضل^(٤)، وتؤثره وتعيه، قال: يا ربيع إن الحب ليس بمال يوهب، ولا رتبة تبذل، وإنما تؤكده الأسباب، قال: فاجعل لى طريقاً إليه بالتفضيل عليه، قال: صدقت وقد وصنته بألفِ درهم، ولم

(١) الأثم : تكسر الأسنان من أصريها.

(٢) كل من نكر من هامات قريش.

(٣) الشبيكة لشدة القرابة.

(٤) هو ابنه الفضل بن الربيع وقد وزر المرشد بعد البرامكة ولاينه الأمين وبه يكنى الربيع.

أصل بها أحداً غيّر عُمومتي، لثعلم ما له عندي، فيكون منه ما يستدعي به محبتى، ثم قال: فكيف سألت له المحبة يا ربيع؟ قال: لأنها مفتاح لكل خير، ومغلاق لكل شر، تُستَرَّبُ بها عندك عيوبه، وتصير حسنات ذنوبه. فقال صدقت.

بين المنصور ومعن بن زائدة

دخل معن بن زائدة الشَّيْبَانِيَّ على المنصور وقد أسنَّ فقارب في خطوه فقال له المنصور: لقد كبرت سنك يا معن، قال في طاعتك يا أمير المؤمنين، قال: وإنك لجَدُّ. قال: علي أعدائك يا أمير المؤمنين، قال: وإن فيك ليقينة. قال: هي لك يا أمير المؤمنين، قال: غايء الدولتين أحب؟ هذه أم دولة بنى أمية، قال: ذلك إليك يا أمير المؤمنين إن زاد برك على برهم كانت دولتك أحب إلي.

بين معن بن زائدة وأحد رؤاه

دخل رجل على معن بن زائدة فقال له معن: ما هذه الخيبة؟ قال: أيها الأمير ما غاب عن العين من بذكرة القلب، وما زال شوقي إلى الأمير شديداً وهو دون ما يجب له، وذكرى له كثيراً وهو دون قدره، ولكن جفوة الحجاب وقلة بشر الغلمان منعاني من الإكثار، فأمر بتسهيل حجابيه وأجرل صلته.

بين المهدي ووزيره يعقوب بن داود

لما سَخِطَ المهديُّ على وزيره يعقوب بن داود أحضره فقال: يا يعقوب، قال: لَبَّيْكَ يا أمير المؤمنين تلبيةً مكروبةً لموجدتك، شروقاً بعصمتك، قال: ألم أرفع قدرك وأنت خامل، وأسيزُ ذكرك وأنت هامل، وألبسك من نعم الله تعالى ونعمي ما لم أجد عندك طاقة لحمله، ولا قياماً بشكره، فكيف رأيت الله تعالى أظَهَرَ عَيْبَكَ ورءُ كَيْدِكَ إليك؟ قال: يا أمير المؤمنين إن كنت قلت هذا يتحقق وعلم فإنني معترف، وإن كان بسعاية الباطين وفضائم المعاندين فأنت أعلم بأكثرها، وأنا عائد بكرمك وعميم شرقك، فقال: لولا الجنة في ذمك لأنبستك قميصاً لا تُشك عليه أنزاراً، ثم أمر به إلى السجن فتولى وهو يقول: الوفاء يا أمير المؤمنين كرم، والمودة رحيم، وما على العفو ندم، وأنت بالعفو جدين وبالاحسان خليق، ولكنه بقي في السجن إلى أن أخرجه الرشيد.

بين الرشيد وأم جعفر بن يحيى

كانت أم جعفر بن يحيى قد أرضعت الرشيد وكفلته لأن أمه ماتت عن مده، فكان الرشيد يشاورها مظهرًا لإكرامها والتبرُّك برأيها، وكان ألى وهو في كفالتها ألا تحجبتها، ولا استشفعته لأحد إلا شفَّعها، وألت هي أن لا دخلت عليه إلا مأذونا لها، ولا شفعت لأحد مقترف ذنبًا، وكان الرشيد قد احتجب بعد قتل جعفر وحبس يحيى، فطلب الإذن عليه، وتمدت بوسائلها إليه، فلم يأن لها ولا أمر بشيء فيها، فلما طال ذلك بها خرجت كاشفة وجهها، واضعة لثامها، مُحْتَفِيَةٌ في مشيتها، حتى صارت بباب قصر الرشيد، فدخل عبدُ الملك بن الفضل الحاجب فقال: ظلُّ أمير المؤمنين بالباب^(١) في حال تغلب شماتة الحاسد إلى شفقة أم الواحد، فقال الرشيد: ونحك يا عبد الملك أو ساعية! قال: نعم يا أمير المؤمنين وحافية، قال: أدخلها يا عبد الملك قريب كبد غذتها، وكربة فرجتها، وعورة سترتها، فدخلت، فلما نظر الرشيد إليها داخلة محتفية قام محتفيا حتى تلقاها بين غمد المجلس، وأكب على تقبيل رأسها ومواضع ثديها، ثم أجلسها معه فقالت: يا أمير المؤمنين أبعذو علينا الزمان، وبعفونا خوفًا لك الأعوان، ويخردك بنا اليهتان^(٢).

وقد رثيتك في حجري، وأخذت برضاعك الأمان من عدوى ودهرى؟ فقال لها: وما ذلك يا أم الرشيد؟ قالت: ظنك يحيى وأبوك بعد أبيك: ولا أصفه بأكثر مما عرفه به أمير المؤمنين من نصيحته وإشفاقه عليه وتعرضه للختف في شأن موسى أخيه^(٣)، قال لها: يا أم الرشيد أمر سبق، وقضاء حم^(٤)، وعصب من الله نفذ، قالت: يا أمير المؤمنين ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ قال: صدقت فهذا مما لم يَمْحُ اللَّهُ، فقالت: العيب محجوب عن التبيين فكيف عنك يا أمير المؤمنين؟ فأطرق مليا ثم قال:

وإذا المنية أنشبت أظفارها : ألفت كل تهمة لا تنفع

(١) الظنر: المرضعة ولد غيرها والعاطفة عليه.

(٢) أحرده: أفضبه.

(٣) تشير إلى ما كان من معاونة يحيى للرشيد في التمسك بعهد أبيه أمام ما كان يريد أخوه موسى الهادي من نقل ولاية العهد عنه إلى ابنه.

(٤) حم: قدر.

فقالته بغير زوطة: ما أنا ببحى بتميمة يا أمير المؤمنين وقد قال الأول^(١):
وإذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد : نخرأ يكون كصالح الأعمال

هذا يعد قوله عز وجل ﴿ وَالْكَاطِبِينَ الْغِيظُ وَالْعَاقِبِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ
الْمُحْسِنِينَ ﴾، فأطرق ملياً ثم قال: يا أم الرشيد أقول:

إذا أنصرفت نفسى عن الشيء لم تكذب : إليه بوجه آخر الدهر ثقب^(٢)

فقالته يا أمير المؤمنين وأقول:

سنقطع فى الدنيا إذا ما قطعتنى : بهينك فانتظر أى كف تبدل

قال هرون: رضيته، قالت: فهبه لى يا أمير المؤمنين، فقد قال رسول الله (ﷺ):
"من ترك شيئاً لله لم يوجد له الله لفقده" فأكب هرون ملياً ثم رفع رأسه يقول: ﴿ لِلَّهِ
الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ﴾ قالت: يا أمير المؤمنين ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يُفْرِحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ
يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ واذكر يا أمير المؤمنين أليتك^(٣) ما استشفعت إلا
شفعتنى، قال : واذكرى يا أم الرشيد أليتك أن لا شفعت لغتفرف ذنباً، فلما رأته صرح
بمنعها ولأذ عن مطلبها أخرجت حقاً من رُمْدَةِ خضراء^(٤) فوضعت بين يديه، فقال
الرشيد: ما هذا؟ ففتحت عنه قفلاً من ذهب فأخرجت منه حفصته^(٥) وذوائبه وثناياه
قد تحمست جميع ذلك فى المسك، فقالت: يا أمير المؤمنين أسقشفع إليك وأسقشع باله
عليك وبما صار معى من كريم جسديك وطيب جوارحك لبحى عبدك، فأخذ هرون ذلك
فلئمته ثم استعبر ويكى بكاء شديداً ويكى أهل المجلس، ومر البشير إلى يحيى وهو لا يظن
إلا أن البكاء رحمة له ورجوع عنه، فلما أفاق الرشيد رمى جميع ذلك فى الحق وقال
لها: لخصن ما حطبت الوديعه، قالت: وأهل للمكافاة أنت يا أمير المؤمنين، فسكت
وأقبل الحق ودفعه إليها وقال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ قالت:
والله يقول: ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ ويقول: ﴿ وَأَوْقُوا بِعَهْدِ اللَّهِ

(١) هو الأضلال.

(٢) هذا البيت والنى بعده من لامية معن بن أوس المشهورة.

(٣) الألية: القسم.

(٤) الرمزه بذال وبال: حجر نفيس معروف.

(٥) حفصة الصسى: خنفيه والأكثر استعناها للصبية واستعمال الضن للصوى.

إذا عاهدتُم؟ فقال: وما ذاك يا أم الرشيد. قالت: أو ما أقسمت لي ألا تخجنني ولا تمتهنني؟ قال: أحب يا أم الرشيد أن نشتره محكمة فيه. قالت: أنصفت يا أمير المؤمنين وقد فعلت غير مستقبلة لك ولا راجعة عنك، قال: بكم؟ قالت: برضاك عمن لم يسخطك، قال: يا أم الرشيد، أمالي عليك من الحق مثل الذي لهم؟ قالت: بلى يا أمير المؤمنين، أنت أعر على وهم أحب إلي، قال: فتحكمني في ثمنية بغيرهم، قالت: بلى قد وهبته وجعلتك في حل منه، وغامت عنه وبقي مبهوتا ما يحير لفظه.

بين الرشيد وعبد الملك بن صالح

لما غضب الرشيد على عبد الملك بن صالح اتهمه بالعمل على أخذ الخلافة وحبسه، كان يستحضره أحيانا ليسمع منه، فدخل عليه مرة فسلم فلم يرد عليه، فقال عبد الملك: ليس هذا يوما أحتج فيه، ولا أجادب منازعا وخصما، قال: ولم؟ قال: لأن أوله جرى على غير السنة، فأنا أخاف أخره، قال: وما ذلك؟ قال: لم ترد على السلام، أنصف نصفه العوام، قال: السلام عليكم اقتداء بالسنة، وإيثارا للعدل، واستعمالا للثنية، ثم التفت نحو سليمان بن أبي جعفر فقال: وهو يخاطب عبد الملك:

أريد حياته ويريد قتلي .: عذيرك من خليلك من مراد (١)

ثم قال: أما والله لكانى أنظر إلى شؤيوبها قد همع (٢) وعارضها قد لمع (٣). وكانى بالوعيد قد أدرى نارا تسطع، فأقلع عن براجم (٤) أيلامعاصم، ورؤوس بلا غلاصم (٥) فمهلا مهلا، فبى والله سنبل لكم الوعر، وصفا لكم الكدر، وألقت إليكم الأمور أثناء أزمته (٦)، فنذار لكم نذار قبل حلول داهية خبوط باليد، ليوط بالرجل (٧)، فقال عبد الملك: اتق الله يا أمير المؤمنين فيما ولاك، وفي رعيتك التي استرعاك، ولا تجعل الكفر

(١) هذا البيت منمثل به وهو أبيات قالها عمرو بن معديكرب الزبيدي في قبس بن مكشوح المرادى.

(٢) الشؤيوب: دفعة المطر وهمع خطل وهو يريد الفتنة التي كان يريدتها عبد الملك.

(٣) المعارض: المسحاب والبراء يرفعه.

(٤) جمع برجمة: وهي مفصل الأصبع.

(٥) جمع غلصمة: وهي رأس الخلقوم.

(٦) أثناء الشيء: ملاقاته واجدها ثنى بالكسر.

(٧) الضبط: الضرب الشديد. والنبط: الإسقاط على الأرض.

مكان الشكر، ولا العقاب موضع الثواب، فقد نَحَلْتُ^(١) لك النصيحة، ومحضت لك الطاعة^(٢)، وشددت أواخي ملكك^(٣) بأثقل من ركبتني يَلْمَمُ^(٤)، وتركت عدوك مشتغلا، فآلته الله في ذي رحمتك أن تفلعه بعد أن يبلثه^(٥) بظن أفسح الكتاب لي بغضه^(٦) أو ببعي باغ ينهش اللحم^(٧) ويأغ الدم^(٨)، فقد والله سهلت لك الودع، وذلكت لك الأمور، وجمعت على طاعتك القلوب في الصدور، فكم من ليل نام فيك كابده، ومقام ضيق لك قمته، كنت فيه كما قال أخو بني جعفر بن كلاب:

ومقام ضيق فرجته : بينائي ولساني وجدل
لو يقوم الفيل أو فياله : زل عن مثل مقامي وزحل^(٩)

فقال الرشيد : أما والله لولا الإبقاء على بني هاشم لضربت عنقك، ثم أعاده إلى السجن، فلم يزل به حتى توفي الرشيد فأطلقه الأمين وعقد له على الشام.
ولما خرج من السجن وذكر الرشيد وفعله قال يُبْرِي نَعْسَه:

والله أن الملك لشيء ما نويته ولا تمنيته، ولا نصيت له ولا أردته، ولو أردته لكان إلى أسرع من الماء إلى الصُّور^(١٠)، ومن النار إلى يابس العرفج^(١١)، وإني لماخوذ بما لم أجن، ومسئول عما لا أعرف، ولكنه حين رأى للملك قميننا^(١٢)، والمخلافة خطيرا^(١٣)، ورأى لي يدا تنالها إذا مدت، وتبلغها إذا بسطت، ونفسا تكمل الخصالها، وتستحقها بفعالها - وإن كنت لم أخطر تلك الخصال، ولم أصطنع تلك الفعال، ولم أترشح لها في

(١) صفيتها.

(٢) أخلصتها.

(٣) جمع أخيه وهي العروة.

(٤) جبل على مرحلتين من مكة جنوبا.

(٥) كزمنه.

(٦) يكذبه وينهته.

(٧) ينأوله بمقحم أسفانه.

(٨) يشربه بأطراف لسانه.

(٩) زحل : زل.

(١٠) المكان المنحصر.

(١١) شجر.

(١٢) حديرا.

(١٣) عظيم القدس.

السرى ولا أشترت إليها فى الجهر - وراها نحن إلى حنين الوالدة الوالدة، وتميل إلى منزل الهلوك^(١)، وخاف أن ترغب إلى خير مرغب، وتززع إلى أخصب منزع، عاقبتى عقاب من سهر فى طلبها، وجهد فى التماسها، فإن كان إشا حبستى على أنى أصلح لها وتصلح لى، وأليق بها وتليق بى، فليس ذلك بذنب جنبته فأتوب منه، ولا تطاولت له فأحط نفسى عنه، وإن زعم أنه لا صرف لعقابه، ولا نجاة من عذابه، إلا بأن أخرج له من جذ العلم والحلم والحزم، فكما لا يستطيع المضياغ أن يكون مصحاحاً، كذلك لا يستطيع العاقل أن يكون جاهلاً، وسواء عليه أعاقبتى على علمى وحلمى، أم عاقبتى على نسيى وسنى، وسواء عليه عاقبتى على جمالى، أم عاقبتى على محبة الناس لى، ولا أردتها لأعجنته عن التفكير، وشغلته عن التدبير، ولما كان فيها من الخطب إلا اليسير.

بين المأمون والفضل بن الربيع

لما ظفر المأمون بالفضل بن الربيع - وكان قد أغرى به أخاه الأمين - قال له: يا فضل! أكان من حقى عليك وحق أبائى ونعمهم عند أبيك وعندك أن تنلنتى^(٢) وتسينى وتخرضن على دى؟ أنحب أن أفعل بك ما فعلته بى؟ فقال: يا أمير المؤمنين! إن عذرى يُحقدك إذا كان واضحاً جميلاً، فكيف إذا أخفته العيوب، وقبحته الذنوب؟ فلا يضيق عنى من عفوك ما وسع غيرى منك، فانت كما قال الشاعر فيك: ^(٣)

صفوخ عن الأجرام حتى كأنه : من العفول يعرف من الناس شجرها
وليس يبالى أن يكون به الأذى : إذا ما الأذى لم يغش بالكثرة مسلماً

بين المأمون وإبراهيم المهدي

لما ظفر بعمه إبراهيم بن المهدي^(٤) أمر بإدخاله عليه، فجئ به يحجل فى قيود، فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، فقال له المأمون: لا سلم الله عليك ولا حفظك ولا رعاك ولا كلاك^(٥) يا إبراهيم، فقال له إبراهيم على رسلك^(٦) يا

(١) المتساقطة على الرجال.

(٢) تعيبنى.

(٣) هو الحسن بن رجا.

(٤) لما عقد المأمون ولاية العهد لعلى الرضا العلوى أنكر العباسيون عليه ذلك وخلعوه من الخلافة وبيعوا بها عمه إبراهيم بن المهدي فأسرع إليه المأمون فهرب وتوارى ولكن المأمون ظفر به بعد.

(٥) حرسك.

(٦) على هيبتك أى أروء قلبلا فهى كما تقول رويدك.

أمير المؤمنين، ولي النار مُحْكَمٌ في القصاص، والعفو أقرب للتقوى، ومن مُدُّ له الاعتذار في الأمل هجمت به الأناة على القلف، وقد أصبح ذنبي فوق كل ذنب، كما أن عفوك فوق كل عفو، فإن تعاقب فبحقك، وإن تعف فبفضلك، ثم أنشأ يقول:

ذنبي إليك عظيمٌ : وأنت أعظم منه
فخذ بحقك أو لا : فاصفح بفضلك عنه
إن لم أكن في فعالي : من الكرام فكنه

فأطرق المأمون ملياً ثم رفع رأسه فقال: إنى شاورت أبا إسحق والعباس^(١) في قتلك فأشارا عليّ به، قال: فما قلتَ لهما يا أمير المؤمنين؟ قال: قلتَ لهما: بدأنا له بإحسان ونحن نستأمره فيه، فإن غير فالفه يغير ما به، فقال: أمّا أن يكونا قد نصحاك في عظم قدر الملك وما جرت عليه عادة السياسة فقد فعلا، ولكن أبيت أن تستجلب النصر إلّا من حيث عودك الله، ثم استعبر باكيّاً، فقال له المأمون: ما يبكيك؟ قال: جندلاً، إذ كان ذنبي إلى من هذه صفته في الإنعام، ثم قال يا أمير المؤمنين إنه وإن كان جرماً يبلغ سفك دمي فحلّم أمير المؤمنين وتفضّله يُبَنِّغَانِي عَفْوَهُ، ولي بعدهما شفاعة الإقرار بالذنب، وحرمة الأب بعد الأب، قال المأمون: القدرة نذهب الحفيظة^(٢)، والندم توبة، وعفو الله بينهما وهو أكبر ما يُحَاوَلُ، يا إبراهيم لقد حببت إلى العفو حتى خفت ألا أوجر عليه، أما لو علم الناس ما لنا في العفو من اللذة لتقربوا إلينا بالجنايات، لا تتريب عليك^(٣) يغير الله لك، ولو لم يكن في حق نسيت ما يبلغ الصغح عن زلتك لتبخلك ما أملت حسن توبتك، ولطيف نصيبك، ثم أمر برد ما له وضياعه فقال:

رددت مالي ولم تبخل عليّ به : وقبيل رذك مالي قد خففت دمي^(٤)
فأبئت منك - وما كافأتها - ببدي : هما الحياتان من وفر ومن عدم^(٥)
وقام علمك بي فاحتجّ عندك لي : مقام شاهد عدل غير متهم
فلو بذلت دمي أبقى رضاك به : والمال حتى أسلّ النعل من قدمي^(٦)
ما كان ذاك سوى عارية رجعت : إليك لو لم تهنيها كنت لم تلم

(١) أبو إسحق أخو المأمون والعباس ابنه.

(٢) الغضب.

(٣) لا نوم.

(٤) حيثه أن يراق.

(٥) اليد: الصنعة.

(٦) أسليها.

بين إبراهيم بن المهدي وأحمد بن أبي نوادٍ القاضي

تنازع إبراهيم بن المهدي هو وبختيشوع الطيب بين يدي أحمد بن أبي نوادٍ القاضي في مجلس الحكم في عقاربناحية السواد^(١)، فزرى عليه إبراهيم^(٢) وأغلظ له. فأحفظ ذلك أحمد بن أبي نوادٍ فقال: يا إبراهيم إذا تازعت أحداً في مجلس الحكم فلا أعلّمتك أنك رفعت عليه صوتاً ولا أشرت إليه بيد، وليكن قصدك أمناً^(٣)، وليريدك نهجاً^(٤)، ويريدك ساكنة، وكلامك معتدلاً، ووفت مجالس الحكومة حقوقها من التوقيير والتعظيم والاستكانة والتوجه إلى الواجب، فإن ذلك أشبه بك، وأشكل لذهبك في محبتك، وعظيم خطر^(٥)، ولا تعجل فرب عجلة تهب ريثاً^(٦)، والله يعصمك من الزلل، ويحفظ القول والعمل، ويتم نعمته عليك كما أمها على أيوبك من قبل إن ريدك حكيم عليم، فقال إبراهيم: أصلحك الله، أمرت بسناد، وخصصت على رشاد، ولست بعائد إلى ما يتلم مروءتى عندك^(٧)، ويُسقطني من عينك، ويخرجني من مقدار الواجب إلى الاعتذار، فهأنا معتذر إليك من هذه البادرة^(٨)، اعتذار مقرر بذنبه باجع بجرمه، فإن الغضب لا يزال يستغزني بموادّه، فيردني مثلك بجلمه، وتلك عادة الله عندنا منك، وحسينا الله ونعم الوكيل؛ وقد ومبنتاً حتى من هذا العقار لبختيشوع، فليت ذلك اليوم تحول بأرض الجنابة^(٩) ولم يثلف مال أقاد موعظة، وبالله التوقيير.

بين المعتصم وتميم بن جهل

قال أحمد بن أبي نوادٍ: ما رأينا رجلاً غاب الموت فما هاله ولا أذهنه عما كان يجب عليه أن يفعله إلا تميم بن جميل^(١٠) فإنه أوفى به الرسول ياب أمير المؤمنين

(١) سواد العراق.

(٢) عابه.

(٣) قصداً . وسطاً.

(٤) واضحاً.

(٥) فسرك.

(٦) بطناً.

(٧) ينقص.

(٨) ما يهدر في حدة وغضب من قول أو فعل.

(٩) الأريش : الدية.

(١٠) كان قد خرج على المعتصم بشاعلي الفرات فوجه إليه مالك بن طروق فظفر به وحمله إليه موثقاً.

المعتصم في يوم الموكب حين يجلس للعامّة ودخل عليه، فلما مثل بين يديه دعا بالنطع^(١) والسيف فأحضرا، فجعل تميم ينظر إليهما ولا يقول شيئاً، وجعل المعتصم يصعد النظر فيه ويصويه، وكان جسهما وسبما، ورأى أن يستنطقه لينظر أين جناحه ولسانه من منظره، فقال يا تميم : إن كان لك عذر فأنت به أو حجة فأدل بها، فقال :
أما إذ قد أدب لي أمير المؤمنين فإني أقول :

﴿ الحمد لله الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من عطين * ثم جعل
سنة من سلالة من ماء مهين له جزر بك صدع الدين، ولم بك شغيت المسلمين، وأوضح بك
سئيل الحق، وأحمد بك شهاب الباطل، يا أمير المؤمنين إن الذنوب تُخرس الألسنة
الفصحة، وتعي الأفتدة الصحيحة، ولقد عظمت الجزيرة، وانقطعت الحجة، وكبر
الذنب، وساء الظن، ولم ينق إلا عفوك أو انتقامك، وأرجو أن يكون أقربيهما مني
وأسرعهما إلي، أولاهما بامتنانك وأشبههما بخلافتك، ثم أنشأ يقول :

أرى الموت بين السيف والنطع كما منا : يلاحظني من حيثما أتلفت
وأكبر ظني أنك اليوم قاتلي : وأرى امرئ مما قضى الله يُغلفت
ومن ذا الذي يدلي بعذر وحجة : وسيف المنايا بين عينيه مُصلت
يعرّ على الأوس بن تغلب موقف : يسئل على السيف فيه وأسكت
وما جزعى من أن أموت وإننى : لأعلم أن الموت شيء مؤقت
ولكن خلفي صبية قد تركتهم : وأكبادهم من حصرة تفتت
كأنى أراهم حين أنفى إليهم : وقد خمشوا تلك الوجوه وصوتوا
فإن عشت عاشوا خافضين بعبطة : أذود الردى عنهم وإن مت موتوا
فكم قائل لا يُبعد الله روحه : وأحر جدلان يسرّ ويشتمت

فتبسم المعتصم وقال: " كاد والله يا تميم أن يسبق السيف العذل"^(٢)، اذهب عفرت
لك الصبوة^(٣)، ووهبتك للصبية" ثم أمر بفك قيوده، وخلع عليه وعقد له بشاطئ الفرات.

(١) النطع كحمل وشمس وسبب وعنب : سباط من أديم، أحضر ليتلغى الدم.

(٢) العذل كسحب وشمس : اللوم، هنا مثل يضرب للشيء، يفوت أوانه.

(٣) جهلة الفتوة.

بين الواثق وأبن أبي دؤاد

دخل أحمد بن أبي دؤاد على الواثق، فقال له الواثق: ما زال اليوم قوم في ثلبك وتقصك، قال يا أمير المؤمنين: ﴿لِكُلِّ أُمَّرٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ﴾^(١) مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿ وَاللَّهُ وَلِيٌّ جَزَاءَهُ، وبغاب أمير المؤمنين من ورائه، وما دلّ يا أمير المؤمنين من أنت ناصره، وما ضاق من كنت جاراً له، فما قلت لهم يا أمير المؤمنين؟ قال: قلت يا أبا عبد الله:

وسعى إلى بعيب عزة معشر . . . جعل الإله حدودهن بهاها^(٢)

وقال له الواثق يوماً متضجراً بكثرة حوائجه: قد أخليت بيوت الأموال بطلباتك للأثدين بك، والمتوسلين إليك، فقال: يا أمير المؤمنين: نتأجج شكرها متصلة بك، ودخائرها موصلة لك، ومالي من ذلك إلا عشق اتصال الألسن بخلود المدح، فقال الواثق: "والله لا منعذاك ما يزيد في عشقك، ويقوى في همتك فينا ولنا" وأمر فأخرج له خمسة وثلاثون ألف درهم.

بين ابن دؤاد والجاحظ

كان الجاحظ مختصاً بمحمد بن عبد الملك الزيات الوزير متحرفاً عن أحمد بن دؤاد القاضي، للمنافسة والشحناء بينهما، فلما تكب المتوكل ابن الزيات خيل الجاحظ من البصرة مقيداً وفي عنقه سلسلة وعليه قميص سنبل^(٣)، فلما دخل على القاضي أحمد قال له: والله ما أعلمك إلا متناسياً للنعمة، كفوياً للصديعة، مغدناً للمساوي، وما فتئتني باستصلاحك لك، ولكن الأيام لا تصلح منك لفساد طورتك، ورداءة دخيلتك، وسوء اختيارك، وغالب طباعك، فقال الجاحظ: خفض عليك - أيديك الله - فوالله أن يكون لك الأمر على خير من أن يكون لي عليك، ولأن أسير وتخصن، أحسن في الأحداث عليك من أن أحسن وتسيي، ولأن تعفو عني في حال قدرتك، أجمال بك من الانتقام مني، فقال أحمد: والله ما علمتك إلا كثير تزويق الكلام، وخل عنه الغل والقيد، وأحسن إليه وصدره في المجلس.

(١) معظمه.

(٢) من قول كثير عزة، ويغل به.

(٣) كخلق.

بين ابن أبي دؤاد وأبي العيناء

قال أبو العيناء: دخلت على ابن أبي دؤاد يوماً فقلت له:

إن قوماً من أهل البصرة قدموا إلى سرّ من رأى (١) يدأ على (٢) فقال: ﴿يَدُ اللَّهِ
فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ فقلت: إن لهم مكرأ فقال: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾، قلت إنهم
كثير، قال: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

(١) مدينة المعتصم والعاصمة الثانية للدولة.

(٢) ضدى.

ثانياً : إبراهيم نافع

وحواراته للتاريخ

نقدم فيما يلي نماذج لفن الحديث الصحفي أجراها الأستاذ إبراهيم نافع مع الرئيس محمد حسنى مبارك. وقد ضمنها كتابة "حوارات للتاريخ". يقول في تصدير هذا الكتاب:

"الحوار الصريح والمباشر مع الرؤساء والملوك، ينقل صورة صادقة وعفوية عن فلسفاتهم واتجاهاتهم واهتماماتهم وهمومهم، قد تفوق كثيراً ما تنقله عشرات التحليلات المطولة والبيانات المسهبة، وذلك نظراً لما يتسم به الحوار من تلقائية وتركيز على المشاغل الآنية التي تهم الناس جميعاً، ويوفر هذا الحوار بدوره مادة خصبة للدراسة والتحليل واستخلاص النتائج، على نحو أكثر عمقاً وصدقاً، مما يجعل إصدار الأحكام بناء على ذلك أشد استناداً إلى الواقع والحقيقة.

وهذا الكتاب^(١) يرسم بانوراما عريضة لفكر وشواغل مجموعة مؤثرة من القادة والزعماء ذوي الدور المتميز في حياة بلادهم وأمتهم، ويمثل شهادة للتاريخ تسجل المشكلات الأكثر إلحاحاً للمنطقة العربية والعالم، وموقف القادة من معالجاتها، والنهج الذى يتبعونه فى التصدى لها، وحجم ما حققوه من إنجازات وما يسعون لتحقيقه من عود ونجاحات، والقصد منه إلقاء الضوء على شخصية هؤلاء القادة وأهدافهم وأساليبهم فى العمل، الأمر الذى يساعد كثيراً فى فهم الاتجاه الذى تسير فيه الأمور فى المنطقة والفلسفات، التى تحرك القائمين على أمور الناس فى هذه الحقبة المهمة من العالم بكل المقاييس. وهو ما أدعو الله أن يكون قد وثقت فيه، أولاً بإجراء هذه الأحاديث، وبثوعية الأسئلة التى تضمنتها، والتى أرجو أن تكون قد أجابت على ما يهم الناس معرفته، وأخيراً بإصدار هذا الكتاب.

إبراهيم نافع

(١) إبراهيم نافع : حوارات للتاريخ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ١٩٩٧.

دور مصر إقليمياً وعربياً.

دائماً، فإن الرئيس مبارك، يدرك النّقل الذي يتميّز به الدور المصري إقليمياً وعالمياً. ولهذا فإنه حين يتحدث عن أزمة الديون التي ترهق الاقتصاد المصري، فإنه لا يفكر في الأوضاع المصرية وحدها، وإنما يتناولها في إطار الدور القيادي الذي تلعبه مصر في العالم الثالث، وفي إطار الأهمية الاستراتيجية التي تمثلها مصر بالنسبة لدول العالم الغنية، أو ما يسمى بالعالم الأول.

ودائماً، كذلك، فإن الرئيس مبارك لا يغفل الأوضاع الداخلية، وإنما هو يميل دائماً إلى اتباع سياسات عملية حتى ولو كانت تحتاج إلى نفس طويل.

وأهم ما يميز هذه السياسات العملية هو الاتجاه بها نحو طرح البدائل الممكنة.

ولهذا فإن أزمة البطالة - في فكر الرئيس مبارك - يمكن أن نجد الحل التدريجي باتباع خطوات عملية.

فحين قرر الرئيس مبارك أن مصر في حاجة إلى توفير ٤٠٠ ألف فرصة عمل سنوياً، فإنه اتجه إلى :

- أولاً: تمكين القطاع الخاص من توفير ٢٥٠ ألف فرصة منها.
- ثانياً: تشجيع الزراعة، بتجهيز الأرض بالمرافق وبيعها للاستزراع بسعر رمزي
- ثالثاً: نشر الصناعات الصغيرة بإضافة ٣٠ منطقة مجمعات صناعية جديدة.

وفي حوارى معه في ١٩ ديسمبر ١٩٨٨:

- قال الرئيس حسنى مبارك: إن مشكلة الديون، وإعادة جدولتها، بالإضافة إلى التركيز على قضية التنمية في مصر، سوف تحكم تحركات الرئيس الخارجية والداخلية على مدى العام الجديد (١٩٨٩).

وأكد الرئيس مبارك أن مشكلة الديون أصبحت تقلق وتزعج دول العالم جميعها الغنية منها والفقيرة، مع اختلاف ظروف كل منها بطبيعة الحال، وقال إن العالم الثالث، أو بوصف أدق الدول الفقيرة قد تعثرت خطوات التنمية فيها بشكل واضح وملحوظ على

مدى السنوات الثلاث الماضية، بسبب تزايد الديون وما فنظله خدمتها من فوائد. وأوضح الرئيس أن ديون الدول الغامية قد ارتفعت في هذه الفترة من ٩٠٠ مليار دولار إلى ما يزيد على ١١٠٠ مليار دولار، أي أن الزيادة في مديونية هذه الدول ترتفع بمعدل يتراوح بين ٨٠ و ١٠٠ مليار دولار سنوياً، وقد يبدو من ذلك أن هناك تمويلاً جديداً، أو قروضاً جديدة تتدفق على الدول الغامية، لكن الحقيقة - فيما قطع به الرئيس - أن ذلك غير صحيح على الإطلاق فربح هذه الديون فقط يمثل بالفعل تمويلاً جديداً، والباقي يمثل في حقيقة الأمر زيادة في المديونية بسبب تراكم فوائد الديون، بالإضافة إلى فوائد تأخير السداد.

أما بالنسبة للدول الغنية - فيما أضاف الرئيس - فقد بدأت تشكو هي الأخرى بسبب توقف الدول الفقيرة عن استيراد الآلات والمعدات التي تمثل نسبة ٤٠ في المائة من إجمالي إنتاج المصانع في الدول الغنية، وهو الأمر الذي يهدد استمرار هذه الصناعات، وتحقيق العوائد الاقتصادية منها، فضلاً عما يمكن أن يؤدي إليه هذا الوضع من كساد وبطالة.

على أن الأهم من ذلك كله، في رؤية الرئيس مبارك، هو أن أغلب المنازعات الإقليمية التي تقع في دول العالم الفقيرة التي كانت تستورد السلاح من الدول الغنية، قد أخذت طريقها إلى الحل، وكان توقفها عن الأرجح بسبب الظروف الاقتصادية الخطيرة لبعض أطراف هذه المنازعات، ومن ثم سوف تنخفض بالضرورة وارداتها من السلاح مما يضاعف من تخوف الدول الغنية المصنعة له من تأثيرات ذلك على مستقبلها الاقتصادي والمالي.. وبالقطع الاستراتيجي أيضاً، وبالتالي تعود الكرة من جديد إلى ملعب الدول الغنية.

وقال الرئيس مبارك إنه بالرغم من هذا الموقف الصعب والمعقد الذي يواجهه العالم كله، غنيه وفقيره، فإن الدول الغنية لا تزال تصر على عدم زيادة مساعداتها أو تمويلها للدول الفقيرة، إلا إذا تكفت إشارة خضراء من المؤسسات المالية الدولية، تؤكد قبول الدول الفقيرة "الروشتة التقليدية" التي يفرضها صندوق النقد الدولي والتي يشارك فيها الآن معه، للأسف، البنك الدولي للإنشاء والتعمير والغريب هو أن المؤسسات المالية الدولية تركز دائماً في هذه "الروشتة" على الجانب المالي فقط الذي يؤثر بطبيعة الحال على البعد الاجتماعي في البلد المدين.. وهو ما لا يمكن أن نتجاهله

الحكومات، حتى لو اعترفت بأنها قد تأخرت بعض الوقت في السير على طريق الإصلاح الاقتصادي والاجتماعي؛ بما كان واجباً عليها اتخاذ من إجراءات، فنجد أن هذه المؤسسات - فيما ذكره الرئيس على سبيل المثال - تركز على خفض العجز في الموازنة عن طريق إقرار الحكومات المدينة لإجراءات صعبة كتجميد الأجور أو رفع الدعم عن السلع والخدمات المختلفة، أو زيادة الأسعار للحصول على موارد أكبر وجميع هذه الإجراءات تلقى بالضرورة بعبء إضافي على كاهل المواطنين.

ضرورة الاستمرار في التمويل مع خفض فوائد الديون

لذلك فإن إيجاد حل لمشكلة الديون أصبح في رأي الرئيس مبارك هدفاً أساسياً لكل من الدول الفقيرة والغنية أيضاً، ليس حياً في الدول النامية، ولكن تحقيقاً لمصلحة الدول الغنية بالدرجة الأولى، لكي تتمكن من زيادة تصدير السلع للدول الفقيرة، وحتى تتمكن الأخيرة من مواصلة تنفيذ خطط التنمية لكي تزيد من صادراتها، وبالتالي تضاعف من دخلها من النقد الأجنبي، الذي تستعيد به قدرتها على سداد الديون. وتحقيق هذا الهدف الذي تفيد منه الدول الغنية يفرض على المؤسسات المالية الدولية - فيما يطالب به الرئيس مبارك - الاستمرار في تمويل الدول الفقيرة دون تمسك بالشروط القاسية التي لا تطبقها، بسبب تأثيرها الحتمي على الاستقرار الاجتماعي بها. على أن يقتصر استمرار التمويل بضرورة خفض فوائد الديون وإعفاء الدول النامية من جزء منها على الأقل. وهنا ما نادى به الكويت باعتبارها أكبر دول العالم الدائنة، ووافقت عليه بعض الدول الغنية وفي مقدمتها فرنسا واليابان.

يطالبون مبارك برئاسة منظمة الوحدة الإفريقية.

وفي ضوء هذه الرؤية المتكاملة لحل مشكلة الديون الذي أصبح مطلباً حتمياً لدول العالم بغير استثناء، يتوجه الرئيس مبارك إلى زيارة إفريقيا في يوليو القادم، لحضور مؤتمر القمة الإفريقي الخامس والعشرين باعتبار أن مشكلة الديون سوف تكون الموضوع الأساسي في جدول أعمال المؤتمر، بعدما أخذت المشكلات السياسية الحادة التي تواجه الدول الإفريقية طريقها إلى الحل. وهناك قيادات إفريقية كثيرة تطالب الآن الرئيس مبارك بأن يرأس منظمة الوحدة الإفريقية إيماناً بأهمية وتأثير دور مصر في الفترة القادمة، وبالأخص فيما يتعلق بحل مشكلة الديون.

ودفعاً لقضية التنمية اللصيقة التي تمثل المحور الثاني لحركة الرئيس مبارك خارجياً وداخلياً خلال العام الجديد، يزور الرئيس أيضاً في الأشهر القليلة القادمة بعض دول الشرق الأقصى بدءاً باليابان والصين والهند، وبعض الدول الأخرى، يقوده في هذه الزيارات ثلاثة أهداف رئيسية نهم مصر: الإسهام بأكبر جهد في انطلاقة حركة عدم الانحياز التي تعود الآن إلى سابق عهدها، والتي ينتظر أن تنمو وتنتقل أكثر في العام الجديد، وثانياً: نقل التكنولوجيا من الدول التي يزورها إلى مصر، وخاصة في مجالات الزراعة والإنتاج الغذائي، وثالثاً في هذا الإطار تجربة الهند الخاصة في زيادة إنتاجية الأرز، فضلاً عن دراسة الخبراء الذين يرافقون الرئيس في زيارته القادمة لدول الشرق الأقصى لأوجه التقدم في مجالات الصناعات الصغيرة التي بهم الرئيس نشرها في مصر على أوسع نطاق، ثم يتجه الهدف الثالث للزيارة إلى استثمار علاقة مصر الجيدة مع اليابان في مناقشة خططها لمساعدة دول العالم الثالث، ومدى إفادة مصر استثمار العلاقات الممتازة لمصر مع الشرق والغرب.

ويتحقق هذا التحرك المرتقب للرئيس مبارك، بما يخدمه من أهداف، في ضوء العلاقات الممتازة التي أصبحت تربط مصر في السنوات الأخيرة، ولأول مرة في تاريخها، مع كافة دول الشرق والغرب على السواء، بغير تعارض مع العلاقة الخاصة بين مصر والولايات المتحدة الأمريكية، والتي من المنتظر في إطارها أن يكون الرئيس مبارك من أوائل رؤساء العالم الثالث الذين يجتمع بهم الرئيس الأمريكي المنتخب 'جورج بوش' عقب تقلده مهام منصبه، لبحث أبعاد التحرك مع الإدارة الأمريكية الجديدة، وسوف يقترن ذلك - فيما أعلم - باجتماع الرئيس مبارك مع رئاسة صندوق النقد الدولي لبحث مشكلة الديون وإعادة جدولتها وخفض سعر الفائدة عليها.

وفي توقيت لاحق، يخدم أيضاً قضيتي الديون والتنمية، يزور الرئيس فرنسا في ١٤ يوليو القادم في مناسبة احتفالها بعبدها القومي، وهو ذات التوقيت الذي يعقد فيه مؤتمر بباريس لرؤساء الدول الصناعية الكبرى السبع - أمريكا واليابان وفرنسا وإنجلترا وألمانيا وكندا وإيطاليا - وسوف تكون بالقطع فرصة طيبة لكي يناقش الرئيس معهم مشكلة الديون في الدول النامية، واحتياجاتها لنقل التكنولوجيا من هذه الدول الصناعية الكبرى لزيادة عائدات التنمية من النقد الأجنبي الذي يعينها على سداد الديون.

وهذا البرنامج المتوقع لزيارات الرئيس الخارجية خلال العام الجديد، لا يمنع بطبيعة الحال أن يقوم الرئيس مبارك بزيارات لبعض الدول الأوروبية الأخرى وبعض الدول العربية، وفي ذهنه أهمية تنشيط دور الصناديق العربية في مجالات التنمية في مصر وزيادة الاستثمار فيها.

طريقان لخفض تكديس العمالة في القطاع الحكومي

على أن الأولوية الأولى في كافة تحركات الرئيس خلال العام الجديد سواء الخارجية أو الداخلية والتي سوف يواصل بها زيارته المستمرة لمواقع الإنتاج، ستظل تتركز في القضيتين المتلازمتين : حل مشكلة الديون، والإسراع بمعدلات التنمية..

فالمؤكد في حسابات الرئيس القائمة على الدراسة الدقيقة لاحتياجاتنا أنه لا بد خلال السنوات القليلة المقبلة من خلق ٤٠٠ ألف فرصة عمل سنوياً وهو يعلم أن الحكومة والقطاع العام مجتمعين لن يتمكنوا من توفير أكثر من ١٥٠ ألف فرصة عمل كحد أقصى، ولا بد للقطاع الخاص أن يوفر ٢٥٠ ألف فرصة عمل الباقية، والرئيس يرى أن تحقيق ذلك لا يتم إلا عن طريق تشجيع الزراعة والصناعات الصغيرة، ويرى أن تشجيع الزراعة يكون بتوفير المرافق الرئيسية بتمهيد الطرق وفتح طرق الري وإقامة محطات الكهرباء، ثم بيع الأرض المستصلحة بمرافقها بأسعار رمزية لاستزراعها. وفي مجال نشر الصناعات الصغيرة يرى الرئيس أن هذا يتطلب أساساً زيادة عدد مناطق المجتمعات الصناعية المماثلة القائمة حالياً في مدن العاشر من رمضان والعامرية والسادات، بحيث تصل على الأقل إلى ٣٠ منطقة للمجتمعات الصناعية، وبهذا فقط يمكن تصويب الوضع الفريد للعمالة في الحكومة والقطاع العام، والتي تقول الإحصاءات الأخيرة إن هذين القطاعين يضمنان ٥ ملايين من العاملين يمثلون عُشر المجتمع المصري، من بينهم ٣ ملايين و٢٠٠ ألف يعملون في الحكومة بما يمثل ٧ في المائة من تعداد السكان في مصر، وهي أكبر نسبة للعمالة الحكومية في دول العالم، في حين أن الدول الشيوعية ذاتها غالبية أبنائها في القطاع العام.

على أن هذا الاتجاه - الذي يطالب به الرئيس - إلى الزراعة والصناعات الصغيرة لا يمنع، فيما يراه، أن توفر الدولة التمويل اللازم لساندة جهود الأيدي المصرية

التي تتجه إلى العطاء في الميدانين، وضرورة أن يقترن التمويل بالمرونة الكافية في منحها لتيسير التشغيل والتمكين من الاقتحام والمواجهة مع فرص الإنتاج الجديدة.

وفي زيارات الرئيس المتتابعة لواقع الإنتاج في مصر برزت إيجابيات عديدة لقيت منه التقدير وتكشفت سلبيات تابعها بالتقويم، فضلاً عما أناخته هذه الزيارات - وهذا جانب هام لها - من فرص لتعرف المواطنين على إنجازات ومشروعات عديدة في كافة مجالات الإنتاج والخدمات، فلم تكن الغالبية منهم تعرف على سبيل المثال أن هناك مشروعات ضخمة نفذت تحت الأرض للتليفونات ومياه الشرب والصرف الصحي الذي شق له نفق هائل بامتداد ١٨ كيلو متراً تحت الأرض. ونذكر هنا أنه في ٢٠ يونيو القادم تنتهي مشروعات للكهرباء طاقتها ١٥٠٠ ميجاوات، وهو ما يعنى إضافة طاقة خلال عام واحد تماثل طاقة الكهرباء التي ينتجها السد العالي والتي تبلغ ١٦٠٠ ميجاوات.

التوجه العربي عقيدة ومبدأ:

التوجه العربي لدى الرئيس مبارك يرقى إلى درجة العقيدة والمبدأ، دون إغفال الدواعى السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تدفع إلى مزيد من التقارب والتماسك الوفي لصالح كافة الشعوب العربية.

وقد شهد عام ١٩٩٠ جهداً مكثفاً في هذا الصدد، وهو العام الذي شهد شهر أغسطس منه أكبر حالة انقسام عربي حادة وشاملة بدأت بأزمة الخليج؛ وما نتج عنها من زلزال هز العالم العربي بشدة عنيفة.

ويذكر للرئيس مبارك - أولاً - أنه أعاد مصر إلى نورها العربي، وأعادها إلى موضع القيادة.

ويذكر له - ثانياً - أنه استطاع أن يتجاوز حالة الانقسام العربي التي ورثها عن حكم الرئيس السادات، والتي نتجت من الخلاف حول السلام مع إسرائيل.

ويذكر له - ثالثاً - أنه صاحب فكر عربي استراتيجى يمكن تلخيصه فيما يلى:

- أولاً: تحقيق قدر أكبر من التماسك في الجبهة العربية، وذلك بتخفيف حدة الخلافات بين الأقطار العربية.

- ثانياً: وضع خطة عربية أو برنامج عمل عربي متكامل للتحرك على صعيد الأمن القومي بمعناه الشامل.

- ثالثاً: التخلص من الأخطار التي تهدد أمن واستقرار الأقطار العربية في الداخل والخارج، بما في ذلك محاولات التقسيم القانوني أو الواقعي التي يتعرض لها بعض الأقطار.

وقد جرى الحوار في ٦ نوفمبر ١٩٩٠ على النحو التالي:

لابد لنا كعرب أن نكون على مستوى التحدي لمواجهة التطورات الدولية:

السؤال الأول: ما هي أولويات العمل العربي في التسعينات، وكيف ترونها بترتيب أهميتها وأي طرق الاقتراب منها تجديدها كفيلة بتحقيق ما نتطلعون إليه في عالم متغير؟ أو بمعنى أدق: ما هي القضايا التي ترونها جديرة باهتمام الأمة العربية في ظروف مستحدثة تماماً ليس علينا فقط وإنما مع انساع العالم كله؟ وأي الوسائل وأساليب العمل سوف تكون الأقدر على توجيه فعل الأمة العربية في حقبة التسعينات؟ وكيف يجب أن يتجه الخطاب العربي إلى أطراف العالم المؤثرة في تشكيله الجديد؟

الرئيس: لا شك أن الأوضاع الدولية تتغير بإيقاع غير مسبوقة في هذه الفترة الدقيقة من تاريخ العالم، ولست بحاجة إلى أن أتطرق إلى الحديث عن هذه التطورات ومدلولاتها وانعكاساتها العميقة، ويكفي أن أشير إلى أن باحثاً أمريكياً متخصصاً وصف تلك التطورات في عبارة موجزة حين قال إنها تعني "نهاية التاريخ". ومن المؤكد أن هذا التغير الرهيب يفرض علينا في مصر، والوطن العربي على امتداده، أن نواجهه بأسلوب متطور، يمكن أن يكون على مستوى التحدي. ولكي نحدد الأسلوب الذي نختاره للتعامل مع هذا الموقف الجديد، علينا أن نشير إلى أهم ملامح التغير الذي يشهده العالم في العقد الأخير من القرن العشرين ومطلع القرن الجديد، وهي:

أولاً: اختفاء حدة الصراع الأيديولوجي والاستقطاب الدولي اللذين سيطرا على المسرح الدولي منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، ونسبياً في فرض سياسات وأولويات معينة على كافة دول العالم في الشرق والغرب، والشمال والجنوب.

وتمثلت هذه السياسات أساساً في سياق التسلح وتخصيص ميزانيات ضخمة لحيازة الأسلحة المتطورة ومنها السلاح النووي، والإعداد لحدوث مواجهة نووية سوف يترتب عليها إنهاء كافة صور الحياة على الأرض، وهو ما جعل معظم سكان العالم في رعب من المستقبل ويفتقدون الشعور بالأمن والطمأنينة رغم التكتلات العسكرية المزودة بأحدث الأسلحة.

ثانياً: الانحياز نحو إقامة الكيانات الاقتصادية الكبيرة التي تزيد من قدرة الدولة على مواجهة المشاكل والمطالب المتصاعدة.

ثالثاً: صعود التحدي الاقتصادي (إلى قمة الأولويات الداخلية في جميع الدول، لا فرق في هذا بين الدول الصناعية المتقدمة والدول النامية التي تعاني من مشاكل صاعدة. وقد اقترن هنا التحدي بعنصرين أصبحت لهما صفة العالمية، أولهما هو ضرورة استيعاب التكنولوجيا الحديثة في الإنتاج الزراعي والصناعي والخدمات، والثاني هو عامل البيئة وضرورة حمايتها من الأخطار المحدقة بها والتي أصبحت تهدد الحياة على الكرة الأرضية. خطة عربية متكاملة لتطوير الإنتاج ومواكبة الطفرة التكنولوجية:

وإذا عدنا للسؤال الذي طرحته، فإنني أضع أولويات العمل العربي في العقد القادم على النحو التالي:

أولاً: تحقيق قدر أكبر من التماسك في الجبهة العربية، وذلك بتخفيف حدة الخلافات القائمة بين الأقطار العربية، بحيث يكون الوطن العربي قادراً على التصدي بقوة وفعالية للتحديات المستجدة، وطالما أن العالم سوف يشهد قريباً ظهور تجمعات قوية في أمريكا الشمالية وأوروبا الموحدة - بدرجة أو بأخرى - والشرق الأقصى، فإن قدرة الدول العربية وغيرها من بلدان العالم الثالث على التعامل مع هذه التكتلات سوف تتوقف إلى حد كبير على حجمها والثقل الاقتصادي والسياسي الذي تمثله. وباختصار فإنه لن يكون هناك مكان يذكر للكيانات الصغيرة، وبعيننا بالدرجة الأولى في هذه المنطقة أن نزيد من قدرتنا على التعامل مع الكيان الأوروبي الذي يتحرك بسرعة في اتجاه الوحدة، حتى إذا كانت هناك قيود أو حدود معينة لهذه الوحدة، وإنني أتساءل كيف تستطيع دولة من دول جنوب حوض البحر المتوسط أو البحر الأحمر أو

الخليج أن نتعامل وحدها مع هذا العملاق الجديد الذي لن يقتصر على دول السوق الأوروبية، بل إنه سوف يمتد إلى دول شرق أوروبا عاجلاً أو آجلاً.

ثانياً: وضع خطة عربية أو برنامج عمل عربي متكامل للتحرك على صعيد الأمن القومي بمعناه الشامل، وتطوير وسائل الإنتاج وتنمية الموارد الطبيعية والبشرية وتطوير نظم التعامل بما يمكن الوطن العربي من مواكبة الطفرة التكنولوجية والتقدم العلمي الهائل الذي نشهده في الحاضر والمستقبل القريب.

ويجب أن نحرص على ألا تكون هذه الخطة العربية خطة نظرية تعتمد على العبارات الإنشائية والبلاغة اللفظية، وأن تبعد عن إطلاق الشعارات المستهلكة التي جربتها الشعوب وفقدت كل مصداقية لديها، وإنما يجب أن تعتمد الخطة منهجاً عملياً، وأن تبتكر في إعدادها الحكومات والمتخصصون والمثقفون، بحيث تأتي معبرة عما يشبه الإجماع القومي العام، وتكون خلاصة رؤية شاركت في صياغتها جميع الفئات القادرة.

ثالثاً: التخلص من الأخطار التي تهدد أمن الأقطار العربية واستقرارها في الداخل والخارج، بما في ذلك محاولات التقسيم القانوني أو الواقعي التي تتعرض لها بعض الأقطار العربية الشقيقة مثل لبنان.

مصر تقوم بدور نشيط في مواجهة المشاكل العربية والإفريقية

السؤال الثاني: ما هو الدور الذي يستطيع وطنكم بالذات أن يؤديه في تحقيق هذه الأولويات؟ وما هي الاشتراطات الواجبة له حتى يستطيع تحقيق هذا الدور؟ وبالتالي ما الذي يجب أن يتوافر وما الذي ينحتم على أمتة العربية أن توفره له؟

الرئيس: مصر جزء من الأسرة العربية الكبيرة، كما أنها دولة تضطلع بدور هام داخل منظمة الوحدة الإفريقية وحركة عدم الانحياز، وهي قادرة بحكم تاريخها ورصيد شعبيها النضالي على القيام بهذا الدور الطليعي، ليس عن طريق فرض سياستها أو خياراتها على أحد، بل بالأساليب الآتية:

أولاً: بتقديم النموذج الصالح لاقتحام المشاكل ومواجهة التحديات، في ظل مناخ من الاستقرار الاجتماعي والاقتصادي.

ثانياً: القيام بدور نشيط في مواجهة المشاكل التي تظهر على الساحتين العربية والإفريقية، وبالتعاون والتنسيق مع الأقطار المشقيقة المعنية بهذه المشاكل والمنازعات، ونحن ننطلق في هذا الدور من حقيقة أنه ليس هناك نزاع بيننا وبين أي قطر عربي أو إفريقي، وليس لدينا حسابات نريد تسويتها أو ارتباطات تتعارض مع مصالح الأقطار التي هي طرف في المنازعات. كما أن مصر لا تؤمن بسياسة المحاور على الصعيد العربي أو الإفريقي ولا ترى مصلحة في التفريق بين دول معينة المفروض أن مصالحها واحدة.

ثالثاً: القيام بدور حلقة الوصل بين المناطق العربية المختلفة، فمن جهة، تعتبر مصر هي الجسر الذي يربط بين عرب المشرق وعرب المغرب. إن جاز هذا التعبير - ومن جهة أخرى تقوم مصر بدور خاص للربط بين المجالس العربية الثلاثة التي قامت في العامين الأخيرين، باعتبار أنها مجالس لم تنشأ كتكتلات إقليمية منفصلة، بل هي قنوات للتنسيق داخل مجموعات متفارية بهدف إعطاء دفعة للعمل القومي الشامل في إطار جامعة الدول العربية التي هي في حاجة إلى تعزيز في المرحلة القادمة.

أما فيما يتعلق بالإمكانات التي يجب توفيرها لمصر حتى تتمكن من الوفاء بهذا الدور فهي العمل الجاد الحثيث، واجتهاد الصادق، ونحمد الله أن الإخوة العرب جميعاً يحبطون مصر بتقنهم وتأييدهم، ونحن لا نشعر بأننا وحدنا في مواجهة أي تحد. لابد أن تكون للوفاء امتداناته على العالم الثالث:

السؤال الثالث: تشهد الساحة العالمية، وبالتحديد في الاتحاد السوفيتي وأوروبا الشرقية، تحولات كبرى يمتد أثرها إلى أوروبا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية، وهذه التحولات سوف تؤثر بالتأكيد على التركيب الدولي كما عرفناه في نصف القرن الأخير. فكيف تتصورون شكل التركيب الدولي الجديد وعلاقات القوى بين أطرافه، وقوانين أو قواعد الحركة في هذه الظروف الهائلة؟

الرئيس: من المؤكد أن العلاقات بين هذه القوى سوف تحكمها قواعد وقوانين جديدة تختلف جذرياً عن القوانين التي حكمت مرحلة الحرب الباردة، وأهم الاختلافات التي حدثت في هذا الشأن هو أن الصراع بين الشرق والغرب لم يعد ينظر إليه باعتباره صراعاً حتمياً يقوم على أساس مفهوم الصراع الطبقي أو توازن قوة

الرعب النووي كما كان الحال في العقود الثلاثة السابقة، وإنما يتحول هذا الصراع تدريجياً إلى منافسة سلمية تكون رعاها هي التقدم الاقتصادي والتكنولوجي والقدرة على الإبداع المستمر.

ويهمنا في هذا المجال بصفة خاصة أن نضع تصوراً معيناً لانعكاس هذا التطور على القضايا والمشاكل الإقليمية، فليس من المعقول أو المقبول أن يقتصر الوفاق والانفراج على القوى الكبرى ولا تكون له امتداداته على دول العالم الثالث التي شرقتها الخلافات والصراعات، مع أنها أحوج ما تكون إلى كل قرش في حوزتها في عملية التنمية والتطوير الاقتصادي والاجتماعي.

ولكى نتحقق هذه النتيجة المرجوة، فلا يجوز أن يقتصر دور هذه البلدان على المطالبة بأن تشملها الموجة الجديدة التي تجتاح العالم في هذه المرحلة، بل يجب أن تركز على التعبير عما هي مستعدة لتقدمه لإنجاح هذه الحركة والإسهام في تطويرها لأن العالم الذي نعيش فيه اليوم وغداً ليس عالم عواطف ومشاعر، بل هو عالم مصالح يتحدد فيه دور كل دولة بقدرتها على الفعل والمساهمة.

الجفوة مع السودان:

ما هي رؤية الرئيس حسنى مبارك للحدث السوداني الكبير (ثورة الإنقاذ)؟ وماذا عن حقائق حالة 'الجفوة' التي انتابت علاقات شطري الوادي خلال الفترة القريبة التي سبقت إمساك القوات المسلحة السودانية بزمام الأمور؟

قال الرئيس مبارك : لابد أن يكون واضحاً تماماً أن علاقتنا بالسودان ظلت طول عمرنا طيبة للغاية.. ولو أن زعيماً من أحد البلدين حاول في وقت من الأوقات أن يخلق مشكلة بين الشقيقين.. فإنهما يستحيل أن يفصلا يوماً عن بعضهما.. ومن جانبى ظلت بطبعى أتعامل مع السودان على أفضل وجه.. وذلك من منطلق فهمى الكامل للسودان ومختلف ما يتعلق به.. وقد ظلت لى دائماً علاقات طيبة مع السودان.. حتى منذ كنت فى القوات الجوية.. ثم وأنا نائب للرئيس.. واستمرت وأنا فى فترة الرئاسة الأولى.. ومن بعدها الثانية.. وهنا يندعى أن أشير إلى حقيقة أخرى راسخة.. وهى أننا فى مصر لم نعتقد أبداً ولم نعرف عمرنا التدخل فى الشؤون الداخلية

لأية دولة... ولا نعمل على إزاحة زعيم... أو إعادة أو تعيين زعيم... هذا خيار الشعب السوداني... ونحن نتفهمه تماماً... وتعامل مع الشرعية... صحيح أن علاقتنا مع نميري كانت طيبة جداً... ولكن ليس لشخص نميري... ولكن لأنه كان رئيس السودان... وكان من الأشخاص الذين يساعدون على حسن العلاقات... وكنا نقشور معه باستمرار للمصلحة العامة المشتركة بين مصر والسودان... وحينما وقعت انتفاضة سوار الذهب... وجاء نميري إلى هنا... سألناهم في الحال: هل نبعث إليكم بنميري أو نقنعه بذلك... وأجابوا بالرفض... واعترفنا على الفور بشرعية الوضع... لأنه خيار السودان وليس قرارنا... ونحن لا نتدخل في شئون السودان ولا في شئون غيره... وبعدها جاء خيار دم النالي لحكم الصادق المهدي... وقلنا خيراً... ولم أكن أعرفه... ولا تقابلت معه من قبل... ولكن كنت أسمع عنه فقط... وأنا اعتدت ألا أحكم على إنسان من سماعي عنه... ولكن من خلال ما ألتسه بالفعل من أعماله... فمن طبائع البشر أن يأتيك من يسمعك الكثير عن فلان الفلاني... وتسرع باتخاذ موقف منه... لكني أوتر دائماً انتظار الأفعال... فإما أن تؤكد ما سمعت... وأما أن يكون هراء لا أعول عليه... والحقيقة أن تصرفات الصادق المهدي بدت لنا غريبة... ففي أول مرة قابلته فيها في أديس أبابا في يونيو من عام ١٩٨٦... أمضى ساعة وربع الساعة في حديث عن علاقاته الخارجية ومدى رغبته في أن تكون طيبة جداً... وقلبت له إنني أحاول أن تكون لصر علاقات طيبة مع جميع دول العالم... ثم وجدته يؤكد لي أنه سوف ينهي مشكلة الجنوب... والمشكلة الاقتصادية... على آخر ديسمبر... أي بعد ستة أشهر من لقائنا... أقول لك الحق... أنا دهشت... كيف يمكن أن يحقق ذلك في ستة أشهر... لكنني تمنيت من كل قلبي أن يصبح ما يقوله حقيقة... فكلما كان السودان بخير... ارتجتنا وسعدنا كثيراً....

قلت للرئيس: سيادتكم تكلمتم مع الرئيس الأثيوبي مانجستو... وأظن أنه قال لكم - إن كان ما أعلمه صحبها - إن الصورة مختلفة بالكامل عن التي رواها الصادق المهدي...

الرئيس مبارك: حينما قلت لمانجستو - وكنا نتحدث معاً في أديس أبابا وتطرق الحديث إلى موضوع السودان - إنني علمت من رئيس وزراء السودان أن سوء التفاهم الذي قام بين أثيوبيا والسودان قد زال تماماً وأن مشكلة الجنوب سوف تحل نهائياً على شهر ديسمبر على أكثر تقدير... به يقوله: أنا أسف... الصورة مختلفة تماماً

عما قيل لك... قلت له : غريبة... واستطرد مانجستو يؤكد لي حقيقة الموقف... قال:
 الرواية ليست بهذه السهولة... إلا إذا كان الصادق المهدي سهلها لنفسه وهذا موضوع
 آخر... ولم أشأ أن أعقب وظللت أستمع لكلام مانجستو... ولم تكن وساطتي لديه إلا من
 أجل خاطر السودان أساساً... كانوا يطلبون مني ترتيب مقابلة بينه وبين الصادق
 المهدي وكنت أتحدث مع مانجستو حول طلبهم ويستجيب الرجل بصدر رحب... ويؤكد
 أنه مستعد للمقابلة... ولكن يحدث قبل موعد عقد المقابلة ببضعة أيام... أن يصدر
 الطرف الثاني تصريحاً يعقد الموقف ويعيده إلى ما كان... ثم يعودون بعدها ويرجون أن
 أتحدث مرة أخرى مع مانجستو... ولم أكن أناخر عن إجابة رجائهم رغم ما كان
 يحدث... وبعدها استطاع الصادق المهدي بأسلوبه في التعامل أن يعادى كل الأمة
 العربية تقريباً... زار بلاد العالم وزار إيران وكان المنظر سيئاً للغاية... وأخر دولة زارها
 مصر... وكان قد قام بتحسين علاقته مع ليبيا... ورغم أننا لم تكن لنا علاقات مع ليبيا
 وقتها... قلت له من المصلحة العامة أن تكون لك علاقات وحسن جوار مع ليبيا... وليته
 يأتي وقت تعمل فيه على أن تكون علاقاتنا أيضاً طيبة... نحن لا نريد أكثر من هذا...
 أي أنتى لم أقل له مثلاً لا لتحسين علاقتنا مع ليبيا... المهم أن يضع الإنسان في اعتباره
 مصلحة بلده قبل كل شيء... لكننا اختلفنا حول موضوع نيرى... قال لي إن الشعب
 السوداني يطلبه... لأنه ارتكب أشياء كثيرة... ويفهم من بقية كلماته أن نيرى سوف
 يحكم عليه بالإعدام... أو شيء من هذا القبيل... فقلت له : اسمع... أنا أولاً لا أستطيع
 أن أسلمه لأن الدستور يحرم ذلك... ثم ثانياً... أنا عرضت أن أبعث إليكم يوم الانقلاب
 ورفض المسؤولون وقتها... وكان أمراً بالغ الخرابة بالنسبة لي... بل أصابني ذهول حين
 سمعت أن الصادق المهدي رفع قضية ضدى في مجلس الدولة... قلت له: حسناً أنت
 اخترت القضاء... فلننتظر كلمته... ولا تكلمنى في هذا الموضوع... والمهم أنه لم يجاملنى
 القضاء... قضى بالحق وحده... لا بالجملة... ولا باتصال أحد بالقضاء... ونحن لا نفعل
 هذا أبداً... لأننا نريد لقضائنا أن تكون له دائماً استقلاليته وأن يكون له كيانه... لكيلا
 تقال كلمة عن قضائنا في أية قضية فى الخارج أو فى الداخل. وانتهت المقابلة مع
 الصادق المهدي على هذا النحو... ومضت فترة طويلة قبل أن يزور مصر... ومصر دائماً
 سند السودان... فى أى مجال... ليس معنى هذا أننا نعطي له كل شيء... لكننا نحاول
 المساعدة بالإمكانات المحدودة لظروفنا الاقتصادية... وبالاتصال بإخواننا فى العالم

الغريبى أو العريبى... وأحياناً نوظف اتصالاتنا لمصلحة السودان وشعب السودان... أى أننا نساعدهم بقدر ما نستطيع... وحين جاء المهدي وزير مصر... أكرمه أكثر من أية شخصية أخرى إلى حد أن دعوته على الإفطار في بيته... وربما لم أفعل ذلك إلا مع قلائل... وعاد الصديق المهدي إلى السودان... ولكن لا فائدة... ذات الهجوم على مصر مستمر... كلام عن اتفاقية الدفاع المشترك... التقيت به مرة وقلت له : يا أخى الغها... وأنا سوف ألغيها بعدك بدقة... لكنى لا أريد أن أكون الجادى... لأنكم فى السودان سوف تهاجمون مصر... وتقولون مصر ألغت الاتفاقية... ومصر تخلت عن مسؤوليتها الخ. أنت أولاً وأنا ألغى من بعدك... ولن أعضب قليس فى ذلك شيء إطلاقاً... ولكن لا فائدة... وهذا الموضوع ظل مستمراً من عام ١٩٨٦... وأخيراً فقط قام بإلغاء الاتفاقية... وأرسل لنا خطايا بذلك منذ شهر لا أكثر قبل أن يترك مكانه...

سألت الرئيس مبارك: أهم ما تضمنه خطابه من قضايا؟

الرئيس مبارك: بعث يقول إن الاتفاقية من عهد يازد... ودشيت... ما علاقتى بذلك... هل تسب لي السودانين فى خطابك... الخطاب مرفوض... لا ترسله لى... ابعت إلى رئيس الوزراء وقل له إنكم ترون الاتفاقية لا تحقق المصلحة... أو قل فى حديث الأشقاء إلى بعضهم : إن الظروف فى الجنوب تقتضى إلغاء الاتفاقية لأنهم يطلبون ذلك... ونرجوكم يا أشقاءنا فى مصر أن تقروا هنا... لتسهلوا لنا إنهاء مشكلة الجنوب... وبالقطع لن تعترض مصر... لأننا نهمنا مصلحة السودان... وقال المهدي إن هذه الاتفاقية عقدت بصورة فوقية وأنها لم تحقق شيئاً للسودان... وقلت إنه الأسلوب الذى عقد به اتفقاياته قبل ذلك... أى نقول له لا تتكلم كلاماً إعلامياً... أو كلام مصالحي... أنت لم تفعل شيئاً جديداً... ولا شيئاً على الإطلاق معنا... بينما كنا حريصين على أن نساعدهم... وقال نلغى التكامل... وألغينا التكامل... وقلت أنا لا يهمنى... فعندما أقمنا التكامل والدفاع المشترك... كانوا هم الذين طلبوا ذلك من السادات من أجل السودان وليس من أجل مصر... ومعاهدة الدفاع المشترك هذه تلقى على عاتق مصر بالتزامات عديدة... وبالقطع لن نتأخر حتى لو لم تكن هناك اتفاقات... وعندما طلبوا فرقاً ودورات للعسكريين... لم نتأخر... اعتبرنا مصيرنا واحداً... وشرياننا واحداً... الذى نقدر عليه لا نتأخر عنه... والذى لا نقدر عليه... نحاول أن نساعدهم فيه شرقاً وغرباً...

عريباً وإسلامياً... ودولياً... لا تتأخر عنهم أبداً... بينما كان المهدي كلما يحدث شيء في السودان يزوج باسم مصر في جملة مفيدة... وكان مصر هي سبب التدهور في السودان... وحتى عندما بعث له الضباط قبل ذلك بمذكرة علقها على مصر، وليست أفهم ما علاقتنا بذلك... وكأنه يقول للشعب السوداني اكره مصر... وهو لا يعي أنه يجعل الشعب نتملكه حالة قرف من الحكام... لأن الشقيقتين مدركان تماماً لأيدية العلاقة بينهما... ولا أريد أن أخوض في أمور عديدة غير طيبة نتابعت بعد ذلك... مثل موضوع قوارب الصيد وحبس الصيادين البسطاء بدون داع... قلت إننا لا نمسك بأحد... قالوا واحد دخل الحدود بدون إذن... قلنا حسن... ألا يدخل السودانيون ويخرجون هم وجمالهم من أيام درب الأربعين وحتى الآن دون أن نمسك بسوداني واحد ونسأله كيف دخلت؟ إن هذا لم يحدث أبداً... فضلاً عن أن طائراتهم تحيء وتعود مليئة ولا تقول شيئاً... وليس بيننا وبينهم تأشيرات دخول ولا شيء من هذا إطلاقاً... يحدث في وقت من الأوقات أن أصدرنا تحقيق شخصية مصرياً سودانياً أيام شميرى وأقول لك الصراحة... إنه من التدهور الرهيب الذي كان يجري في السودان... كانت لدى حاسة سادسة بأنه لابد أن يحدث شيء في السودان... لأن البلد كان مستمراً في الانهيار من سيئ إلى أسوأ... الحقيقة أننا لويس لي دخل بالشئون الداخلية للسودان... لكن المهدي كان على أية حال جاري... ولذا قبلت التشاور معه... لكن كل مشكلة عنده كانت مصر.. وحين تقوسط بينه وبين شميرى... يقول للدعش هي مصر حتلعب لعبة الوساطة. أنا سوف أخرجها وأطلب منها طلبات.. وفاته أنه حينما يطلب منى طلبات فوق طاقتي سوف أعتذر.. وحينما أعتذر يقول الناس إنني لا أريد أن أعطي... أي أنه يضحك على الشعب... لكن الشعوب ليست غبية... ومن هنا قلت له: أنا صريح وواضح... الذي أستطيعه لك سوف أفعله والذي لا أستطيعه سوف أقول لك. أسف لا أقدر بغير غضب... لكي تبحث عن طريق ثان... وإن كنت أملك مساعدة لك فيه فسوف أبادر بها لأنك شقيق... لكن الحقيقة أنه لم يكن يريد أن يحل ولا يريد أن يساعد أحد على الحل... فقط عندما يراجه الاختناق... يظهر للناس أنه يستخدم مصر للوساطة مع مانجستو... لكنه يختلف عن مقابله مرتين وثلاث مرات... واشتكى لي مانجستو من الشكوى وكان محقاً في شكواه. وكنت أقول لإخواننا السودانيين الذين يأتونني ب تكرار طلب الوساطة... هل يعقل أن يحدث اتفاق في نوفمبر من العام الماضي ساعدنا عليه بكل طاقتنا بين

الحزب الاتحادي وجاراته، وكنا سوف نقوم بخسر الدور لو أن حزب الأمة هو الذي ذهب إلى أديس أبابا وطلب المساعدة... لأننا لا نتعامل مع حزب واحد... ونترك بقية الشعب... هل يعقل أن يعقد هذا الاتفاق في نوغمبر... ولا يوافق عليه مجلس الوزراء واللجان الدستورية... إلا في أواخر مارس... خمسة شهور ضمني والقتال مستمر... لصلحة من هذا؟... وكم مائوا؟... وكم استهلك القتال من نفقات؟ لو أن الخبة كانت صادقة وحقيقية في الاستفادة من الاتفاق لتم التوقيع عليه في اليوم التالي له... غللت لقيادتهم : هل لأن الاتحادي عقد الاتفاق... حزب الأمة يؤخر الموافقة عليه... ولو كان الأمة هو الذي عقده يقف أمامه الاتحادي بذات الأسلوب... يا جماعة هناك بند اسمه السودان... لكن بدا لي أن السودان في انهيار مستمر... انشغلوا كلية بالحديث عن الديمقراطية... والديمقراطية إن لم تكن لصالح الشعب... يكفريها الشعب... وقد كفريها فعلاً... وقامت الثورة... نحن لا دخل لنا بها... وقد سمعت نبأ الانقلاب صباح يوم الجمعة مثل أي مواطن. أبعثوا قيادات... وجاءوا بقيادات... قننت خيراً... دم جديد يوقف من الانهيار الذي حدث... لكننا لا نتدخل... ولا نسهم في أي انقلاب... كنا نساعد أية حكومة تتولى السلطة ونعتبرها إرادة الشعب... ولو سئلنا في نصيحة نقول رأينا... يأخذ به قادة الثورة أو لا يأخذون... هذه مسألة ترجع إليهم... لأن السودان دولة مستقلة ذات سيادة لا نتدخل في شئونها.

قلت: وتصور سيادتكم لمستقبل العلاقات مع مجلس قيادة الثورة في السودان

وقد شهد بدورك وتحرككم السريع للوقوف بجانب السودان؟

الرئيس مبارك: حتى الآن... العلاقات طيبة... وارجوا أن تتحسن. نحن نساعد السودان بقدر ما نستطيع... رغم ظروفنا الصعبة... ونحاول أن نساعدكم في المحافل الدولية... ونساعدكم مع إخواننا العرب... وكان أغلب العرب - إن لم يكن جميعهم بالأخص في دول الخليج - قد وصلوا إلى حالة توتر بينهم وبين السودان... وبسبب تصرفات السيد الصادق المهدي مع إيران التي يكرر زيارته لها... فضلاً عن إحضار أعداد من الإيرانيين عنده... بينما إيران تضرب في العراق والكويت. ورغم هذا ساعدنا بقدر ما نستطيع...

التأهب للقرن الحادي والعشرين.

مع اقتراب القرن الحادي والعشرين بكل ما يجمله من تحديات والتزامات، كان لا بد من أن أجرى مع الرئيس محمد حسنى مبارك حواراً عميقاً لتأهب لدخول هذا القرن بكل تبعاته ومسئوليّاته، وكيف يجرى حشد الهمم والطاقات من أجل الوفاء بتطلعات وآمال المواطنين.

كذلك كان لا بد أن أطرح على الرئيس أسئلة أخرى لا تقل أهمية، مثارة على الصعيد الرأى العام العربى، خاصة أن المنطقة تَوج من حولنا بأزمات كبيرة وتوترات عنيفة.

وقد نشر إبراهيم نافع هذا الحديث في الأهرام بومى ١٥ و١٦ أغسطس ١٩٩٧، وكذلك في مجلة الأهرام العربى التى تصدرها مؤسسة الأهرام.

- سيادة الرئيس: باق ثلاث سنوات تقريباً وندخل القرن الحادى والعشرين.. ما الذى نخطط وتعمل له سيادتكم لتصل به معكم إلى هذا القرن؟

- الرئيس مبارك: كل ما نقوم به هو من أجل المستقبل.. عملية الحياة مستمرة لا تقف عند عام الفين.. نحن نقوم بتطوير أنفسنا فى الصناعة والزراعة، ونزيد صادراتنا، ونضبط ميزانينا، ونقلل العجز والتضخم، ونفتح الاستثمار، ونحسن إنتاجنا فى هذا النظام العالمى المفتوح.. كل هذا يجعلنا ندخل القرن الجديد بثقة كبيرة فى التقدم، التنمية ستكون قد زادت لكى نوجد وظائف أكثر.. ونحن نقوم بأقصى جهد لإيجاد وظائف. هناك من يقولون إن عندنا بطالة. نعم عندنا بطالة، ولكن ليس بالنسبة الكبيرة الموجودة فى الدول الأخرى. ونحن نقوم بأقصى ما يمكن لاستيعاب أكبر حجم من البطالة، ولكن لا بد أن يغير الناس نمط حياتهم. أمريكا الدولة العظمى بها بطالة ٥%، إسبانيا ٢٢%، فرنسا ١٣%، ورغم كل هذا فإن لدينا من يعمل بالقطاع الخاص، ويضع نفسه فى خانة البطالة لأنه يريد العمل فى الحكومة رغم أن لدينا ٥ ملايين موظف فى الحكومة. ولاحظ أن المرتبات زادت (كل سنة بنسبة ١٠%) بأكثر من نسبة التضخم، ولا مانع لدينا من الزيادة بأكثر من هذا، وهذا يقتضى أن تزداد الموارد، نسبة الـ ١٠% سنوياً تعنى مليار جنيه تقريباً، وإذا أردت الزيادة إلى ٢٠% فمعناه ٢ مليار جنيه، من أين نأتى بهذا المبلغ.. هل نطبع أوراق البنكوت.. هذا معناه قفزة فى أسعار السلع، ولن

يتحملها أحد.. هل تفرض ضرائب جديدة على المستثمرين ورجال الأعمال والموظفين.. أبدأ لن يتحملوا.. إذن من أين الموارد؟ في عام ١٩٨٢ كانت جميع الميزانيات في الدولة ألغين وخمسمائة مليون جنيه، النهارده ٢٥ مليار جنيه (الموازنة ٨٠ مليارات) أي أكثر من ربع الموازنة. ولاحظ أن عدد الموظفين في الحكومة ضخم جدا.. قلت إنه ٥ ملايين موظف مع أننا لا نحتاج لأكثر من اثنين أو ثلاثة ملايين، ويمكن أقل من هذا. هؤلاء يتقاضون مرتبات من الدولة. كما لا يمكن الاستغناء عن بعضهم، مثلما طالبت بعض الأصوات.. نحن نعمل أقصى ما في جيبنا لإيجاد الوظائف.. الاستثمارات.. تتركز وغيرها هدفها إيجاد فرص عمل..

عموماً لسنا وحدنا الذين نعاني من البطالة أو يوجد لدينا فقراء.. إن أعنى البلاد تعاني هذا.. أمريكا نفسها بها فقراء، ومرضى بلا علاج مع أنها دولة غنية.. هذه سمة في العالم كله

ومع ذلك، فإن سيادتكم تضعون البعد الاجتماعي في مقدمة أولوياتكم..

الرئيس مبارك: في كل خطوة ستجد البعد الاجتماعي.. بقدر ما أستطيع وحسب الإمكانيات المتوافرة، وراعينا هذا في خطوات الإصلاح الاقتصادي.

بعد ذلك أتساءل ما هي مشكلتنا؟ إنها زيادة السكان، كنا ٤٣ مليون نسمة عندما توليت الحكم.. النهارده نحن ٦٢ مليون نسمة. العرق ١٩ مليوناً، أي تعداد نولة في حد ذاته. نحمد الله أننا - بكل هذه الزيادة السكانية - قادرون على العيش ونجد المأكل والملبس.. لا أحد يبديت جوعان.. هل يوجد في مكان آخر بالعالم رغيف العيش بخمسة أو عشرة قروش؟

- ماذا بشأن اجتماع اللجنة العليا للتصدير؟

- الرئيس مبارك: سنجتمع بعد أغسطس نظراً لطروف سفر الأعضاء في الصيف، إن طوحتنا في التصدير كبيرة جداً.. لقد قلت للجنة إنني لا أريد زيادة الصادرات باثنين أو ثلاثة مليارات جنيه، أنا أريد أن اصل بحجم الصادرات إلى رقم ضخم، هناك بلاد وصلت إلى ٨٠ مليار دولار وهي مثلنا عالم ثالث، وبعضها ٢ أو ٣٠ مليارات.. طالبت من الأعضاء أن يدرسوا كيف ارتفع بالصادرات التي هي مستقبلنا.

والحمد لله السباحة جيدة هذا الصيف.. في شهر يوليو الماضي وحده دخل مصر حوالي ٤٥٠ ألف سائح.

- هل نستطيع القول بأن شعار دعم الصادرات مسألة حياة أو موت..؟

- الرئيس مبارك: هذا صحيح.. العالم كله يقاتل من أجل زيادة الصادرات.. هذا ما تفعله الآن أمريكا وفرنسا وإنجلترا.. وكل مجهودات حكوماتها في هذا الاتجاه (زيادة التصدير) لكي تفتح خطوط إنتاج وتوجد وظائف. الهدف في النهاية إيجاد وظائف، مع ملاحظة أن هذه الدول لا تحدث بها زيادة تقريباً من ناحية السكان، وعظيم جداً بالنسبة لنا أننا نقوم بكل هذه الاستثمارات في ظل الزيادة السكانية التي تصل كل عام تقريباً إلى حوالي ٩٠٠ ألف نسمة.

٨٠٪ من الاستثمارات مصرية.

- بالنسبة لللائحة التنفيذية لقانون الاستثمار.. هل تتوقعون بعدها مزيداً من الاستثمارات المصرية والعربية والأجنبية؟

- الرئيس مبارك: الاستثمارات المصرية قائمة ومستمرة.. و٨٠٪ من الاستثمارات الموجودة مصرية والـ ٢٠٪ أغلبها عربي، والأجنبية محدودة، ويلاحظ أن المستثمرين العرب يزداد عددهم الآن، لأن مصر أربع لهم من أي مكان آخر للاستثمار، في توشكي هناك أكثر من مستثمر يرغب في العمل، وهناك مصانع مشتركة مع بعض المستثمرين العرب.

- أقصد أن هناك أكثر من شهادة دولية بنجاح مناخ الاستثمار.

- الرئيس مبارك: هذه الشهادات الدولية أحد العوامل التي تشجع المستثمرين.. ولكننا نسعى إلى زيادة الاستثمار بطرق كثيرة جداً. وهدف ذلك إيجاد فرص عمل للمواطنين الذين يزدادون دائماً..

- كلمة البلعجة أو ظاهرة البلعجة التي تسبب للشارع المصري، بجانب ظاهرة التسبب والإهمال من جانب بعض الموظفين.. هل يتم مواجهة ذلك فعلاً بتشريعات؟

- الرئيس مبارك: دعني أقل لك شيئاً. لقد لاحظت أنه عندما طُهر اثنان من البلطجية وجدت أنكم كلكم يدانهم نكتبون في موضوع البلطجة، وكان ابلد كله بلطجية، هناك أفراد مجرمون والبوليس يعرفهم جيداً. وعندما قبل لي عن موضوع في شارع الهرم كلمت رئيس الوزراء ووزير الداخلية، ومحافظ الجيزة، وقلت لهم هذا الموضوع لابد أن ينتهي. وتم هنا بالفعل، ولاحظ أن وزارة الداخلية تقوم الآن بالقض على مثل هذه النوعية في كل مكان، وليس في شارع الهرم وحده.

ثم إننا سنعدل التشريعات لكي نتدخل فيها أموراً معينة، لسد بعض الثغرات في القانون التي يستغلها هؤلاء المتهربين. هذا الأمر يجري بحثه الآن، وسنتعامل مع هذه الظاهرة بكل حزم.

وجدنا رجل أعمال يستخدم سيارة بها ثلاثة أو أربعة قنوت* وراءه. ما هي الحكاية.. تحمي نفسك من إيه؟! عندما نظردهم سيعملون ضحك.. هل هذه حراسة؟! لذلك أنا أصلب من رجال الأعمال البعد عن مثل هذه التصرفات الغريبة وأقول لكم منهم! ممن تحرس نفسك.. هؤلاء لن يحرسوك.. الذي يحرسك هما الدولة والقانون.

- متى نجد سياسة تعليمية مستقرة في مصر خاصة في التعليم الأساسي؟

- الرئيس مبارك: تطوير التعليم ليس مسألة سهلة، لأن البعض في شعبنا يقف في وجه أي تطور إذا وجدته ليس في مصلحته الخاصة.. خذ مثلاً الثانوية العامة بنظامها الجديد.. لقد قامت "ضجة" كبيرة ضدها مع أنها تخفف الضغط على الطلاب وأسرتهم.

وزير التعليم الدكتور بهاء الدين وضع سياسة تعليمية للمراحل المختلفة ويمضي في تنفيذها بالتدريج. يقوم بتحديث التعليم وتطوير المناهج، وإدخال الكمبيوتر في المدارس، إلى جانب أن هناك تطوراً في نظام "الفترات".

- لاحظنا أن بعض الاتجاهات الحزبية تحاول افتعال أزمة بالنسبة لقانون العلاقة بين المالك والمستأجر في الأراضي الزراعية..

- الرئيس مبارك: هذا القانون أنتم تعرفون جيداً.. أنه ظل 5 سنوات - قبل أن يدخل مجلس الشعب مفتوحاً لكل الآراء، وجمعوا كل الاتجاهات وبلوروها، والذين لم

يوافقوا عليه في المجلس، هم ضمناً موافقون نفسياً، ولكنهم يعملون "حساباً" للزراع الذين يستأجرون منهم الأرض لكي يضمنوا أصواتهم الانتخابية، وأما القانون فقد تم بحثه بشكل مستفيض، وأعطى فرصة ٥ سنوات للتطبيق، ولم يعترض أحد.. وعندما جئنا للتنفيذ، كل القوى التي تريد الإثارة والتوبيخ وجدتها فرصة للتحرك. أنا أرى أن القانون يتسم بالعدالة الكاملة، كما أن الحكومة أكدت أن من سيتترك أرضه ستديره بدلاً في أراضي الإصلاح أو غيرها، فماذا يريدون أكثر من هذا، هذا مع ملاحظة أنه حدث توفيق بين الملاك والمستأجرين في حوالي ٩٠٪ من الأماكن. وبعد ذلك نرى أن بعض العناصر من حزب العمل يقومون بإثارة الناس.. على غير أساس. إذا كنت حريصاً على مصلحة الوطن، فليس هذا هو الأسلوب، إن محاولة التأييد والإثارة سيدفع بثمنها الشعب.

الموقف من بناء الكنائس.

- هل تنوى الحكومة اتخاذ خطوات تشريعية لتعديل القوانين المتعلقة ببناء الكنائس لإزالة أسباب الشكوى التي استغلها البعض في الخارج باتهام الإدارة المصرية بسوء معاملة الأقباط؟

- الرئيس مبارك: أولاً نحن لا نعامل الأقباط معاملة يمثل هذه الادعاءات والافتراءات التي يتهمونها بها، هذا كله تشنيع، وعدم فهم.. والبابا شخونة يتكلم بصراحة ويرد عليهم. ثم إن هناك بعض أمور قد استقرت منذ فترة طويلة مثل القيام ببعض الإصلاحات أو التعديلات في الكنائس نحن نسمح بها، وبالنسبة لهذا الموضوع عموماً أريد تأكيد أن الأمور الخاصة بالنسبة لبناء كنيسة واضحة جداً، وهي ضرورة من أجل مراعاة ألا يصطدم بعض المتشجعين بعضهم ببعض.. ولم يحدث أن رد طلب بناء كنيسة، ولم نوافق عليه. هذا كله من أجل عملية "التأمين"، وليس من أجل السيطرة على الأقباط. لقد أعطيت أدونا ببناء كنائس جديدة أكثر من الأذن التي حصلوا عليها أيام السادات وعبدالنصر بكثير، ولم تحدث مشكلة لأننا نتفاهم. أنا في الواقع لا أرى مشكلة بين المسلمين والأقباط في مصر وإذا كانت هناك مشكلة فهي بين متشددتين من الطرفين، وأما الغالبية العظمى فالعلاقات بينها طيبة جداً.. أنا طول عمري لي أصدقاء مسيحيون.. آخر رئيس تدريب للقوات الجوية كان مسيحياً وفي منتهى

الكفاءة.. أنا شخصياً لا أفاضل بين مسيحي ومسلم. المعيار عندي هو الكفاءة لأنه مصري.. مسلماً كان أو مسيحياً، فالكل أبناء وطن واحد، لا فرق بين مسيحي ومسلم، والذي يزايد يكون صاحب غرض أو مطمع أو هوى!!

- هل هناك عقبات حقا بالنسبة للخصخصة في شركات قطاع الأعمال العام؟

- الرئيس مبارك: ليس هناك عقبات. لا نريد أن نرمى بعض الشركات بأنها خاسرة ويدخل البعض ليشتريها بثمن رخيص.. ما يجري هو تفويض دقيق وليس عقبات. ما زالت لدينا بعض شركات قطاع الأعمال لم نتم خصخصتها.. هل إنجلترا أو فرنسا خصصت كل شيء.. أبدأ.. لدينا قطاعات أساسية لا نستطيع خصخصتها.

وليست القضية في صيغة البيع، وإنما نحن نهتم أولاً بأن تكون هناك الأموال مقابل البيع، فإذا كان على الشركة ديون نقوم بالتصديك للبنوك، ثم نستخدم ما يتبقى من ذلك، لأن شركات القطاع العام تخسر كثيراً، وعليها مديونية كبيرة للبنوك.. وكمثال فترسانة الإسكندرية عليها ديون حوالي ٩٠٠ أو ألف مليون جنيه، ثم يتساهلون أين سذهب بالأموال، لو قمنا ببيعها الآن فلن نفي بثمنها ولا بالديون المستحقة عليها.

- بالنسبة لقضية الإسكان، وتوفير المسكن المناسب للشباب.. هل ستتم هذه العملية، وأيضاً هل هناك جديد في مسألة العلاقة بين المالك والمستأجر في المباني السكنية؟

- الرئيس مبارك: فيما يتعلق بإسكان الشباب، أؤكد أنه سيتم، وأما قضية المالك والمستأجر فستأخذ وقتها لأنها تمس فئة كبيرة من المجتمع التي هي في مستوى دخل أقل من المتوسط، والمالك يتحدث عن ظلم.. هذه قضية - مثل قضية الأراضي - لا بد أن تأخذ حقها من الدراسة الكاملة حتى لا تصدر القانون ونكتشف أن به مشكلات، وهي متروكة للرأي العام للنقل، حتى تتم بلورتها بدقة. أنا لست من أنصار الدخول بقانون في قضية تمس قطاعاً كبيراً من الناس "لأضيرهم"، أنا مهتم أن أساعد الناس..

وأعود لقضية الشباب، وأقول إننا نقوم بالبناء.. ولا تنس أننا في الـ ١٥ عاماً الماضية بنينا أكثر من ٣ ملايين مسكن مع ملاحظة الزيادة في عدد السكان.

- ماذا يرى الرئيس في المسؤولية الملقاة على وزارة التنمية الريفية؟

- الرئيس مبارك: عندنا حوالي ٤ آلاف قرية.. ولذلك فإن التنمية الريفية والأسر المنتجة يجب أن نعطيها اهتماماً كبيراً جداً. هذه الوزارة أنشئت في إطار الاهتمام بالريف. أريد التركيز على تطويره بأقصى طاقة ممكنة.

- هل نوافقون سيادتكم على تطبيق قانون الطوارئ على الفئات المنفصلة؟

- الرئيس مبارك: أي شيء يمثل خطورة على المجتمع لا أتورع في استخدام هذا القانون ضده.. أنا عادة أترك الأمور للقانون العادي، ولكن الأمور الاضطرارية التي تهدد أمن المجتمع لا يمكن أن أتركها.. اتخذ معها جميع الإجراءات.

- هل ترى سيادتكم اتخاذ تكاليفات جديدة للحكومة والمحافظين حتى يتحقق التعاون المطلوب لخدمة جماهير الشعب؟

- الرئيس مبارك: الحكومة تَمْضِي في عملها ومهامها بسرعة.. وأنا بالطبع أتمد التحسن.. والمحافظون يعملون بالفعل على إزالة العقبات، وما أؤكدته بالنسبة لهم أن المحافظ لابد أن ينزل إلى الشارع، وأن يستمع لشكاوى مواطنيه. قد يكون بعضها مراد، ولكن لابد عليه أن يشرح للمواطن الموقف، قد يحتاج التنفيذ لوقت طويل، ولكن لابد من وضع المواطن في الصورة، وألا نضحك عليه.. نحن جميعاً نعمل من أجل الشعب من رئيس الجمهورية لأصغر واحد.. المحافظ له دور شعبي، لابد أن يمس على المواطنين، ويسأل عن احتياجاتهم. قد لا يمكننا تلبية كل المطالب، ولكن نسعى بأقصى ما نستطيع أن نوفر الاحتياجات الضرورية للمواطنين... فقط عليهم تقليل الزيادة السكانية.
ضرورة الإعداد لأي قمة.

- ما هي الترتيبات اللازمة التي يجب أن تسبق عقد قمة مصغرة لتحريك عملية السلام تضم مثلاً نيتانياهو رئيس وزراء إسرائيل، والرئيس الفلسطيني ياسر عرفات، بحضور سيادتكم، والملك حسين ملك الأردن؟

- الرئيس مبارك: لم يتقرر بعد أي شيء في هذا الموضوع.. والذي تحدثت عنه الصحف ليس له أساس.. ولكن إذا كانت هناك فكرة لاجتماع فلابد أن يتم الإعداد له جيداً، وإلا فإنه سينعقد دون أن تكون له نتيجة، وفي هذه الحالة سيكون العائد سلبياً،

وسيوذى إلى زيادة الإحباط، فلا بد إن أن تتفق مسبقاً على الهدف المرجو من الاجتماع، وأن تتأكد من أنه ستكون له نتائج إيجابية، لأن الرأي العام العربي والعالمى سيكون فى انتظاره، وسيتوقع أن يصدر عنه شىء، له وزنه وبأثيره، وعندما لا يسفر عن نتائج، فإن ذلك سيؤدى إلى إحباط شديد للجميع، وسيزيد النقد للإقدام على تكرار خطوة كهذه مستقبلاً.

- سيادتكم رفضتم اجتماع واشنطن...

- الرئيس مبارك: الحقيقة لم تكن حكاية رفض.. لقد تحدثت مع الرئيس الأمريكى فى الموضوع، وقتت له لن تخرجوا بنتيجة. إلا أن الإدارة الأمريكية كان لدينا إصرار، وكانت متوقعة أن نبتانياهو من الممكن أن يفعل أو يقدم شيئاً.. من جانبهم اعتبروا أنهم قد نجحوا من حيث إقناع عرفات وبتانياهو بالاجتماع أو الجلوس معاً، ولكننا كنا نتوقع أن يخرج الاجتماع بنتائج تختلف عن هذا.

- تواصل إسرائيل الآن اتخاذ إجراءات أمنية مشددة تشمل فرض عقوبات جماعية على الشعب الفلسطينى، ألا يمكن أن تؤدى هذه السياسات إلى حدوث أعمال عنف أخرى فى إسرائيل تؤدى بدورها إلى تصعيد الموقف الإسرائيلى؟

ثم إلى متى نبقى فى هذه الحلقة المفرغة حتى نصل إلى عملية السلام؟

- الرئيس مبارك: بالنسبة لهذا الحصار أبلغت وزير خارجية إسرائيل بأننى أخشى من أن يكون استمرار الحصار عقاباً للشعب الفلسطينى كله. وعقاب الشعب ومنع الأدوية عنه من أخطر ما يمكن، لأن الشعب عندما يجوع سيكون فى وضع خطير للغاية.. وثورة الجوع رهبة جداً ولا يستطيع أحد وقفها.. فما بالك بشعب هو بلا دواء أو طعام.. وأؤكد أنه يُخشى من استمرار هذه العملية إذ أنه من الممكن أن يؤدى إلى عنف أكثر من نى قبل، ولن يوقف الإرهاب. وأكرر ما سبق أن قلته: الذى يوقف الإرهاب والعنف هو التقدم فى عملية السلام.. انظر مثلاً فى عهد رابين كانت تفع أحداث من هذا النوع فيقول الإسرائيليون: سوف نستمر فى عملية السلام.. ولكن الأمر اليوم يختلف تماماً، ومن جانبى اتساءل: ما هى الحكمة فى إيقاف عملية السلام؟ وما يخشى منه المرء فعلاً.. أن العنف لن يقف عند جزء بعينه فى المنطقة، وإنما سيضمحلها كلها ويمتد إلى كل من يتعاملون مع عملية السلام.

- الضمورة ليست في الطعام والدواء فقط بل في الاقتصاد أيضاً..

- الرئيس مبارك: نعم. في التجارة ومنع انتقال العمال وتثريد من لهم أعمال أو تجارة.. هذا معناه أن حركة الحياة ستقف كلها، وأنا وقفت بهذا الشكل وطالت المدة.. فهنا مكنم الضمورة.. هذا ما أوضحته جيداً لوزير الخارجية الإسرائيلي. وأعتقد أنهم تفهموا الوضع الآن ولذلك بدأوا في فتح المنافذ 'رفع وجسر الملك حسين'، ويؤمنون في إلغاء هذه الأوضاع بالتدرج.

- سيادتكم أريدتم مخاوفكم من محاولة إضعاف عرفات.. ما هي المخاوف التي يمكن أن تنجم عن ذلك؟

- الرئيس مبارك: عرفات بلغت حوله كل الفلسطينيين، ويتقنون فيه. لو ذهب عرفات، فستتدلىع مشكلات رهيبية بين المنظمات الفلسطينية وهي منظمات كثيرة. لن يكون هناك 'زعيم' كبير يستطيع كل الفلسطينيين الالتفاف حوله. أنت تسع اليوم مثلاً أن هناك منظمات فلسطينية تقول لا تفاوض مع إسرائيل، وبالمقابل هناك منظمات أخرى تريد التفاوض مع إسرائيل، عندئذ من الذي ستكون له الغلبة.. سنجد أنفسنا أمام حالة فوضى. والفوضى مثل العنف تماماً.. ستضرب عملية السلام في مقتل.

- نيتانياهو دائماً يتكلم عن الخطوات التي يجب أن يتخذها عرفات، ولكنه لا يتحدث أبداً عما يجب أن تقوم به إسرائيل لإعادة الثقة في عملية السلام.. هل يعتبر هذا موقفاً متوازناً؟

- الرئيس مبارك: لا.. هذا ليس موقفاً متوازناً. إذا كان نيتانياهو يقول لعرفات عليك أن تفعل كذا وكذا، فهو أيضاً عليه أن ينفذ التزاماته. إن لم ينفذ نيتانياهو التزاماته فلن يكون هناك توازن على الإطلاق.

لقد أثارت مسألة 'جيل أبو غنيم' ضجة، وعلى الرغم من ذلك فقد عادوا ليقولوا إنهم سيبينون في 'رأس العامود'. ز هذا كله نحد للرأى العام.

- ما هي وجهة نظر أمريكا التي جعلتها تحجم عن القيام بدور فعال في الفترة الماضية؟

- الرئيس مبارك: شوق.. الإدارة الأمريكية بشغل: أما لا أضغط على أحد. ولكن من جهة أخرى هي ترى الموقف واضحاً، حيث لن ينكد نبشها في التزاماته. وهناك اتهامات متبادلة بين الجانبين: الفلسطينى والإسرائيلى.. أمريكا لا تريد أن تضغط لأنها تواجه ظروفاً داخلها. هناك الكونجرس الذى لا أدري ما إذا كانت المعلومات التى لديه صحيحة ودقيقة أم لا؟ ومن هو مصدر هذه المعلومات وبدي صحياً؟.. الجميع يضغطون على عرفات، ولكن الضغط على جانب واحد لن يحل المشكلة.

ولكننى أتصور أن الخطاب الذى ألقته مايلين أولبرايت وزيرة الخارجية الأمريكية كان إيجابياً، وكذلك كلام الرئيس كلبنتون كان إيجابياً. وأعتقد أن الرئيس كلبنتون من الأطراف التى تريد إيجاد حل فعلاً، وعندما قابلته هنا كانت لديه آمال كبيرة للحل.. وحل عادل.. إلا أن ظروفاً وأحداثاً كثيرة وقعت عقدت الأمور.. ولكننى أعتقد أن خطاب أولبرايت جيد للغاية، وهناك أنباء عن أنها ستأتى للمنطقة فى أواخر هذا الشهر، أو أوائل الشهر القادم بعد أن تكون الصورة قد اكتملت أمام الإدارة الأمريكية، حتى توفق بين الطرفين الفلسطينى والإسرائيلى لى تمضى عملية السلام. التنسيق الأمنى ليس كل شىء.

- جهود التنسيق الأمريكى دندس روس منصبه على التنسيق الأمنى ومكافحة الإرهاب.. فهل هذا يجعل الفلسطينيين يوافقون على اللقاء مع الإسرائيليين؟

- الرئيس مبارك: لا أعرف رأى الفلسطينيين.. ولكن أرى أن التنسيق الأمنى ليس هو كل شىء.. هو فقط من أجل العمل بقدر الإمكان لتفادي عمليات العنف..

- ولكن الضغط الأمريكى على الفلسطينيين - خاصة ضغط الكونجرس - يضعف فى الواقع دور الإدارة الأمريكية فى عملية السلام بالمنطقة.

- الرئيس مبارك: فى أمريكا.. هناك - كما قلت - ظروف معينة تتعلق بالضغط الأمريكى على الفلسطينيين، وأنا لا أتفق معهم فى هذا الموضوع.. من جهتي أفضل دائماً أن أكون 'عادلاً' فى هذا الأمر.. الإدارة الأمريكية تضغط على الفلسطينيين فقط، بينما يتعين عليها فى الوقت نفسه اتخاذ موقف مماثل مع الإسرائيليين.. واتساءل: ما هو الهدف من الضغط على الفلسطينيين ولتفعلوا ماذا؟.. وما هو المطلوب تنفيذ؟.. المنطق يقول إننا كان الطرف للآخر ينفذ تعهده فهم - أى الفلسطينيون -

سينفذون تعهداتهم. نحن أمام موقف جرح: الطرف الإسرائيلي لا ينفذ ومطلوب من الفلسطينيين أن ينفذوا.. هذا موقف غير عادل.

- هل هناك أمل في تغيير موقف حكومة نيتانياهو من قضية الجولان ومفاوضات السلام مع سوريا؟

- الرئيس مبارك: أنا لا أفهم الكلام الذي يصدر من إسرائيل.. مرة يقولون إنه ليس لديهم مانع.. وبعدها بيومين أو ثلاثة يقولون إن الجولان إسرائيلية.. إن سوريا لن تقبل أن تبدأ عملية السلام إلا إذا فهمت في النهاية • بطريق مباشر أو غير مباشر أن المفاوضات لا يد وأن تنتهي بعودة الأرض.. لن تنازل سوريا عن شبر من الجولان. ولا يملك الأسد أو أي أحد أن يقبل التنازل عن شبر من أرضه.

- مرة أخرى، سيادة الرئيس، هل هناك حاجة إلى عقد قمة عربية في ضوء المستجدات التي طرأت؟

- الرئيس مبارك: في الوقت الحالي.. العقيد القذافي كان قد ذكر لي - عندما كنت في زيارته - أن الرؤساء العرب وافقوا له على عقد قمة، وكان سؤالى له: هل أنت متأكد؟.. فكان رده: أنه متأكد. فقلت له: بناء على ما توافر لديك من موافقات ستبحث للرؤساء بهذا المعنى، وإننا نطلب الاتفاق على موعد للقمة. وفعلاً تم ذلك، وكانت ربهودهم أنهم موافقون على القمة من حيث المبدأ، ولكن يجب أن توضحوا لنا أجندة القمة، العقيد القذافي لم يعجبه مطلب تحديد جدول الأعمال، ويرى أن هذا معناه عدم الحضور للقمة، وفي الواقع القذافي لم يعجبه مطلب تحديد جدول الأعمال، ويرى أن هذا معناه عدم الحضور للقمة، وفي الواقع إننى كنت متوقعاً هذا من أول الأمر لأن القمة يجب أن يكون لها تحضير مسبق، وإلا فنن تحقق النتائج التي نسعى إليها، وهذا ما يقوله (خواننا العرب، وأنا أوافقهم عليه. وهذا ليس وقت إثارة الخلافات بين بعضنا بعضاً.

الموقف من قمة الدوحة.

- هل حددت مصر موقفها من قمة الدوحة؟

- الرئيس مبارك: ما زلنا ندرس الموضوع على ضوء الموقف بالتنظفة قبل هذه القمة.. نحن في شهر أغسطس وباقى وقت طويل.. حتى نوفمبر.

- يميل الموقف مع السودان إلى الهدوء في الفترة الأخيرة.. ما هي آخر التطورات التي شهدتها العلاقات المصرية - السودانية؟

- الرئيس مبارك: لا جديد.. نحن لا نفعل أية مشكلة مع السودان.. هم الذين بدأوا.. أغلقوا المدارس، وطردوا الموظفين، وأخذوا مبانينا وأغلقوا فرع جامعة الخرطوم الذي كنا نقوم بالإتفاق عليه من الألف إلى الياء.. علاوة على إيواء الإرهابيين.. ما الذي جنوه من هذا الموقف؟.. إنهم يعانون من التدهور.. وما داموا على هذا الخط فسيزداد حالتهم سوء، وللأسف فإن من يدفع الثمن هو المواطن السوداني.. وأنا فكرتني الراسخة عن الشعب السوداني أنه شعب طيب لا يعرف العنف أو الإرهاب.. ولذلك دهلت لهذه الظاهرة الجديدة التي أوجدتها الترابي وأعمامه. الشعب السوداني شعب طيب فنق فيهِ، ولكني أعود وأقول إن الغالبية العظمى من الشعب مغلوبية على أمرها.

- وهل هناك أمل في حدوث انفراج في العلاقات المصرية - السودانية؟

- الرئيس مبارك: هذا يتوقف على النظام السوداني وليس علينا.. نحن طول عمرنا علاقاتنا بالسودان جيدة جداً، وحدودنا مفتوحة لهم.. وعندما جاء الترابي 'لخبط العلاقات كلها' ليس معنا فقط، ولكن مع إريتريا ومع أثيوبيا وأوغندا وغيرها.. قطع الخيوط حتى مع العقيد القذافي.. لا تصدق أن العقيد يثق فيهِ..

- ما هو المطلب الأساسي لعودة علاقات طبيعية؟

- الرئيس مبارك: يلتزمون بالطلبات التي قدمناها لهم.. يقومون بتسليم الإرهابيين الذين لديهم، ويوقف أن تكون بلادهم مرتعاً للإرهاب.. هذا هو الأساس الذي بناء عليه ننظر في الموضوع.. وكذلك أن يعيدوا كل ما أخذوه..

في مصر لدينا ما بين ٤ إلى ٥ ملايين سوداني.. لهم رابطة كبيرة جداً.. وهم موجودون في الساحل الشمالي.. ووجدتهم في العريش.. كلهم يعملون..

- سيادتكم استقبلتم المهدي والميرغني أخيراً؟

- الرئيس مبارك: أستمع لهما فقط..

- ولكن هل جد جديد؟

- الرئيس مبارك: لا.. لا.. أنا أستمع فقط لأنه مضى وقت لم أرهما فيه.

وبالنسبة للبشير والترابي لا جديد أيضاً. الترابي اعتقل ابن الصادق المهدي،
والده قال لي إنهم اعتدوا عليه بالضرب، وجاء ليحكى لي الموقف.. فقط أنا أستمع
لهما.. هو والميرغني.. لقد وصفا لي موقفهما الراهن ونشاط التجمع الذي يربطهما وأنا
أستمع ولا أحرض أحدا على الآخر.

- في رأي سيادتكم، إلى أي مدى سيستمر الحصار المفروض على ليبيا
وشعبها؟.. هل هناك محاولات مصرية لفك هذا الحصار؟

- الرئيس مبارك: هذا الموضوع حيرنا كثيراً.. وعندما نتحدث فيه تقول بعض
الأوساط في أمريكا إن مصر تدافع عن ليبيا.. عليهم أن يقدروا أن ليبيا جار عربي، وأن
لنا نصف مليون مصري يعملون هناك (بعائلاتهم يصبحون ٣ ملايين مواطن) فلا
تطلب مني المستحيل.. وكثيراً ما أوضحت أننا لن نخالف القرارات الصادرة عن
مجلس الأمن على وجه الإطلاق، شأن باقي الدول، كما أنني لا أستطيع الضغط على
ليبيا بأن تسلم أفراداً لأن الليبيين لهم اعتباراتهم الداخلية.

الجديد بشأن السوق العربية المشتركة.

- فكرة السوق العربية المشتركة.. ماذا يجري بشأنها؟

- الرئيس مبارك: أولاً هناك دراسات تجرى في الجامعة العربية، وهناك بعض
الاقتراحات من مجموعة الدول الثماني التي ستجتمع في سبتمبر المقبل.. ومن جانبنا
نعمل على إقامة مناطق حرة بيننا وبين الدول الأخرى، ستهيئ إقامة السوق كنواة، فليس
من الضروري أن تدخل كل الدول العربية السوق، وإنما تشكل نواة تتسع في المستقبل.

وبالنسبة لدول مجلس التعاون الخليجي، فإنها خطت خطوتين في طريق إقامة
سوق بينها وسترى ما فعلته لكي ننضم إليها.

- السعودية تبارك هذه العملية..

- الرئيس مبارك: إنها لم تعترض.. وعموماً علاقاتنا بكل دول الخليج العربية ممتازة.

هل سيوزر الشيخ زايد رئيس دولة الإمارات مصر قريباً؟

- الرئيس مبارك : نعم.. سيصل في أواخر أغسطس أو أوائل سبتمبر.. هو في
إنجلترا، وأعتقد أنه سيوزر أمريكا لإجراء فحوصات طبية ثم يزور مصر في طريق
عودته إلى بلاده..

- وبالنسبة للاتصالات بين مصر والسعودية؟

- الرئيس مبارك: علاقاتنا بالسعودية لا نمدار عليها إطلاقاً. ليست هناك أية مشكلة بيننا وبين السعودية.. هناك بعض الأوساط نحاول افتعال مشكلة، ولكن هذا كلام فارغ لا أساس له.. فعلاقاتنا بالسعودية وببقية دول الخليج العربية علاقات ثابتة وراسخة وغير قابلة للاهتزاز.

- ما زالت قضية تحالف تركيا مع إسرائيل تشغل الرأي العام العربي.. ما الذي ستقولونه لديميريل عندما يزور مصر في الشهر القادم؟

- الرئيس مبارك: نحن لا نعترض على قيام علاقة بين تركيا وإسرائيل، ولكن نحن ضد أي أحلاف.. الشكل كما هو معروف أن هناك تركيا وإسرائيل وبينهما سوريا.. ولأن العالم العربي متعاطف مع سوريا فإنه يشعر بأن ما يجري موجه ضدها.

كانوا سيقومون بمناورة مشتركة، وقتت لهم إذا تمت المناورة بالإضافة إلى دخولكم أراضي العراق فهذا معناه أن المقصود طرف ما في العالم العربي.. أظن أن المناورة تأجلت حتى نلتقى مع الرئيس ديميريل.

- هل ستناقشون كل هذه القضايا معه؟

- الرئيس مبارك: طبعاً. ونحن حريصون على علاقاتنا بتركيا ونناقش كأصدقاء من منطلق أننا نسعى إلى استغلال المنطقة وإقامة علاقات طيبة..

- بعد تولي الرئيس الإيراني الجديد، محمد خاتمي، السلطة في طهران.. هل ستشهد الفترة القادمة تقدماً في العلاقات المصرية الإيرانية؟

- الرئيس مبارك: لا أستطيع أن أقول لك شيئاً الآن.. الرئيس الإيراني الجديد تولى السلطة منذ فترة قصيرة جداً، ولا أستطيع القطع بأي موقف.

- أقصد التساؤل عن الموقف الإيراني تجاه العرب.. إلخ؟

- الرئيس مبارك: ليس هذا فقط، هناك قضايا كثيرة تجعلنا نترقب لدى التغيير في التوجهات الجديدة.. إنهم حتى الآن عندهم شارع باسم "خالد الإسلامبولي".. لقد قلت لولاياتي - عندما زار مصر - تتحدثون عما نسمونه بدولة كامب ديفيد.. وأنتم الذين نصحتهم السادات بأن يقوم بالبادرة ويذهب إلى إسرائيل.. وكان ربه: لن نكن نحن.. فكان قولي: وهل كنا نعرف من الذي سيأتي إلى السلطة عندكم أم من يبقى؟

- في العلاقات الأمريكية - المصرية هناك في الواقع تساؤلات وقضايا عديدة.. لقد لوحظ على سبيل المثال في الفترة الأخيرة أن هناك عناصر داخل الكونجرس تعتبر معادية تعمل ضد العرب ومصر، وامتدت موجة العداء إلى التدخل في أبنق الشئون الداخلية لمصر، ومحاولة فرض نوع من الوصاية على الحرية الدينية، وحقوق الأقباط وما إلى ذلك.. ماذا وراء كل هذا؟ وما الذي يمكن عمله لمواجهة هذا الموقف العدائي؟


- الرئيس مبارك: شوق... على قدر علمي أن هناك أشخاصاً داخل الكونجرس يهاجموننا لأسباب نعرفها جيداً، ومع أن العضو الذي طرح اقتراح تخفيض المعونة يتفهم الأوضاع جيداً، لذلك عاد وأعلن أنه يسحب الاقتراح.. على الرغم من هؤلاء، فإن لدينا أصدقاء كثيرين جداً يعلمون الحقيقة تماماً، وهذا هو ما أفضل كل المحاولات.. ونحن نعلم طبعاً أن هذه المحاولات لها أسباب سياسية داخلية عندهم لا أود التطرق إليها، وفي الوقت نفسه نحن حريصون على العلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية، وعلاقاتنا معها متينة للغاية رغم كل هذه المهاترات التي نعلم أسبابها، ولذلك لا نرد عليها.. أصدقائنا هناك هم الذين يربون عليهم.. كما أن الإدارة الأمريكية كان موقفها إيجابياً.. قالوا إن مصر لا تلبس عملية السلام فربوا عليهم بأن مصر هي التي صنعت السلام.. نحن أول من بدأ عملية السلام، وتحملنا الصعاب من أجلها.. ليس من الكياسة القول إن مصر ابتعدت عن عملية السلام.

- اسمحو لي أن أتساءل مرة أخرى.. هل هناك فتور في هذه العلاقات؟

- الرئيس مبارك: لا.. لا.. هناك بعض الأوساط في أمريكا - لأنها تحب الدفاع عن إسرائيل واليهود - تقوم بافتعال مثل هذه الأمور، ولكن علاقاتنا جيدة.

- وإذا كنت تريد الكلام عن المعونة، فقد قلت لهم مراراً إنني لا أتوقع استمرار هذه المعونة إلى الأبد، بل يمكن أن تنخفض في أي وقت، ولن تكون المعونة مصدر ضغط علينا في قرارنا إطلاقاً، لم تكن كذلك.. وأن تكون سبب ضغط.. فالعلاقات بين البلدين تقوم على مصالح مشتركة.

شكراً سيادة الرئيس.



الإفطار السنوي

التحقيق الصحفي

نقرأ في معاجم العربية في مادة (ح ن ق) :

قال أبو زيد : حقّ الله الأمر حفاً . أثبتته وأوجبه وحقّ الأمر بنفسه حفاً وحقوقاً. وقال الكسائي : حققت ظنه، مثل حقيقته. وأنشد :

فبذلت ملك لي وجذبت به
وحققت ظنن ثم لم تخب

وحققت الأمر وأحققتَه: كنتُ على يقين منه

وحققتُ الخبر فأنَا أحقُّه: وقفتُ على حقيقته

ويقول الرجل لأصحابه إذا بلغهم خبر فلم يستيقنوه: أنا أحقّ لكم هذا الخبر، أي أعلمه لكم وأعرف حقيقته. فإن قلت: فما وجه قولهم: أنت حقيق بأن تفعل، وأنت محقوق به، وذلك لمحقوقه بأن تفعل، وحقيقة به. وحققت بأن تفعل، وحق لك أن تفعل؛ قلت: أما حقيق، فهو من حق في التقدير، كما قال سيبويه في فقير: إنه من فخر مقدر، وفي شديد من شد، ونظيره حقيق وجدير، من خلق بكذا وجذره؛ ولا يكون فعلاً بمعنى مفعول؛ وهو محقوق لقولهم: أنت حقيق بكذا، وذن امرأة حقيقه بالحضانه. وأما حققت بأن تفعل، وأنت محقوق به، فبمعنى جعلت حقيقاً به وهو من باب فطنته ففعل. ويجوز أن يكون من حققت الخبر أي عرفت بذلك. وتحقق منك أن تفعله أن تفعله لشهادة أحوالك به. وهذا قول حق، والله هو الحق. وأحق الرجل: إنه قال حقاً وأدعاه، وهو محق غير مبطّل. وأحق الله الحق، أظهره وأثبتته ﴿ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ﴾. وحق قولُه وتحققت الأمر وعرفت حقيقته؛ ووقفت على حقائق الأمور

وثوباً مُحقق النسيج: مُحكمه، وكلام مُحقق: مُحكم النظم. وفلان حامي الحقيقة، وهو من حماة الحقائق؛ أي يحمي ما لزمه الدفاع عنه من أهل بيته. قال لبيد:

أُتيتُ أبا هندٍ ومالكاً

بأسماء أنسى من حماة الحقائق

وهكذا نظهرنا الدلالة اللغوية لكلمة 'التحقيق'، على أنها تسعى إلى 'اليقين' من الأمور؛ وإلى الوقوف على حقيقة الخبر؛ وهي الدلالة التي نشير إلى أن تعريب المصطلح Reportage بغير 'التحقيق الصحفي'؛ تعريب يعود بهذا الفن إلى وظيفته الجوهرية؛

في لغتنا العربية؛ وفي اللغات الأوربية؛ التي تستخدم هذا المصطلح للدلالة على الفن التحريري الذي: "يتناول خبراً أو قضية أو فكرة بنوع من الشرح والتحرير والتفضيل وسرد البيانات والمعلومات والآراء ووجهات النظر المختلفة للوصول إلى قرار أو حل أو رأي في القضية أو الموضوع المطروح. وهكذا يغدو "التحقيق الصحفي"؛ فناً من فنون الوصول إلى الحقائق حول موضوع من الموضوعات، وعرض هذه الحقائق على القارئ بالكلمة والصورة"^(١) ويعود مصطلح التحقيق أيضاً إلى مصطلح أساسي في التحرير؛ ونعني به مصطلح "التقرير الصحفي"؛ الذي يشير إلى وصف الأحداث الجارية بالتفصيل، وتطوراتها، ونتائجها وملابساتها حتى يتضح على ضوء المضمون والوقت والفراغ (تقريباً)، وفي عمله هذا، يستفيد التقرير الصحفي من مختلف مناهج تقديم المعلومات (مثل الرد التقريري والوصف).

ويتشابه التقرير الصحفي مع الفقرة الأخبارية وظليفاً، بينما يقترب من التحقيق الصحفي (الريبورتاج) من ناحية المضمون والمنهج فالوظيفة الأساسية للتقرير الصحفي هي نقل الأحداث شديدة الأهمية والحيوية أو النموذجية بطريقة كاملة نسبياً، وكذلك العمليات الاجتماعية الكبرى. وهكذا:

"ولا يقدم التقرير الصحفي نتيجة الحادثة فقط، وإنما يعطي تفاصيل الظروف الزمنية المؤدية إليها (فهو لا ينقل مثلاً نتيجة مؤثر فحسب، وإنما تطوراتها أيضاً). ووجود عدد كبير من فقرات المعلومات الفردية (التفاصيل) التي يربطها جانب مركزي واحد (فكرة أساسية) يمكن المنقلى من تقييم أي حادثة في سياقها على نحو صحيح.

إن أصالة التقرير الصحفي، وكذلك طريقته التوثيقية الأصلية في التقديم عنصر جوهري من عناصر فاعليته. وباعتبار الكاتب وكبلاً نائباً للمتلقى، فهو يقوم بوظيفة المراقب وشاهد العين لاي حادثة (كالحادثة الرياضية أو المؤتمر).

وهناك نوعان أساسيان من التقريرين: التقرير المتصل بالموضوع، والتقرير المتصل بالتجريبية (إعلان الحقائق، ونقل التجارب، على التوالي)، ويركز إعلان الحقائق على الوقائع دون اهتمام خاص بموقف كاتب التقرير، فالهم هو الواقعة نفسها، وليس

(١) د. كرم شلبي: معجم المصطلحات الإعلامية؛ ص ٨٢٥.

التجربة التي تعكسها للكاتب. وتدعا لذلك فإن الكاتب يجمع ويختار ويرتب التفاصيل. وشكنا يعبر عن وجهة نظره في الواقعة. ومن السمات الأخرى لتقرير المتعلق بالموضوع اهتمامه بتفصيل الحادثة. وفي تقرير التحارب، لا يعبر الكاتب عن الموضوع فحسب، وإنما عن وجهة نظره الشخصية وموقفه، فهو يتصلح إلى أن ينقل إلى المتلقى مباشرة مدركات وانطباعات معينة خبرها بنفسه. ويتحقق هذا من طريق التصوير التفصيلي للأماكن والملابس، والأشخاص المشتركين، ويتعميمات تهدف إلى كشف جوهر العملية التي يكتب تقريراً عنها.

ولابد أن تكون التفاصيل المنقولة صحيحة بصفة عامة، وثيقة الصلة بالموقف المعمل، وتنتج الأنشطة الاجتماعية المختلفة بمتطلباتها المعينة من ناحية المضمون أشكالاً خاصة من التقارير الصحفية التي تتضح فيها واحدة أو أخرى من الصفات المنهجية المميزة (كالتقرير القانوني، والكتابات الرياضية، وتصوير الأسفار والرحلات) (١).

أما التقرير المكثف: Pony Service فيشير إلى أحدث الأخبار اللاسلكية المنقولة بالهاتف أو البرق من وكالات الأنباء إلى الصحف المحلية.

التقرير المصور: Picture Story

يقصد به الجمع بين الصور والنص في التقارير المكتوبة حول الأحداث الجارية أو الحقائق، وهو نوع مختلف من أنواع التقارير، ففيها تعبر مجموعة من الصور عن القشابه على ضوء زمان ومكان المكونات الأساسية للموضوع المصور. بينما يشرح النص المعلومات التصويرية ويفهم علاقات، ويفسر الخلفية ويكمل جوانب الحادثة المصورة التي لا يمكن ظهورها في صورة، ويعلق على المصور إذا لزم الأمر.

والمكونات الأساسية للتحقيق المصور هي العنوان، والصورة الرئيسية، والصورة التكميلية، والنص الأساسي والتعليقات، مع تعديلات معينة ممكنة في واحد أو آخر من هذه العناصر ويشير هذا خصوصاً إلى الفرق بين الصور الأساسية، والصور التكميلية التي يمكن أن تكون متنوعة بدرجة متساوية، في الحقيقة، حتى أنه لا يمكن التمييز بينهما. (٢)

(١) قاموس الصحافة، ترجمة محمد أحمد حمد ص ٧٥.

(٢) نفسه ص ٧٦.

من المصطلح إذن؛ يتبين لنا أن فن التحقيق ينبع من طبيعة عمل الصحفي في ملاحقة الأحداث التي تحتاج إلى 'تحقيق' لبعض جوانبها الخفية؛ كما أن الصحفي - كما يقول "جوبار"^(١) قد يصنع الحدث بنفسه "دون أن يحه نفسه بما يحدث، كأن يؤثر بعمق القضايا الكبرى: الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية والثقافية. وينطبق هذا، على الصحف الأسبوعية. كما ينطبق على الصحف اليومية التي تهتم بإكمال الحدث الذي ينقله الراديو أو التلفزيون، كما هو ثم الكشف عن أسبابه والدوافع إليه.

التحقيق الذي يعالج موضوع الساعة أو الريبورتاج الكبير، هو ذلك النوع الصحفي حيث الموضوع لا يرتبط بالأنية. ووجوده يضيف قيمة خاصة على الصحيفة، لكن نجماه 'يسء إلى مركزها إلى حد كبير".

وتشبه طريقة معالجة التحقيق الصحفي، طريقة معالجة التحقيق الاجتماعي (البحث). أي أن المبادئ هي ذاتها، لكن الوسائل تختلف، مما لا يتيح الوصول إلى الدقة المطلوبة كما نريدها. ومن المهم، قبل بدء التحقيق، دراسة ما نشر عن الموضوع واستشارة الأخصائيين، قبل وضع خطة العمل. وبعد، فإن اختيار الأشخاص، الذين سنقابلهم، يراعى فيه اختيار أخصائيين وأشخاص على علاقة مباشرة بالموضوع.

فالتحقيق الصحفي يتخذ من البحث منهاجاً في التفكير؛ ويسلك لنفسه طرقاً صحفية في التعبير. والطابع البحثي للتحقيق الصحفي يعنى عمليات مستمرة في التعرف على المشكلات والقضايا المطروحة في المجتمع، وفي تكوين الفروض والحلول المختلفة، وفي الحصول على البيانات وتصنيفها وتبويبها واستخلاص النتائج؛ وفي النهاية تحرير هذه النتائج تحريراً صحفياً.

والدلالة اللغوية للتحقيق؛ تصل بينها وبين البحث؛ باعتبارها عملية من عمليات تقصى الحقائق ومعانيها وتطبيقاتها بالنسبة لمشكلة معينة. ومعنى ذلك أن التحقيق الصحفي عملية فحص دقيقة محايدة وغير متحيزة لمشكلة من المشكلات. وتبنى هذه العملية وتقوم على تقصى الوقائع، والبيانات؛ والتصريحات؛ وتحريرها بدقة؛ وتبويبها وتحليلها والوصول إلى 'نتائج من هذا التحليل قد تؤدي إلى إظهار حقيقة المشكلة وأسبابها وما يناسبها من حلول"^(٢)

(١) تقنية الصحافة، السابق ص ٨٤.

(2)Whittney : Elements of Recherche, P.21.

ويصوّر "ديوي" عناصر عملية التفكير؛ وما يحدث في كل خطوة من خطواتها؛ على النحو الذي يفيد منه الباحث^(١)، كما يفيد منه المحقق الصحفي؛ وهذه الخطوات هي^(٢)؛

أولاً: شعور الفرد بموقف يصعب عليه الاستجابة له؛ مثل:

أ - عدم القدرة على تحقيق هدف ما بالوسائل المعروفة للفرد أو حتى عن طريق تعديلها لتناسب الموقف الذي يواجهه.

ب - عدم إمكان الفرد التعرف على صفات وخصائص شيء جديد بالنسبة له.

ج - عدم القدرة على تفسير حادث أو ظاهرة غير متوقع حدوثها.

ثانياً: تحديد الصعوبة التي تواجه الفرد في إطار عام على صورة مشكلة.

ثالثاً: وضع تفسير أو حل عن طريق التخمين أو استنتاج أو فرض أو نظرية - مستمدة من خبرات الفرد السابقة.

رابعاً: دعم الفكرة أو التفسير عن طريق جمع القرائن أو المعلومات التي تؤيدها.

خامساً: الربط بين الفكرة أو التفسير والمعلومات من أو القرائن التي حصل عليها في سبيل التأكد من صحة الفرض الذي وضعه كحل للموقف الذي يواجهه.

سادساً: ويعتبر "كيلى" أن التأكد من الحل الذي وصلنا إليه قد نجح في حل المشكلة؛ يقود إلى خطوة أخرى تهدف دائماً إلى التطلع إلى مدى إمكانية تعميم هذا الحل وتطبيقه على ضوء اعتبارات احتياجتنا في المستقبل.

ويدين "ميلتون فارنثيلد"^(٣) ست خطوات للمنهج العلمي؛

١ - جمع البيانات عن المشكلة أو في مجال ميدان يختاره الباحث (أو المحقق الصحفي) طبقاً لخطوة موضوعة وعن طريق الملاحظة ووسائل أخرى دقيقة، مع

(١) د. جمال زكي؛ د. أسيد يس؛ أسس البحث الاجتماعي ص٦٤.

(٢) نفس المرجع ص٦٤ John Dewey: How We Think, P.12

(٣) نفس المرجع ص٨ Milton Fairchild: The Scientific Method.

تسجيل هذه البيانات والتأكد من صحتها، وملاحظة أن يتم عملية جمع البيانات في داخل إطار محدد يخدم هدف البحث أو التحقيق.

٢ - تصنيف وترتيب البيانات على أساس التشابه؛ أو الاختلافات، أو التباين، أو الأساس أو الأسباب، أو النتائج، ومحاولة التمييز بين الصفات الأساسية الهامة، والتي لها علاقة مباشرة وتخدم أهداف البحث أو التحقيق، والأخرى السطحية البعيدة عن التأثير على هذه الأهداف.

٣ - التعميم لمحاولة استنباط مبادئ أو نظريات في صورة مبدئية، وتعتمد هذه الخطوة على خيال الباحث وقدرته على التصور ومعرفته بالمبادئ والنظريات التي لها علاقة مباشرة بمجال بحثه.

٤ - التحقق من صحة النظرية وصلاحتها عن طريق التجربة.

٥ - وضع البيانات والنتائج في صورتها النهائية.

وهذه الخطوات تتشابه إلى حد كبير مع خطوات التفكير على أن القيام بالتحقيق يستدعي اختبار عناصر مختلفة، ومتعددة، مما لا يتاح للصحفي في أغلب الأحيان، لذلك لا يستطيع التوصل إلى نتيجة مقبولة علمياً، وأخيراً، فإن توجيه النقد إلى هذه العناصر في التحقيق الصحفي يكون أشد تطرفاً منه في التحقيق العلمي. ويظهر الفرق بين النوعين في مرحلة النشر، فالصحفي يحذر دائماً من استعمال الألفاظ الصعبة والثقيلة؛ وكل ما يضيف على تعقيبه طابعاً "علمياً". ويتلخص منه الصحفي في الواقعية والحيوية التي لا يمكن أن تتوفر إلا جزئياً؛ ولكنه يسعى إلى أن يتوصل، من مجمل العناصر التي ينقلها، إلى خلاصة أو نتيجة، يقول الأستاذ جويار:

"ليس لدى المندوب الكبير، الذي يعالج موضوعاً أوسع مما يعالج المحققون، أحياناً كوضع دراسة عن بلد من مختلف جوانبه، الوقت الكافي ليهتم بالجزئيات. إن أنه ينحتم عليه أن ينقل في "تحقيق" واحد أو سلسلة "تحقيقات"؛ أشم الخصائص التي يجدها، بحيث يتمكن من تزويد قرائه بفكرة واضحة عنه".

ويقول "أل هيوستر"^(١): "تعد صحافة التحقيقات نقطاً من الصحافة يصعب ممارسته في أي مكان. وتزيد ممارستها صعوبة في الكثير من دول العالم الثالث حيث الأنظمة

(١) أل هيوستر: صحافة التحقيقات؛ في: دليل الصحفي في العالم الثالث ترجمة كمال عبدالرؤوف ص ١١.

الصحفية جزء لا يتجزأ من الحكومة الوطنية. وحتى عندما تكون الصحافة منفصلة عن الحكومة في العالم الثالث، فإن فكرة التحقيق في أي شيء نقابل بدهشة كبيرة.

ويعود جانب من التشكك في قدرة الصحفيين على ممارسة هذا النمط من الصحافة، أو بشأن السماح لهم بذلك في ظل أنظمة الحكم بالعالم الثالث، إلى الطريقة التي يتم بها تعريف "صحفي التحقيقات". ذلك أن الكثيرين لديهم تصور عن صحفي التحقيقات بأنه مزيج من المقاتل العنيد، ورجل البوليس السري، والكلب البوليسي الذي يتعقب الرذيلة والجريمة والفساد والأخطاء الإنسانية على الدوام.

ولو أننا أمعنا النظر في هذا التصور لوجدنا أن أصحابه يعتقدون أن صحفي التحقيقات هم أناس مبالغون إلى النقد العنيف والسخرية، ومنعتهم الوحيدة في الحياة هي 'تقليب كل الصخور رأساً على عقب، ليرى ما يمكن أن يخرج من تحتها من هوام'.

وكل هذه التصورات النمطية عن صحافة التحقيقات تضم جانباً من الحقيقة. ولكن لسوء الحظ فإن الجمهور، والكثير من الصحفيين لا يفكرون في مثل هذا النوع من الصحافة إلا من حيث "الفضح" الذي يتم دائماً على حساب موضوع التحقيق الصحفي. وإنما أرى أن صحافة التحقيقات يمكن أن تكون أوسع نطاقاً، كما يمكن أن تشمل تغطية صحفية تفسيرية متعمقة.

غير أن معظم ما نسميه "صحافة التحقيقات" يختلف من عدة زوايا هامة عن التغطية الإخبارية الروتينية. وتشمل هذه الاختلافات^(١):

(١) أن التحقيقات الصحفية تتم عادة على أساس أنها ينبغي أن ينتج عنها عمل ما، وأن تغييراً ما يجب أن يحدث. وسوف نرى أنه توجد أحياناً استثناءات لهذه القاعدة. بمعنى أن قد يؤدي تحقيق صحفي شامل أحياناً إلى تأكيد ما تم إنجازه بالفعل وإظهار تقدير الجمهور له.

(٢) أن التحقيقات الصحفية عادة ما تشغل مساحة أكبر، وتستغرق وقتاً أطول للإعداد لها ولجمع المعلومات. كما تستغرق وقتاً أطول في كتابتها.

(١) نفس المرجع ص ١١٢.

(٣) أن التحقيقات الصحفية تتطلب دائماً وفي الغالب موارد مالية أكبر، كما تستغرق وقتاً أطول من جانب من يقومون بها، لأن التحقيقات ينظر إليها على أنها ذات أهمية أكبر من العمل الصحفي الروتيني.

(٤) أن التحقيقات الصحفية يتم كتابتها، في كثير من الأحيان، ليس بقصد كتابة تقرير واقعي عن أحد الموضوعات، ولكن لأن كاتبها يضع في ذهنه أن ثمة حاجة إلى تغيير ينبغي أن يحدث، وإلى إصلاحات يجب أن تتم، أو أخطاء ينبغي أن تمتد إليها يد الإصلاح. ومن ثم فإن إدارة الجريدة أو المجلة ورئيس تحريرها والمحررون ينبغي أن يكونوا متفهمين على إنفاق الوقت وتخصيص المال لأجل هذه التحقيقات قبل البدء فيها.

(٥) أن التحقيقات الصحفية تتضمن عادة أيضاً معالجة خاصة تجعل مادة التحقيق جذابة بصفة خاصة، كما تتطلب أحياناً إصدار طبعات خاصة.

(٦) ويتم توجيه نور أكبر من الاهتمام عادة بتزويد التحقيقات الصحفية بالصور الجيدة والرسومات، والرسوم البيانية، والرسوم التخطيطية، والخرائط والجداول.

(٧) أن التحقيقات الصحفية يسند القيام بها عادة إلى أكثر الصحفيين والمحررين خبرة، لأن كتابتها بنجاح تعد من أصعب أنماط الكتابة الصحفية.

(٨) وينبغي دائماً أن يتم اتخاذ قرارات على أعلى المستويات في الجريدة أو المجلة أو الإدارة الحكومية، للموافقة على مشروع التحقيقات الصحفية، وذلك لأن الصحيفة أو المجلة تتخذ - على نحو ما - موقف النقد أو الاستحسان للموقف أو الوضع الذي سيجري كتابة تحقيق صحفي بشأنه.

ومن المتوقع في كثير من الأحيان أن يطور الصحفي أفكاراً لمشروع التحقيق الصحفي، والصحفي يختص عادة بمسئولية تغطية مجال معين يتطلب منه غالباً أن يقدم أفكاراً للتحقيقات الصحفية التي تكتب في إطاره. وفي بعض الأحيان فإن فكرة التحقيق الصحفي تكون من وحى مسؤولين على مستوى عال ممن يقابلون الصحفي ويعطونه كم التوجيه اللازم. ويكون الصحفي محضوفاً إن لم يحاول هؤلاء المسؤولين أن يخمنوا مقدماً ما هي نتيجة التحقيق الصحفي. ومن وجهة النظر المثالية، فإن الصحفي أو مجموعة الصحفيين المكلفين بالقيام بالمشروع ينبغي أن يكونوا قادرين

على التخطيط لمشروع التحقيق الصحفي (وذلك بالتعاون مع رؤساء التحرير وغيرهم)
ثم يجمعون المعلومات التي يبثون عليها استنتاجهم.

وينبغي أن يتعلم الصحفيون بسرعة إلا يحاولوا كتابة تحقيقات تنبئ الجدل والخلاف، دون الحصول على موافقة المؤسسة التي يعملون بها. وإذا لم يثلق مثل هؤلاء الصحفيين تأييد رؤسائهم لمشروع التحقيق مقدماً، فإن من الممكن أن يحدث ضغوط مؤثرة على رؤسائهم لإلغاء مثل هذه التحقيقات. والصحفي الذي لا يحصل على تأييد مؤسسته، يمكن أن يجد نفسه وقد وقع في مأزق. ويجب أن يحذر الصحفيون من أنه إذا أحدث تحقيق صحفي عكس ما يرجى منه فقد يجد كل من هم نفسه وقد تحول إلى كدش فداء: فقد يحدث مثلاً ألا يستطيع أحد كبار المسؤولين أن يتحمل حدة النقد فيقول: "إن الصحفي فلانا قد انجرف واندفع وكتب دون كفاءة أوفهم. وسوف نتخذ إجراءات تأديبية ضده، إننا في غاية الأسف!" (١)

"كما ينبغي تحذير الصحفيين بأن عليهم أن يتحسسوا طريقهم بحرص عندما يقدمون على كتابة التحقيقات الصحفية الحساسة أو المثيرة للجدل والخلاف... وذلك لأن مثل هذه التحقيقات هي التي يمكن، على الأرجح، أن تهدد مصادر الأخبار والمسؤولين. ومن الضروري وجود خطة جيدة لإجراء التحقيق الصحفي إذا أردنا تجنب ضياع الوقت والمال، ويجب على الصحفي، بالاتفاق مع رؤساء التحرير وغيرهم - أن يسأل أولاً: 'ما هو الشيء الذي يرغب في إجراء تحقيق بشأنه أو ترغب في اكتشافه؟' والخطوة الثانية هي أن يحدد بدقة، بقدر الإمكان، الأسئلة التي يمكن أن تساعد على الحصول على إجابات في التحقيق، وبعدها فإن على الصحفي أن يضمن أي المصادر التي يمكن أن يكون لديها المعلومات المطلوبة، وما إذا كانت هذه المصادر ستسمح له بالإطلاع على هذه المعلومات أو الحصول عليها. والمقابلات الصحفية، والملاحظة الفعلية لأحداث بعينها؛ ومحاولة تكوين خلفية بالقراءة في المكتبات العامة، أو تصفح المطبوعات المختلفة.. كلها أمور قد تكون ضرورية للحصول على المعلومات المطلوبة للتحقيق الصحفي.

(١) المرجع نفسه ص ١١٤.

وعلى الصحفي، بالتعاون مع رؤساء التحرير وغيرهم، أن يحاول أيضاً أن يضمن ما إذا كان التحقيق الصحفي يمكن أن يقوم به صحفي واحد أو مجموعة من الصحفيين. وإذا كان الأمر يتطلب إشراك أكثر من صحفي، فمن الضروري اتخاذ قرارات تحدد المسؤول عن كل مرحلة من مراحل التحقيقات. وقد يحدث أن يُسند إلى صحفي بعينه أيضاً مهمة الإشراف على بقية المجموعة. وإذا كان الأمر يتطلب استخدام مصورين صحفيين فإن من الضروري أن يحضروا عند التخطيط للتحقيق الصحفي حتى يتمكنوا من تقديم اقتراحاتهم بشأن الصور الجيدة. وهذا ينطبق أيضاً على الفنانين أو رسامي الكاريكاتير أو غيرهم من الأشخاص الذين سيتطلب الأمر الاعتماد على مهاراتهم المختلفة.

وربما يحتاج الصحفي أو رئيس التحرير الذي يشرف على مشروع التحقيق الصحفي إلى أن يضع مذكرة تفصيلية تحدد موضوع التحقيق، وأهم الأسئلة التي سيتم توجيهها (كلما أمكن ذلك مقدماً)، والمصادر التي سيتم إجراء مقابلات معها، والخفبة التي ينبغي الحصول عليها، والشكل الذي سيقدم التحقيق به. كأن يكون مثلاً في شكل سلسلة أو على صفتين متقابلتين أو أي شكل آخر^(١).

أنواع التحقيق الصحفي:

يتميز علماء الصحافة بين "التحقيق المتخصص"؛ أو "الموضوع المفكرة" *La chronique* والماجريبات البرلمانية؛ والقضائية؛ والموضوع الرياضي؛ والثقافي؛ والسيميائي؛ والنسائي؛ والتكليفزيوني؛ وهذه يطلق عليها تعبير *Chronique*.

ويتم التمييز بين نوعي التحقيق المتخصص أو موضوع المناسبات أو المفكرة على أساس من التقويم الصحفي؛ ومعياري الحالبة الزمنية بصفة خاصة؛ وهو معيار أساسي في الأعمال الصحفية بصفة عامة.

التحقيق السياسي والقضائي والرياضي:

يلزم على المخبر السياسي أو القضائي أو الرياضي أن يأخذ بسلسلة متتالية من الأحداث المتوقعة. وفي حال وقوع أحداث طارئة، لا يتردد الصحفي في معالجتها

(١) نفس المرجع ص ١١٤.

لإطلاعه مسبقاً على جميع حثياتها. فالمختر المتخصص، على امتداد دائم على الأحداث التي تدخل في نطاق اختصاصه، ويلاحظها وينابيع تطوراتها وإن لم يكن مدعواً إلى تغطيتها. يقول "جويار":

"باستثناء المخبرين المتخصصين، فإن مهمة الصحفي هي انتظار الأحداث المهمة ومتابعة تطوراتها بين وقت وآخر وهذه المراقبة تضي على تحقيقهم الموضوع وتجعل عرضها جيداً، إذ يقومون بتحليل الموقف السياسي، كلما رأوا ذلك مناسباً، ودون انتظار وقوع حدث مهم؛ أو يقومون بدراسة أولية يستعرضون فيها ملف دعوى سينظر فيها في اليوم التالي، أو يتابعون تطورات نشاط ناد رياضي. فتشاطر هؤلاء الصحفيين لا يتوقف؛ لأن لديهم دائماً عملاً متواصلاً من السعي وراء العنومات ومعالجة التحقيقات إجمالاً مع شخصيات مطلعة، فالحزب أو المندوب السياسي يحضر دائماً في قاعات المجالس، ومكاتب الوزراء، وسكرتارية الأحزاب مراقباً ما يجري فيها. وهو يجهد نفسه دائماً ليتم بما يدور في اللجان، وما يُهَيَّأ في الدوائر، وما ترتبه الجماعات. أما المندوب القضائي فيذهب بانتظام إلى دور القضاء والمحاكم، حتى في غياب الدعوى، وهو يتابع، بالحوار مع القضاة والمحامين وكتاب المحاكم، تطور التحقيقات القضائية. ويلاحق المندوب الرياضي تدريب الفرق، ويقابل مديري الأندية بانتظام^(١).

"وعلى الصحفي، ليمارس هذه الوظائف، أن ينصف بحب الإطلاع والفضول، وبالاحس المرهف واحترام السر أيضاً.

فالاطلاع، صفة تفرضها ضرورة احترام القارئ؛ والاطلاع سلاح يسهل مهمة البحث عن الأنباء، فالذي يقول عنه زملاؤه أنه محظوظ لحضوره الدائم في المكان المناسب وفي الوقت المناسب، هو صحفي مطلع على مجرى الأحداث، ويتفهم مباشرة؛ فأقل مؤشر يمكن أن يتيح الحصول على وثيقة هامة. ويفضل النواب التوجه في أجاديتهم إلى الصحفيين البرلمانيين المطلعين، ليحصلوا منهم على بعض المعلومات، والخدمة يقابلها دائماً خدمة أخرى.

(١) جويار: تقنية الصحافة، السابق ص ٧٥.

إن القبول والحس المرهف لا ينفصلان، فالأول هو المحرك لكل باحث عن الأنباء، والثاني هو المكبح الذين يمنح الصحفي من أن يصبح شديد الإلحاح، الصفة التي يمكن أن تفقده مصدر أخباره.

والمحافظة على السر تبدو وكأنها صفة تناقض تماماً وظيفة الصحفي، لكن يجب أن لا نقرده في تصنيفها بين الصفات المهنية؛ لأنها تساعد على نيل ثقة الأشخاص الذين يعتمد عليهم الصحفي في الحصول على أخباره.

وعندما ننشأ مثل هذه العلاقة من الثقة المتبادلة، يحصل الصحفي أحياناً على اعترافات شخصية تساند معلوماته الخاصة. واليوج بهذه الاعترافات، لا يعبر عن سوء لياقة فحسب، بل قد يؤدي إلى خسارة مستقبل الصحفي المهني، وهو بذلك، لا يفقد مصدر أخبار واحد فحسب، بل يتعد عنه جميع من يعتمد عليهم في الحصول على الأنباء.

وقد لا ندرك، للوهلة الأولى، أهمية هذه الاعترافات. ونحن ننسى أن الصحفي، إذا لم يستطلع اليوج بها مباشرة، فهو يستفيد منها بطريقة أخرى؛ فيبتعد أولاً عن نشر نيا بتعارض مع هذه الاعترافات، لأنها تسمح بإطلاع أفضل على موقف ما، وتساعد على مراقبة حدث متتظر. فإذا أطلع صحفي، من أحد الدبلوماسيين، على الاستعدادات الجارية لعقد اتفاق دولي؛ فيتفوق بهذا الإطلاع على زملائه بالقدرة على درس ظروف الاتفاق قبل إعلانه، أو نشره، قبل إعلان الإتفاق، بعض المعلومات التاريخية أو التفسيرية أو المكملة. وإذا ما أسر رئيس ناد رياضي لأحد المنتوين الرياضيين بنية أحد الأبطال تحطيم رقم قياسي، فإن المجال يتسع أمام الصحفي ليرسل إلى مكان الجائزة العدد الكافي من المخبزين والمصورين لتغطية الحدث، مما لا يتاح لسواه من الصحفيين غير المطلعين على مجريات اللعبة.

وفي النهاية وكقاعدة عامة، فإن محافظة الصحفي على الأسرار، عنصر ضروري لاستمرار الثقة المتبادلة بين مصدر الأخبار ورجل الصحافة.

وتعتبر تغطية دورة نيابية أو جلسة محكمة أو مباراة رياضية، في قمة نشاطات المحرر البرلماني أو القضاي أو الرياضي، وإن كانت لا تشكل إلا جزءاً من هذه النشاطات، ولقد رأينا أن دور الصحفي هو التهيئة لهذه اللحظة الحاسمة. وأصبح

نريداً لا فائدة منه أن نشدد على أهمية الإطلاع، قبل وقوع الحدث، على المسائل المطروحة وظروفها؛ كأخذ تصريحات من الكتل النيابية الكثيرة غير المشتركة في الحكم، اتجاهات الآراء المطروحة، وعلى الصحفي أن يتمتع، في هذا المجال، بانفتاح ثابت؛ فلا يجذب إلى المظاهر التي قد تحول الانتباه عن الموضوع الرئيس، فالحامس يحاول أن يلفت انتباه لجنة المحلفين وهيئة المحكمة ورجال الصحافة إلى تفاصيل تخدم مصلحة المتهم، أو إلى تفاصيل نافهة ومسلية، وهدفه من وراء هذا التصرف إخفاء العناصر الاتهامية التي قد تورط موكله، ويحاول الوزير أو النائب أسر المستمعين بسحر بيانه ليخفي نقاط الضعف في حجته. وإذا كانت هذه المظاهر تدخل في صميم الحدث، إلا أن الشجرة يجب ألا نخفي الغاية، لذلك يجب على المنوب أن يحافظ على تقديره لنسبة أهمية كل جزء من الحدث. فإذا ألقى أحد المتفرجين "مفاجأة" أثناء جلسة برلمانية، يأخذ هذا الحادث الطريف مكان الصدارة، إذا كانت الجلسة مملة وتدور حول موضوع تقني، ويمر هذا التصرف ذاته على هامش الموضوع الذي يتناول تغطية وقائع جلسة مهمة، يجرى التصويت خلالها على فرض قيود معينة^(١).

ويلاحظ "جويار": أن التحقيق البرلماني أو القضائي يجب أن يتصف بالموضوعية؛ بينما يفسح التحقيق القضائي في المجال أمام المعالجة الشخصية. إذ أن الجمهور الرياضي لا يكتفى بقراءة الأحداث الموضوعية في الصحيفة، فهو يستطيع متابعة وقائع المباريات، كما تحدث، على شاشة التلفزيون. كما يلاحظ أن هذا الهامش المتروك لتدخل المحرر الرياضي الشخصي لا يسهل عمله؛ بل على العكس، إذ أن عليه أن يتصف بالحدز، لأن الجمهور الرياضي حساس، إجمالاً، ولا يسمح بوقوع أي خطأ في نقل الوقائع وتحليلها.

رهبورتاج المنوعات:

ويتطلب هذا النوع في الأحداث، من الصحفي مرونة فائقة نتج له التكيف مع الأحداث ومع المحيط المتغير ولا يسمح هذا النوع بوضع تعريف مطلق للمنوعات، ويعرفها "جويار" بقوله: "إنها التحقيقات التي لا تعالج موضوعات سياسية أو دبلوماسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو قضائية أو رياضية أو ثقافية".

(١) نفس المرجع ص ٧٨.

وتتناول هذه الريبورتاجات إجمالاً موضوعات الحوادث والحرائق والأحداث الطارئة. ويدخل ضمن نطاقها الكوارث الجوية والزلازل والاعتقالات، ويفرض هذا التنوع على الصحفي أن يتواجد في اليوم نفسه أحياناً، في المخافر ملاجئ الفقراء والحفلات الاجتماعية.

والفاسم المشترك الذي يربط بين مختلف أنواع التحقيق الصحفي المنوعة، هو أن على الصحفي أن ينصرف إلى مهمته في أقصر وقت ممكن؛ فأغلب الأحداث المنوعة تكون غير مرتقبة. وبعد أن يطلع عليها الصحفي، عليه أن يبادر بالذهاب إلى مسرح الحدث ويستكمل البحث عن الحقيقة؛ لينصرف بعدها إلى كتابة موضوعه بالسرعة اللازمة. وإذا كانت سرعة الانتقال تستوجب حسن اختيار وسيلة النقل، فإن سرعة القيام بالتحقيق تستوجب تطبيق القواعد العامة في رياضة جاش. وفيما يتعلق بإيصال الوقائع إلى سكرتارية تحرير الصحيفة، على المندوب أن يعرف كيف يتصرف ليجد هاتفاً في مكان مقفر والأكثر تعقيداً هو معرفة وقوع الحدث غير المتوقع، فالخبر لا يستطيع الاعتماد على المصادقة ولا على الحظ وحدهما.

وفي هذا المجال من السعي وراء الأخبار المنوعة، تزداد المخاطر من أن يتفوق علينا منافس، ففاجأ بالخبر منشوراً في صحيفة أخرى. ولتجنب هذا الخطأ، يبادر محررو المنوعات إلى تنظيم وتنمية شبكة متكاملة من المخبرين المتطوعين. وفي انتظار وقوع حدث طارئ، لا يكتفى المحررون بتقرب اتصال هاتفي من أحد المتطوعين، بل ينصرفون إلى ملاحقة الأخبار ومعرفة مصادر أخرى، ويتميز هذه المصادر بالتنوع؛ ومنها ما هو ضروري، كالأشخاص الذين يؤدون مهمات تنفيح لهم الإطلاع على الحوادث حين وقوعها: من رجال الشرطة والاطفاء والمستشفيات.

ومن الضروري أن يقوم المخبر الذي يلاحق هذه الموضوعات بجولة يومية على مخافر الشرطة. وعليه أن يجهد نفسه في الحصول على مزيد من التفاصيل من ضباط الأمن وكتاب النظارات.

وقد لا يتوصل المخبر إلى الحصول على معلومات من رجال الشرطة؛ ولهذا يفضل أن يصل إلى مكان الحادث قبل وصولهم أو برفقتهم. كما يجب أن نتذكر أنه يوجد آخرون، غير رجال الشرطة، مطلعون على الأحداث، كالعتدي عليهم ومرتكبي الجريمة

والشهود. وإذا كنا لا ننتظر الحصول على المعلومات من المعتدى عليهم أو مرتكبي الجريمة، فإنه يجب أن نعتمد على الشهود مباشرة أو نسترشد بواسطة المخبرين المتطوعين المحنئين؛ مثل عمال البارات وموزعي الصحف والنجار وحراس الأبنية. ولهؤلاء الحظ بأن يطلعوا بسرعة على الأمور غير الطبيعية التي تجرى في النطاق الذي يوجدون فيه. ويكافأ المتطوعون بجوائز أو خدمات صحفية مجانية. وإجمالاً يكتفى المتطوعون بما يوحيه إليهم المحرر من شهور بأهمية دورهم. لكن على الصحفي ألا يكتفى بالاعتماد على هؤلاء المتطوعين الذين لا ينفعون إلا في حال وقوع أحداث مرئية أو دامية، فخير وفاة شخصية مرموقة، داخل منزلها، يبقى محصوراً في نطاق العائلة وفي محيط عملها. ومن هنا تتضح أهمية شبكة المخبرين المتطوعين الذين يعملون في الإدارات والمؤسسات والشركات المختلفة، والتي يتعاون معها المحررون في مختلف أقسام الصحيفة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

بين 'الحديث' والتحقيق الصحفي:

وكما تبين في دراستنا للحديث الصحفي؛ أنه قاسم مشترك بين فنون التحرير؛ وهو في التحقيق الصحفي وسيلة أساسية من وسائل جمع المعلومات والآراء؛ وحظه من الوقت "أوفر" من حظه في الأخبار والقصص الخيرية؛ ذلك أن إنجاز التحقيق الصحفي وكتابته تتم قبل يوم أو أكثر من نشره. ونظراً إلى أن التحقيق الصحفي ينشد عادة الكشف عن حقيقة شخصية ما أو جو ما، فإن الجري الكلي للمقابلة يتأثر بذلك. فيصبح المخبر كثير التدقيق في الاختبار ويسعى في المقام الأول إلى المادة التي من شأنها أن تسهم في رسم صورة جيدة للشخصية أو المادة التي من شأنها أن تجعل للنحو عمقاً. ونتيجة لذلك يتحدث مطولاً بقصد اختيار المواد المفيدة بعد المقابلة. فإذا كان يستجوب مثلاً أحد عمال مناجم الفحم بقصد إظهار شظف حياته جاز أن يسأل أسئلة كثيرة خارجة عن الموضوع من أجل أن يدرس وجه العامل وهو بجيب. وإذا كان يكتب عن الحياة على سفينة نهريّة أمكنه أن يطرح الكثير من الأسئلة على ملّاقم السفينة مجرد استيعاب الجواهب المهيمن عليها. وهكذا فإن الاستجواب يتعلق بالتحقيق الصحفي غالباً ما يكون أشبه بمحادثة بين صديقين منه بإجراء السؤال والجواب^(١).

(١) فريزر روت : السابق ص ١٤٦.

ويلاحظ "توماس بيرى" اختفاء شخصية الكاتب في الموضوع الإخبارى الذى يخلو بكامله من العنصر الشخصى الذاتى، فالحقائق المجردة الصرفة تروى بطريقة موضوعية، فليس فيها من ظن أو تخمين أو رأى أو تنقيب وراء المظهر عن زاوية ذات طابع إنسانى. وهكذا ليس فى الموضوع الإخبارى، باستثناء أساليب كتابية ثانوية الأهمية، ما يكشف عن ملامح شخصية الكاتب.

أما فى التحقيق الصحفى فإن اللهجة كلها تصبح شخصية، فنجد فيه معالجة ذاتية متميزة للجوانب ذات السجبة العاطفية أو الدرامية أو الشخصية - الجوانب التى تظوى على جانب مثير للاهتمام الإنسانى، وبالاختصار يتبنى الكاتب هنا طريقة ذاتية من أجل أن يصور الصفة الإنسانية فى الموضوع. وهكذا فإن الفارق بين الموضوع الإخبارى والتحقيق الصحفى يكمن فى الاختيار والمعالجة. فكاتب الموضوع الإخبارى لا ينتقى إلا الوقائع الصرفة ولا يعالجها إلا موضوعياً، أما كاتب التحقيق الصحفى فإنه يركز فى زاوية الطابع الإنسانى للموضوع ويعالجها معالجة ذاتية.

وبالطبع ليست الأخبار كلها طوع المعالجة كتحقيق صحفى. فالكاتب خليق مثلاً بأن يقاسى عنتاً شديداً فى اكتشاف مادة التحقيق الصحفى فى بيان روتبني يعلن أن المؤسسات العامة ستغلق أبوابها، كما هى العادة يوم عيد من الأعياد. ولكن بعض الموضوعات الإخبارية يحفل بنهاية بما يجعل منه مادة تحقيق صحفى وبشكل يحمل المرء على معاناة العنت الشديد فى معالجتها كأخبار صرفة. فلا شك مثلاً فى أن قصة المرأة العجوز التى تنهى السلميات برفضها إخلاء بيت حكم عليه بالهدم، تشكل مادة لتحقيق صحفى. وكذلك الحال فى نبال رجل يتلقى إعانة خيرية تعوله فاشترى انسجاماً مع حدسه بطاقة يانصيب ويربح الجائزة الكبرى، فأخبار كهذين الخبرين نؤلف، بنهاية، مادة لتحقيق صحفى، لأن زاوية الطابع المثير للاهتمام الإنسانى يجب أن تتقدم على الحقائق الصرفة. ولا شك فى أن الجوانب الشخصية فى هذه الحوادث ادعى إلى إثارة القارئ من الحقائق المجردة للخبر.

وهنا لابد بالطبع من اتخاذ قرار فاصل فى الحالات التى يمكن فيها استخدام الخبر كخبر صرفة أو مادة لتحقيق صحفى. ويستند هذا القرار عموماً إلى السياسة التحريرية للصحيفة، ويتوقف على عدد التحقيقات التى سبق استخدامها، ثم على


قيمة الموضوع كخبر صرف مباشر بالقياس إلى قيمته كتحقيق صحفي. وتبعاً لذلك فقد نستخدم هذه الصحيفة مجموعة معينة من الوقائع والحقائق كخبر صرف، بينما نستخدم تلك الصحيفة الصادرة في المدينة ذاتها تلك المادة موضوعاً لتحقيق صحفي. ويمكن إيجاد مثال على هذا التباين في اختلاف طريقة معالجة الموضوعات المتعلقة بشراء الإدارة المحلية لمعدات جديدة. فبعض الصحف يطلب في إيراد النبا (بتسجيل ردود فعل الموظفين والتغيرات المترتبة على ذلك الخ) بينما تقتصر صحف أخرى على إيراد تفصيلات صفقة الشراء بطريقة مقتضية.

وثمة نقطة أخرى تجدر ملاحظتها في التمييز بين الخبر الصرف والتحقيق الصحفي، هي أن كثيراً من الأخبار يكون بين بين. فقد يطلب رئيس التحرير عندها يعهد في موضوع إلى كاتب أن يعمل طابعاً مسلياً أو طابعاً فكاهياً أو طابعاً تهكمياً. وهذه الموضوعات التي تقع بين بين هي، بالاختصار، ليست من قبيل الخبر الصرف ولا من قبيل التحقيق الصحفي الصرف، إنما تنطوي على بعض من خصائص كل منهما^(١).

ومن الأنماط الفنية في تحرير التحقيق الصحفي:

- ١ - النمط العرضي Exposition.
- ٢ - النمط القصصي Narration.
- ٣ - النمط الوصفي Discription.
- ٤ - النمط الاعترافي Congession.
- ٥ - النمط الحوارى Interview.

(١) توماس بيلى: الصحافة اليوم، اسابق ص ١٦٣.



الفصل الثاني

المقال الصحفي



لعلنا نذكر المسبو جوردان، ذلك البطل الثرى الجاهل في مسرحية مولير المسماة: "الجنّلمان البورجوازي"، ذلك أن جوردان هذا استأجر كثيراً من المعتمين ليعلموه فنون المجتمع الراقي، وفي أحد المشاهد نجد جوردان يتلقى درسه الأول من أستاذ الفلسفة ولكنه بقاطع المدرس ملتصقاً طلباً خاصاً:

- جوردان : أريد أن أفضى إليك بسر عظيم يقنضى الكتمان، إنني واقع في حب سيدة من الطبقة الراقية وأريدك أن تساعدني على أن أكتب لها رسالة أبتها فيها لواعج غرامي.
- المعلم : حسناً.
- جوردان : أريدها رسالة في غاية الطرافة والكمياسة.
- المعلم : بكل تأكيد - وتريدها بالطبع شعراً؟
- جوردان : كلا، كلا - ليس بالشعر.
- المعلم : إذن لا شيء سوى النثر؟
- جوردان : كلا لا أريدها مكتوبة لا بالشعر ولا بالنثر.
- المعلم : ولكن يا سيدي - لا بد لها وأن تكون إما شعراً وإما نثراً.
- جوردان : ماذا تعني بذلك.
- المعلم : لأن كل شيء يا سيدي لا يكون نثراً فهو شعر، وكل ما ليس بشعر فهو نثر.
- جوردان : وعندما يتكلم المرء - فماذا يكون ذلك؟
- المعلم : ذلك نثراً يا سيدي.
- جوردان : ماذا تقول؟ هل إذا ناديتُ خادمي وقلت له "أحضر خفي يا نيكول وناولني قفلسوة النوم" - فهل هذا نثر؟
- المعلم : نعم يا سيدي.
- جوردان : حسناً.. حسناً.. حسناً.. إذن لقد ظلمت أنكم نثراً طوال فترة تزيد على أربعين عاماً وأنا لا أدري شيئاً عن ذلك.. إنني شاكر لك جداً أن علمتني ذلك!!

ولكن ما لم يعرفه السيد جوردان أن هناك ثلاثة مستويات للتعبير اللغوي:

أولها: المستوى التفوقى الفنى الجمالى فى الأدب والفن.

والثانى: هو المستوى العلمى النظرى التجريدى ويستعمل فى العلوم.

والثالث: هو المستوى العملي الاجتماعي العادي وهو الذي يستخدم في الصحافة والإعلام بوجه عام. وهذه المستويات الثلاثة كائنة في كل مجتمع إنساني، والفرق بين المجتمع المتكامل والسليم، والمجتمع المنحل المريض هو في تقارب المستويات اللغوية في الأول... وتباعدها في الآخر. فتقارب مستويات التعبير دليل على نجاسة المجتمع، وتوازن طبقاته، وحيوية ثقافته، ومن ثم إلى تكامله وسلامته العقلية، فمن الثابت أن العصور التي يسودها نوع من التآلف بين المستويات العلمية والأدبية والعملية، هي غالباً أزهى العصور وأرقاها^(١).

وفن المقال الصحفي - تأسيساً على هذا الفهم - نثره من نثر التقدم الحضاري، فهو بطبيعته لا يزكو إلا في بيئة يتكون فيها الرأي العام، ويتقدم فيها العمل السياسي وتتصارع بها الآراء والاتجاهات، وينتشر فيها التعليم، وتنهض الفنون، وتصبح الديمقراطية انبساطاً مقبولاً لدى الجميع، وينتقل التفكير من الذاتية والأسطورية إلى الواقعية والموضوعية. فإذا نظرنا إلى فن المقال الأدبي نفسه وجدنا أنه قد ظهر في بيئة ملائمة لنشأته وجد فيها جزءاً صالحاً للنمو والاندماج فمن الثابت أن فن المقال قد رأى النور في عصر النهضة الأوروبية^(٢).

ماهية فن المقال

أطلق 'مونتاني' على مقالاته اسم 'المحاولات' Essay كأنه - على حد تعبير العقاد - يعتذر من ترسله فيها بغير تقيد بموضوع واحد أو تعمق في التفكير، وكانت المحاولة في اصطلاح الفنانين هي معالجة صنع التمثال من مادة رخوة كالشمع وما إليه قبل صده في قوالب النحاس أو نحته من الرخام. فأراد 'مونتاني' بمقالاته أن تكون محاولات 'رخوة' من هذا القبيل، وقصرها على الأحاديث المسنخفة والتجارب الشخصية التي يتناجى بها الإخوان في ساعات السمر وتزجية الفراغ.

فلما تناول 'باكون' الكتابة المقالة أقل فيها من الناحية الشخصية وزاد فيها من الناحية الدراسية فأصبحت مقالاته أقرب إلى التركيز والإدماج منها إلى التبسط والفكاهة، ولقيت مع ذلك رواجاً أي رواج، ثم نشأت الصحافة فاستقرت المقالة في

(١) د. إبراهيم إمام، دراسات في الفن الصحفي ص ١٧١.

(2) Imam, I. The Language of Journalism (1969).

مكانها الذي لا غنى عنه بنوع آخر من أنواع الكتابة الوجيهة، بعد أن كانت محاولة مترددة بين القبول والإهمال.

وانقسمت موضوعات المقالات على حسب الصحف والمجلات، فما كان منها للنسبية والقراءة العامة فقد التزمت فيه طريقة مونتاني وتابعيه، وما كان للدرس والقراءة الخاصة فقد غلبت عليه صبغة الجد والإتقان، وقيل في تعريف النمط الأول إنه أشبه شيء بحديث شخصي تفاجئه على غير انتظار فهو مزاج من التفتح والحبلة العارضة على مسمع من المترقبين المتطلعين.. وقيل في تعريف النمط الآخر إنه درس يلاحظ فيه تلخيص الطولات وتقريب المتفرقات، وقد يبلغ الغاية من التركيز والإدماج^(١).

ويذهب العقاد^(٢) إلى أن 'المقالة' ينبغي أن تكون "مشروع كتاب في موضوعها لمن يتسع وقته للإجمال ولا ينسج للتفصيل، فكل مقالة في موضوع فهي كتاب صغير يشتمل على النواة التي تنبت منها الشجرة لمن شاء الانتظار".

أما الدكتور جونسون، فيذهب إلى أن المقال 'وثبة عقلية لا ينبغي أن يكون لها ضابط من نظام، وهو قطعة إنشائية لا تجري على نسق معلوم، ولم يتم ضمها في نفس صاحبها، أما الإنشاء المنظم فليس من المقال في شيء" وفي تعريف آخر: "المقال هو الإنشاء المتوسط الطول، يكتب نثراً عادة، ويعالج موضوعاً بعينه بطريقة بسيطة موجزة على أن يلتزم الكاتب حدود هذا الموضوع، ويكتب عنه من وجهة نظره هو".

لقد تواضع رجال النقد على أن يطلقوا كلمة 'مقالة' على كل ضروب الكتابة النثرية إن قصر طولها وعالجت موضوعاً واحداً، ويذهب 'تشارلتن' إلى أن المقالة قد تكون نظاماً، ولذلك أمثلة قليلة، نجدها في العمود الشعري، ولهذا كان مدى التفاوت بعيداً جداً بين مختلف صنوف التحرير التي تقع تحت هذا الاسم، فالبحث العلمي القصير مقالة، كالرسالة العلمية التي كتبها 'لوك' عن طريق اكتساب الإنسان للمعرفة وأطلق عليها 'مقالة في العقل البشري' والقطعة الأدبية الفنية مقالة، ومثل ذلك مقالات 'لام' و'أيام' طه حسين، وهذا النوع من المقالة لا يضيف إلى العلم الإنساني عنماً جديداً ولا يقدم للقارئ معرفة، إنما يقصد إلى إمتاعه ولذته بما فيه من فن جميل، وبين هذين الطرفين - المقال العلمي من ناحية والمقالة الأدبية من ناحية أخرى -

(١) عصر العقاد؛ للمؤلف؛ لكسابق ص ٧٠.

(٢) نفسه ص ٧١.

تتفاوت المقالات درجات في ذوقها من هذا الطرف أو ذلك، فمنها ما هو إلى العلم الخالص أقرب، ومنها ما هو إلى الفن الخالص أقرب، ومنها ما يجمع الغايتين معاً. على نحو ما نجد في، مقالات 'ماكولي' التي يحاول فيها أن يكون مؤرخاً علمياً يتوخى الحق وصدق الرواية، أن يكون قنانياً في ألفاظه وعباراته في وقت واحد^(١)، شأنه في ذلك شأن طه حسين حينما يحاول في مقالاته ما يحاول الخطيب بأسلوبه، يظهر للناس كأنما هو يدير القول في موضوع عقلى منطقي، لكنه يرغب ذلك لا يرجو أن يؤثر عليهم بحجته بقدر ما ينفذ إلى قلوبهم بقوة العبارة وحسن البيان. هذا عن المقال الأدبي، أما المقال الصحفي فيرتبط بوسائل الإعلام، التي تحتوي على ثلاثة أنواع رئيسية من المضمون الإقناعي.

أولها: الإعلام وثانيتها الدعوة المقصودة: كالمقالات الافتتاحية، والرسوم الكاريكاتيرية والأعمدة والمقالات التفسيرية التي تؤدي بالقارئ إلى الوصول إلى استنتاج. وثالثها تلك المضمون الذي يراد به أساساً، الترفيه أو الإعلام بحيث يكون الإقناع منتجاً فرعياً محتملاً.

ويذهب ريفرز وزمبلاه في كتاب 'وسائل الإعلام والمجتمع الحديث' إلى أن المضمون الإخباري لوسائل الإعلام قد يكون له تأثير أكبر في الرأي العام من الإقناع الصريح، بمعنى أن الأخبار قد تكون ذات قوة أكبر في تشكيل الاتجاهات العامة من المقالات والأعمدة السياسية، والأخبار تسجل الأحداث، وقد تغير الأحداث التي تقدمها الصحيفة عقولاً أكثر مما تغيره الدعاية.

ويقدم هودلي كانتريل في كتابه 'قياس الرأي العام' قاعدة عامة تقول: 'إن الرأي يتحدد عموماً بالأحداث أكثر مما يتحدد بالكلمات - ما لم تفسر هذه الكلمات ذاتها على أنها حدث' ويضيف 'ريفرز' إلى ذلك، أن الأحداث تنزع إلى ترسيخ تغيرات الرأي العام الناتجة عن الكلمات، وقد يكون التغير في الرأي قصير العمر ما لم تسانده بعض الأحداث.

ولكن هذه القواعد العامة - كما يذهب إلى ذلك برنارد بيرلبيون - تستدعي تعليقيين: أولهما أنه يكون من الصعب التمييز بين الأحداث والكلمات، فهل الخطاب الهام الذي يقدمه رئيس الجمهورية حدث أم مجرد كلمات؟ وثانيهما: أن كثيراً من

(١) هبند مشارلتن (تعريب وشرح د. زكي نجيب محمود) فنون الأدب.

الأحداث لا تحدث تأثيرها نتيجة حدوثها فحسب، وإنما بمعاونة من الكلمات أيضاً، أي أن أهمية الحدث في إقناع الجمهور قد تتحدد كثيراً من خلال التفسيرات التي يقدمها معلقوا التلفزيون، وكتاب المقال الصحفي.

المقال الأدبي والمقال الصحفي.

وإذا كان عصر النهضة هو البيئة المواتية لظهور فن المقال الأدبي، فقد كانت عصور التقدم العلمي، والتطوير الفكري، وتكوين الرأي العام وظهور الطبقة الوسطى التي تمتاز بعقلية واقعية، وتهتم بمشكلات المجتمع العملية من أهم عوامل ظهور فن المقال الصحفي.. الذي يختلف - كما يذهب إلى ذلك الدكتور إمام - عن فن المقال الأدبي اختلافاً جوهرياً من حيث الوظيفة والموضوع واللغة والأسلوب جميعاً: فالمقال الأدبي يعبر قبل كل شيء عن تجربة معينة مست نفس الأديب، فأراد أن ينقل الأثر إلى نفوس قرائه، ومن هنا قيل أن المقال الأدبي قريب جداً من القصيدة الغنائية، لأن كليهما يغوص بالقارئ إلى أعماق نفس الكاتب أو الشاعر، ويتغلغل في ثنايا روحه حتى يعثر على ضميره المكنون، ولك الفرق بين المقال الأدبي والمقصيدة الغنائية هو فوق في درجة الحرارة. تعلقو وتتناغم فتكون قصيدة، أو نهبط وتنأثر فتكون مقالاً أدبياً 'على حد تعبير الدكتور زكي نجيب محمود' أما المقال الصحفي فيتصل أكثر ما يتصل بأحداث المجتمع الخارجية عامة، كما يفترض وجود رأي عام يخاطبه ويتحدث إليه. أو كما يقول الدكتور إمام، إن المقال الأدبي يدخل في اعتباره عواطف الفرد ووجدانه، أما المقال الصحفي فيهتم بما يسمى 'الوجدان الجماعي'.

وفي دائرة المعارف البريطانية إضافة في تعريف المقالة الأدبية تحت مادة Essay (ط ١٩٢٩م): 'المقالة الأدبية عبارة عن قطعة مؤلفة متوسطة الطول، وتكون عادة منقورة في أسلوب يمتاز بالسهولة والاستطراب، وتعالج موضوعاً من الموضوعات، ولكنها تعالجه - على وجه الخصوص - من ناحية تثير الكاتب به' ويرى 'سواريس' في كتابه 'مقدمة لدراسة الأدب' أن هناك قسمين من المقالات:

الأول: قطع إنشائية في موضوع من موضوعات العلم أو الفلسفة أو التاريخ أو النقد، وعرضها الأول عرض طائفة من 'المعلومات'، ومثل هذه المقالات قابلة لأن تكبر حتى تصبح 'بحوثاً'.

الثاني: عبارة عن قطع قصيرة، في أسلوب استطرادي، تشمل على وجهة نظر الكاتب فهي محاولة منه أن يسجل الآراء التي يثيرها الموضوع في فكره. والموضوعات لا تقع تحت حصر ولكنها يجب أن تصطبغ بانفعالات وشخصية الكاتب. ولعل مقالات 'تشارلس لام' المسماة مقالات 'إليا' هي خير مثال لهذا الطراز من المقالات.

ويشتمل المقال الأدبي على: المقال الوصفي أو العرضي، والمقال النزالي، والمقال النقدي، والمقال الكاريتيري، والمقال القصصي، والمقال الاعترافي.. إلخ.

أما المقال الصحفي فينقسم إلى أنواع منها: المقال الافتتاحي أو العمود الرئيسي، والعمود الصحفي، وفن اليوميات الصحفية.

ونحن نذهب إلى أن الفصل بين المقال الأدبي والمقال الصحفي فصل تعسفي في كثير من الأحيان، ذلك أن المقال الصحفي قد وظف فنون المقال الأدبي لأداء مهام الفن الصحفي، وطبعها بطابعه كفن تطبيقي وليس فناً تجريدياً، وهو لذلك يقوم على أداء وظائف الإعلام والتفسير والشرح والتوجيه والإرشاد والإمتاع والتعليم والتنشئة الاجتماعية. فالمقال الصحفي مسئول عن تقديم المعلومات إلى الجماهير بصورة مبسطة مستساغة، وخالية من التفاصيل المعقدة، ولذلك يجب أن يكون المقال الصحفي جميل الأسلوب، مشرق الديباجة، منفرداً في موضوعه وهدفه، قوياً في تعبيره عن الرأي.. وإذا كان المقال يدعم لقضية، فلا بد أن يفعل ذلك دون إبهام، وإذا كان يشرح أو يفسر أو يحلل فعلى الكاتب أن يقدم أكثر مما يستطيع المندوب الصحفي أن يقدمه في أعمدة الأخبار، بحيث يقدم أعقد المشكلات السياسية والاقتصادية والثقافية باصطلاحات الإنسان العادي.

فن المقال الافتتاحي.

ويعتبر هذا الفن من أهم فنون المقال الصحفي لاعتماده في الشرح والتفسير والابضاح على الحجج والبراهين، والإحصاءات والبيانات للوصول في نهاية الأمر إلى اقتناع القارئ وكسب تأييده ذلك أن المقال في مدلوله الإصلاحي Leading Article، يقود غيره من المقالات ويتقدمها من حيث تعبيره عن رأي الصحيفة كمؤسسة، ومن حيث نذوله لأهم الموضوعات بالقياس إلى سياستها التحريرية، ومن حيث المساحة الثابتة الممنوحة له. ولذلك فإن المقال الافتتاحي كثيراً ما يكون غفلاً من التوقيع.

غير أن اتجاه هذا المقال إلى التعبير "اللاشخصي" ليس معناه الجفاف في التعبير، أو الجفاء في موقف الكاتب من القارئ، إذ أن خاصية التبسيط في الحديث والإنسياب في السرد لا تزال أهم مميزات فن المقال الصحفي. وهي المميزات التي يتسم بها أدب المقالة في نماذجها الماثورة حتى "ليشعر الغارئ لمقال من مقالات كتابها أنه إنما يجلس إلى صديق من أصدقائه، ويستمع إلى بعض إخوانه، ويدور معه حيث يدور، ويدخل معه في شجون من الحديث لا يجب أن يصل إلى نهايتها، وهي المميزات التي تجعل مقالة الصحفي يقوم على "روح المشاركة"، وهي روح الديمقراطية الحقة التي تفترض المساواة بين الجميع، ومن هنا فإن هذا الفن المقال في الصحافة المعاصرة ينسم بالهدوء والابتعاد عن الاستعلاء أو الخطابية، ذلك أن المقال الافتتاحي يهدف إلى الإقناع لا مجرد الاستمالة العاطفية، فالشواهد والأدلة والبراهين، سواء بالنصوص أو الإحصاءات أو المقارنات ضرورة لازمة للتعليل على الأخبار والمجريات. وكثيراً ما يكون المقال الافتتاحي بمثابة تعليق على الأخبار والأحداث الجارية، مع الاستشهاد - بطبيعة الحال - بأمثلة تاريخية وتقارير إخبارية، ولذلك فإن كاتب المقال الافتتاحي يعتمد اعتماداً كبيراً على الأرشيف الصحفي، وعلى مذكراته الخاصة، بالإضافة إلى ذاكرته القوية. ولذلك نجد كاتب المقال الافتتاحي - في نهاية الأمر، رغم عدم توقيعه باسمه، معروفاً لدى جمهور القراء الذين تألفوا مع أسلوبه وتعودوا على فتح الصحيفة في صفحة معينة لقراءة ما يكتبه في تلك الصفحة البسيطة الأسلوب والمقنع في حجته.

ومن أجل ذلك وجدنا الصحف العالمية تسجل على كل صفحة من صفحاتها، ما عدا واحدة، ما يجري في العالم الواسع من أحداث وما يدور فيه من أفكار وآراء. وتستبقى صفحة واحدة فقط، وفي بعض الأحيان عموداً واحداً فحسب، لتجهر بأرائها هي وأفكارها. فحق الصحيفة في الإعراب عن رأيها في الأنباء التي تنشرها أمر طبيعي جداً، فالنبي والرأي رفيقان يظهران جنباً إلى جنب ذلك أن أول سؤال يبدو إلى أذهاننا عندما يأتينا شخص ما بأي معلومات تثير اهتمامنا هو: "ما رأيك في هذا الأمر؟". ولذلك كانت الصحف في أيامها الأولى تنشر الأنباء على حدة والآراء على حدة، فتصدر إحداها في رسائل الأنباء، والأخرى في كراسات، وكان "دانيال ديفو" هو أول من وحد بين هذين القائريين الصحفيين في مطبوع واحد أسماه "ذي ريفو" أصدره في لندن عام ١٧٠٤^(١).

(١) الدكتور إبراهيم أمام : تطور الصحافة الإنجليزية ص ١٩٦.

وينسب إلى ديفو أولية كتابة ما كان يسمى بالخطاب الافتتاحي **Letter Introductory** وهذا أول مقال حول موضوع سياسي أو اجتماعي هام تعليقاً على الحوادث الجارية يكتب بأسلوب شائق جذاب ويظهر عادة في صدر الصحيفة وكأنه خطاب رقيق لطيف من الكاتب إلى القارئ، فسمى بالخطاب الافتتاحي وكان نواة للمقال الافتتاحي الذي نعرفه في الصحافة الحديثة.

وقد كان المقال الافتتاحي في القرن الماضي يشغل الصفحة الأولى وبعض أجزاء من الصفحات الأخرى. ولم يتزحزح عن مكانه الممتاز في الصحف الأولى إلا في وقت قريب - أي منذ إنجازات الصحافة الحديثة في الفترة الأخيرة إلى الضرب، وقلت عنايتها نوعاً ما بالمقال. وليس أدل على أهمية المقال الافتتاحي منذ نشأة الصحافة من أن كتاب هذا المقال كانوا ولا يزالون - نوابغ الصحافة في كل أمم من الأمم، بل في كل فترة من فترات التاريخ. ففي الصحافة العربية اشتهر من كتاب المقال : محمد عبده، وأديب اسحق، ومبدالله نديم، والزعيم مصطفى كامل، وأحمد لطفى السيد، وعبدالقادر حمزة، وأمين المرافعي، وإبراهيم المازني، وحسين هيكل، والعقاد، وطه حسين، وغيرهم من أساطين الفكر والأدب والصحافة. وفي الصحافة الإنجليزية لمعت أسماء كتاب المقال من أمثال ديفو واريون وسكيل، وجونسون وويلكينز وديكنز ولامب وبرناردشو ووب وغيرهم. وكذلك كان كتاب المقال من الأمريكيين من المع رجال الفكر والسياسة والأدب ومنهم صمويل آدمز وجون آدامز وجوزيف آرن وصمويل مبرورالف امرسون ووالتر ليمان وغيرهم.

وقد كان المقال الافتتاحي ينهض بهمة القيادة والزعامة، وكان وسيلة التوجيه والإرشاد والتنشئة الاجتماعية، كما كان الوسيلة المؤثرة لتكوين الرأي العام. ولا يزال المقال الافتتاحي يقوم بدور رئيسي في الصحافة الرفيعة أو صحافة الرأي العام المستنير كصحيفة التيمس الإنجليزية والنيويورك تايمز الأمريكية والمؤند الفرنسية وغيرها. بل إن مقالات هذه الصحف قد نتجاوز في أهميتها وتأثيرها حدود البلاد التي تنشر فيها الصحيفة إلى بلاد أخرى.

ويطلق الإنجليز والأمريكيون على المقال الافتتاحي اسم **Leading Article** أو اسم **Editorial Article**، وهو المقال الرئيسي للصحيفة، وله فن خاص به من حيث الصباغة : وأساس هذا الفن هو الشرح، والتفسير والاعتماد على الحجج المنطقية حيناً، والعاطفية حيناً آخر للوصول إلى غاية واحدة فقط، هي إقناع القارئ.

كما أن كاتب المقال الافتتاحي في الجرائد الكبرى مثل (التيمس) و(الهيرالد تريبيون) يكون معروفاً لدى جمهور القراء. بمعنى أنهم قد تعودوا على أسلوب كاتب المقال الافتتاحي الذي يجب أن يتميز بالسهولة والبساطة والوضوح والإيجاز بين الكاتب والقارئ. ولذلك نجد كاتب المقال الافتتاحي - الذي لا يوقع باسمه؛ معروفاً لدى جمهور القراء الذين تألفوا مع أسلوبه، وتعودوا على فتح الصحيفة في صفحة معينة لقراءة ما يكتبه كاتبهم المفضل البسيط الأسلوب والمقنع في حججه.

ومن أجل ذلك وجدنا الصحف العالمية تسجل على كل صفحة من صفحاتها ما عدا واحدة، ما يجري في العالم الواسع من أحداث وما يدور فيه من أفكار وآراء. وتُسبغ صفحة واحدة فقط، وفي بعض الأحيان عموداً واحداً فحسب، لتجهر بأرائها هي وأفكارها. فحق الصحيفة في الإعراب عن رأيها في الأنباء التي تشرها أمر طبيعة جداً، فالتنبؤ والرأي رقيقان يظهران جنباً إلى جنب. ذلك أن أول سؤال يبدو إلى أذهاننا عندما يأتينا شخص ما بأي معلومات تثير اهتمامنا هو "ما رأيك في هذا الأمر؟" ولذلك كانت الصحافة في أيامها الأولى تنشر الأنباء على حدة والآراء على حدة، فنصدر إحصاءها في رسائل الأنباء، والأخرى في كراسات. وكان "نانيال ديفو" هو أول من وحد بين التيارين الصحفيين في مطبوعة واحدة اسمها "ني ريفيو" أصدرها في لندن عام 1704^(١).

وقد أوحى لغة الصحافة المتطرفة في حزبيتها، الصاخبة في أسلوبها وعباراتها إلى عبقرية هذا الصحفي الفذ - ديفو بإبتداع المقال الهادئ المتزن، الذي يحجر الآراء ويختبر الحقائق ويناقش سياسة الحكومات في هدوء وروية، وهكذا أنشأ ديفو أول مرة في تاريخ الصحافة الإنجليزية مقالات سياسية معتدلة، ومنطقية متزنة. ثم تطور فن المقال الافتتاحي في الصحف السياسية التي اشترك فيها ديفو حتى بلغ مرحلة الفن الناضج الذي يقوم على أسس معينة وتقاليد محترمة. ويفضل ديفو عرفت الصحافة أن المقال الافتتاحي ليس تعبيراً عن رأي الكاتب وحده أو وجهة نظره الخاصة، كما هي العادة بالنسبة لأضرب المقال الأخرى وفنونه المتعددة، بل إنه على العكس من ذلك ينبغي أن يكون تعبيراً دقيقاً عن رأي الصحيفة وسياستها كمؤسسة اجتماعية عامة. فإذا كتب رئيس التحرير مقالاً افتتاحياً فلا يجوز أن يضمنه رأياً شخصياً، وإضا يعبر عن سياسة الصحيفة وموقفها العام بالنسبة للشئون السياسية والاجتماعية. فالقائل

(١) د. إبراهيم إمام، تطور الصحافة الإنجليزية، ص 196.

الافتتاحي لا يمكن أن يذيل بتوقيع كاتبه وإلا كان التوقيع متعارضاً مع فكرة المقال نفسه ووظيفته كتعبير عن السياسة العامة للصحيفة، لا رأي الكاتب وحده. وتأسيساً على هذا الفهم لوظيفة المقال الافتتاحي ذهبت الصحافة الحديثة إلى تخصيص صفحة للافتتاحيات، تجعلها مؤلفة من آراء الصحيفة نفسها، معبراً عنها قولاً في افتتاحيات، ورسمياً في صورها الكاريكاتورية، وكذلك من آراء الآخرين. وقد تكون هذه الآراء الخارجية هي أفكار قراء الصحيفة ترد إليها على الطريقة المعروفة "رسائل إلى المحرر" أو مقتطعات موجزة من أعمدة الرأي المنشورة في صحف أخرى، تنقلها تحت عنوان مثل "من أقوال الصحف" مثلاً.

ويتحمل كتاب الافتتاحيات مسؤولية كبرى تجاه الجمهور، إذ يتحتم عليهم أن يكونوا من ذوي الإطلاع الواسع، وأن يجعلوا من أنفسهم اختصاصيين في الموضوعات التي يكتبون فيها، وأن يكونوا منصفين في الآراء التي يكونونها أو يعبرون عنها؛ فليس هناك في هذه الأيام، إنسان واحد يستطيع أن يقتدى بفرنسيس بيكون ويجعل المعرفة كلها ملك يديه. على أن الأمر، كما يقول جافري بارسونز عندما كان المستشار الرئيسي لجهاز تحرير الافتتاحيات في صحيفة نيويورك هيرالد تريبيون، هو ما يلي :

'كلما ازداد أساس المعرفة عند الكاتب متانة، ازدادت قدرته على استنهاض الفكر في أي موضوع، فإن كاتب المقال الافتتاحي المجيد يخاطب من الناس عدداً أضخم بكثير مما توصل إليه أي مدرس أو فيلسوف أو ناقد إطلاقاً... وليس كثيراً عليه أي قدر من المعرفة، إذا كان عليه أن يستوقف انتباه جمهوره'. وإدراكاً لهذه الأهمية، ذهب علماء الاجتماع إلى القول : إن الظروف والأحداث التي تمر بالإنسان والتغيرات التي تطرأ على المجتمع لا يمكن أن يكون لها دلالة ما، أو يكون لها في كيان الفرد أو المجتمع أثر ما إلا إذا وعها الفرد وأدركها وقدرها وكيفها فإذا لم يحدث من ذلك شيء ظلت هذه الظروف والأحداث التغيرات بعيدة عن وجدان الناس. بل أصبحت وهي في حكم العدم.

وينعكس أثر هذه المعرفة التي يحصلها كاتب المقال الافتتاحي على ما يكتبه تحليلاً للأخبار وما وراءها، وبما يحمل كل خبر منها من مغزى. وبهذه الطريقة يستطيع الأفراد كما يستطيع الجماعات أن تحل مشاكلها التي تعرض لها، سواء أكانت هذه المشكلات نفسية، أم اقتصادية، أم سياسية، أم اجتماعية. ويكون الفضل في ذلك راجعاً إلى الصحافة، أو إلى ذلك الكاتب الذي انبرى للكتابة في الوقت المناسب وأخذ يزوج بنفسه في تلك المشكلات، وأن لم يكن من الأفراد الذين تناولتهم كل مشكلة منها،

أو اشتركوا في إحداهما على أية صورة من الصور، بينما لا يشعر أصحاب هذه المشكلات التي أحاطت بهم وأصبح لها أثر في حياتهم، وذلك لانعدام الوعي من جهة، وعجزهم عن تصور حياة أفضل، أو حالة أحسن من جهة ثانية.

ولذلك يرتبط المقال الافتتاحي - شأنه شأن فنون المقال - عند الكتاب المقلبين في الصحافة الحديثة؛ بقيادة الفكر، التي تتوزع في العصر الحديث بين أمور مختلفة، لأن ظروف الحياة نفسها قد وزعتها بين هذه الأمور، فلم تستأثر الفلسفة، ولم تستأثر الشعر، ولم تستأثر السياسة، ولم تستأثر الدين، بقيادة الفكر في فصل من فصول هذه القصص التي يكونها العصر الحديث، وإنما اشتركت هذه الأمور كلها في قيادة الفكر. وأخذ كل منها بنصيب من توجيه العقل الإنساني والتأثير في الحياة والشعوب؛ وأية ذلك أنك تنظر في أي وقت من أوقات هذا العصر الحديث، فإذا أنت أمام علسة تجاهد لتسيطر على الحياة، وسياسة تجاهد لتصوغ الحياة كما تحب، ودين يناضل ليحفظ بمكانته وسلطانه، وأدب يجد ليجوز له التفوق والفوز ولكل واحد من هذه الأشياء زعمائه ومثليه والداعمون اليه والزائرون عنه، حتى في الأوقات التي يخيل اليك فيها أن أمراً من هذه الأمور قد ظهر تفوقه واستأثر بالفوز والغلبة، فقد يخيل إليك أن عصر الثورة الفرنسية مثلاً كان عصر سياسة ليس غيره ولكن فكر قلباً واتفق درس هذا العصر، نجد عصر سياسة وعصر حرب، وعصر علم، وعصر فلسفة، وعصر تشريع، بل عصر دين أيضاً؛ وتجد كل هذه الأمور تزدهم وتتنافس وتستبق إلى قيادة الفكر تريد أن تستأثر بها وتسيطر عليها.

ولا شك أن توزع قيادة الفكر، وتنوع الموضوعات يؤدي خدمة جليلة للصحافة الحديثة، واسعة الانتشار والتي يختلف قراؤها اختلافاً كبيراً في الأذواق والأمزجة، فهناك مقالات حول الرياضة وأخرى حول الفن بالإضافة إلى السياسية والاقتصاد والشئون العامة، على أن الصحافة لم تغد فحسب من هذا التوزع في قيادة الفكر ولكنها كانت سبباً في توزع هذه القيادة؛ ذلك أن الكاتب أو العالم أو الفيلسوف لم يكن يظفر بانتشار كتبه في العصور الأولى، إلا إذا ظفر بشيء من الشهرة وبعد الصيت يرغب الناس في آثاره، ولم يكن الظفر بهذه الشهرة سهلاً ولا يسيراً. أما الآن فقد يسرت المطبعة على كل ذي رأى أن يذيع رأيه ويناضل عنه، وعلى كل باحث أن ينشر ثمرات بحثه بين الناس. ولم نكد نظهر المطبعة، وتأخذ فيما أخذت فيه من النشر والإذاعة، كما يقول طه حسين؛ حتى "ظهرت آثار ذلك قوية في حياة العصر الجديد، فكثرت الآراء

واختلفت، أو قل ظهرت كثرة الآراء واختلافها، واستطاعت أن تجاهد وتختصم وتتنافس في قوة وسرعة لم يكن للناس بهما عهد من قبل^١. نلك أن المطبعة استتبعت شيئاً آخر غير الكتب والرسائل، استتبعت الصحف اليومية والدورية، وقد قوى ظهور الصحف السياسية والعلمية الأدبية توزيع قيادة الفكر، وانتهى به إلى حد غريب فقد كان العلماء والكتاب والفلاسفة والساسة ينشئون كتبهم وينشرونها، فيستغرق ذلك منهم الأشهر ولأعوام، ويستتبع نلك بطلاناً فيما يكون بينهم من النزاع والنضال والاستباق إلى قيادة الفكر. أما بعد أن ظهرت الصحف فالنزاع يومي، أو أسبوعي، أو شهري، هو عنيف، وهو سريع، وهو متصل، وهو مؤثر في توزيع قيادة الفكر بمقدار ما يشند ويسرع ويستمر^٢.

وينعكس أثر توزع قيادة الفكر في العصر الحديث، والذي جاء نتيجة للصحافة، على ما كتبه الصحف من تحليل للأخبار وما وراءها، وما يحمل كل خبر من مغزى، حتى يتمكن نفسية الأفراد والجماعات من حل المشاكل التي تعرض في الحياة، سواء كانت مشكلات نفسية أم اقتصادية أم سياسية أم اجتماعية. وفي ذلك ما يؤكد مسئولية كاتب المقال الافتتاحي تجاه الرأي العام، فهو يدرك تمام الإدراك أن صياغته للمقال ليست صياغة أدبية، ولا هي صياغة غير ملتزمة، وإنما هي صياغة ترتبط بسياسة الجريدة من ناحية واهتمام القراء وميولهم من ناحية أخرى. لهذا نجد أن افتتاحيات الصحف الكبرى تعكس توزيع قيادة الفكر فيما تحوى عليه من "تعليق سياسي، وآخر اقتصادي، وثالث اجتماعي، ولا تهمل التعليق الطريف أو الخفيف الذي يقوم بالتسلية.

ويتصل مهمة الإقناع بهذه الخصبة التوجيهية في المقال الافتتاحي حين ينقل الإيمان بأفكاره بحثل دوراً قيادياً في توجيه الرأي العام بأن لا يكفي بنقل الأفكار وتفسيرها، ولا ينقل إيمانه فأفكاره بمجرد حرارة العاطفة، ولكنه يؤثر ويدوم لتعلقه "بحرارة الفكر". نلك أن المقال الصحفي لم يعد مجرد توجيه بلاغي كما كان في طور التكوين الصحفي؛ بل إنه على العكس من ذلك ينهج منهجاً خاصاً في التحرير يقوم على الدليل والبرهان، ويعتمد على الحقائق والأرقام والبيانات والإحصاءات الدقيقة، وهذه هي وسائل الإقناع والتوجيه والإرشاد، وهي التي تعطيه من القوة والتأثير ما لا يمكن أن تحققة الألفاظ الضخمة الجوفاء"^(١).

(١) د. إبراهيم أمام: السابق، ص ٦٨.

وفى ذلك ما يؤكد مسئولية كاتب المقال الافتتاحي كصاعمة للرأى العام الأمر الذى تشهد به لهجة الخواعد والمبادئ التى نسطها وانتهجها للمؤتمر الوطنى لكاتب الافتتاحيات فى الولايات المتحدة. فقد جاء فى فذلكة هذه الخواعد "إنه يجب على كاتب المقال الافتتاحى، إذا كان يتوخى الأمانى لمننه ومجتمعه، أن يجد فى أثر الحقيقة أنى به المطاف".

وفيما يلى النقاط الأساسية لهذا القانون :

- ١ - ينبغى على كاتب المقال الافتتاحى أن يعرض الحقائق بأمانة واكنمال.
- ٢ - ينبغى عليه أن يخلص من الحقائق التى يوردها إلى نتائج موضوعية، وأن يدعمها بالبيانات، وأن يقيمها على مفهوم الخير الأعم.
- ٣ - ينبغى عليه ألا يكون مدفوعاً أبداً بمصلحة شخصية.
- ٤ - ينبغى عليه أن يدرك أن ليس معصوماً من الخطأ، وأن يفسح مجال القول لمن يخالف رأيه، فى عموم رسائل الجمهور وغير ذلك من الوسائل اللائقة.
- ٥ - ينبغى عليه أن يعيد النظر فى استنتاجاته الخاصة وأن يصححها إذا وجدها مرتكزة على مفاهيم خاطئة سابقة.
- ٦ - ينبغى أن يكون من الشجاعة بحيث يصمد لما يقنع به على أسس مثبنة، وألا يكتب أبداً أى شىء ضد ضميره. وعندما تكون صفحات الافتتاحيات نتاج أكثر من ذهن واحد، فإن الوصول إلى رأى جماعى سديد لا يتم إلا عن طريق الآراء الفردية السديدة، لذلك ينبغى احترام الآراء الفردية الصادرة عن تفكير السديدة.
- ٧ - ينبغى عليه أن يؤازر زملاءه فى تسكهم بأعلى مستويات الاستقامة المهنية، ونتيجة لهذه الأهمية التى أحرزها المقال الافتتاحى منذ نشأة الصحافة، أن يحتل الصفحة الأولى من صفحات الجريدة، بحيث يكون أول شىء يطالعه القراء فيها. ولم يتزحزح المقال الافتتاحى عن مكانه المتميز فى الصفحة الأولى إلا فى وقت قريب - أى منذ إنجازات الصحافة الحديثة فى الفترة الأخيرة إلى الخير، وقلت عنايتها نوعاً ما بالمقال^(١).

(١) حمزة : المدخل ص ٢٢٧.

وليس أدل على أهمية المقال الافتتاحي منذ نشأة الصحافة من أن كتاب هذا المقال كانوا ولا يزالون - نوابغ الصحافة في كل أمة من الأمم، بل في كل فترة من فترات التاريخ.

ففي الصحافة المصرية كان يكتب المقال الافتتاحي للمجلة أو الصحيفة، أمثال: محمد عبده، وأديب اسحق، وعبدالله النديم، وإبراهيم المويلحي، والسيد على يوسف، والزعيم الشاب مصطفى كامل، وأحمد لطفى السيد. وعبدالقادر حمزة، وأمين الراجحي، وإبراهيم المازني، وحسين هيكل، وغيرهم من أساطين الأدب والفكر والصحافة جميعاً. وفي الصحافة الإنجليزية وجدنا المقال الافتتاحي مكتوباً بقلم ديغو، وأديسون، وستيل، وجونسون، وويلكز، وسويفت وغيرهم^(١).

وقد أصبح للافتتاحية في الجريدة المعاصرة صيغة صحفية مميزة، وأقرب الكتابات إليها هو المقال إلا أن الفرق بينهما هو أن الافتتاحية موجزة وذات طبيعة معاصرة. أما المقال فهو اليوم على قدر من الازدهار ويسر المطالعة مثله يوم خطه قلم الكاتب لأول مرة. فما كتبه أديسون أو ستيل في القرن الثامن عشر لم يفقد قيمته اليوم؛ لأنه يعالج كقاعدة، موضوعاً ذا قيمة لازمة. أما الافتتاحية التي كتبت في القرن الثامن عشر فإنها لا تستوقف الاهتمام اليوم إلا لجرد ما تنطوى عليه من قيمة أثرية، ذلك أنها تكون قد عالجت موضوعاً ذا علاقة آنية بذلك الوقت فحسب.

وتأسيساً على ذلك يمكن تعريف المقال الافتتاحي بأنه مقال قصير وثيق الارتباط بالزمن الذي يصدر فيه.

أما الغرض الذي يرمى إليه هذا المقال الافتتاحي فهو عرض الرأي الذي تراه الصحيفة نفسها، ولها عدة طرق لبيان هذه الأفكار والآراء.

وما يذكر في هذا الصدد أن آرثر بريسين، الذي كان له أتباع كثيرون في أيامه، كان يعتقد أن مجال كاتب الافتتاحية يقوم على أداء أغراض؛ أن يعلم، وينازل ويدافع، ويمتدح.

والتعليق هو أهم هذه الأغراض وأصعبها. والنزال أسهلها وأيقضها إلى النفس، وإن تكن ضرورية في بعض الأحيان.

(١) امام : تطور الصحافة ص ١٣٥، ١٣٦، ١١٥.

أما الدفاع عن القضايا الخيرة، وعن الضعيف ضد القوي، وعن الفكرة الجديدة والحيلولة دون تسفيدها، فأمر مهم ويهمله كتاب الافتتاحية عادة.

وكذلك الثناء مهمل أيضاً إلا على الصعيد الحزبي دون أن يكون له معنى ما^(١) ..

إن وظيفة الافتتاحية، من وجهة نظر مثالية، هي إعلام الرأي العام والأخذ بيده، فهي تفسر الثبأ السائر للقارئ وتعين ما له من دلالة، وتقول في تلك جريدة نيويورك تايمز: "إذا ضلّت الوظيفة القيادية طريقها في بعض المواضع بين وقت وآخر، فإن العامل المعتمد عليه في التصويب جاهز دائماً في متناول اليد إذا كانت أعمدة الأنباء تعرض الحقائق بأمانة".

وتخلص مما تقدم إلى أن الخصائص التي يتميز بها المقال الافتتاحي في الصحافة المعاصرة فيما يلي^(٢):

أولاً؛ خصيصة الثابت على سياسة واحدة هي سياسة الصحيفة؛ إذ لا يصح لهذه الصحيفة أن تكون مذبذبة بين سياسات كثيرة لأنها بذلك تفقد أهميتها كصحيفة من صحف الرأي.

ومن أجل هذا يراعى في المقال الافتتاحي عادة ألا يكون مذبذباً بتوقيع كاتبه، لأنه مقال منسوب إلى الصحيفة نفسها بوصفها هيئة من هيئات الإعلام، لها سياستها وهدفها من وراء هذا الإعلام.

ثانياً؛ خصيصة الحذر والاحتياط في إبداء الرأي لأنه ما دام رئيس التحرير أو كاتب المقال الافتتاحي لا يعبر عن رأيه الشخصي، بل عن رأي الصحيفة باعتبارها مؤسسة اجتماعية وظيفتها - الإعلام - ويجب عليه أن يصطنع الحيطة فيما يكتب من مواد باسم الصحيفة؛ وألا عرضها للخطر.

وهنا تثار مسألة تتصل 'بضمير الكاتب' فهل معنى ما تقدم أن الكاتب ينبغي أن يخالف ضميره فيما يقدم للقراء من هذه المادة الصحفية الهامة التي قلنا إنها ملك للصحيفة قبل أن تكون ملكاً لكاتب من كتابها؟

(١) بوند : مدخل ص ٢٩٢.

(٢) حمزة المدخل ص ٢٢٠، Spencer; M.Hyle: Editorial Writing P.P. 157-159.

والجواب عن ذلك - كما يقول الدكتور سبنسر - هو أن الكاتب الذي يختلف في وجهة نظره عن وجهة نظر الصحيفة يجب ألا يجعل من المقال الافتتاحي مجالاً لإظهار ذلك. وباختصار يجب أن يعرف المحرر الصحفي للمقال الافتتاحي أن هناك ثلاثة أشياء يؤثر بعضها في بعض ويعتمد بعضها على بعض ويتداخل بعضها في بعض، وهذه الأشياء الثلاثة هي:

- سياسة الجريدة، وصياغة المقال، واهتمام القراء^(١).

- والواقع أن وظيفة كاتب الافتتاحية تظل هي هي كما كانت دائماً : تفسير الأنباء، وإرشاد الرأي، والقيام بالحملات من أجل مساندة القضايا العادلة، ولكن النطاق الذي يعمل ضمنه قد اتسع.

وليس الترفيه أقل خصائص المقال الافتتاحي شأناً. فإن كاتب المقال الافتتاحي كثيراً ما يجد هذه المهمة أصعب من مجرد مناقشة قضية ما أو عرض عقيدة سياسية ما. بيد أن الاتجاه الحديث المتزايد هو نحو إشاعة الإشراف على صفحة الافتتاحية بما يسمى الافتتاحيات "الرشيقة المرحة" المختلفة عن الافتتاحيات التقليدية، كالمبحث في قاعدة لغوية ومداعبة الغريب منها أو المتمسك بأصولها حتى التعصب^(٢).

تلك في إيجاز شديد؛ هي أهم خصائص المقال الافتتاحي في الصحافة العالمية، والتي استمدها نتيجة لتطور الصحافة نفسها، فأصبحت الصحافة الحديثة تعتمد إلى كتابة العمود الرئيسي أو المقال الافتتاحي على نحو من الإيجاز في عمود واحد من أعمدة الصحيفة، وفي هذا العمود مقال واحد حيناً، ومقالان أو ثلاثة حيناً آخر.

وذلك لكي تفسح المجال لبقية المواد الصحفية الأخرى التي لم تعرفها الصحافة القديمة؛ أو كانت معرفتها بهذه المواد قليلة.

٢ - الوحدة العضوية في تحرير المقال الافتتاحي:

ونخلص مما تقدم إلى أن المقال الافتتاحي "وحدة" مستقلة، وليس مجرد سرد للحقائق، أو إتيان بالشواهد، أو إبراز للأمثلة، ولكنه وسيلة للتعبير عن رأي من آراء الصحيفة، أو مذهب من المذاهب التي تزوج لها في الاجتماع أو السياسة أو الفكر،

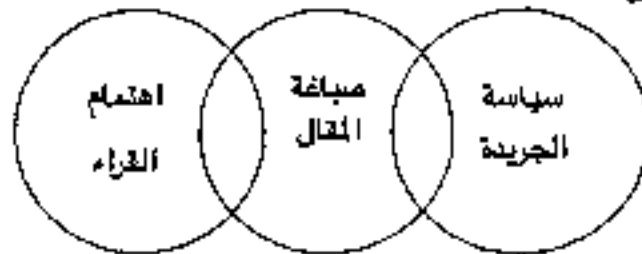
(١) حمزة: المدخل ص ٢٣٦.

(٢) توت: مدخل ص ٢٩٧.

ولذلك يجد الكاتب المقالى يبسط هذه الآراء والمذاهب ويبسط الحقائق التي يوردها لقرائه، بحيث تدعم فكرة المقال، وموضوعه وغاياته التي تنصب دائماً حول غرض واحد. وأغلب الظن أن هذه "الوحدة" التي تربط بين أعضاء المقال الصحفي أو تنق ارتباطاً بما ذهب إليه نقاد الأدب من الدعوة للوحدة العضوية، فلاحظنا فيما سبقنا من نماذج وما اطلعنا عليه من التراث الصحفي^(١) أن المقالين يراعون النسب بين الأفكار والشواهد وبين الشكل الخارجى للمقال أو البناء الفنى، بحيث يخرج المقال الصحفي متكامل الأجزاء متناسق الشكل والمضمون.

وفي هذا الإطار الفنى مهد الكتاب المقاليون في أدبنا الحديث لتحقيق شكل جديد للمقال الافتتاحى فى الصحافة العربية؛ يؤدي عنها أفكارها الجديدة فى السياسة والاجتماع؛ فتوافق للمقال الصحفي التجديد والتحرير البيانى، كما نظهرنا الدراسة الأسلوبية لمقالات طه حسين وهيكىل والعقاد^(٢).

ويذهب علماء الفن الصحفي إلى أن كاتب المقال الافتتاحى فى الصحيفة؛ يجب أن يتمثل فى رؤياه الإبداعية ثلاثة عناصر متداخلة؛ يؤثر بعضها فى بعض، ويعتمد بعضها على بعض، ويتداخل بعضها فى بعض؛ يصورها أسناننا د. حمزة رحمه الله على النحو التالى^(٣):



ويمكن صياغة العناصر رياضياً على النحو التالى:

سياسة الجريدة + صياغة المقال + اهتمام القراء = المقال الافتتاحى

(١) انظر للمؤلف: فن المقال الصحفي، دار فباء للطبع والنشر، ١٩٩٩.

(٢) فن المقال الصحفي فى أدب طه حسين، القاهرة هيئة الكتاب.

(٣) فن المقال الصحفي فى أدب محمد حسين هيكىل، القاهرة هيئة الكتاب.

(٤) عصر العقاد، صفحات مطوية فى تاريخ الصحافة المصرية، القاهرة مؤسسة مختار.

(٥) التفسير الإعلامى لأدب المقالة؛ مؤسسة مختار.

(٦) د. عبد اللطيف حمزة: المدخل ص ٢٩٦.

وهي كما يبين من النموذج عناصر متداخلة يصدر عنها الكاتب في رؤياه الإبداعية، ليصل بالمقال الافتتاحي إلى هدف الصحيفة المنشود؛ وإفادة القارئ الذي تتوجه إليه.

أما بناء المقال الافتتاحي : فتقوم على ثلاثة عناصر هي^(١):

١ - عنصر التقديم أو الفكرة الكلية الخيرة لاهتمام القارئ.

٢ - عنصر الحقائق والشواهد المؤيدة للفكرة الكلية.

٣ - عنصر الخلاصة التي يخرج بها القارئ من المقال.

وهذه العناصر يتألف منها "بناء" المقال الافتتاحي؛ على النحو الذي يوضحه

النموذج التالي:



أولاً: عنصر التقديم أو الفكرة الكلية في المقال الافتتاحي:

يرتبط هذا العنصر ارتباطاً "عضوياً" بعنوان المقال، الأمر الذي يؤكد ما ذهبنا إليه فيما يتعلق بالوحدة التي تربط بين أجزاء المقال، فالتقديم لا يمكن أن ينفصل عن عنوان المقال بحال من الأحوال، بل إن كنهيهما متمم للأخر، ولعل في ذلك ما يفسر إثار كاتب مقال كبير مثل طه حسين لاختيار كلمة واحدة يعنون بها المقال، وهي كلمة

(١) نفسه، ص ٢٩١.

مبتعة موحية بمضمونه، لا تنفصل عن مقدمته أو صلته أو خاتمته، ومن ذلك مقال بعنوان: "شجاعة" (١).

"شجاعة نادرة باهرة هذه التي يتخذها بعض النواب إذا تحدثوا عن خصومهم أفراداً وجماعات تحت قبة البرلمان، فهم يطلقون السننهم في هتاف الخسوم بالحق والباطل، وبالخطأ والصواب، والجد والهزل، لا يقدرون شيئاً، ولا يحسبون حساباً، وإنما ينطلقون وكأنما خلى بينهم وبين الحكمة، وليس إلى تسكينهم ولا إلى تهدئتهم من سبيل" (٢).

ثانياً: عنصر الحقائق والشواهد:

ويرتبط العنصر الثاني من عناصر تحرير المقال الافتتاحي، ونعني عنصر الحقائق والشواهد المؤيدة للفكرة، بعنصر التقديم ارتباطاً عضوياً وثيقاً، ولكن هذه الوحدة "العضوية" في المقال الافتتاحي، لا تقم على الترتيب الاحتمالي، بقدر ما تقوم على ترتيب المنهج الاستقرائي، ويقصد بالوحدة العضوية في المقال الافتتاحي: وحدة الموضوع، ووحدة الأفكار والآراء التي يثيرها الموضوع، وما يستلزم ذلك من ترتيب الشواهد المؤيدة لهذه الأفكار والآراء ترتيباً استقرائياً به يتقدم المقال شيئاً فشيئاً حتى ينتهي إلى "خلاصة" تمثل العنصر الأخير من عناصر التحرير في مقال طه حسين، يستلزمها هذا الترتيب الاستقرائي للأفكار والشواهد والصور، بحيث تبدو عناصر المقال كالبنية الحية، لكل جزء وظيفته فيها، ويؤدي بعضها إلى بعض عن طريق التسلسل في التفكير والمشاعر.

وتقوم هذه الوحدة في المقال الصحفي على التفكير الإبداعي التابع من رؤيا الكاتب المثالي في منهج المقال، وفي الأثر الإقناعي الذي يريد أن يحدثه في قرائه، وفي الأجزاء التي تندرج في إحداث هذا الأثر الوظيفي بصفة عامة، بحيث تتمشى مع بنية المقال بوصفها وحدة حية، ثم في الأفكار والآراء والشواهد التي يشتمل عليها كل جزء، بحيث يتحرك به المقال إلى الأمام لإحداث الأثر الوظيفي المقصود منها، عن طريق التابع الاستقرائي، وتسلسل الشواهد أو الأفكار، ووحدة الطابع، والموقوف على المنهج على هذا النحو - الذي نعرفنا عليه عند الحديث عن الرؤيا الإبداعية في مقال طه حسين - يساعد على ابتكار الأفكار الجزئية والشواهد التي تساعد على توكيد الأثر

(١) كاتب مقال كبير مثل طه حسين.

(٢) صحيفة كوكب الشرق في ٢٠/٤/١٩٣٤.

الوظيفي المراد في المقال، ذلك أن هذه الرؤيا الإبداعية في المقال الصحفي، تظهر لنا إدراك الكاتب لمنهجه جملة وفي وضوح قبل الشروع في الكتابة والتحرير، وهو المنهج الذي يشبه ما قاله ابن طباطبا في وصف عملية الشعر على الطريقة العربية، إن يقول: "فإذا أراد الشاعر بناء قصيدته فحص المعنى الذي يريد بناء الشعر عليه في فكره نثراً، وأعد له ما ينسبه إياه من الألفاظ التي تطابقه، والقوافي التي توافقه، والوزن الذي يسلس له القول عليه، فإذا اتفق له بيت بنسب المعنى الذي يرومه أشبته، وأعمل فكره في شغل القوافي بما تقتضيه من المعاني، على غير تنسيق للشعر وترتيب لفنون القول فيه، بل يعنق كل بيت يتفق له نظمه، على تفاوت ما بينه وبين ما قبله، فإذا أكملت له المعاني، وكثرت الأبيات، وفق بينها بأبيات تكون نظاماً لها، وسلجاجة معاً لما تشقت منها، ويسلك الشاعر منهاج أصحاب الرسائل في بلاغاتهم، وتصرفهم في مكاتباتهم، فإن للشعر فصلاً كفصول الرسائل"^(١)، وإذا صح هذا المنهج في الشعر فإنه من باب أولى يصح على منهج تحرير المقال، وهو الأمر الذي يضمن للمقال وحدة محكمة بين عناصره، صادرة عن ناحية وحدة الموضوع ووحدة الفكرة، ووحدة الشواهد التي يتضمنها، ذلك أن المقال الصحفي ليس مجرد سرد للحقائق، ولكنه وسيلة وظيفية للتعبير عن الرأي أو المذهب، أي أن الوحدة في المقال الصحفي تقضى بها طبيعة الموضوع، ووحدة الأثر الوظيفي الناتج عنه، الأمر الذي يفرض معالجة تحريرية يظهر بها المقال كأنه له وحدة مستقلة بذاتها، وتقضى هذه الوحدة استيفاء كل شاهد من شواهد المقال وكل فكرة من أفكاره في موضعها المحدد لها من بنيته، قبل الانتقال إلى الشاهد التالي أو الفكرة التالية، وهو الأمر الذي يحققه الترتيب الاستقرائي في بنية المقال، كما تقدم، ويتفق هذا الترتيب الاستقرائي لعناصر المقال الصحفي مع الترتيب الذي يضعه الباحثون في الصحافة، ويعني بالترتيب الاستقرائي ما يسميه 'ديكارت' 'نظام الأسباب' الملائم، والذي يعنى السير بالأفكار والشواهد بنظام، فيبدأ المقال بأبسط الموضوعات أو الشواهد ويرتقى بالتدريج إلى معرفة أكثر الموضوعات تركيباً، ولكنه يفرض 'نظام الأسباب' الديكارتي حتى بين الموضوعات أو الشواهد التي لا تأتي بالطبع، وهذا النظام هو الذي يضع إطار الوحدة العضوية في المقال تشمل البداية والتمهيد والصلب والخاتمة.

(١) محمد بن أحمد طباطبا العلوي: عيار الشعر ص ٥-٦.

وللوحدة أثر في الشواهد والحقائق المؤيدة لفكرة، إذ تصح كالبينة الحجة على تحرير المقال، وإذكاء الإقناع فيه، فهي تتعاون جميعاً لرسم الصورة العامة للمقال، ونقدمها فيه على حسب المنهج الاستقرائي المثالي في الإقناع. ولنضرب مثلاً هذا بمقال رئيسي في "حديث المساء"، وعنوانه: 'صراع...'^(١) وفيه يصور 'الصراع بين القومية المصرية والتسلط الأجنبي'^(٢) في الثلاثينيات، فيبدأ مقدمة المقال بهذه الفقرة التي لا نخلص عن العنوان:

'بدأ منذ أسابيع - (أي الصراع)، ولسنا نعرف متى ينتهي، ولا كيف ينتهي، وإن كنا نعرف حق المعرفة كيف نريد، وكيف ينبغي أن ينتهي. وهو هذا الصراع بين القومية المصرية، والتسلط الأجنبي. والحق أن هذا الصراع قائم منذ أمد بعيد، ولكنه لم يأخذ شكله الحاد المعين إلا في هذه الأيام، كما أنه يم يختل لنفسه ميداناً معيناً مرسوم الحدود إلا في هذه الأيام أيضاً'^(٣). ثم ينتقل إلى صلب المقال، فيصل بين التقديم وبين الشواهد: 'في هذه الأيام ظهر الصراع بين القومية المصرية والتسلط الأجنبي حاداً عنيفاً في المحاكم المخقلطة. وهو قد اختار لنفسه إلى الآن ميدانين واضحين كل الموضوع، محددين كل التحديد. فأما أولهما فرياسة الدوائر، وأما ثانيهما فاصطناع اللغة العربية في كتابة الأحكام'^(٤).

ومن ذلك بين المنهج الاستقرائي في بنية المقال، فهو يقسم المشكلة إلى ميدانين واضحين، ويبدأ من 'الكل' إلى 'الجزئي'، فالكل في تقديم المقال هنا هو 'الصراع بين القومية المصرية والتسلط الأجنبي، والجزئي هو ما يتفرع عن تقسيم المشكلة من شواهد، يقوم فيها بإحصاءات شاملة، وفقاً للمنهج الديكارتي. سواء في العحص عند الحدود الوسطى أو في استعراض عناصر المسألة بحيث يتحقق أنه لم يغفل شيئاً. فالمنهج التحريفي في مقال طه حسين أذن استنباطي استقرائي يضع المبادئ البسيطة الواضحة ويتدرج منها إلى النتائج.

(١) كوكب الشرق في ٢٠ إبريل ١٩٣٤.

(٢) كوكب الشرق في ٢٠ إبريل ١٩٣٤.

(٣) كوكب الشرق في ٢٠ إبريل ١٩٣٤.

(٤) المرجع السابق.

وفي المقال المتقدم، يدرج الكاتب في استقصاء شواهد، ثم يتدرج في تصوير الصراع بين، القومية المصرية والتسلط الأجنبي، من خلال الشواهد والحقائق التي تؤيد فكرته الكلية التي طرحها في مقدمة المقال. يقول طه حسين في صلب المقال:

"أما في الميدان الأول فكان من حق القومية المصرية أن تنتهي إلى ما تريد في غير جدال ولا حوار، وفي غير أخذ ولا رد طويلين، فليست هناك مواضع من نص القانون تحول بين القضاة المصريين وبين رئاسة الدوائر حين تتاح لهم هذه الرياسة، ولكن القومية المصرية مع ذلك لم تظفر بشيء، إلى الآن، والله يعلم متى نظفر بما ينبغي لها من الفوز والغريب أن امتناع الفوز عنها لم يأت من ضعف القضاة المصريين على الاستمسك بها ولا من ترددهم في الذود عنها، وإنما جاء من أن الوزارة التي كان يجب أن نحى ظهر هؤلاء القضاة قد انكشفت وأسلمت، ولم تستطع أن تثبت في موقفها، ولا أن تحتفظ بحقها، بل لم تستطع أن تنظم انكشافها تنظيمًا ملائمًا للحق والكرامة. فقد كان وزير الحقائقية يؤيد القضاة كل التأييد، يعلن ذلك في مجلس النواب ويؤكد ذلك في مجلس الوزراء، يكتب في ذلك إلى رئيس محكمة الاستئناف فما هي إلا أن يرد عليه الرئيس رده القاسي المعروف حتى ينكشف عنه زملاءه، ثم ينكشف هو عن القضاة، وإذا الناس يشبهون أنه هم بالاستقالة، وإذا رئيس الوزراء يكذب هذه الإشاعة، وإذا هو يهين رده على رئيس الاستئناف، ثم ينتظر بهذا الرد أياماً، ثم يقال أن هذا الرد محص سحيصاً، ونقح تنقيحاً، وإذا قضية المعاشات تؤجل أشهراً طويلاً وتنقل إلى دائرة أخرى، ثم يرسل رده بعد الأناة والانتظار، ثم تتقدم الوزارة إلى مجلس الشيوخ، فيعلن، رئيس الوزراء الوزير، أن المسألة ستحل بالمفاوضات أي كما رأيت الجمعية العمومية لمحكمة الاستئناف المختلطة... الخ"^(١)

ويخلص من استعراض هذه الشواهد وفق "نظام الأسباب"، بالنسبة للميدان الأول من ميادين الصراع بين القومية المصرية والتسلط الأجنبي، إلى نتيجة منهجية لتسلسل الشواهد التي ساقها المقال، يقول:

"لم تظفر القومية المصرية إذن بشيء في هذا الميدان، لأن القضاة قصرُوا، ولا لأن الأمة قصرت، ولا لأن الصحف قصرت، بل لأن الوزارة آثرت أن تتراجع، وأن تختار أيسر الأمرين، وأقلهما كلغة وأبعدهما عن الجهد والعناء، وأضمنهما للراحة والسلام وطول البقاء"^(٢).

(١) كوكب الشرق في ٢٠ إبريل ١٩٣٤.

(٢) كوكب الشرق في ٢٠ إبريل ١٩٣٤.

ثم ينتقل من هذه الخلاصة، إلى القسم الثاني من "المشكلة"، مرتقياً بمقاله تدريجياً إلى معرفة أكثر الموضوعات تركيباً، من خلال نظام الأسباب الذي يصل بين أجزاء المقال: "وأما في الميدان الثاني فمن حق القومية المصرية أيضاً أن تنتهي إلى ما تريد من غير حوار ولا جدال ومن غير أخذ ولا رد، وأكبر الظن أنها تنتهي إلى ما تريد، لأن الوزارة سنّيت في الذود عنها أكثر مما تثبت في الميدان الأول، بل لأنها ليست في حاجة إلى أن تؤيدها الوزارة، وإشاهي في حاجة إلى أن يؤيدها القضاة المصريون، ولم يعرف أحد عن القضاة المصريين إلى الآن أنهم يخلوا على قوميتهم بالنصر والتأييد مهما تكن الظروف، ذلك أن القوانين صريحة في أن لغة القومية المصرية إحدى اللغات الرسمية للمحاكم المختلطة، وقد أراد أحد المستشارين المصريين الأستاذ عبد السلام ذهني بك أن ينفذ نص القانون، فكتب أحكاماً باللغة العربية، وليست هناك قوة تستطيع أن تحول الأستاذ المستشار وزملاءه عن رأيهم إلا أن تكون هناك قوة تستطيع أن تلغي القانون أو أن تغيره، أو أن تحمل القضاة على ألا ينفذوه حملاً.

وإذن فالقومية المصرية ظافرة من غير شك في هذا الميدان إلا أن تتكشف الأيام والحوادث عن بعض ما تتكشف عنه في هذه الظروف البديعة من الأعاجيب. الخ.

وينتهي من تسلسل هذه الشواهد إلى سوق رأيه في هذه المسألة:

"على أننا نعتقد أن الصراع بين اللغة العربية واللغات الأجنبية في المحاكم المختلطة لا ينبغي أن تنتهي عند الحد، بل ينبغي أن يتسع ميدانه، ويخيل إلينا أن المستشارين ليسوا إلا قادة في هذا الصراع، ولابد من أن يتبعهم غيرهم، فيجب أن تكون اللغة العربية أداة عملية لا لكتابة الأحكام فحسب، بل للمرافعات أيضاً يجب أن يخاصم المحامون المصريون والشرقيون باللغة العربية، ويجب أن نخاصم النيابة باللغة العربية أيضاً، ثم لا ينبغي أن يكون هذا مقصوراً على محكمة الاستئناف، بل يتجاوزها إلى المحاكم الابتدائية. فيجب أن تكتب أحكام وأن تكون مرافعات باللغة العربية فيها، ومما دام القانون الذي لا سبيل إلى الخروج عليه يفر اللغة العربية على ما يراد لها من الحق، فنحن واثقون بأن رجال القضاء، والنيابة، والمحاماة من المصريين والشرقيين لن يبخلوا على لغتهم بهذا الحق ولن يقصروا في الذود عنه حتى تفرض هذه اللغة على المحاكم المختلطة فرضاً".

هذا، وقد يستهل المقال بـ'النشاهد' المشتقة من الواقع، والمعتمدة على الأخبار والمجريات، والتقارير الإخبارية، وفي هذا النمط من أساط التحرير للمقال الافتتاحي في الصحافة العربية الحديثة، إلى أن يصبح 'أخبارياً في جوهره، بمعنى أن ما فيه من رأى ومن توجيه ومن ترفيه يعتمد على الأخبار وتفسيرها واستغلالها في تأييد رأى سياسي أو آخر على أن هذا النمط الإخباري في تحرير المقال الصحفي، يرتبط ارتباطاً وثيقاً كذلك بقواعد المنهج الديكارتي، الذي يعتمد على تقسيم المشكلة ما وسعه التقسيم طلباً للوضوح، ولذلك يضع المبادئ البسيطة الواضحة، التي يشتقها من التقارير الإخبارية، ويتدرج منها إلى النتائج.

فن العمود الصحفي.

ويجئ فن العمود الصحفي في مكانه من الجانب المثالي الذي احتل حيزاً كبيراً من الصحافة لما يمتاز به من وصف واقعي ورجوع إلى مصادر الأنباء، وأسلوب صحفي اجتماعي بسيط، فضلاً عن تنوع أساليب التحرير في المقال.

وعلى الرغم من تنوع أن لفن العمود الصحفي في الجريدة اليوم منزلة الباب الصحفي الثابت في العالم، وعلى الرغم من أن عدد قرائه يزيد كثيراً على عدد قراء الافتتاحية غير الموقعة، فإن تكامل العمود وشعبيته حديث عهد نسبياً. ذلك أن الصحف اهتمت في حياتها بالخبر ثم بالمقال، بينما لم يتسع المجال للعمود الصحفي فلم يظهر إلا متأخراً، وأنا جاز أن يخار تاريخ لظهور أهمية العمود الصحفي في الصحف، فإن من المرجح أن يكون ذلك التاريخ منحصر في أوائل القرن العشرين. فالصحف العربية والمصرية خاصة، كانت تعتمد على المقال الافتتاحي، الذي كان طويلاً في البداية، ثم أخذ يفصر شيئاً فشيئاً، كما كانت موضوعات هذا المقال تدور حول موضوعات جادة في أغلب الأحيان، وإن كانت تتناول أحياناً بعض الموضوعات الطريفة. غير أن الصحف المصرية قد أخذت من الصحافة الغربية فن العمود الصحفي، الذي يتجه في أوائل العشرينيات إلى العمود المتخصص، أو الثقافي في 'حديث الأربعاء'.

ومن ذلك يبين أن ظهور العمود الصحفي في الأدب العربي الحديث، يعكس حاجة النجارب بين الصحافة وطبقات الشعب المصري بعد ثورة ١٩١٩، والتي دفعت الكتاب إلى أنحاء من التصوير والتعبير يطمحون إلى أن تكون 'مرآة صادقة صافية لحياة الشعب، يرى فيها الشعب نفسه فيحب منها ما يحب ويبغض منها ما يبغض، ويدفعه حبه إلى التماس الكمال، ويدفعه بغضه إلى التماس الإصلاح'.

والعمود المقالى إنزء ثمرة من ثمار الروابط الثقافية والاجتماعية، التى ظهرت بظهور الترابط الاجتماعى متعدد الوجوه، وتجاوب الصحافة مع الطبقات الجديدة فى المجتمعات المختلفة، وهو كما يقول طه حسين يحقق الصلة بين 'الشعب وحياته الواقعية العامة، وهذه الحياة الواقعية' شعبية أو تريد أن تكون شعبية لا يستأثر بها فريق من الناس دون فريق.

وفى ضوء هذه الرؤيا، تتعدد أنواق قراءة الصحف ومشاربهم ومسنوياتهم، طبقياً واجتماعياً، واقتصادياً وثقافياً، وفى مواجهة هذه الحياة الواقعية الجديدة ليس للصحافة بد من أن تتطور وتغير من أساليب تحريرها واختيار موضوعاتها، فالتجهت المقالات إلى الاهتمام بمصالح الأفراد والجماعات المتعددة المذاهب والاتجاهات والأهداف... ونشأ عن هذا الاتجاه: المقال الافتتاحى القصير ثم فن العمود الصحفى تفاعلاً مع الصحافة الحديثة.

ولكن هذا الفن يرتبط بما اتصف به النصف الأول من هذا القرن فى نهايته من عامل السرعة من جهة، وبالضغوط التى تعرضت لها الصحافة المصرية، كما يبين من التشريعات الخاصة بالنشر من جهة أخرى، بحيث أصبح المقال الموقع فى الصحف اليومية فى مواجهة ضغوط لا تتبع كلها من داخل صناعة الصحف وإنما تنبع من عمال الرقابة الإدارية على الصحف كذلك. ولعل فى هذا ما يفسر اتجاه فن العمود إلى التوسل بالرمز لمواجهة المصادرة التى فرضت على الصحف والكتب، وهنا نجد طه حسين - مثلاً - يكتب "جنة المشوك" ويشيرها على شكل عمود فى "الأهرام" فى الأربعينيات قبل جمعها فى كتاب ينشر لأول مرة عام ١٩٤٥، وظل هذا العنوان اسماً لعموده الصحفى "الجمهورية" فى الستينيات.

ومقال العمود حديث شخصى يرمى أو اسبوعى لكاتب معين يوقعه باسمه وتحت عنوان ثابت مثل 'فكرة' لمصطفى أمين بالأخبار، والتى كان يكتبها من قبل المرحوم على أمين، و'مواقف' لأنيس منصور بالأهرام و'مجرد نصيحة' لصالح منتصر بالأهرام و'من قريب' لسلامة أحمد سلامة بالأهرام، و'صندوق الدنيا' لأحمد بهجت فى الأهرام؛ ونصف عمود أحمد رجب فى أخبار اليوم و'الموقف السياسى' لإبراهيم سعدة فى أخبار اليوم.

والعمود الصحفي يمثل فكرة أو رأياً أو خاطراً للكاتب، حول واقعة أو ظاهرة اجتماعية، أو سياسية أو ثقافية. ذلك أن الغاية الأساسية من هذا الفن المقالى هي ربط القارئ بالكاتب وبالصحيفة. ويعتبر العمود رأياً شخصياً للكاتب قد يختلف مع سياسة الصحيفة في موضوع معين، غير أن بعض علماء الصحافة مثل "ليبلينج" يذهبون إلى أن كاتب العمود لا يختلف عن كاتب المقال الافتتاحي، لأنه يعرض وجهة نظر الصحيفة لا وجهة نظره هو، على أن معظم الصحف الكبرى في العالم تؤثر أن يكتب الكاتب بحرية كافية معبراً عن رأيه الشخصي.

فالقارئ لعمود أنيس منصور: 'مواقف' يتمثل قول ابن العميد في الجاحظ؛ وكأنه يقصد بذلك صاحب 'المواقف' حين 'يعمل العقل أولاً والأدب والسياسة بعد ذلك'. وهو بذلك يوظف المقالة الأدبية، لمقتضيات العمود الصحفي على النحو الذي يجعلنا ندرك ما يعنيه أستاذنا د. زكي نجيب محمود؛ حين قال إن المقالة الأدبية يجب أن تصدر عن قلق يحسه الأديب مما يحيط به من صور الحياة وأوضاع المجتمع، على شرط أن يجنّ السخط في نعمة هادئة خفيفة، هي أقرب إلى الأتني الخافت منها إلى العويل الصارخ، وهي سخط مصطبغ بفكاهة لطيفة، وليس سخطاً مما يدفع الساخط إلى تحطيم الأثاث ومزيق الثياب.. كما يشترط في المقالة أن تكون ملي غير نسق من المنطق، أن تكون أقرب إلى قطعة مشتقة من الأحرار الوحشية منها إلى الحديقة المنظمة، فلا نقط فيها ولا تبويب ولا تنظيم^(١).

وهذا التعريب للمقالة الأدبية؛ يفيدنا بصفة خاصة حين ننظر في المقال العمودي أو العمود الصحفي - الذي يزداد شيوعاً كلما شاعت الصحافة، ولكن هذا التعريف - كما يقول العقاد - لا يحصر جميع المقالات الأدبية، ولا يصدق جميع الفصول التي تكتب في خبير المقالة المستقلة، فالكلمات التي تطلق على المقالة في اللغات الأوروبية تؤكد أن تفيد كلها معنى المحاولة والمعالجة فكلمة Essay وكلمة Sketch وكلمة Treatise بل كلمة Study وهي تترجم أحياناً بمعنى الدراسة لا يعدو أن يكون القصد منها في بداية وضعها أن تفيد معنى المحاولة التي يعوزها الصقل والإنجاز وكلها مستمدة من أساليب معامل النحت والتصوير، يريدون بها الرسم الذي

(١) د. زكي نجيب محمود: جنة العبيط، دار الشروق ص ٨-١١.

يخلط الصورة قبل تلوينها، أو النموذج الذي يُصنّف التمثال على محتائه، وينفثونها إلى الموضوعات الأدبية على سبيل الاعتذار لا على الاشتراط، كأنهم يتقون نقد الناقد بهذه التسمية، فلا يحاسبهم على كتابتهم بحساب العمل المنعم الذي استوفى نصيبه من الإتيان، وكلمة Article وهي أبعد قليلاً من الغرض تفيد معنى المقاصلة أو الجزء، ويقابلها عندنا (الفصل) الذي يستقل بموضوعه، ولا يشترط فيه أن يكون فصلاً في كتاب مطول تتممه فصول.

ويخلص العقاد إلى أن هذه المعاني لا تسنوعب أعراض المقالات كلها في الكتابة الأوربية أو في الكتابة العربية، فمقالات "ياكون" و"ماكولي" و"أرتولد" و"سان بيف" ليست كلها من هذا القبيل، بل مقالات "وليام هازليت" نفسه على إسهامه في أدب المقالة كما يعرفها د. زكي نجيب لا تجرى كلها على هذا النسق، وفيها ما هو أشبه بالبحوث والرسائل في حيز صغير وأن النحت لا يشترط أن يكون كتاباً ضخماً أو كتاباً صغيراً في عدد من الصفحات، فإذا جاز أن يتم البحث في حيز مقالة فليس ما يمنع انتظامه في عدد المقالات^(١)، وفي موضع آخر يذهب العقاد إلى أنه ليس من اللازم أن نقاوي المقالات جميعاً على السنة الشائعة في عرف النقاد والقراء، ففي غير النمط الشائع مجال للخصوصيات المنفردة على حسب القرائح والطبائع والموضوعات^(٢).

والكتاب العموديون في الصحافة العربية المعاصرة يمثلون ما وصلت إليه المدرسة الحديثة من ترسل صحفي يتسم بالبساطة والوضوح وحرية التعبير القائم على التعقيل الصحيح. ونجد منهم من يأخذ نفسه بموضوع سياسي معين لا يحاول الخروج عنه، بحيث تقترب مقالاته العمودية فن "أديسون" الذي جمع بين الفلسفة العقلية وإجازة الأسلوب الصحفي، في حين تقترب البعض الآخر مثل أنيس منصور من فن "مونتانى" الذي يجعل العمود الصحفي قريباً من القصيدة الغنائية؛ وفي عمود سلامة أحمد سلامة "من قريب"؛ و"إبراهيم سعده"؛ آخر عمود "صلاح منتصر"؛ مجرد رأي "نزوع إلى التحليل؛ والاعتماد على تذوق الحوادث اليومية، والشواهد العملية؛

(١) عباس محمود العقاد: "أدب المقالة" في مجلة الرسالة ٧٨٧٤ بتاريخ ٢ أغسطس ١٩٤٨: د.

علاء كفاي: المقالة الأدبية ووظيفتها في العصر الحديث، القاهرة ١٩٨٥، ص ١١.

(٢) العقاد: فرائيس ياكون ص ٢٥٢، عصر العقاد ص ٢٥٠.

ويتجه أحمد رجب؛ ومحمود السعدني وأحمد بهجت نحو توظيف المقال الكاريكاتيري الأدبي لأغراض فن العمود الصحفي؛ حيث يفترض الكاتب الساخر دائماً وجود "الأخر" الذي يسخر منه؛ أو يشترك معه في السخرية، أو يتبادل معه النكتة؛ ولكنه يوظف هذه السخرية لأداء وظائف الصحافة في اتخاذ السخرية سبباً مسلطاً تسلطه على رقاب الخارجين على المعايير العامة.

و"روح الفكاهة" هي السمة الرئيسية لأعمدة هؤلاء الكتاب، الذين يوظفون العمود الصحفي للسخرية اللادعة والضحك الموجه من الخارجين على قوانين المجتمع؛ والكاتب الساخر وهو يفعل ذلك يصدر عن الشخصية المصرية في اتخاذها لسخرية وسيلة للنقد والإصلاح بالنسبة إلى المجتمع المصري ذاته؛ ذلك أن الضحك - كما يقول برجسون - وسيلة فعالة لتصحيح أو تعديل تلك الآليات الضارة التي تنطوي عليها حياتنا الاجتماعية العادية بإظهارنا على ما فيها من سخف وعبث وتفاهة.

ولذلك نرى أن مقالة العمود الصحفي؛ أقرب في كتابتها إلى ما يسميه العقاد بـمط "المناجاة والأسرار" - وأحاديث الطريق بين الكاتب وقرائه، وأن يكون فيها لون من الإفشاء بالتجارب الخاصة والأنواع الشخصية^(١).

على النحو الذي يقترب بفن العمود من فن الشعر أو القصيدة الغنائية؛ ومن ذلك فن عمود "شوارب" الذي يكتبه المؤلف في ملحق الجمعة بجريدة الأهرام بتوقيع مستعار "سندباد".

(١) العقاد : فرنسيس سكاون، المجلد ١٩ من المجموعة الكاملة لمؤلفات العقاد، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨١، ص ٣٥٠. فن المقال الصحفي في أدب العقاد؛ هيئة الكتاب.

شوارك

الغريب (١)

١ - في هذه المدينة
نموت في الصباح والمساء
مرتبهن
وربما نضيع
نصير تائهين
وفي المساء عندما نعود
بالهموم متقلبين
نريد أن تضمنا البيوت
بحسرة نموت
لأننا سحاب
رغم أنفه يعبير
لأنه في مثلنا طريد

نسجت من قصائدي
البيوت
تعيش في القلوب تزرع
السلام
وتزرع الحنين
لكنها لا تمنع الجراح
كسرة الطعام
لأننا نصب

نصوت مرتين
فصدر هذه المدينة
يضيق قلبه
بالواقف الغريب.
يعيش في أسوارها كما
الخریق
وفي المساء نلتقى ونشرب
النخان
في قهوة صغيرة
من غير ما جدران
نظل للصباح شاربين
لأن قلب هذه المدينة
يضيق بالغريب حتى لو
أحيل أثنين..
يضيق بالغريب يلفظ
الغريب.
لكن بسمتي ضياء
يهدد الظلام في المدينة
إذ تضج بالصراخ والعيول
والكلام
٢ - بعيداً.. بعيداً
وعبر خطوط الحال
وعبر حوار الخيال
سألتك يوماً
وأمنح روحي الظلام

وأنسى دروب الضلال
وأزيع يوماً بنفسى
أمانى الرجال
برغم ظلام الخريف
تفرق نفسى بحزن أسيف
سيمضى سبزيق
دروحي تعانق روح
الخميلة
تريثى النحون الجميله
وشدو الليالي وعطر
الطقول
تغنى أغاريد شعبي
وتقرأ مثلى
بكف الزمان أمانى الرجال
ويولد مثلى
ويحمل عمراً كأعلى الجبال
ويقهز سوط المحال
ولن أدرف الدمع يوماً
لأنى بدأت وحيث انتهيت
ولكن سأحلم أحلم
أنى أعانق سرا المحال

سنديان

حلم إيزيس (١)

في الأرض والسماء

وحيثما تصطبخب الأمواه في الضياء

تجئ في ثيابها

الوضاء

وتعلن الأنباء

فتمسح الدموع من

عيون حنّها المقهور

يعانق الأمواه شوقها

المهجور

وترتعد الغابات

تزيد البحور

لأجل حزنك الكبير

يا إيزيس

لأجل حنّك المقهور

تذوب كل قطرة في

وجهك المسحور

وفي معالم السطور

يجيئك العصفور

محمّلاً بأسعد الأنباء

توحّد الشيطان

تحتفل المياه من جديد

بعبدها الذي يشع من

بعبد

تعانق الصفاء في

السماء

تعانق الإسلام

حلمك الوحيد

يا إيزيس

(١) جريدة الأهرام الصبغة ١٤/١١/١٩٩٧.

عيون إيزيس

عيون إيزيس التي
تعموم في بحر
بلا أعراف
تجوب في أمواها
مرآة كل القادمين
من قبل أن يلازموا
سفائن الشمس
مسافرين للنهار
لا وجه للسكون
لا ضفاف
والذكريات حولهم تطل
من بعيد
كأنها المجذاف
عيون إيزيس أيا عيون
إيزيس
عيون إيزيس وطن
عيون إيزيس زمن
وفي سفائن الشمس
تحيط في أمواجها
وأركب الضياء
وفي عيونها الظليلة
السواد
أرى بها عاشقة النهار
حين تخزل الثياب
للعاشق العظيم

"سندباد"

عبد العزيز شرف

وإذا كان د. نجم يذهب إلى أن المقالة الأدبية "قطعة نثرية محدودة في الطول والموضوع، تكتب بطريقة عفوية سريعة خالية من الكلفة والرهق، وشرطها الأول أن تكون تعبيراً صادقاً عن شخصية الكاتب"^(١). فإننا نرى في هذا التعريف ما يصدق على فن "العمود" الصحفي؛ الذي اكتسب من خصائص المقالة الأدبية: "الإيجاز في كتابتها، وتجنب الإطالة، والتبعد عن التوغل في البحث عن الطواهي، وعرض التفاصيل وإيراد الاستقرئات الدقيقة لجزئيات الموضوع وترتيبها للوصول بها إلى نتائجها كما هو الشأن في تأليف الكتب وكتابة الباحث العلمية"^(٢). ولذلك يشعر قارئ "العمود" الصحفي، نحو المقالة وكاتبها أنه تجاه حديث ممنوع لمحدث لبق يستهويه بحسن عرضه، فكتابته للمقالة من نوع التعبير الوجداني عما يعرض له من مشاهد الحياة ومواقف الأحياء، ويذهب د. كفاقي إلى أن التعبير الوجداني في المقالة الأدبية ليس مضاء حصر موضوع المقالة في الكاتب نفسه، ولكن المراد أن ما يعرضه الكاتب في المقالة إنما يعرضه عن خلال رؤيته الخاصة وطابعه المميز عن سواد من الكتاب. ومن التجارب الفنية في المقالة الأدبية، ما هو ذاتي محض، ومنها ما يتجاوز حدود الذاتية الخاصة بالكاتب إلى آفاق عامة: إنسانية أو اجتماعية أو دينية أو وطنية ينفعل بها الكاتب انفعالاً صادقاً لا تزيف فيه ولا تقليد، كما ينفعل بها الشاعر في شعره والغاص في قصصه"^(٣). وكما وجدت الكاتب أدنى إلى أن يحدثك عن تاريخ نفسه فيما يكتب - كما يقول د. زكي نجيب محمود - (إن رأته 'يرسل الخواطر إرسالاً هيناً فيستغنى منها ما وراءها من حالته النفسية فاعلم أنه قد أجاد، أما إن وجدته يعالج موضوعاً لا يتصل بمكنون نفسه، ويعنى بتعلمه وثبوتها كما ينظم البحث العلمي فاعلم أنه عن الجودة بعيداً.

ويجمل د. كفاقي عناصر المقالة الأدبية الرئيسية في: صدق إحساس الكاتب؛ والأصالة بمعنى التعبير عن التراث، ووجهة نظر خليقة بالتأكيد وجمال التعبير ثم قوة الإثارة أو الإمتاع، وهي العناصر التي تكسب المقال 'العمودي' أدبية؛ بين فنون المقال الصحفي.

(١) د. محمد يوسف نجم: فن المقالة، بيروت، ١٩٥٧، ص ٩٥.

(٢) د. عطاء كفاقي: السابق ص ١٢-١٤.

(٣) نفسه، ص ١٤.

شواره

في ذكرى الحكيم

قال الطالب الفتى لأستاذه الشيخ: في مثل هذه الأيام رحل عن عالمنا 'حكيم الأدب العربي' ومع توفيق الحكيم نقجده الذكريات، والذكريات ذات شجون!

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى: حسبك يا بني أن تفخر بأنك عشت 'عصر الحكيم'.. كما يفخر فلانميد "سقراط" بأنهم عاشوا 'عصر سقراط'! وكلاهما عانى من أساليب الحرب النفسية؟ صناع الشائعات! ولتقرأ قول الحكيم عن شخص الفنان فنجد فيه تعبيراً كامناً يؤكد ما أقول: "أذكر أنني في مسئول العمر نمتيت لو أن كان الأولى بي أن أكون على الأقل فناناً - ولكن الحياة جرفتني في نهرها الضيق!.."

قال الطالب الفتى لأستاذه الشيخ: كم من الفنانين استطاع أن يحتفظ بقيمه العليا رغم حصار شياطين الحرب النفسية!

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى: في حديث الحكيم ما يغنيك. حيث يقول: 'قرأت يوماً لأحد الأدباء الخابرين هذه العبارة: حبذا لو قرأ الناس مؤلفاتي كما لو كانت وجدت داخل زجاجة مختومة ملقاة بين أمواج الميم.. هذا أديب يتمنى أن يلقي إلى الناس بانتاجه، ولا يلقي إليهم بشخصه!..'

ويصرح لنا الحكيم أن هذه كانت خلقته دائماً في مطالعة آثار الفن! وكان يتجاوز مقدمات الكتب بالتخطي إلى العمل ذاته، ويقول: "أني لا أعرف شيئاً كثيراً عن حياة شكسبير ولم أعن بالنظر في حياة الفردوسي أو الجاحظ.. ولم أحاول أن أفكر في حياة جوتة أو موليير. كل هؤلاء تغذيت بكثير من إنتاجهم - قبل أن أعرف من هم - بل لقد منحت نفسي متعاً صلباً عن قراءة حياة 'فاجنر' بقلمه، وحتى في ثلاثة أجزاء ملأني بالطريف الغريب، ولم تهزني حياة بتهوفن ولا حياة موزار. ولكنني حفظت الكثير من موسيقاهم عن ظهر قلب! إني أريد أن أكتشف الكنوز بنفسى، ولا أريد غوصاً معي يخلق أنفاسي، أو دليلاً يقودني حسب هواه!

قال الطالب الفتى لأستاذه الشيخ: ولكن كيف يستطيع الناس أن يقدروا الأثر الفني دون أن يعرفوا صانعه حياة وفكره وسلوكه واتجاهه وبيئته؟!

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى: فاقراً إذن قول الحكيم: 'لو علمت كيف يكتب التاريخ لألقيت في هذا البحر بكل كتب التراجم ثم أنه ليس اصديق من "الأثر الفني"

وحده.. هو صورة الفنان التي لا تشوه.. هو روحه المنطلق من جوف رذاته الدنيوي.. هذا الرداء الذي لا يستطيع الناس أن يثقلوا في تفصيله.. بما شاء لهم بحسبهم أو إغراقهم.. العمل الفني.. هو وحده الذي يخلق فوق الأجيال حراً سليماً، بعيداً عن أيدي العابثين.. هنا حرية الفنان التي ليس له حرية سواها..، رحم الله الحكيم، فقد بقيت آثاره علماً على نهضة الأدب العربي الحديث.. وفي ذكره يتجدد الدرس الذي علمنا إياه.. : عشر لا إنساناً صحيحاً، لتستطيع بعد ذلك أن تفكر للناس تفكيراً صحيحاً.

'سندباد'

عبد العزيز شرف

ومن أجل ذلك يذهب العلماء إلى أن خصائص العمود من حيث التعبير تشمل : جمال الأسلوب وروح الفكاهة والذاتية التي تميزه عن المقال الافتتاحي، وابتخاذه شكل الهرم المعتدل في الصياغة والإيجاز في العبارة، وربما كان أهم من ذلك كله أن كتاب العمود الصحفي ينبغي لهم ألا يضيعوا من وقتهم ومن وقت القراء - على حد تعبير ريفرز - في تقديم قضية من القضايا بطريقة القصة الخيرية، ثم يلصقون في نهايتها فقرة قصيرة من المدح، أو القدح.

ثالثاً: فن اليوميات الصحفية:

يفترب فن اليوميات الصحفية من روح العمود الصحفي من حيث التعبير عن خواج النفس وروح المذهب الذي يعتنقه الكاتب، ونظرة إلى الحياة، حيث يسجل في هذا الفن المقالى خواطره المتناثرة التي تؤثر في القارئ، وهي خواطر تتصل بصلات من العاطفة أو الخيال، ذلك أن فن اليوميات يتضمن خاطراً يلحق خاطراً ويتبعه - لا لأن بينهما علاقة منطوقية كالتي تأتي بالنتيجة وراء سببها بل لأن هذين الخاطرين مرتبطان في خيال الكاتب أو يتصلان بعاطفته، كما يذهب إلى ذلك 'تشارلتن'.

فكاتب اليوميات الصحفية يكتب 'وكأنه يتحدث في سمر حديثاً مطلقاً من كل قيد، فيدع الخواطر يسوق بعضها بعضاً بما بينها من روابط تسدعي نقابها وتداعبها دون أن يعمل في ذلك عقله ومنطقه لينظم الترتيب والسياق.. هكذا بدأ مونتاني أدب المقالة على وجهه الصحيح.'

ويذهب بعض علماء الصحافة إلى أن المحرر الصحفي ينبغي أن يترك آراءه الخاصة عند باب غرفة التحرير ويخلعها دائماً كما يخلع معطفه عند هذا الباب حتى

إذا ما انتهى عمله، وعاد إلى معطفه عادت إليه آراؤه الخاصة التي يمكنه أن يحتفظ بها لنفسه، غير أن هذا الرأي لا يمكن أن ينطبق على كاتب اليوميات بصفة مطلقة، وذلك - كما يقول الدكتور إمام - لأن اليوميات أشبه بالمقال الأدبي من حيث العناية باختيار الألفاظ والاحتفاظ بطلاوة الأسلوب، بل لعلها أقرب إلى مقالات الاعترافات بصفة خاصة، فهي تقدم صوراً نابضة بالحياة، زاخرة بالمعاني، وهي تتطلب سيطرة تامة على اللغة والتعبير بالأسلوب السهل الممتنع، ولاشك أن طواعية اللغة لا تيسر إلا للعارفين بها، والقادرين عليها، عنى نحو ما نجد في 'يوميات الأخيار' التي كان يكتبها العقاد رحمه الله؛ والتي لا يزال يكتبها نخبة من الكتاب من أمثال: محمد مصطفى غنيم، وسناء فتح الله، وإسماعيل النقيب، وجمال الغيطاني وعبد الرحمن الأبنودي؛ ووجهه أبو ذكري، وكما نجد في 'مفكرة' الأهرام التي كان يكتبها حماد من الأدباء والمفكرين من أمثال: عبد الرحمن الشرقاوي - ثروت أباظة - زكي نجيب محمود ود. يوسف عز الدين عيسى، وسعد الدين وهبه.

وفي مقالات 'اليوميات' بالأخبار و'المفكرة' بالأهرام، يبين لنا أن فن اليوميات الصحفية إنما يتلخص في أنه يتناول الفكرة والأداء في وصل جماهير الناس بالحضارة ومعطيات العصر: آرائه وأفكاره وأدوائه وآلاته ونشوقه ونطلعائه، عن طريق تطوير اللغة لمعطيات الحضارة.

بناء المقال:

وإذا كنا نتفق على أن التحرير بكافة أنواعه يقوم على 'التفكير' و'التعبير' معاً؛ فإننا سوف ننظر إلى ما يشيع في تعريف المقالة منذ 'جونسون' واعتبارها 'ثروة عقلية لا ينبغي أن يكون لها ضابط من نظام'؛ نظراً مغايرة؛ ربما نتفق مع 'جونسون' نفسه؛ إذا اعتبرنا ما يقوله ينبج من 'النظام النسبي' إذا جاز التعبير؛ قياساً إلى الفنون الأدبية الأخرى للتمييز بينها؛ وإذا نظرنا إلى تعريف 'جونسون' أيضاً؛ على أنه يريد للنظام في المقالة أن يتجاوز نفسه؛ حتى لا يبدو في سياق غير منظم؛ لا يجرى على نسق معلوم؛ ذلك أن عنصر 'التفكير' في التحرير المقالي؛ يخط له التنسيق الملائم؛ النابع من الرؤية الإبداعية للكاتب نفسه؛ ومن طريقة 'تفكيره' المتميز بها؛ وهي الطريقة التي تؤكد أنه لا يكفي أن يكون هناك خاطر في المقالة، بل لا بد من ملاحظة

النظام في كيفية إيضاحه؛ إذ لا جلاء بدون تنسيق أو كما يقول عمر الدسوقي - فلايد قبل الكتابة من 'وضع رسم ولورءوس أقلام، فإنه إذا لم يوضع الرسم يرتبك الدكي ولا يعرف كيف يبتدىء وكذلك يدخل في تفاصيل مملة، ويضيع المسألة المهمة، ويصير مظلماً كلما اجتهد في الإيضاح. ومن أين له أن قارئه يصيرون إلى أن يعود ليتهدى سبيله؟. وفي الكتابة القصيرة لا يستغنى البتة عن هذا الرسم، ولكن العادة تجعله مصوراً في الذهن على الفور، وكيف كان ففي التنسيق ثلاثة أمور ضرورية : وحدة الموضوع، وتلاحم الأجزاء، واستقلالها التدريجي^(١).

فعنصر "التفكير" إذن - في التحرير المقاتل يؤدي إلى البناء الداخلي في المقالة؛ وفقاً لنظام تابع من رؤيا الكاتب الإبداعية؛ ولذلك يرى النقاد أن كاتب المقالة ملزم بالتفكير فيما يريد أن يكتب قبل أن يتناول القلم؛ ثم يسير موضوعه سيراً منطقياً متجنباً الفضول، ومركزاً فكره في النقاط الرئيسية، على أن يكون لموضوعه وحدة تربط بين أجزائه، وأن يكون واضحاً في تعبيره. منتخباً لكلماته، ولأسلوبه طلاوة، وعليه جمال.. فضلاً عن تنسيق الأفكار^(١) الذي يعد شرطاً أساسياً من شروط الاتصال المؤثر.

ولذلك نذهب مع الأستاذ عمر الدسوقي إلى أن هذه الشروط ليست هي شروط الإنشاء المدرسي. وشتان بين هذا وبين المقالة الأدبية، فإن الفكرة التي يراد التعبير عنها سواء كانت في نفس طالب مبتدئ أو كاتب نابغ محتاجة إلى الوضوح، وإلى التمهيد، ثم عرضها عرضاً جيداً منطقياً يفهمه القارئ بيسر، لا أن تكون مشتعلة غامضة تسير على غير انساق ونظام، فإن ذلك يعوق عملية الاتصال ولا يتفق مع جوهر البلاغة نفسها.

﴿وَاجْرُ نَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

(١) د. عطاه كفاقي: السابق ص ١٢.

هذا الكتاب

يتناول هذا الكتاب الأساليب الفنية في التحرير الصحفي؛ ويقدم عرضاً جديداً لتشكل والمصموم في الصحف والمجالات، تأمسياً على أن هذا الفن إنما يقوم في جوهره على صوغ الأحداث والمعلومات والثقافة، والفلسفة والعلم لتكون في متناول جميع القراء، بطريقة واضحة سلسة مشوقة.

وهذا الكتاب الجديد للدكتور عبد العزيز شرف يتواصل مع كتب أخرى له في السبعينيات والثمانينيات وهي: فن التحرير الإعلامي، وفن المقال الصحفي، والتفسير الإعلامي لأدب المقالة. ثم فنون المقال بين الصحافة والأدب؛ في التسعينيات.

ويتناول هذا الكتاب أيضاً: تحرير الخبر، والمقال، والحديث، والتحقيق الصحفي، وقد أعد هذا الكتاب ليكون مساعداً لطلاب الإعلام والأدب في جامعاتنا المصرية والعربية ودليلاً لزملاء المهنة الصحفية في الوطن العربي.

فبلى هؤلاء الدارسين ولزملاء نهدي هذا الكتاب.

أحمد غريب

To: www.al-mostafa.com